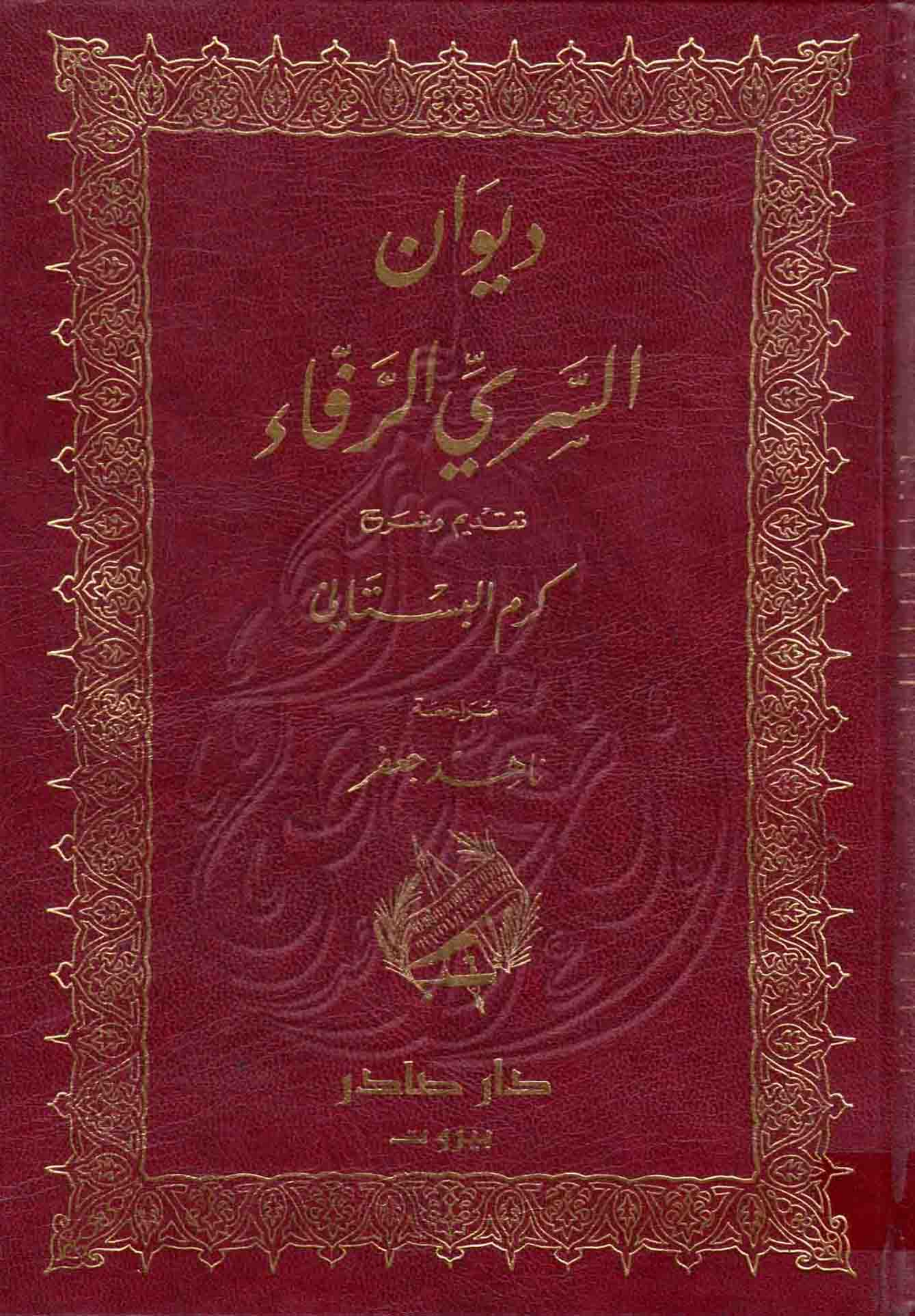

ديوان
السري الرفاء
تقديم وشرح
كرم البستاني
مراجعة
ناهد جعفر
دار صادر
بيروت

ديوان السَّرِيِّ الرَّفَّاء

تقديم وشرح

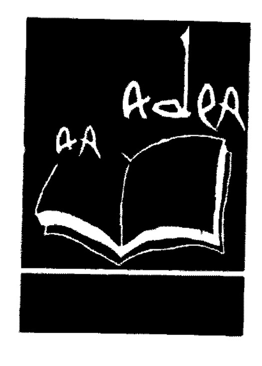
كرم البستاني

مراجعة

ناهد جعفر

دار صادر
بيروت

الطبعة الاولى : 1996



COPYRIGHT © DAR SADER Publishers
P.O.B. 10 Beirut, Lebanon

دار صادر للطباعة والنشر
ص . ب ١٠ بيروت ، لبنان

Tel & Fax (961) 4-920978 / 4-922714 / 1-448827 هاتف وفاكس



السَّريّ الرَّفَّاء

362هـ ؟ – 972م ؟

هو السَّريُّ بن أحمد الكندي ، كنيته أبو الحسن ، ولقبه الرَّفَّاء . وُلد في الموصل ، ولم يذكر أحد من مؤرِّخيه تاريخ ميلاده ، حتى إنَّ السنة التي تُوفّي فيها مشكوك في صحَّتها .

كان منذ صغره مولعاً بالأدب ، غير أنَّ إعسارَه اضطرَّه إلى أن يتَّخذ رَفو الثياب مهنةً ليكسب قوته . ولكن لم تكن هذه المهنة لتصرفَه عن الأدب ، فكان لا ينقطع عن نظم الشِّعر ، حتى إذا رأى أنَّ ملكَتَه الشِّعرية قد استحكمت ، هجر الرَّفو ، وشخص إلى حلب ، وكان عليها سيف الدولة الحمداني ، فاتَّصل به ، وأقام عنده يمدحه ، ويمدح آل حَمدان ، ويأخذ صلاتهم . فحسُنَتْ حاله ، وأثرى بعد فقر .

وكان الخالديان : أبو بكر محمد وأبو عثمان سعيد ، خازنا كتب سيف الدولة ، يتمتعان بنِعَم هذا الأمير الكريم الجوّاد ، وبحُظوة عظيمة في بلاطه . فحسدهما السَّريُّ على نعمتهما ومنزلتهما ، وأخذ يهجوهما ويتَّهمهما بسرقة شعره وشعر غيره . فنقما منه ذلك ، وسعَيا به إلى سيف الدولة ، فقطع عنه ما كان قد رسم له من عطاء . وعلى ذلك لبث في حلب إلى أن تُوفّي سيف الدولة ، فتحوَّل إلى بغداد ، ومدح هنالك الوزير المهلبيّ وبعض الرؤساء ، فأسنوا له الجوائز ، ومكث هنالك إلى أن توفَّاه الله .

كان السَّريُّ من مطبوعيّ الشُّعراء ومجدِّديهم ، ويظهر تجديده في أوصافه

وتشابيهه التي تناول بها ما في الطبيعة من جمالات . وكان دقيق الإحساس بالمفاتن الطبيعية ، مشغوفاً بمظاهر العمران ، فوصف مجالس الشّراب والعربات ، أي السفن الرّاكدة في المياه ، ولياليه فيها ، ووصف الصيد في البرِّ والماء بأنواع آلاته ، والأزهار والشراب والنيران والكوانين ، وغير ذلك ممّا يُبرز دقّة ملاحظته وتجديده في صور حيَّة متحرِّكة ، حافلة بالخيال الفسيح ، والتشابيه الدقيقة ، غير أنّها على جمالها ، يعوزها شيء من العمق والعاطفة .

وشِعرُ السَّريِّ موسيقي جميل التوقيع ، حسن الانسجام ، وألفاظه رقيقة عذبة ملوَّنة ، قال فيه أبو هلال العسكري في كتابه «ديوان المعاني» لما أراد أن يورد من شعره : «وقال السريُّ ، وأحسنَ ، وليس فيمن تأخَّر من الشاميِّين أصفى ألفاظاً مع الجزالة والسهولة ، وألزم لعمود الشِّعر منه» .

كرم البستاني



قافية الألف

1

قال يمدح الأمير سيف الدولة أبا الحسن علي بن عبد الله بن حمدان :

[من الطويل]

رويدَكَ عن تفنيدِ ذي المُقلَةِ العَبْرَى ، وقَصرُكَ أنَّ الدَّمعَ غايةُ ما نَهوى[1]

ولا تبكِ إلاّ بعدَ طولِ صبابةٍ ، وحسْبُك من فرطِ الصَّبابةِ ما أَبكى

إذا الدمعُ لم يبرَحْ مَحَلّاً يَحُلُّه سرى الدمعُ من أجفانِه قَلِقَ المَسرى

حَماهُ الكَرى برقٌ تَألَّقَ بالحمى ، إذا ما خَفَى وهْناً أبى الشوقُ أن يَخفى

وقى اللهُ من شكوى الصبابةِ خُلَّةً شكوتُ الذي أُلقى ، فأضعفَ في الشكوى[2]

أُكاتمُ بَلْوى الحبِّ كيما أُبيدَه ، وعيني ، تَفيضُ الدمعَ ، عينٌ على البلوى

أُواصِلُ فيها الدمعَ يَدمَى مسيلُهُ ، وأقطعُ أنفاساً مسالِكُها تَدمى

تذكَّرتُ إذ سَهْمُ الهَوى غيرُ طائشٍ ، وإذ أسهُمُ الأيامِ طائشةُ المَهوى[3]

وكم ليلةٍ أحيَتْ نفوسَ ذَوي الهَوى عِناقاً ، وكانت لا تموتُ ولا تَحيا

ويومَ أرانا العيشَ يهتزُّ عِزَّةً بما قد حوى من غُرَّةِ الرشأِ الأَحوى[4]

جَلَوْنا به الكاساتِ ، والأفقُ عاطلٌ إلى أن تَبَدَّى الأفقُ في حُلَّةٍ تُجلى

فصافحَ منها الشَّرْبُ كلَّ مَشوقَةٍ ، عليها رِجالُ الفُرسِ يقدُمُهم كِسرى[5]

---

1 التفنيد : اللوم . القصر : الغاية .

2 أضعف : جعله ضِعْفَيْن .

3 السهم الطائش : الذي يجوز ولا يصيب .

4 الأحوى : الذي به سوادٌ إلى الخضرة ، أو حُمرة إلى السواد .

5 الشَّرب : الشاربون . وأشار في البيت إلى ما على الكاسات من صور رجال الفرس وملكهم كسرى .

نُحَيًّا ونُسْقَى في الزُّجاجةِ باطلاً ، إذا نحنُ حقَّقْنا التحيَّةَ والسُّقيا

ويُلبِسُه ساقي المدامةِ حُلَّةً ولكنَّه في كَفِّ شاربِه يَعْرَى

وليلٍ رَحيبِ الباعِ مَدَّ رِواقَه على الأفقِ ، حتى خِيلَ في حُلَّتَي ثَكْلَى[1]

يُقيِّدُ ألحاظَ العيونِ حِجابُه ، كأنَّ بَصيرَ القومِ من دونِه أعمى

تردَّيْتُه حتَّى رأيتُ رِداءَهُ ، يَرِقُّ بمنشورٍ من الصبحِ لم يُطْوَ

ولاحَ لنا نَهْجٌ خَفِيٌّ كأنَّه ، إذا اطَّرَدَتْ أثناؤُه ، حيَّةٌ تَسعى[2]

إلى سيِّدٍ يُعطي على الحمدِ مالَه ، فيأخُذُ ما يَبقى ويُعطي الذي يَفنى

وأبيضَ يَحمي كلَّ أبيضَ ماجِدٍ إذا لاحَ فرداً ، فهو صاحبُه الأدنى

ومزمومَةِ الأطرافِ مُصفَرَّةِ القَرا ، مؤلَّفةِ الأعضاءِ من فِرَقٍ شتَّى[3]

تَشرَّدَ مِن أولادِها كلُّ زائرٍ ، فيا لَكِ أُمَّاً ما أَعقَّ وما أَجفى

إذا طار عنها انفلَّ ، في كلِّ نَثلَةٍ دِلاصٍ كما ينفلُّ في الشَّمَطِ المِدْرَى[4]

وإن حادَ عن نفسٍ هَدَاه لها الرَّدى ، ولم يُرَ سارٍ قبلَه بالرَّدى يُهْدى

طلعْتَ عليه ، والذوابلُ تَلتوي أسنَّتُها في نَحرِ كلِّ فتىً ألوى[5]

وأسفرْتَ ، والألوانُ تَرْبَدُّ خِيفَةً ، وبيضُ الظُّبا تَدْمَى ، وسُمْرُ القَنا تَفنَى

تَقَيَّلْتَ ، عبدَ اللهِ ، في البأسِ والنَّدى ، فما حِدْتَ يوماً عن طريقتِه المُثلى[6]

وأنتَ رفعتَ الشِّعْرَ بعدَ انخفاضِهِ ، بجودِكَ ، حتى صار في ذِروَةِ الشِّعرى[7]

---

1 أراد بحلَّتَي الثَّكلى ما انتشر من سواد الظلام على الأفق .

2 النَّهْج : الطريق .

3 يريد بمزمومة الأطراف : الكتيبة الملزوزة . القَرا : الظهر . مصفرَّة القرى لما عليها من السلاح .

4 انفلَّ : تثلَّم . النثلة : الدرع الواسعة . الدلاص : اللينة الملساء . المِدْرى : المشط .

5 الذوابل : الرماح . الألوى : العسر ، الشديد الخصومة .

6 تَقَيَّلْتَ : استرخْتَ .

7 الشِّعرى : كوكب .

فكم مِدحَةٍ غِبَّ النَّوالِ تبسَّمَتْ ، كما ابتسمَ النُّوَّارُ غِبَّ حَيَاً أروَى
ثَناءٌ أبانَ الفضلَ مني لحاسِدٍ ، تبيَّنَ فيه ذِلَّةُ العبدِ للمَولى
يجولُ فِجاجَ الأرضِ ، وهو مقيَّدٌ ، بقافيةٍ يَبلى الزمانُ ، ولا تَبلى
وما ضَرَّ عِقْدٌ من ثَناءٍ نظمتُه ، وفصَّلتُهُ أن لا يعيشَ له الأعشى

2

وقال أيضاً يمدحُه : [من الكامل]

أَمِنَ العيونِ ترومُ فَقْدَ عَنائِه ؟ هَيهاتِ ضَنَّ سَقامُها بشِفائِه
ما كان هذا البينُ أوَّلَ جَمرةٍ أذكَتْ لهيبَ الشَّوقِ في أحشائِه
لولا مساعدةُ الدموعِ ودَفْعُها خوفُ الفِراقِ أتى على حَوبائِه[1]
مفقودَةٌ شِيَةُ الجوادِ لنَقْعِهِ ، وحُجولُ أربعةٍ لخَوْضِ دِمائِه
أو جحفلٌ لعبَتْ صدورُ رِماحِه فكأنما انقضَّتْ نجومُ سَمائِه
لَجِبٌ توشَّحَتِ البسيطةُ سيلَه ، وتعمَّمت أعلامُها بعمائِه[2]
متبسِّمٌ قبلَ النهارِ ، كأنما زَرَّ النهارُ عليه ثَوبَ ضَحائِه
ويُريكَ بينَ مُدجَّجٍ ومُدرَّعٍ خِلَعَ الرَّبيعِ الطَّلْقِ بينَ نِهائِه[3]
يَثنيه في السَّيرِ الحثيثِ بلحظِهِ ، كالريحِ تَثني الغيمَ في غُلَوائِه
فكأنَّ أشتاتَ الجبالِ تجمَّعَتْ ، فتعرَّضَتْ من دونِـهِ ووَرائِه
فهناك تَلْقى الموتَ ، فوق قَناتِه ، متبرِّجاً ، والنصرَ تحتَ لِوائِه
أَعَدوَّه ! أوفَى عليكَ مشوَّقاً بِقِراعِه ، إذ لستَ من أكفائِه

---

1 الدَّفْع : الحماية . الحوباء : النفس .
2 العماء : السحاب الكثيف الممطر .
3 نهائه : غدرانه ، مفردها نهي .

ومُشمِّراً قد شُلَّ ، من إدلاجِه ، ليلُ التمامِ ، وملَّ من إسرائِه[1]
ودقيقَ معنَى العُرفِ يجعلُ بشرَه بدرَ العدوِّ ، وتلك من أكفائِه
وإذا النَّسيمُ وَشى إليك مصبِّحاً بمسَرّةٍ ، فحَذارِ من إمسائِه
قد قلتُ ، إذ سالَت عَدِيٌّ أمامَه ، سَيْلَ السَّرابِ جرى على بَطحائِه[2]
ما بالُه مُغرىً بوَصْلِ عدوِّه ، وعدوُّه مُغرىً بوَصْلِ جَفائِه
يا موجِباً حقَّ السَّماحِ بنائلٍ ، تتقاصَرُ الأنواءُ عن أنوائِه[3]
والمبتني بيتَ العَلاءِ ببأسِه ، فغدا عَلاءُ النجمِ دونَ علائِه
وإذا بحارُ المكرُماتِ تدفَّقَت ، فجميعُها تمتارُ من أندائِه[4]
كم مِنَّةٍ لكَ ألبَسَتْني نِعْمَةً ، تَدَعُ الحسودَ يذوبُ من بُرَحائِه
صُنتُ الثناءَ عن الملوكِ نزاهةً ، وجعلتُه وَقْفاً على آلائِه
ألفاظُه كالدُّرِّ في أصدافِهِ ، لا بل تزيدُ عليه في لألائِه
من كلِّ رَيِّقَةِ الكلامِ ، كأنما جادَ الشبابُ لها برَيِّقِ مائِه
فالشِّعرُ بحرٌ نلْتُ أنفسَ دُرِّه ، وتنافسَ الشعراءُ في حَصْبائِه[5]
وأنا الفداءُ لمن مَخيلَةُ بَرقِه حظِّي ، وحظُّ سواي من أنوائِه
قمرٌ ، إذا ما الوشيُ صِينَ ، أذالَه ، كيما يَصونَ بهاءَه ببهائِه[6]
خَفِرُ الشَّمائلِ لو مَلَكتُ عِناقَه ، يومَ الوَداعِ ، وَهَبْتُهُ لحَيائِه

---

1 الإدلاج والإسراء : السير في الليل .

2 عديّ : قبيلة .

3 الأنواء : العطاء ؛ النجوم .

4 تمتار : تأخذ ميرَتَها ، والمِيرَة : الطعام الذي يدّخره الإنسان ؛ أي أن بحار المكرمات تأخذ من عطاء سيف الدولة مخزونها الذي يبقيها متدفقة . الأنداء : العطاء الكثير .

5 الحصباء : الحصى .

6 أذاله : أهانه .

ضَعُفَتْ مَعَاقِدُ خصْرِه وعهودُه ، فكأنّ عَقْدَ الخصرِ عَقْدُ وَفَائِه

أدنو إلى الرُّقَباء لا من حبِّهم ، وأصدُّ عنه ، وليس من بَغضائِه

للهِ أيُّ محاجرٍ عنَّتْ لنا بمُحَجَّرٍ ، إذ ريعَ سِربُ ظِبائِه[1]

ونواظرٍ وجدَ المحبُّ فتورَها ، لمّا استقلَّ الحيُّ ، في أعضائِه[2]

وَحَياً أرقتُ لبرقِه ، فكأنه قَدَحُ الزِّنادِ يطيرُ في أرجائِه[3]

سارٍ على كَفَلِ الجَنوبِ ، مقابلٍ حَزَنَ البلادِ وسهلَها بعطائِه[4]

حنَّتْ رواعِدُه ، فأسبل دمعُهُ ، كالصَّبِّ أتبعَ شدوَه ببكائِه

وسقَتْ غَمائمُهُ الرِّياضَ ، كأنما جُودُ الأميرِ سقى رياضَ ثَنائِه

سَفَهاً لِمَنْ سمَّاه سيفَ حفيظَةٍ ، هلاَّ أعارَ السَّيفَ من أسمائِه

متجرِّدٌ للخطبِ عرَّاضُ القَنا ، والمَشرفيّةُ من مَشِيدِ بنائِه

ومواجهٌ وجهَ العدوِّ بصَعدَةٍ ، ينقضُّ كوكبُه على شَحنائِه[5]

والرومُ تعلمُ أنَّ تاجَ زعيمِها ، مُلقىً بحدِّ السَّيفِ يومَ لِقائِه

لما حماه القَرُّ سفكَ دمائِهم ، أضحى يَعدُّ القَرَّ من أعدائِه

حَمَدَ الغمامَ وذمَّه ، ولربَّما ساء الحبيُّ ، وسَرَّ عندَ حبائِه[6]

قَلِقٌ ، يُفنِّيه الحديدُ ، فينثني ، جَذْلانَ مثلوجَ الحشا بفَنائِه[7]

إنَّ الربيعَ مُبيدُ خضراءِ العِدا ، ومُسيلُ أنفسِهم على خَضْرائِه[8]

---

1 مُحَجَّر : موضع .

2 استقلّ : سار .

3 الحَيَا : المطر .

4 الكَفَل : المؤخرة .

5 الصَّعدة : القناة المستقيمة . الشَّحْنَاء : العداوة .

6 الحبيّ : السحاب .

7 يفنّيه : يُفنِيه ، يعدمه .

8 خضراء العدا : معظمهم .

ولو أنهم قدَروا على أعمارِهم   وصلوا بها الأحوالَ عمرَ شِتائِه
إن عاقَه عما يحاولُ صِنوُه ،   وشبيهُه في بِشره وعَطائِه
فكأنَّني بجبينِه في مأزقٍ   متمزِّقٍ عنه دُجى ظلمائِه

3

وقال ينعت شبكة السمك : [من الرجز]

وشاحبِ اللِّبسةِ ، والأعضاء   أشعثَ نائي العَهدِ بالرَّخاء[1]
أفضى به العُدْمُ إلى الفَضاء ،   فوجهُه للضِّحِّ والهواء[2]
أغبرَ يحوي الرزقَ من غَبراء   خَفيفةٍ ثقيلةِ الأرجاء[3]
كأنَّها هَلهلةُ الــــرِّداء ،   كلَّفَها لحظَ بناتِ الماء
بأعيُنٍ لم تُؤتَ من إغضاء ،   كثيرةٍ تُربي على الإحصاء
وأقبلَتْ تملأُ عينَ الرائي   بكل صافي المتنِ والأحشاء[4]
أبيضَ مثلِ الفِضَّةِ البيضاء ،   أو كذِراعِ الكاعبِ الحسناء
فحازَ ، إذ خاطرَ بالحوباء ،   سعادةَ الجَدِّ من الشَّقاء[5]
عَنٌّ لنا في حُلَّتَي عَناء ،   من صنعةِ الإدلاجِ والإسراء
والصُّبحُ حِملٌ في حَشا الظَّلماء ،   ونحن نُذكي شُعَلَ الصَّهباء
فمرَّ والأوتارُ في مِراء ،   يَحمِلُ مِثلَ زُبدَةِ السِّقاء[6]
أطلقَه من لُجَّةٍ خَضراء ،   في لُجَّةٍ ، يلعبُ في ضياء

1 يصف صائد السمك .
2 الضحّ : الشمس .
3 يصف في هذا البيت الشبكة ، مصدر رزق الصائد .
4 أقبلت : أي الأسماك .
5 الحوباء : النفس . الجَدّ : الحظ .
6 مِرَاء : جدال ونزاع . الزُّبدة : أفضل الشيء .

كأنه مُلقًى على الحَصباء ، ينظُرُ من ياقوتَةٍ زَرْقاء
في جَوْشَنٍ مُفَضَّضِ الأَثناء ، قُدَّ لها من جَوَنَةِ الضَّحاء[1]
أو من حَبيرِ مُزنَةٍ غرَّاء ، غذاؤنا بورِكَ من غَذَاء[2]
نُـؤثِرُه في الصَّيفِ والشِّتاء ، على القَديدِ الغَضِّ والشُّواء
رِزْقاً رُزِقْناه بلا عَناء ، نَعُدُّه من سابغِ النَّعماء

4

وقال يمدح أبا أحمد عبيد الله بن المظفر بن عرس بن فهد وكان بينهما مودة : [من المتقارب]

أَبالعُمْرِ خَيَّمَ أم بالحَشاء قريبٌ ، إذا هجعَ الركْبُ ، نائي
ألمَّ ، وثوبُ الدُّجى مُخلِقٌ ، وثوبُ الصَّباحِ جديدُ الضِّياء
يُضيءُ لنا الخَيْفَ إيماضُه ، وليس ببرقٍ خفى من خَفاء[3]
وفاءٌ تصرَّمَ عن يَقْظَةٍ ، وكم يقظةٍ عصَفَتْ بالوفاء
تولَّـــتْ عهـــودُك محمـــودةً بقُرْبِ الوِصالِ وبُعدِ الجَفاء
وأبقَت أسىً ليس يَقضي الأُسى عليه ، وداءٌ بعيدُ الدَّواء[4]
وشوقاً أكافحُهُ باللِّوى ، مكافحةَ القِرنِ تحتَ اللِّواء
وصبْراً ، إذا هَبَّ وَجْدُ الحَشا ، تعلَّقْتُ منه بمثلِ الهَباء
ومَن غَرَّه الدهرُ ألفيتَه ذليلَ الدموعِ ، عزيزَ العَزاء
تجلَّى المشيبُ لتلك العيونِ ، فبدَّلهنَّ قَذىً من جَلاء

1 الجوشن : الصدر ، الدرع . الجونة : البياض . الضحاء : وقت ارتفاع الشمس .
2 الحبير : الناعم الجديد من الثياب استعاره للمزنة ، أي السحابة .
3 الخيف : كل هبوط وارتفاع في سفح الجبل . خفا البرق : لمع .
4 الأَسى : الحزن . الأُسى : ما يُتعَزَّى به .

ورُبَّ زَمانٍ سحَبْنا به ... رِداءَ البِطالَةِ سَحبَ الرِّداء
ومستسلماتٍ هززْنا لها ... مَداري القِيانِ لسَفْكِ الدِّماء[1]
وقد نظَمَ العِلجُ أجسامَها ، ... مع الجُذْرِ نَظْمَ صفوفِ اللِّقاء
نمُدُّ إليها أكُفَّ الرِّجالِ ، ... فترجِعُ مثلَ أكُفِّ النِّساء[2]
وَجَعْدُ المياهِ ، إذا صافَحَت ... جداولَه الريحُ ، سَبْطُ الهواء[3]
غدَوْنا وأنوارُه كالبُرودِ ، ... ورُحْنا وكُثبانُه كالمُلاء[4]
تُقابِلُنا الوحشُ في روضَةٍ ، ... كما قابَلَتْكَ نُجومُ السَّماء
فهل من سَبيلٍ إلى نشرِه ، ... إذا ركضَت فيه خيلُ الرَّخاء
وأقمارُه حينَ تُبدي له ... محاسنُها ، الصُّبحَ ، سِلمُ المساء
وتجديدُهُنَّ بجرِّ الذّيولِ ... وجرِّ الرِّقاقِ أديمَ الفَضاء
وتشتيتُنا شَمْلَ سِرْبِ الظِّبا ... بمُدمَجةٍ مثلِ سِربِ الظِّباء
إذا ما طُلِبْنَ ، فخيلُ السِّباقِ ، ... وإمّا طَلَبنَ فسفْنَ النَّجاء
وكم من خليلٍ رأى خُلَّتي ، ... فصدَّ ، وكُنّا خليلَي صَفاء
وحمراءَ تُمزَجُ في خِدرِها ، ... بماءِ الصَّبابةِ ، ماءِ البَهاء
تحذِّرُني أجَلي في السُّرى ، ... وهل كنتُ آمَنُه في الثواء
ومن عَجَبٍ أنَّ حِلفَ الفُسو ... قِ حالفَـه عَـدَمُ الأنبياء
سيُظْفِـرُهُ بالمُنى زجْـرُه ، ... إلى ابن المظفَّرِ ، عِيسَ الرَّجاء[5]
دَعَوْنا مُفرِّقَ شمْلِ اللُّهى ... سماحاً ، وجامعَ شَملِ الثَّناء[6]

1 أراد بالمستسلمات : دنان الخمر .
2 يريد أنها ترجع مخضَّبة بلونها الأحمر .
3 السَّبْط : المسترسل .
4 المُلاء : الأثواب .
5 العِيس : الإبل .
6 اللهى : العطايا .

بكَفٍّ تُرَقرِقُ ماءَ الحياةِ ، ووجهٍ يُرَقرِقُ ماءَ الحَياء
نضا الكِبَرَ إلاّ على حاسدٍ ، تُجاذِبُـــهُ حُلَّــةُ الكِبريـاء
وفازَ ، ولم يغْـلُ في جَرْيِه ، غَداةَ النِّضالِ ، بسهمِ الغِلاء[1]
كأنَّ سَجاياه من نَشْرِها وإشراقِها عَبَقٌ في ذَكاء[2]
له عَـزَماتٌ تَفُلُّ السيوفَ ، وتَسبِقُ بالفَوْتِ شأوَ القَضاء
ومكرُمةٌ لو غَدَتْ مُزنةً ، لأَيقنَ منها الثَّرى بالثَّراء
نزلــتُ بعَقْوَتِــه مَنْـزِلاً ، خَصيبَ الجِنابِ رَحيبَ الفِناء[3]
أهَبَّ لنا فيه ريحَ النَّدى رَخـاءً تخبِّـرُنـا بالرَّخـاء
أبِيٌّ تذِلُّ صُروفُ الزمانِ لَـدَيه ، فتنقادُ بعدَ الإباء
وخِرْقٌ تخرَّقَ في المكرُماتِ ، فغطَّتْ يداه حِجَابَ العَطاء[4]
وثَبْتٌ ، إذا ما اللَّيالي انبرَتْ بريـحٍ سمائمُهـا الجِرْبِيـاء[5]
كأنَّ الخطوبَ ، إذا حاولَتْه ، تَقَطَّرَ منها بقُطْرَي حِراء[6]
بَنَتْ مجدَه الغرُّ من يَعْرُبٍ ، فأثـرَ تشييـدَ ذاكَ البِناء
بَقِيتَ ، فكم لك من شيمَةٍ كسَوْتَ بها المجدَ ثَوبَ البقاء
ويــومٍ تَــوَرَّدُ فرسانُــه حياضَ الحُتوفِ ورودَ الظِّماء
كأنَّ صوارِمَه في العَجاجِ بوارِقُ تَصْدَعُ حُجْبَ العَماء

---

1 الغلاء ، مفردها غلوة : الغاية وهي رمية سهم أبعد ما تقدر عليه .

2 الذكاء : سطوع رائحة الطيب .

3 العقوة : ما حول الدار ، الساحة والمحلّة .

4 الخرق : الكريم السخيّ . تخرّق : توسّع .

5 الجربياء : ريح الشمال .

6 تقطّر : رمى بنفسه من علوّ . القطر : الجانب . حراء : جبل بمكة فيه الغار الذي تحنّث فيه النبي محمد ﷺ .

تراءى السوابغُ في حومَتَيْهِ ، كما اطَّرَدَتْ شمأَلٌ في نِهاء[1]
كأنَّ الكُماةَ ، لإشراقِها ، تَناهَبُ أعضاءَ شمسِ الضَّحاء
أضاءَ لعينيكَ ، في نَقْعِه ، سَنا المَشرفيّةِ نهجَ السَّناء
وكنتَ إذا ما بلتْكَ العُلى مَلِيّاً بتفريقِ شَمْلِ البَلاء
فحـلٌ ، أبا أحمـدٍ حِليـةً مُخلَّدَةً ما لَها من فَناء
تُضرِّمُ غَيْظاً قلوبَ العِدى وتملأُ بَرداً حَشا الأولياء
دعوتُك ، والدهرُ مُسْتَلْئِمٌ ، يَشوبُ الشَّجاعةَ لي بالدَّهاء
فكنتَ جديراً بفضلِ الغِنى ، وكنتُ جديراً بفضلِ الغَناء

5

وقال يمدح الوزير أبا محمد الحسن بن محمد المهلبي ، ويصف ليلة شرب فيها على برك وفوّارات ، فلما أقبل الليل رُكِّزت له رماح عليها الشمع فأضاء الموضع وحسن جداً : [من الكامل]

أحوالُ مجدِكَ في العُلُوِّ سَواءُ : يـومٌ أَغَـرُّ وشيمَـةٌ غـرَّاءُ
أصبحتَ أعلى الناس قِمَّةَ سُؤدُدٍ ، والناسُ بعدَكَ كلُّهم أكفَاءُ
أيمينُكَ البحرُ الخضمُّ ، إذا طمتْ أمواجُهُ ، أم صدرُكَ الدَّهناءُ[2]
أذْكَرْتَنا شِيَمَ اللَّيالي في النَّدى والبأسِ ، إذ هي شِدَّةٌ ورَخاءُ
نَسَبٌ أضاءَ عَمودُه في رِفعةٍ ، كالصُّبحِ فيه ترفُّعٌ وضِياءُ
وشمائلٌ شَهِدَ العدوُّ بفَضْلِها ، والفضلُ ما شَهِدَتْ به الأعداءُ
وإذا عَبسْتَ ، فصارِمٌ ومَنِيَّةٌ ، وإذا ابتسمْتَ ، فمَوعِدٌ وعَطاءُ

---

1 النهاء : الغدران ، مفردها نهي .

2 الدّهناء : الفلاة .

وبنو قُبَيْصَةَ معشرٌ أخلاقُهُم   سيلٌ ، فمنه حَياً ، ومنه دِماءُ
وإذا تتابعَتِ النَّوائبُ أحسَنوا ؛   وإذا تشاجرَتِ الرِّماحُ أساؤا
فَضَلَتْ ليالي القَصْفِ ليلتُكَ التي   هي في المحاسنِ غادَةٌ حَسناءُ
رَقَّتْ غياهبُها ، فهنَّ غَلائِلٌ   وسَخَتْ جنائِبُها ، فهنَّ رَخاءُ
وُصِفَتْ لكَ اللذّاتُ بينَ غرائبٍ   للعيشِ ، في أفيائِهنَّ صَفاءُ
بِرَكٌ تحلَّتْ بالكواكبِ أرضُها ،   فَـأَرَتْـكَ وجهَ الأرضِ ، وهو سَماءُ
رُفِعَتْ إلى الجوزاءِ فوَّاراتُها ،   عُـمُداً ، تُصابُ بِصَوْبِها الجَوزاءُ[1]
كادَتْ ترُدُّ على الحَيا أَعْطَافَـهُ ،   لو لم يُمِـلْ أَعْـطَافَهُـنَّ حَياءُ
مثلَ القَنا الخَطِّيِّ قُوِّمَ مَيلُهُ ،   وجَرَتْ عليه الفِضَّةُ البَيضاءُ
حتى إذا انتشرتْ جلابيبُ الدُّجى   وتكاثَفَتْ من دونِها الظَّلماءُ
فرَّجْتَها بصحائحٍ إن تَعتَلِلْ ،   فلهنَّ من ضَرْبِ الرِّقابِ شِفاءُ
شَمعاً حملتَ على الرِّماحِ رماحَه ،   فقدودُهُنَّ وما حمَلْنَ سَواءُ
لقيَ النجومَ ، وقد طلَعْنَ بمثلِها   وأعادَ جنحَ اللَّيلِ ، وهو ضَحاءُ
يا سيِّدَ الوزراءِ نِلْتَ من العُلى   والمجدِ ما يَعيا به الوزراءُ
هي ليلةٌ ، لا زِلْتَ تَلبَسُ مِثلَها   في نِعمَةٍ وُصِلَتْ بها السَّرَّاءُ
أَغنيتَ قوماً ، حينَ هزَّ غناؤُها   عِطْفَيْكَ ، رُبَّ غِنىً حَداه غِناءُ
وقطعتَها ، والليلُ يصدعُ قلبَه   ضدانِ : نارٌ تستنيرُ وماءُ
نَعَمَ البريَّةُ في بَقائِكَ ، فلتَدُمْ   لهُمُ بطولِ بقائِكَ النَّعماءُ

6

وقال يصف فاضل قدح : [من الكامل]

للهِ آيةُ ليلةٍ أحييتُها ،   حتى الصباحِ ، قليلةِ الإغفاء

---

1 الصَّوْب : المطر .

بمُدامَةٍ شبَّهتُ فاضلَ كأسِها ، من لونها في رقّةٍ وصَفاء
بِسَوالِفِ العذراء لاحَ بياضُها من فَوقِ جَيبِ غُلالَةٍ زَرْقاء

7

وقال يصف شبكة السمك : [من الرجز]

قد أغتدي نشوانَ من خمرِ الكَرى ، أسحبُ بُردَيَّ على بُردِ الثَّرى
والصُّبحُ حَمْلٌ بينَ أحشاءِ الدُّجى ، والرِّيحُ كالرَّاحِ نأى عنها القَذَى
يَنُمُّ ريَّاهــا على زَهْــرِ الرُّبى بذاتِ أحداقٍ تَرى ما لا يُرى
مُلاءَةٍ ما نُسِجَتْ لتُرتَدى ، تُرِيكَ ضُعفاً ظاهراً ، وهو قُوى
وجِــدَّةٍ تحسِبُهــا العينُ بِلى غبراءَ كَالدِّرْعِ تغشَّاها الصَّدا
تَعومُ في أبيضَ كالآلِ صَفا ، ترسُبُ في أحشائِه صفرُ الحَشا
فتعتلي منه بأحشاءِ مِلا ، تضحكُ عن مثلِ صغيراتِ المِدى
كأنها عِقدُ لآلٍ قد وَهَى ، أو عن نَقيٍّ البطنِ مَوشيٍّ القَرى
تومضُ فيها كالحُسامِ المُنتضَى ، لم يدرِ ، لمّا قصُرَت عنها الخُطى
أظَلَّه منها رِداءٌ أم رَدى ، فذلك اللذاتُ لا صيدَ الطَّلا[1]
يجري على آثاره الطِّرفُ الوأى ، حتى يُرَى عنه كليلاً قد ونى[2]

8

وقال في علّة نالته وعاده فيها بعض أعدائه : [من الكامل]

اصبرْ على مترادِفِ الضَّرَّاء ، فلعلَّ ذلك مُؤذِنٌ بشِفاء

---

1 الطَّلاَ : ولد الظبي .
2 الطِّرف : المهر . الوأى : الشديد السريع .

ما حالَ مَنْ لَعِبَ السَّقامُ بجسمِهِ ، ظُلْماً ، فعضٌّ نفيسةَ الأعضاء
حَظَرَ الطبيبُ عليه طيبَ غِذائِه ، وأباحَه مكروهَ كلِّ غِذاء
ويعودُه أعداؤه وأشدُّ مِنْ مَرَضِ المريضِ عيادةُ الأعداء

9

وقال يصف مُزَمَّلَة[1] : [من المتقارب]

ومُعطيةٍ صَفْوَ ما استودَعَتْ مسامحةً عندَ إعطائِها
تُسِرُّ لنَدمانِها هيبةً على أنه عبدُ آلائِها
فتمنحُه صفوَ مكنونِها ، وتَكتُمُه جُلَّ أقذائِها
وتُحدِثُ في الماءِ بردَ الشَّمالِ إذا سُدَّ فُوها على مائِها
يُصوِّبُ في طَرفِ أنفاسِها ، ويشربُ من جُرحِ أحشائِها
إذا القيظُ أخمدَ نيرانَه ، تَواصَى النَّدامى بإقصائِها

10

وقال يصفُ رحىً : [من الرجز]

ومنزلٍ رَقَّ بهِ الهواءُ ، وطابَ للشَّرْبِ بهِ الثَّواءُ
بَنِيَّةٍ ما حولَها بِناءُ ، كما أُقيمَ في يدٍ إناءُ
تَركُضُ فيه فرسٌ دهماءُ ، تكنُفُها عَجاجَةٌ بَيضاءُ
تجري فإن أعوزَها الفَضَاءُ ، مَيدانُها وجسمُها سَواءُ
يَخفِرُها جارٌ له ضَوْضَاءُ ، كِلاهُما لمعشرٍ نَعماءُ
يومُ سرورٍ ما به خَفاءُ ، وليلةٌ مُسْفِرَةٌ غَرَّاءُ

---

1 المزمَّلة : جرّة أو خابية لتبريد الماء .

رَخاؤُها ، إذ وَدَّعَت رَخاءُ ، تَبرُدُ من نسيمِها الأَحشاءُ
غُرَّةُ دَهرٍ كلُّه ظَلماءُ

11

وقال يصفُ ناراً : [من الخفيف]

خفقَتْ رايةُ الصَّباحِ ، وللنا ... رِ لهيبٌ كالرايةِ الصَّفراء
لمعَتْ للعيونِ بعدَ ٱسودادٍ ، فأَضاءت حنادسُ الظَّلماء
واستقَرَّتْ تحتَ الرَّمادِ ، فَخِيلَتْ ذَهَباً تحتَ فِضَّةٍ بَيضاء

12

وقال يصف زيادة الماء ببغداد وانقطاع الجسر بها : [من الطويل]

أُحذِّرُكُمْ أمواجَ دجلةَ ، إذ غدَتْ ... مُصَنْدَلَـةً بالمَدِّ أمواجُ مائِها[1]
وظلَّت صِغارُ السُّفنِ ترقُصُ وسطَها ... كَرَقْصِ بَنَاتِ الزَّنْجِ عندَ انتشائِها
فكم من غريقٍ قد رأيتُ رِداءَهُ ، ... يَجُولُ مجالَ الطِّرْفِ فوقَ رِدائِها
وما أنْسَ من يومٍ ذَممتُ صنيعَه ، ... فما أنسَ يومي واقفاً بفِنائِها
وقد عصفتْ بالجسرِ ريحٌ فأقبلتْ ... سفائِنُهُ تَعْوَجُّ بعدَ استوائِها
فمن مُهجَةٍ تَرتاعُ عندَ انخفاضِها ، ... وسَبَّابَةٍ تهتزُّ عندَ اعتلائِها
تُفرِّقُها هُوجُ الرِّياحِ ، وتَعتلي ، ... رُبى الموجِ من قُدَّامِها وورائِها
فهنَّ كدُهْمِ الخيلِ جالَتْ صفوفُها ، ... وقد نشَرَتها روعةٌ من ورائِها
ودجلةُ كَدْراءُ الأديمِ سفيهةٌ ، ... تعافُ سجايا حَملِها وصفائِها
كأنَّ صنوفَ الطَّيرِ عاذَتْ بأرضِها ، ... وقد سامَها ضَيْماً أُسُودُ سمائِها

---

1 مصندلة : مضخّمة .

أو السَّبَجَ المسوَدَّ حُلَّتْ عقودُه   على تُربةٍ محمرَّةٍ من فَضائِها[1]

13

وقال يستدعي صديقاً له ويصف غرفته وبناء الخطَّاف فيها بيتاً : [من الرجز]

لنا مُغَنٍّ حسنُ الغِناء ،   وقهوةٌ ضاحكةُ الإناء
وغرفةٌ فسيحةُ الفِناء ،   طائرةُ القِمَّةِ في العَلْيَاء
قريبةٌ من كِلَلِ العَماء ،   كهودَجٍ مُمَسَّكِ الرِّداء[2]
يُوطِنُ في قُبَّتِها العَلياء ،   زَوْرٌ خفيفُ الروحِ والأعضاء[3]
مُحَلِّقٌ في كَبِدِ السَّماء ،   وتارةً يَلصَقُ بالغَبراء
في يَلْمَقٍ مُشهَّرِ الأثناء ،   كأنما طُوِّقَ بالدِّماء[4]
يُطْرِبُ أو يَخلُبُ قَلبَ الرائي   بين غناءٍ منه أو بناء
وتحتَها ديباجَةُ الفَضاء ،   قد رُصِّعَتْ باللؤلؤ الأنداء
مفروجَةٌ عن قَلَقِ الأحشاء ،   أبيضَ ذي حاشيةٍ خضراء
معرَّجٍ كالأَيْمِ في التواء ،   وقد توافتْ عُصْبَةُ الوفاء[5]
كأنها مِنطَقَةُ الجوزاء ،   فطاعنٌ منهم حشاً جَوفاء
مُختَضِبُ الكَفِّ من الصَّهباء ،   ومُجلِبٌ مُشَمِّرُ القِباء
يرفعُ دهماءَ على شَقراء ،   تلعبُ في حُلَّتِها السَّوداء
ذؤابةٌ كالرايةِ الحمراء ،   فلا تَرُعْنا اليومَ بالجَفاء

---

1 السَّبج : الخرز الأسود .
2 العَمَاء : السحاب المرتفع أو الكثيف الممطر .
3 الزور : الزائر ، وعنى به الطائر المسمَّى بالخطاف .
4 اليلمق : القباء المحشو .
5 الأيم : الحيَّة .

وسِرْ إلينا غيرَ ذي إبطاءِ ، نُغْرِقْكَ في بحرٍ مِنَ السَّرّاءِ

14

وقال في هلال شوّال : [من الخفيف]

مرحباً بالصَّبوحِ في الظَّلماءِ ، وبعَذراءَ من يَدَيْ عذراءِ
وبسُكرَيْنِ من لِحاظِ غَزالٍ ساحرٍ لحظُه ، ومن صَهباءِ
واحمرارِ الكؤوسِ في كَفِّ ساقٍ صيغَ من ماءِ وردةٍ بيضاءِ
ضحكت أوجهُ اللَّذاذةِ بالفِكـ ـرِ ، ولاحَتْ طَوالعُ السَّرَّاءِ
فكأنَّ السرورَ إلفٌ حبانا منه بالوصلِ بعدَ طولِ جَفاءِ
وكأنَّ الهِلالَ نونُ لُجَينٍ غَرِقَتْ في صحيفةٍ زَرقاءِ

15

وقال يصف كلاب الصيد : [من الطويل]

غدوتُ بها مجنوبةً في اغتدائِها ، تُلاقي الوحوشُ الحَيْنَ عندَ لقائِها
لهن شِياتٌ كَالدَّواويجِ أصبَحتْ مُوَلَّعَةً ظَلْماؤُها بضيائِها[1]
وأيدٍ ، إذا سَلَّت صوالجَ فِضةٍ على الوَحشِ يوماً ، أذهبَتْ بدِمائِها

16

وقال للأمير أبي عبد الله الحسين بن سعيد بن حمدان وكان يجري عليه جارياً في كل شهر فقطعه : [من مجزوء الكامل]

قُلْ لِلأَميرِ المَاجِدِ السْـ ـسَامِـي عَلَى أَكْفَائِهِ

---

1 الدَّواويج : الظلمات ، يريد السواد في لونها . الشِّيات : العلامات .

وَالمُرْتَقِي أُمَمَ العَلاَ ء بِفَخْرِهِ وَسَنَائِهِ
وَالمُسْتَبِـدُّ بِعَزْمِـــهِ كَالسَّيْفِ عِنْدَ مَضَائِهِ
إِنَّ الكَرِيمَ إِذَا بَنَى لَمْ يَنْوِ هَدْمَ بِنَائِهِ
وَإِذَا أَفَادَ صَنِيعَةً بَقِيَتْ بِطُولِ بَقَائِهِ
وَإِذَا آجْتَنَى ثَمَرَ المَدِيـ ـحِ سَقَاهُ مِنْ أَنْوَائِهِ[1]
أَنَا غَرْسُهُ والغَرْسُ يَذْ وِي إِنْ خَلاَ مِنْ مَائِهِ
يَا خَيْرَ مَأْمُولٍ يَعُو ذُ مُؤَمِّلٌ بِفِنَائِـهِ
هَذَا وَلِيُّكَ قَدْ كَسَا هُ الدَّهْرُ ثَوْبَ عَفَائِهِ[2]
فَاصْرِفْ صُرُوفَ زَمَانِهِ وَالبَسْ جَدِيدَ ثَنَائِهِ

17

وقال يصف صيد السمك بالشبكة : [من الرجز]

وأَعيُنٍ تأنفُ من إغضائِها ، صافيةِ الأجفانِ من أَقذائِها
تُردي بناتِ الغُدْرِ في أثنائِها ، يَحمِلُها طَبٌّ بحَسمِ دائِها[3]
مجدِّدٌ ما رثَّ من أعضائِها يجذبها والرِّزقُ في أحشائها
بيضاؤه تلمعُ في غَبرائِها ، كأنما كَسَّرَ في أثنائِها
صوارماً تُعشيكَ من لألائِها

1 الأنواء ، مفردها النَّوْء : العطاء .

2 العَفَاء : الهلاك .

3 الغُدْرُ : الأنهار . الطَّبُّ : الحاذق الماهر بعمله .

18

وقال ينتجز وعداً : [من الوافر]

عفَتْ عني الخطوبُ به ، ولولا أياديه لَصِرتُ إلى العَفاء

أرى الأيامَ تقصِدُني بكيدٍ ، يقصِّرُ عنده كيدُ النِّساء

وما لي بالعدوِّ يدٌ ، إذا ما رماني بالشجاعةِ والدَّهاء

كُفِيتُ من الحوادثِ كلَّ خطبٍ شديدِ البطشِ مكروهِ اللِّقاء

فما كشفَ القناعَ له قنوعي ، ولا ملَّ الحياةَ به حيائي[1]

19

وقال يصف اللَّيْنُوفَر : [من المتقارب]

حبيبٌ حباكَ بلينوفرٍ ، فأكرِمْ به وبإهدائه[2]

تأمَّلتُ ما فيه فاقتادَني إليه تزاويقُ وَشْيائِه

له طَلْعَةٌ بين أوراقِه ضُحًى ثم يكمُنُ في مائِه

كغوَّاصِ لُجٍّ على فاقةٍ ، يحاولُ أسبابَ إثرائِه

20

وقال يصف الجسر : [من الرجز]

كأنما الجسرُ فُوَيقَ الماءِ ، وسفنُه جانحةُ الأفياءِ

شِبْهُ الطِّرازِ لاحَ في الرِّداءِ ، كأنه في خِلَعِ الظَّلماء

دُهْمٌ من الخيل على رَوَاءِ[3]

---

1 القُنُوع : الرضا بما قَسَم الله للإنسان ، أو السؤال والتذلل .

2 اللَّيْنُوفر : يُقال له أيضاً النَّيْلُوفَر ، وهو ضرب من النبات ينبت في المياه الراكدة .

3 الرواء : الماء .

21

وقال يتهكَّم بعليّ بن العصب المِلْحِي ، وكان قد حكّم السريّ في شعره وعرضه عليه : [من الطويل]

وَقَال : أتَـاكَ الحَـلْيُ قُلْتُ مُمَازِحاً   أتَـاكَ النَّوَى يا بَائِعَ المِلْحِ بالنَّوَى

وَنَاوَلَنِـي مُسْوَدَّةً لَـوْ قَرَنْتُـهَا   إلَى القَارِ كَانَا في سَوَادِهما سَوَا[1]



[1] سَوَا ، مخففة عن سَوَاء .

قافية الباء

22

وقال يمدح الأمير سيف الدولة ويذكر بعض وقائعه برعيان مع البرقموش :
[من الوافر]

أجانبُها حِذاراً لا اجتِنابا ، وأعتِبُ كي تُنازِعَني العِتابا
وأبعُدُ خِيفَةَ الواشين عنها ، لكي أزدادَ في الحبِّ اقترابا
وتأبى عبرتي إلا انسكابا ، وتأبى لوعتي إلا التهابا
مرَرْنا بالعقيقِ فكم عقيقٍ ترقرقَ في محاجرِنا ، فذابا
ومن مغنىً جعلنا الشوقَ فيه ، سؤالاً ، والدموعَ له جوابا
وفي الكِلَلِ التي غابتْ شموسٌ ، إذا شَهِدَتْ ظلامَ الليلِ غابا
حملْتُ لهنَّ أعباءَ التصابي ، ولم أَحمِلْ من السُّلوانِ عابا
ولو بَعُدَتْ قِبابُكَ قابَ قوسٍ من الواشينَ حَيَّينا القِبابا
نَصُدُّ عن العُذَيب ، وقد رأينا على ظَمإٍ ثناياكَ العِذابا
تثنِّي البرقِ يُذكِرُني الثَّنايا على أثناءِ دجلةَ ، والشِّعابا
فأياماً عَهِدْتُ بها التَّصابي ، وأوطاناً صَحِبْتُ بها الشَّبابا
ولستُ أرى الإقامةَ في مَقامٍ يضُمُّ غرائبَ الحَمْدِ اغترابا
وقد شغلَ النَّدى الألبابَ فيه ، فباتتْ تَنظِمُ الكَلِمَ اللُّبابا
رياضٌ كلما سُقِيَتْ سَحاباً بسَيفِ الدولةِ انتظرَت سَحابا
رحيبُ الصَّدرِ يُنزِلُ آمليهِ من الأملاكِ أوسعَها رِحابا

ومنشىءُ عارضٍ يُذكي التهاباً   على الآماقِ ، أو يَهمي انسكابا[1]
يُلاقي الرَّاغبين ندَى يديه ،   برَغبَتِه ، وإن كانوا رِغابا[2]
إذا انتهبَتْ صوارمُه بلاداً   أعادَتْـــه مكارمُـــه نِهابا
ربيبُ الحرب إن جرَّ العوالي ،   إلى الهيجاءِ راعَ بها ورابا
تودَّدَها حديثَ السِّنِّ حتى   أشابَ شَواتَها طعناً وشابا[3]
يَعُدُّ حياضَ غَمْرتها عِذاباً   إذا ما عدَّها قومٌ عَذابا
أأبناءَ الصليبِ تواعَدَتْكم   قواضبُ تَنْثُرُ الهامَ اقتضابا
إذا طارَتْ مُرفرفةً عليه   عِقابُ الجيش ، فانتظروا العِقابا[4]
وإن حسرَ الضريبُ مُلاءَتَيْه   عن الدَّربين ، فارتقبوا الضِّرابا
فقد عاق الشتاءُ الحَيْنَ عنكم ،   وعنه الحربَ فيه والحِرابا
سيُرضي اللهَ ذو سخَطٍ عليكم ،   يقودُ إليكم الأُسْدَ الغِضابا
تقلَّبَ في بلادِ الرومِ حتى   أمالَ عروشَهم فيها انقلابا
كأنَّ الجوَّ لما انقضَّ فيها   أطالَ عليهم منه شِهابا
فلم يَثْنِ القَنا الخَطِّيَّ حتى   أقادَ بكل ما كَعَبَ كَعَابا[5]
ويومَ البَرقَموشِ كأنَّ برقاً   تألَّقَ بالحُتوفِ له فصَابا[6]
سموتَ له وبحرُ الموتِ سامٍ   فلما عبَّ فَرَّجْتَ العُبابا[7]

---

1 العارض : السحاب . الآماق ، مفردها موق : مجرى الدمع من العين .

2 الرِّغاب ، مفردها رَغِيب : الواسع الجوف من الناس وغيرهم .

3 الشَّواة : قحف الرأس وجلدته .

4 العقاب الأولى : الراية ، الثانية : المعاقبة .

5 أقاد : أعطى بدلاً منها . ما : زائدة في قوله ما كعب ، وأراد كعب الرمح . الكعاب : الجارية الناهد .

6 صاب : أمطر .

7 عبَّ البحر : علا عبابه أي موجه .

بِذَبٍّ عن حريمِ الله أربَى ، فلم تترُكْ لذي شُطَبٍ ذُبابا[1]

سَلِمْتَ لبيضةِ الإسلامِ ترمي مراميَها انصلاتاً وانتدابا

وعادَ عليكَ عيدُك ما توارى جبينُ الشمسِ أو خرَقَ الحِجابا

وخُذْها كالتهابِ الحَلْيِ تُغْني عن المِصباحِ في اللَّيلِ التِهابا

مُشَعْشَعَةً كأنَّ الطَّبعَ أَجرى على صَفَحاتِها الذَّهبَ المُذابا

يَكُرُّ لها العَيِيُّ الفكرِ حَوْلاً ، ويَكبو دونَ غايتِها انكبابا

كذاكَ العَيرُ إمَّا احتُثَّ يوماً ليدخُلَ في غُبارِ الطِّرْفِ خابا

23

وقال أيضاً يمدحه ويطلب منه ثياباً : [من الوافر]

أَكانَ لقلبِه عنكَ انقلابُ ، أمالَ به إلى الغَيِّ العتابُ

أشأنُ دموعِه إلا انسكابٌ ، أذابَ ضلوعَه إلا التهابُ ؟

يُجابُ الشَّوقُ فيك ، إذا دعاه ، ويُمتَهَنُ العذولُ ، فلا يُجابُ

ورفَّعْتَ القِبابَ ضُحىً ، فقُلْنا : أَزُهْرٌ ما تضمَّنَتِ القِبابُ

ظعائنُ أشرقَتْ بالدمعِ عيني ، وقد شَرِقَتْ بها تلك الشِّعابُ[2]

محاسنُها لأعيُننا نِهابٌ ، وأنفسُنا لأعيُنِها نِهابُ

نَشيمُ لها بوارِقَ جاوزَتْنا ، كما يجتازُ شائمَه السَّحابُ[3]

آَنسةَ الدُّمى ، لولا التثنِّي ، ونافرةَ المَهى لولا السِّخابُ[4]

صفا لك وُدُّنا من كلِّ شَوبٍ ، وأحلى الودِّ ودٌّ لا يُشابُ

---

1 ذو الشطب : السيف . الذباب : الحد .

2 شرقت : غصّت .

3 شام البرقَ : نظر إليه أين يتجه وأين يُمطر .

4 السِّخاب : قلادة من قرنفل ونحوه ليس فيها لؤلؤ ولا جوهر .

ومن عَجب ثَناي على رُضاب ... تَضِنُّ به ثناياكِ العِذابُ
أجَدَّ وقوفُنا بالدارِ شوقاً ... إليكِ وجِدَّةُ الشَّوقِ اكتئابُ
وحنَّت في رُباكِ العِيسُ ، حتى ... كأنَّ طُلولَهُنَّ لَها سِقابُ[1]
سأبرزُها سَوافرَ لا يُواري ... محاسِنَها ، إذا برزَتْ ، نِقابُ
مُكرَّرَةً على راووقِ فِكرٍ ، ... مُروَّقةً ، كما راقَ الشَّرابُ
محبَّبةً ، لها في كلِّ قلبٍ ، ... وإن بعُدَتْ مَناسبُها ، اقترابُ
هي الكَلِمُ اللُّبابُ صَفاً وحُسْناً ، ... وسيفُ الدَّولةِ الملكُ اللُّبابُ
لَأدني من غرائبِها إليه ، ... وكان لهنّ في الأرضِ اغتِرابُ
فها هي لا تَزَحْزَحُ عن ذَراه ، ... ولا ترجو سواه ، ولا تَهابُ
هو الليثُ الذي إن يَحْمِ أرضاً ، ... فكلُّ فِجاجِ تلك الأرضِ غابُ
مُهنَّدُه ، إذا ما زارَ ، ظِفرٌ ، ... وعامِلُه ، إذا ما صاب ، نابُ
وأينَ الليثُ من طَلْقِ المُحيَّا ، ... يجُدُّ ثوابُه ، ويَني العِقابُ[2]
وسَهْلٍ حينَ يسألُ غيرِ صَعْبٍ ، ... وقد ذلَّتْ له العُربُ الصِّعابُ
له في كلِّ أُنمُلَةٍ سَحابٌ ... يَسُحُّ ، وكلُّ جارحةٍ شِهابُ
وحظُّ عُداتِه ومُؤمِّليه ... حَرائبُه النفائسُ ، والحِرابُ
وقد خضعتْ له كَعْبٌ ، وخافَت ... سَطاه حينَ خوَّفَها كِلابُ
وريعَتْ مصرُ ، إذ وثب العِفَرْنى ... بحَدِّ السَّيفِ ، وآنسابَ الحُبابُ[3]
وآفاقُ البلادِ له جميعاً ، ... تراخَى العزمُ أو جدَّ الطِّلابُ
خلالٌ يحرُسُ العلياءَ منها ... سَماحٌ ، أو طِعانٌ ، أو ضِرابُ
إذا دعَتِ الملوكُ إليه يوماً ... فإذعانُ الملوكِ له جَوابُ

1 السِّقاب ، مفردها سقب : ولد الناقة .
2 جدّ في الأمر : أسرع وعجّل . وَنَى : أهمل .
3 العفرنى : الأسد . الحباب : الحية .

مقامُكَ حيثُ تتَّصلُ المعالي ، وذِكرُكَ حيثُ ينقطعُ التُّرابُ
فداؤُكَ يا ابنَ عبدِ اللهِ قومٌ ، يمينُكَ لُجَّةٌ ، وهم سَرابُ
إذا عُدَّتْ جبالُكَ من عديٍّ ، تطأطأتِ الرُّبا لك ، والهِضابُ
ملوكٌ ذُلِّلَت بهمُ رقابٌ ، كما عزَّت بعزِّهِمُ رقابُ
عِذابُ القَولِ ، إن قالوا أصابوا ؛ غِزارُ الجودِ ، إن جادوا أطابوا
إذا نَزَلوا ، فأقمارٌ بليلٍ ؛ وإن ركبوا ، فآسادٌ غِضابُ
هو الحسبُ الذي لا رَيبَ فيه ؛ وهل في الصُّبحِ ، ما وضحَ ، ارتيابُ
لئن سارَ الرِّكابُ بحُرِّ مَدحي ، فقد سارت بجَدواك الرِّكابُ[1]
ولي في ساحَتَيْكَ غديرُ نُعمى ، صفا مَتناه ، واطَّرَدَ الحُبابُ
وظِلٌّ لا يُمازِجُه هَجيرٌ ، وشَمسٌ لا يُكَدِّرُها ضَبابُ
وأيامٌ حَسُنَّ لديَّ ، حتى تساوى الشَّيبُ فيها والشَّبابُ
فإن تُلحِقْ ثوابَك بي ثياباً ، فأيسرُ ما تجودُ به الثِّيابُ
إذا احتفلَ النَّدِيُّ ، فأنتَ أَرْيٌ ؛ وإن حَمِيَ الحديدُ ، فأنتَ صابُ[2]
وإن خفي الصوابُ على ملوكٍ ، فإنَّ جميعَ ما تأتي الصَّوابُ

24

وقال أيضاً يمدحه ويذكر وقعته مع الدمستق وبناء حصن الحدَث : [من البسيط]

فتحٌ أعزَّ به الإسلامُ صاحِبَه ، وردَّ ثاقبَ نُورِ المُلْكِ ثاقبُه
سارت به البُردُ منشوراً صحائفُه ، على المنابرِ ، محموداً عواقبُه

---

1 الجَدْوى : العطية .

2 الأَرْي : العسل . الصَّاب : السهم .

فكلُّ ثغرٍ له ثَغرٌ يُضاحِكُه ، وكلُّ أرضٍ بها رَكبٌ يصاحبُه
عادَ الأميرُ به خُضراً مكارِمُه ، حمراً صوارمُه ، بيضاً مناقبُه
مؤيَّداً يتحامى الدَّهرُ صولتَه ، فليس يلقاه ، إلا وهو هائِبُه
يومٌ من النَّصرِ مذكورٌ فواضلُه ، إلى التَّنادِ ، ومشكورٌ مواهِبُه[1]
إن لم يكنْ يومَه بدرٌ ، فمن ظَفَرٍ أُعطيتَ فيه ، ومن نصرٍ مَنَاسِبُه
سَلِ الدُّمُستُقَ هل عنَّ الرُّقادُ له ، وهل يَعُنُّ له ، والرُّعبُ صاحبُه[2]
لمّا رأى منك مغلوباً مغالبُه ، يومَ اللِّقاءِ ، ومحروباً محاربُه
ونازِحاً ، صَهواتُ الخيلِ مجلِسُه ، والبيضُ دون ذوي القُربى أقاربُه
حصونُه الشُّمُّ ، إن أفضى ، عواملُه ، وسُورُه دونَ ما تحمي قواضبُه
رأى الصَّوارمَ أجدَى من مكاتبةٍ لم يفتَتِحْها ، بإذعانٍ مُكاتبُه
فقارَبَ الحربَ حتى ما تُباعِدُه ، وباعدَ السِّلمَ حتى ما يُقارِبُه
أموالُه لوفودِ الشُّكرِ ، إن كثُرَتْ ، وبالسُّيوفِ ، إذا قَلَّت مكاسبُه
ولن يرى البُعدَ قرباً ، وهو طالبُه ، ويحسِبَ الحَزْنَ سَهلاً ، وهو راكبُه
ولو أقام فُواقاً ، إذ دلفتَ له تحتَ العَجاجِ ، لقد قامت نوادِبُه[3]
لما تَراءَى لكَ الجمعُ الذي نَزَحَتْ أقطارُهُ ، ونأَتْ بُعداً جوانبُه
تركتَهم بينَ مصبوغٍ تَرائِبُه من الدِّماءِ ، ومخضوبٍ ذوائِبُه
فحائِدٌ ، وشِهابُ الرُّمحِ لاحقُه ، وهاربٌ ، وذُبابُ السَّيفِ طالبُه
يَهوي إليه بمثلِ النَّجمِ طاعنُه ، وينتحيهِ بمثلِ البَرقِ ضارِبُه
يكسوه من دمه ثوباً ويسلبُه ثيابَه ، فهو كاسيه وسالبُه
حَمَيْتَ ، يا صارمَ الإسلامِ ، حوزتَه ، بصارمِ الحدِّ حتى عَزَّ جانبُه

---

1 يوم التنادِ : يوم القيامة .

2 الدمستق : قائد الروم .

3 الفواق : أراد الزمن القصير .

رفعْتَ بالحَدَثِ الحصنَ الذي خفضَت منه الحوادثُ حتى زالَ راتبُه[1]

أعَدْتَه عَدَويـاً في مناسبِـه ، من بعدِ ما كان روميّاً مناسبُه

فقد وقى عرضَه بالبيدِ ، واعترضتْ طولاً على منكِبِ الشِّعرى مناكبُه ،

مُصغٍ إلى الجوِّ أعلاه ، فإنْ خفقَتْ زُهْرُ الكواكبِ خِلناها تُخاطبُه

كأنَّ أبراجَه ، من كلِّ ناحيةٍ ، أبراجُها والدُّجى وَحْفٌ غَياهبُه[2]

يا ناصرَ الدين لما عزَّ ناصرُه ، وَخَاطِبَ المجدِ لمّا قلَّ خاطبُه

حتَّامَ سيفُكَ لا تُروى مضاربُه من الدِّماء ، ولا تُقضَى مآربُه

أنت الغَمامُ الذي تُخشى صواعقُه ، إذا تنَمَّرَ ، أو تُرجى مواهبُه[3]

لم تحمَدِ الرومُ ، إذ رامتْك ، وَثبتَها ، والليثُ لا يحمَدُ العُقبى مُواثِبُه

رأتك كالدهرِ لا تكبو حوادثُه ، إذا جَرَينَ ، ولا تنبو نوائبُه

وجرَّبَـت ، يا ابنَ عبد الله ، منك فتىً قد أمَّنَتْه الذي تُخشى تجاربُه

أصاخَ مُستمعاً للثغرِ تُنجِدُه رِماحُه ، حين يدعو ، أو رغائبُه

له من البِيضِ خِلٌّ لا يُباعِدُه ، ومن قنا الخَطِّ خِدْنٌ لا يجانبُه

قد قلتُ ، إذ فيك عزَّ النصرُ وانتشرَتْ صحائفُ الفَتحِ واختالَت ركائبُه :

اليومَ صانَ رداءَ المُلكِ لابسُه ، وشلَّتِ الحربُ يُمنى من يُحاربُه

وأصبحَ الدِّينُ قد ذلَّت لصولتِه كتائبُ الشِّرك ، إذ عزَّت كتائبُه

مالَت رِقابُ ثغورِ الشام ، مُصغيةً إلى السرورِ الذي كانت تراقبُه

رأت حُسامَك مشهوراً ، فلو نطقَت قالت : هو العِزُّ لا فُلَّت مضاربُه

---

1 الراتب : الثَّبات والدوام .

2 الوحف : الكثيف .

3 تَنَمَّر السحاب : غضب ورَعَدَ .

25

وقال أيضاً يمدحه : [من البسيط]

أَخِلْتِ أنَّ جِناباً منكِ يُجتنَبُ ، وأنَّ قلبَ محبٍّ عنكِ يَنقلِبُ ؟
هيهاتَ ! ضرَّمَ نارَ الشوقِ ، فالتهبت ، ضِرامُ نارٍ على خدَّيكِ يَلتهبُ
إذا طلَبتْ رُبى نجدٍ مخيِّمةً ، فما لها في طلابِ غيرِها أربُ
لم يَشهَدِ البَينُ تُبدي ما يغيِّبُه ، إلا وإشهادُنا من خيره غَيَبُ
تنقَّبت بالكسوفِ الشمسُ ، إذ طلعَت شمسٌ تزيد ضياءً حين تنتقِبُ
مطلوبةُ الودِّ لم يَقعُدْ بها هربٌ من الفراقِ ولم يلحقْ بها طلَبُ
قريبةٌ ، ودوامُ الهجرِ يُبعِدُها ، والنَّجمُ أقربُ منها حين تَقتربُ
أشكو إلى الظَّلْمِ ما بي من ظُلامتِها ، لو كانَ يُنصِفُ ذاك الظَّلْمُ والشَّنَبُ[1]
وقد تناوبَني منها الخيالُ ، فما أصابَ إلا خيالاً قلبُه يَجِبُ[2]
أنَّى اطمأنَّ وحصباءُ العَجاجِ عِدىً من دونِه ، وثَراها السُّمرُ والقُضُبُ
حتى تصدَّتْ له بالشامِ من كَثَبٍ ، والشامُ لا صَدَرٌ منها ولا كَثَبُ
يكفيك أن لَعِبت بي نيةٌ قُذُفٌ ، كأنَّ جِدَّ المنايا عندها لَعِبُ
وراعَني ، ووراءَ الليلِ طاردُه ، وَرْيٌ من الشَّيبِ في آثارِها لَهَبُ
لمّا تبسَّمَ في الفَوْدَينِ مغترباً ، حيَّيتُه ، وكلانا اليومَ مغترِبُ
قوِّض خيامَك عن دارٍ ظُلِمتَ بها ، وجانبِ الذُّلَّ إنَّ الذُّلَّ يُجتنَبُ
وآرحلْ ، إذا كانت الأوطانُ مَضْيَعَةً ، فالمَنْدَلُ الرَّطبُ في أوطانِه حَطَبُ[3]

---

1 الظَّلْم : بريق الأسنان . الشَّنب : بياض الأسنان وحسنها .

2 وَجَبَ القلبُ : رجف وخفق .

3 المندل : العود الطيب الرائحة .

أما ترى الدهرَ أعفى من نوائبِه ، جارَ الأمير ، فما تنتابُه النُّوَبُ

أجارَنا منه من إقبالِه رَغَبٌ ، يُحيـي العُفاةَ ، ومن إعراضه رَهَبُ

غَيثٌ تحلَّبَ في الآفاقِ رَيِّقُه على العُفاةِ ومَنشَى مُزْنِـه حلَبُ

مرفوعةٌ حُجْبُه للزائرينَ وهل للصُّبحِ مزَّقَ جِلبابَ الدُّجى حُجُبُ

ومسرعٍ ، وهو ثاوٍ في مكارمِه ، كأنَّ إصعادَه من سُرعةٍ صَبَبُ[1]

غامَت يداه ، فلم تكذِبْ غيومُهما ، والغيثُ رُبَّـما أزرى به الكَذِبُ

فللشَّمالِ سَحابٌ صوبُها غدَقٌ ؛ ولليمينِ نِهابٌ صوبُها ذَهَبُ[2]

لما توجَّه تِلقاءَ الثغورِ صفَت كُدْرُ المياه بها واعشوشَبَ التُّرَبُ

وعرَّدَ الرُّومُ لما رامَهم هرباً ، وهل من الحَينِ ، وافى جيشَه هربُ[3]

لم تجلُبِ الخيلَ تَردي نحوَهم قُدُماً ، إلا انثنتْ ، وذوو تيجانِها جَلَبُ

قُلْ للعُداةِ : خذوا للحربِ أُهبتَها ، فعن قليلٍ تفرَّى منكمُ الأُهُبُ[4]

فتُبعثوا ، وتكونوا في اللِّقاءِ يداً ، إنَّ الحِمامَ إلى أرواحكم سَغِبُ[5]

أو فاْغنموا السِّلْمَ قبلَ الحَيْنِ ، واستلموا ركناً تَحِنُّ إليه العُجْمُ والعَرَبُ

فالحربُ آخذةٌ منكم وتاركةٌ ، وإنما حربُ سيفِ الدولةِ الحَرَبُ[6]

إنَّ الهُمامَ الذي أضحى يغالبُكم ، له على الدَّهْرِ فيما سامَه الغَلَبُ

فاستوهبوا العيشَ من إيثارِ طاعتِه ، فإنما العيشُ ما يُعْطي وما يَهَبُ

لن تكسِبُوا العزَّ من عِصيانِ محتسبٍ في الجودِ ما بغِرارِ السَّيفِ يَكتسِبُ

---

1 الصَّبَب : تَصَبُّب النهر ؛ الانحدار .

2 الغَدَق : الماء الكثير .

3 عرَّد الرجل : ترك الطريق وانحرف عنها .

4 تَفَرَّى : تشقَّق . الأُهب ، مفردها إهاب : الجلد .

5 سَغَبَ : جاع .

6 الحَرَبُ : الهلاك والويل .

ألوى فشنَّ على الأعداء غارتَه ، من حيثُ يُؤمنُ أو من حيثُ يُرتَقبُ
ظِلالُه حيثُ حلَّ القُضْبُ مُصْلتةً ، وخيلُه حيثُ سار الجَحْفَلُ اللَّجِبُ
أوفى على بطنِ هنزيطٍ ، فأمطره وَدْقاً خلالَ بروقِ البيضِ يَنسكِبُ[1]
غيثٌ هو المَحْلُ ، ما احمرَّت سَحائبُه إلا تراجَعَ مصفرّاً به العُشُبُ
فكلمـا انتشرَتْ أبـرادُ صيِّبِه على البلادِ انطوَتْ أبرادُه القُشُبُ
وشارفَ البحرَ في بحرٍ ، إذا اضطربَتْ حشاهُ خِلْتَ الجبالَ الشُّمَّ تضطربُ
مكوكَبُ النقعِ لو رامَتْ كواكبُه كواكبَ الجوِّ ثابـتْ ، وهي تُنتَهَبُ[2]
إذا سرَتْ حنَّتِ الجُردُ العِتاقُ به ، وغرَّدَتْ في أعالي سُمْرِه العَذَبُ[3]
كأنَّ شمسَ الضُّحى تخشاه بارزةً ، فَضَوْءها بحجابِ النَّقعِ مُحتَجِبُ
ولَّى الشَّمَيْشَقُ لا يهفو به طرَبٌ إلى المحلِّ ، ولا يدنو به سببُ[4]
لم تَسْرِ خيلُكَ في أحشاء داجيةٍ ، إلا سرى في دُجى أحشائه الرُّعُبُ
أجلى المواطنَ كُرهاً ، أن توردَّها ، وَرْدٌ مواطنُه غابُ القَنَا الأَشِبُ[5]
حتى نصبتَ على رَغم الصليبِ بها منابرَ الدينِ مسموعاً بها الخُطَبُ
ثم انثنيتَ ، وآسادُ الشَّرى جَزَرٌ بالمُرهَفاتِ وغِزلانُ النقا سَلَبُ[6]
سَبْيٌ تحصَّنَ منه الجيشُ وارتبَطت قُبُّ الجيادِ ، فلا ماشٍ ولا عَذَبُ[7]
تخيَّرَ المجدُ أعلى نسبةٍ ، فغَدا إلى عليٍّ بنِ عبد الله يَنتسِبُ

---

1 هنزيط : موضع كانت فيه وقعة لسيف الدولة .

2 المكوكب : المتوقّد كالكوكب .

3 العذب ، مفردها عذبة : الطرف من كل شيء .

4 الشميشق : من قوّاد الروم .

5 الورد : الأسد وأراد به سيف الدولة . الأشب : الملتف .

6 الشَّرَى : مَأْسدة جانب الفرات يُضرب بها المثل . الجَزَر ، مفردها جَزَرَة : كل شيء مباح للذبح .

7 العذب : الذي لا يأكل من شدة العطش .

ثلاثةٌ منه تجلو كلَّ داجيةٍ : جبينُه وغِرارُ السَّيفِ والحَسَبُ

26

وقال يمدحه ويعتذر من خروجه من حلب من غير إذنه : [من الكامل]

ما كفَّ شادِيَهُ اعتراضُ عتابِه ، بل زادَه طرباً إلى أطرابِه
وأرى الصبابةَ إرْبةً لو لم يَشُبْ يوماً حلاوتَها الفراقُ بصَابِه[1]
هو موقِفٌ برزَتْ بُدورُ خيامِهِ للبَينِ ، واعترضتْ شموسُ قِبابِه
راحوا بمثلِ الرِّيمِ ، لولا ما أرى من وَشْيِه وشُنوفِه وخِضابِه
مُتَرَدِّدٌ في الجَفْنِ ماءُ شُؤُونِه ؛ متحدِّرٌ في الخَدِّ ماءُ شَبابِه[2]
يهتزُّ غُصْنُ البانِ تحتَ ثيابِهِ ، ويُضيءُ بدرُ اللَّيلِ تحتَ نِقابِه
فالحُسْنُ ما يُخْفيهِ من تُفَّاحِهِ خَفَراً ، وما يُبْديه من عُنَّابِه
أيعودُ ، أيَّتُها الخيامُ ، زمانُنا أم لا سبيلَ إليه بعدَ ذَهابِه
أيــامَ أدفــعُ عتبَه بعِتابِــه عني وأمزُجُ كأسَه برُضابِه
فسقاكِ ساقي المُزْنِ أعذبَ صَوبِه ، وحَباكِ مُذْهِبُ غَيمِه بذَهابِه
نزعَ الوُشاةُ لنا بِسَهْمِ قطيعَةٍ ، تُرمى بسهمِ قطيعةٍ تَرمي بِه[3]
ليتَ الزَّمانَ أصابَ حَبَّ قلوبِهم بقنا ابنِ عبد الله ، أو بحِرابِه
بسلاحِ مُعتَلٍّ السِّلاحِ ، وإنما يعتــلُّ بين طِعانِــه وضِرابِــه
ألوى ، إذا استلبَ المغاورُ بَزَّه ، كانت نفوسُ الصِّيدِ من أسلابِه
ظَلَمَ التليدَ ، وليس من أعدائِه ؛ وحبا الحسودَ ، وليس من أحبابِه
فالغيثُ يخجَلُ أن يُلِمَّ بأرضِه ؛ والليثُ يَفرَقُ أن يُطيفَ ببابِه

---

1 الإربة : أراد بها المأرب أي الغاية ، وهي في الأصل الدهاء والحيلة . الصاب : شجر مر ، وكنّى به عن مرارة الفراق .

2 الشؤون ، مفردها شأن : العِرْق الذي تجري منه الدموع .

3 نَزَع بالسهم : رمى به .

يغشى القِراعَ ، وينثني ، وسماتُه　　في غَرْبِ مُنصُلِه وفي جِلبابِه[1]
كالليثِ آثارُ اللقاء مُبيَّنَـةٌ　　في لِبدَتَيْهِ ، وفي شَبا أنيابه
عَلِمَتْ ملوكُ الرومِ أنَّ حياتَها　　ومماتَها في عَفوِه وعِقابِه
في كلِّ عامٍ غزوةٌ يَقضي بها　　أَرَبَ القَنا ، وينالُ من آرابه
أوفى فسدَّ شِعابَهم بعَرَمْرَمٍ ،　　يغشى الفضاءَ الرَّحْبَ سَيلُ عُبابه
كالطَّوْدِ لا تَثْنيهِ عن مُتمنّعٍ　　حتى يَدُقَّ رِقابَه برقابه
تُزْجي المَنُونَ جيادُه مخزومةً　　بالحَزمِ ، أو يُحْدَى الرَّدى برِكابه
حتى تفسَّحَ في مجالسِ قَيصَرٍ　　متحكِّماً في تاجِه ونهابه
اللهُ جرَّدَ من عليٍّ سَيفَه ،　　فحمى وذَبَّ عن الهُدى بذُبابه
قَوْلِي ، إذا ضاقت عليَّ مذاهبي ،　　مَنْ لي برَحْبِ العيشِ بينَ رِحابه
فارقتُ مشربَه الذي لا تنطفي　　غُلَلُ الحَشا إلا ببَردِ شَرابه
ودخلتُ أبوابَ الندامةِ بعدَما　　عصفَت بيَ الأحداثُ عن أبوابه
هي زَلَّةُ الرأيِ التي نَكَصَ الغِنَى　　من سُوءِ عُقباه على أعقابه
فوحَقِّ نِعمَتِه عليَّ وطَوْلِه ،　　قسَماً ، يقول السامعون : كفى بِه[2]
ما سَوَّلَتْ لي النَّفسُ هجرَ جَنابِه ،　　عند الرحيل ، ولا اجتنابَ جِنابِه[3]
أنّي وقد نِلتُ السماءَ بقُرْبِه ،　　وبلغْتُ قاصيةَ المُنى بثَوابه
وحَوَيتُ فضلَ المالِ من إفضالِه ،　　ومحاسنَ الآدابِ من آدابه
لكنَّه رأيٌ حُرِمْتُ رَشادَهُ ،　　وبَعُدْتُ عن تسديدِه وصَوابه
لا أحمَدُ الأيامَ بَعْدَ بَتاتِها　　سبباً وصلتُ إليه من أسبابه[4]

---

1 الغَرْب : الحد .

2 الطَّوْل : الفضل ، العطاء .

3 جنابه بفتح الجيم : فناءه ، وبكسرها : السير إلى جنبه .

4 بتاتها : قطعها . السبب : الحبل .

أأقومُ بين يَدَي سواه مؤمِّلاً ، وأُنيخُ راحلةَ الرَّجاءِ ببابِه
هيهاتَ ! لستُ بشائمٍ برقَ امرىءٍ ، حتى يكونَ سَحابُهُ كَسَحَابه
سَأَهُزُّ بالكَلِمِ المُهَذَّبِ عِطفَه ، طَرَباً ، وأحْلُبُ لبَّه بخِلابِه
بِدَعٌ لو آنَّ الصَّبَّ يستَشفي بها أَلَمَ الفِراقِ شَفَتْه من أوصابِه[1]
وأحشُّها ، والليلُ قد سترَ الرُّبا بدُجاه ، أو حَجَبَ الصُّوى بحِجابِه[2]
حتى يعودَ الشَّرْقَ لابسَ حُلَّةٍ من أرجوانِ الفَجرِ ، أو زِريابِه[3]
فعسى الزَّمانُ يَبُلُّ حَرَّ جوانحي بصَفاءِ مَورِدِه وبَرِدِ حَبَابِه
فأفوزَ بالعَذْبِ النَّميرِ وينطوي كَشْحُ الحسودِ على أَليمِ عَذابِه

27

وقال يمدح وهب بن هارون ويهنئه بالبرء من علة نالته : [من الكامل]

شَعَفُ الحبائلِ من رُبىً ومَلاعِبِ ، لم تخلُ من شَغَفٍ ودمعٍ ساكبِ[4]
أَوْحَشْنَ إلا من وُقوفِ متيَّمٍ ، وعَطِلْنَ إلا من حُلِيِّ سَحائبِ
ولقد صَحِبْتُ العَيشَ مَرْضِيَّ الهَوى في ظِلِّها الأَوفَى ، خليعَ الصَّاحبِ
أيامَ لا حُكْمُ الفِراقِ بجائرٍ فيها ، ولا سَهمُ الزَّمانِ بصائبِ
ولربَّما حالَت شَوازِبُ أُسْدِها بين المُحِبِّ وبين سِرْبِ ربائبِ[5]
وتتبَّعَتْهُ ظِباؤُها بقَواضِبٍ من لَحْظِهَا ، وحُماتُها بقواضب

1 الأوصاب : الأمراض .
2 أحشُّها : لعله من حشّ المال : كثّره ، أو من حشّ النار : أوقدها . الصُّوى ، مفردها صُوَّة : حجر يكون دليلاً في الطريق .
3 الزرياب : الذهب .
4 الشَّعَفُ من القلب : رأسه عند مُعلَّق النِّياط .
5 الشَّوازب ، مفردها شازب : الضامر .

إذ حيُّها حَيُّ السُّرورِ ، وظِلُّها رَحْبُ الجنابِ بِهِمْ ، عَزيزُ الجانِبِ
خَفَقانُ ألويَةٍ وغُرٌّ صواهلٍ ، وبُدورُ أنديةٍ وجَرْسُ كَتائبِ[1]
وغرائبٌ في الحُسْنِ إلا أنها تَرمي القلوبَ من الجَوى بغَرائبِ
أنْهَبْنَنا وردَ الخُدودِ ، وإنما أنْهَبْنَ ذاكَ الوردَ لُبَّ النَّاهِبِ
إنْ كُنتِ عاتبةً عليَّ ، فما الرِّضا عندي ولا العُتبى لأَوَّلِ عاتبِ
نُبِّئْتُ أنَّ الأغبياءَ تَوثَّبوا سَفَهاً عليَّ مع الزَّمانِ الواثبِ
دَبَّتْ عقاربُهم إليَّ ، ولم تكُنْ لِتَدِبَّ في ليلِ النِّفاقِ عقاربي
مِنْ مُنْكِرٍ فضلي عليه ومُدَّعٍ شِعري ، ولم أسمعْ بأخرسَ خاطب
هيهاتَ ! ما جَهْلُ الجهولِ بمُسبلٍ حُجُباً على نَجْمِ العلومِ الثَّاقبِ
وإذا العدوُّ أثارَ حِقداً لم يزلْ يكتَنُّ في رَسَبَي حشاً وترائبِ[2]
فلْيَستَعِدَّ لطعنةٍ من طاعنٍ شاكي السِّلاحِ ، وضربةٍ من ضاربِ
ذنبي إلى الأعداء فضلُ مواقفي ، والفضلُ ذنبٌ لستُ منه بتائبِ
اللهُ آثرَني بوهبٍ دونَهم ، وأخصَّني من وُدِّهِ بمواهبِ
مَلِكٌ إصاختُه لأوَّلِ صارخٍ ، وسجالُ أنعُمِه لأوَّلِ طالبِ
جَذْلانُ يرغبُ في العُلا فَتِلادُه مُصْغٍ لدعوةِ راغبٍ ، أو راهبِ
كالغيثِ يلقَى الطالبين بوابلٍ ، سحٍّ ، ويلقى الحاسدين بحاصبِ[3]
فصَّلتُ عِقْدَ مدائحي بخِلالِه ، فكأنَّما فصَّلتُه بكواكبِ
وإذا انتضَتْ يُمناه نِضْوَ سيوفِه أذْكَى ضِرامَ الحربِ غيرَ مُحاربِ
أكرِمْ بسيفِكَ من صَموتٍ راجلٍ في النائباتِ ، ومن فصيحٍ راكبِ

---

1 الجرس : الصوت .

2 الرسب : ما يرسب في أسفل الشيء . الترائب ، مفردها تريبة : أعلى الصدر .

3 الحاصب : البَرَد ؛ أو الريح الشديدة تحمل الحصباء أي الحجارة الصغيرة ؛ أو السحاب الذي يرمي بالبَرَد .

تهتزُّ أعضاءُ الشُّجاعِ مخافةً ... ما اهتزَّ بين أشاجعٍ ورَواجبِ[1]

ما إن رأيتُ سِواه عَضْباً غِمْدُه ... أحشاءُ حاليةِ المقلَّدِ كاعبِ

لم تَعْرَ من صِبْغِ الذَّوائبِ ، إذ غدَتْ ... مَطمومةً ليسَت بذاتِ ذوائبِ[2]

وكأنما طلَعَتْ مشارقُ حَلِّها ... من حِليةِ الجنَّانِ فوقَ مغاربِ[3]

ما حاربَ الصُّبحُ المُضيءُ غياهباً ... إلا أرتنا الصبحَ سِلْمُ غياهبِ

قد قلتُ ، إذ عاينتُ فضلَ بيانِه ، ... وبيانَه ، كَمُلَتْ أداةُ الكاتبِ

للهِ درُّكَ يا ابنَ هارونَ الذي ... أدنى العُفاةَ من السَّماحِ العازبِ

أغرَبْتَ في شِيَمٍ تلوحُ سِماتُها ... في كاهلٍ للمجدِ أوْ في غاربِ

وشمائلٍ سارَتْ بهنَّ مدائحي ، ... في الأرضِ ، سَيْرَ شمائلٍ وجَنائبِ

نضَّرْنَ وجهَ المكرُماتِ ، وطالما ... سفرَتْ لنا عن حُرِّ وجهٍ شاحبِ

ما لي أرى أوصابَ جسمِكَ غادرَتْ ... قلبَ المكارمِ في عَذابٍ واصبِ[4]

عُدْنا الغَمامَ الجَوْدَ منك ، ولم نَعُدْ ... من قبلِها ، صوبَ الغَمامِ الصائبِ

لسنا نَذُمُّ أوائلَ النُّوَبِ التي ... جاءت أواخرُها بحَمْدِ عواقبِ

فَاسعَدْ بعافيةِ الإلهِ ، فإنها ... هِبَةٌ مُقابَلَةٌ بشُكْرٍ واجبِ

وتَمَلَّ سائرةً عليك مقيمةً ... مَلكتْ وَدادَ أباعدٍ وأقاربِ

شَرِقَتْ بماءِ الطَّبْعِ حتَّى خِلتُها ... شَرِقَتْ لِرَيِّقِها ببردٍ ذائبِ

يَشتاقُ طلعتَها الكريمُ ، إذا نأَتْ ، ... شوقَ المحبِّ إلى لقاءِ حبائبِ

ويقولُ سامعُها ، إذا ما أُنْشِدَتْ : ... أعقودُ حَمْدٍ أم عُقودُ كَواكبِ

---

1 الأشاجع : أصول الأصابع التي تتصل بعصب ظاهر الكف ، أو هي عروق ظاهر الكف .
الرواجب : مفاصل أصول الأصابع ، مفردها راجبة .

2 المطمومة : المقصوصة الشعر .

3 الجنان : موضع . حَلِّها : هكذا وردت وليس للبيت معنى .

4 وَاصِب : دائم .

28

وقال يمدح الوزير أبا محمد الحسن بن محمد المهلبي : [من الطويل]

تهيَّبـه وِردُ الـرَّدى لـو تهيَّبـا ... ربائبَ في الأظعانِ يُحسَبْنَ رَبرَبا
مَلَكْنَ بتقليبِ النَّواظرِ قلبَه ، ... فقد أَمِنَتْ في الحبِّ أن يتقلَّبا
طوالعُ من حُمْرِ القِبابِ شموسُها ، ... وما طلعَت منهنَّ إلا لتَغرُبا
سفَرْنَ ، فلاحَ الأُقحوانُ مفضَّضاً ... على القُربِ منا والشَّقيقُ مُذَهَّبا
وجُدْنَ بألحاظٍ مِراضٍ كأنَّـها ... تُصرِّحُ بالعُتبى إلى مَنْ تعتَّبا[1]
وقد أثمرَ العُنَّابَ والوردَ بَانُها ، ... فأبدعَ في تلك الثِّمارِ وأغرَبا
محاسنُ عنَّت في مَساوٍ من النَّوى ، ... فللّه وِرْدٌ ما أمرَّ وأعذبا[2]
رأَت جانبَ الأعداءِ سهلاً فأسهلَت ... فلائقُ كانت بِغضةً وتحبُّبا[3]
عذيريَّ من قلبٍ ، إذا سُمتَه الهَوى ، ... أجابَ ، وإن ذكَّرتَه صبوةً صَبا
وطيفِ حبيبٍ خافَ طيفَ رقيبِه ، ... فـزارَ وسارَ خائفـاً مترقِّبا
إذا كان سُقيًا الخائفين تجنُّباً ، ... فلا زالَ صَوبُ المُزْنِ يَسقيكَ صَيِّبا
حَيَاً كلما حيَّتْ به الريحُ منزِلاً ... ثَنَتْ فيه هُدَّاباً إليك وهَيدَبا[4]
تلهَّبَ فيه البرقُ حتى كأنَّه ... حريقٌ على أثباجِ ليلٍ تلهَّبا[5]
فباتَ كأنَّ الريحَ في جَنَباتِه ، ... تهزُّ صفيحاً منه بالتِّبرِ مُذهَبا[6]

---

1 مِرَاض ، مفردها مريضة : فيها فتور .

2 مساوٍ : مخففة عن مساوىء ، مفردها مساءة : العمل السيء .

3 الفلائق ، مفردها فليقة : الأمر العجيب . ولعلها محرَّفة عن خلائق .

4 الهدّاب : أغصان الشجرة ، وسعف النخل ، والخيوط التي تبقى في طرفَي الثوب من عرضِه دون حاشيتيه . الهيدب من السحاب : المتدلّي الذي يدنو من الأرض .

5 أثْباج ، مفردها ثَبج : وسط الشيء ؛ معظمه .

6 الصفيح : السيف العريض .

وساجَلَ معروفَ الوزيرِ ومَنْ له ... بعُرْفٍ يعُمُّ الأرضَ شَرْقاً ومغرِبا

هُمامٌ يعُدُّ السمهريَّةَ مَعقِلاً ، ... يعوذُ به ، والمَشرَفيَّةَ مَكسِبا

حليمٌ ، إذا أحْفَظْتَه زادَ حِلمُه ، ... فكيفَ يرى عن مَذهَبِ الحقِّ مذهَبا[1]

ومبتسمٍ ، والطعنُ يَخضِبُ رُمحَه ... كأنْ قد رأى منه بَناناً مُخَضَّبا

رأيناه يومَ الجودِ أزهرَ واضحاً ، ... ويومَ قِراعِ البيضِ أبيضَ مِقْضَبا[2]

وخِلناه في بذلِ الألوفِ قَبيصةً ؛ ... وخِلناه في سَلِّ السيوفِ المُهَلَّبا[3]

ملوكٌ ، إذا الأيامُ دامَت ، رماحُهم ... حَسِبتَهمُ الأيامَ صَدراً ومَنكِبا

يُنازِعُهم فضلَ النَّجابةِ معشرٌ ، ... ولولاهمُ لم يَعرِفِ الناسُ مُنجِبا

وَهَجْرٍ تردُّ الخيلُ رأْدَ ضَحائِه ، ... بأرهاجِها قِطْعاً من الليلِ غَيهَبا[4]

كأنَّ سيوفَ الهندِ ، بينَ رماحِه ، ... جداولُ في غابٍ علا وتأشَّبا

تَضايقَ حتى لو جَرى الماءُ فوقَه ... حَماه ازدحامُ البيضِ أن يتسرَّبا

وقَفْتَ به تُحْيي المُغيرةَ ضارباً ... بسيفِكَ حتى ماتَ حَدّاً ومَضرِبا[5]

وصُلْتَ على الأعداءِ تلعَبُ بالقَنا ... وأرواحِهم حتى ظنَنَّاه مَلعَبا

وكم مِقنَبٍ في الرَّوْعِ يُحسَبُ واحداً ؛ ... وكم واحدٍ في الرَّوْعِ يُحسَبُ مِقنَبا[6]

فلو كنتَ من حربِ العُداةِ بمعزِلٍ ، ... دعوتُك في حربِ النوائبِ مِحرَبا[7]

إذا غابَ عن ذي الرأيِ ، وجهُ رَشادِه ، ... لجأتَ إلى رأيٍ يُريكَ المُغيَّبا

---

1 أحْفَظَ : أغْضَبَ .

2 المقضب : المنجل ، ويعني به السيف الشديد القطع .

3 قبيصة : هو إياس بن قبيصة الطائي . المهلَّب : هو ابن أبي صفرة وكلاهما من الفرسان .

4 الهجر : نصف النهار . رأد ضحائه : وقت ارتفاع شمسه . الأرهاج ، مفردها رهج : ما أثير من الغبار .

5 المغيرة : أحد الفرسان المشهورين .

6 المقنب : الجماعة من الخيل تجتمع للغارة .

7 المحرب : صاحب الحرب ؛ الشجاع .

أساءَ إلينا الدهرُ يا ٱبنَ محمدٍ ، … فلمـا تنـافَرنـا إليك تجنَّبـا
دعوتَ إلى الجَدوى ومثلُك مَنْ دعا … بِـ : حَيَّ على ماءِ الحياةِ ، فثوَّبا[1]
فما بَعُدَتْ نُعماكَ عن ذي قَرابَةٍ ، … ولا جَانَبَتْ مِنْ سائرِ الناس أجنَبا[2]
إليك ركبتُ الليلَ فَرداً ، فلم أقُل : … أعاذلتي ما أخشنَ اللَّيلَ مَركَبا
لِيَصْدُرَ عنكَ الشِّعرُ مالاً مسوَّماً ، … إذا نحنُ أوردناه دُرّاً مُثَقَّبا[3]
فهل لك من جازٍ ، إذا اعترضت له … شهودُ قوافي الشِّعرِ جَدَّ فأسهَبا
وضاربةٍ في الأرضِ ، وهي مُقيمةٌ ، … كأنَّ مَطاياها الجَنوبُ أو الصَّبا
يثقِّفُهـا طِـبٌّ بتثقيـفِ مثلِهـا ، … ويخدُمُها حتى تَرِقَّ وتَعذُبا
مُطِلٌّ على سهلِ الكلامِ وحَزْنِه ، … فما يصطفي إلا اللُّبابَ المُهَذَّبا
تركتُ رِحابَ الشامِ ، وهي أنيقةٌ ، … تقولُ لِطُلاّبِ المكارمِ مَرحَبا
مدبَّجةَ الأطرافِ مخضرَّةَ الثَّرى ، … مصقَّلةَ الغُدرانِ مَوشِيَّةَ الرُّبا
إذا نحنُ طارَدْنا الغنيمةَ أمكنَتْ … بِهِنَّ وإن جُلْنا على الصيدِ أكثَبا[4]
فما ذِمَّةُ الأيامِ فيها ذميمةٌ ؛ … ولا جانبُ الدنيا بها متجنِّبا
ولكنَّ ذا القُربى أحقُّ بمنطِقٍ ، … إذا كان ذو القُربى إلى الحمدِ أقرَبا
وذي شرفٍ إن عَدَّ ثَهْلانَ فاخراً ، … عددتُ له رَضْوى وقُدْساً وكَبكَبا[5]
تعصَّبتُ في شِعري عليه ، ولو حوَى … عصائبَ تيجانِ الملوكِ تعصُّبا
فلا زِلتَ مُبيَضَّ المكارمِ راخياً … بجُودٍ ، ومحمَرَّ الصوارمِ مُغضَبا

1 حَيّ على ماء الحياة : مثل : حَيَّ على الصلاة ، أي هلمُّوا وأقبِلوا . ثوَّبَ الداعي : لوَّح بثوبه ليُرى .
2 الأجْنب : الغريب ؛ البعيد .
3 المسوَّم : الجيد الذي له علامة يُعرف بها .
4 أكْثَبَ الصَّيْدُ : دنا واقترب .
5 كل ما ذكره أسماء جبال .

هي الكوكبُ الدُّرِّيُّ يجنُبُ كوكَبا ... ودونَكها تتلو نظيرتَها التي

كأنَّ قَوافيها سهامُ مثقِّفٍ ... تصعَّدَ فيها لحظُه وتصوَّبا

كأنَّك منها ناظرٌ في حديقةٍ ... تقطَّرَ فيها فارسُ القَطرِ أو كَبا[1]

كلاماً يفوقُ المِسكَ طيباً كأنما ... أتاكَ بريحانِ النحورِ مطيَّبا

29

وقال يحث على اللعب : [من البسيط]

قُمْ فانتصِفْ من صروفِ الدهرِ والنُّوَبِ، ... واجمعْ بكأسِك شملَ اللهوِ واللَّعِبِ

أما تَرى الصبحَ قد قامت عَساكِرُه ... في الشرق تنشُرُ أعلاماً من الذَّهَبِ

والجوُّ يختالُ في حُجْبٍ مُمسَّكَةٍ ، ... كأنما البرقُ فيها قلبُ ذي رُعُبِ

تجنَّبتْك صروفُ الدَّهرِ ، فانصرفَتْ ، ... وقابلَتْكَ سعودُ العيشِ من كَثَبِ

فاخلَعْ عذارَك واشربْ قَهوةً مُزِجَتْ ... بقَهوةِ الفَلَجِ المعسولِ والشَّنَبِ[2]

والعيشُ في ظِلِّ أيام الصِّبا ، فإذا ... ودَّعْت طيبَ الشَّبابِ الغَضِّ لم يَطِبِ

جَرَيتُ في حَلْبَةِ الأهواءِ مُجتهداً ، ... وكيفَ أُقْصِرُ ، والأيامُ في طَلَبي

تَوِّجْ بكأسِك ، قبلَ النائباتِ ، يدي ، ... فالكأسُ تاجُ يدِ المُثْري من الأدبِ

30

وقال يمدح سلامة بن فهد : [من الوافر]

يُريكَ قوامَها الغصنُ الرطيبُ ، ... ولحظَ جفونِها الرشأُ الربيبُ

غَداةَ بَدا لها خدٌّ أسيلٌ ، ... يُنَمنِمُ وشيَه كفٌّ خَضيبُ

---

1 تقطّر الرجل : رمى بنفسه من علوّ ؛ سقط . فارس القَطْر : الشجاع المغمور بالعرق ؛ الذي يضرب كضرب المطر .

2 أراد بقهوة الفلج . . . الخ : الريق البارد ، والفلج : تباعد الأسنان . الشنب : بياض الأسنان وحسنها .

وأدناها من الصبِّ التنائي ؛ كذاكَ الشمسُ يُدنيها الغروبُ
فمن خدٍّ تخدِّدُه دموعٌ ؛ ومن قلبٍ يُقلِّبُهُ حبيبُ
بظبيٍ في الخيامِ له مُرادٌ ، وبدرٍ في الخدورِ له مَغيبُ
فكم بَعُدَ الرقيبُ ، فأسعفَتْني صروفُ الدهرِ ، إذ بَعُدَ الرقيبُ
بصبحٍ من محاسنِه تجلّى ؛ وليلٍ من ذوائبِه يذوبُ
رويدَك أيُّها القلبُ المُعنَّى ، وقَصرُكَ أيُّها الدمعُ السَّكوبُ
تناءى الجودُ حتى ليس يدنو ، وغابَ البِشرُ حتى ما يَؤوبُ
وأُخِّرَ حاذقٌ في الشِّعرِ طِبٌّ ، وقُدِّمَ سارقٌ فيه مُريبُ
كبعضِ الصَّيدِ يُرزَقُ منه مُخطٍ ، ويُحرَمُ خيرَه الرامي المصيبُ
سأُغرِبُ في الثناءِ على ابنِ فهدٍ ، فما هو في الورى إلا غريبُ
تألَّقَ والخطوبُ لها ظَلامٌ ، فأسفرَ والظَّلامُ له قُطوبُ
وقد قَرِحَتْ على الجُودِ المآقي ؛ وقد شُقَّتْ على الشِّعْرِ الجُيوبُ
حُلِيٌّ من حِلَى الآدابِ يُغْني بحِليَتِهِ وشيمَتِهِ الأديبُ
إذا شيمَتْ بوارقُه استهلَّت سماءٌ ، من مواهبِه ، تصوَّبُ[1]
سَمَتْ بأبي الفوارس في المعالي ضرائبُ ما له فيها ضريبُ[2]
فَمِنْ حَزمٍ تَدينُ له الليالي ؛ وَمِنْ رأيٍ تَدِينُ به الغُيوبُ
وزادَ الأَزْدَ مأثَرةً ، فأمسَى لها من كلِّ مكرُمَةٍ نَصيبُ
مَنَحْتَ وليَّكَ النِّعَمَ اللواتي كفَتْه كلَّ نائبةٍ تنوبُ
وبُيِّنَ رَحْبُ صدرِكَ من خلالٍ يَضيقُ بوسْعِها الصَّدرُ الرَّحيبُ
فلما راقَ ناظِرَةَ الليالي شبابُ الأُنسِ عاجلَه المَشيبُ

---

1 تصوب : تمطر .

2 الضرائب ، مفردها ضريبة : الطبيعة والسجيّة . الضريب : المثيل .

متى يَثني إليه عِنانَ بِشْرٍ ، فتَثْني عنه أوجُهَها الخطوبُ
فقد نشرَ الثَّناءَ عليك منه خطيبٌ ليس يُشْبِهُه خَطيبُ
فسيَّرَ منه وَشْياً ليسَ يَبْلى ، وأطلعَ منه شَمْساً لا تَغيبُ
وقد غرسَتْ يمينُك منه غَرْساً فصُنْهُ أن يُلِمَّ به شُحوبُ
أيقرُبُ منك ذو نَسَبٍ بعيدٍ ، ويبعُدُ مَنْ له نَسَبٌ قريبُ
ومَدْحٍ فوَّقتَه لك المعالي ، فجاء كأنه بُردٌ قَشيبُ
إذا ما صافحَ الأسماعَ يوماً تبسَّمَتِ الضَّمائرُ والقلوبُ
فمن حُسْنِ الصنائعِ فيه حُسْنٌ ؛ ومن طيبِ المحامدِ فيه طيبُ
وليسَ يَفوحُ زَهرُ الرَّوضِ حتى تفتِّحَهُ شَمالٌ أو جَنوبُ

31

وقال يمدح أبا المُفضَّل بعض بني حمدان : [من الخفيف]

عَلَّ طيفاً سرَى حليفَ اكتئابِ مُطفىءٌ من صَبابةٍ وتَصابِ
لم يُذِقْنا حلاوةَ الوَصْلِ إلاَّ بين عَتبٍ مبرِّحٍ وعِتابِ
كيفَ عنَّتْ لنا ظِباءُ كِناسٍ ، غادَرَتْها النَّوى شموسَ قِبابِ
كلُّ ريمٍ يَشفي إذا رُمتَ منه الـ ـوَصْلَ ، حَرَّ الهوى ببَرْدِ الرُّضابِ
لطمَتْ خدَّها بحُمْرٍ لِطافٍ نال منها عَذابَ بيضٍ عِذابِ
يتشكَّى العُنَّابُ نورَ الأقاحي ، واشتكى الوردُ ناضرَ العنَّابِ
نحنُ في معدِنٍ من اللؤمِ مُطغٍ ، دونَ عَذْبِ النَّدى أليمِ العَذابِ
قصدَتْنا يدُ الحوادثِ فيه بسِهامٍ من الخُطوبِ صِيابِ
وَدَعَتْنَا إلى العِراقِ هَناةٌ لأمـورٍ تنقضُّ مثلَ العُقابِ[1]
كلُّ زنجيَّةٍ كأن سوادَ الـ ـلَيلِ أهدَى لها سوادَ الإهابِ

---

1 هناة : أشياء .

تَسحَبُ الذَّيْلَ في المسيرِ ، فتختا ... لُ ، وطوراً تمرُّ مرَّ السَّحابِ
وتشُقُّ العُبابَ كالحيَّةِ السَّوْ ... داءِ أبقَتْ في الرَّمْلِ أثْرَ انسيابِ
وإذا قُوِّمَتْ رؤوسُ المطايا ، ... للسُّرى ، قُوِّمَت من الأذنابِ
مُهدِياتٌ إلى الأميرِ لُباباً ... من ثناءٍ يُثْنى منَ الآدابِ
زهرةٌ غَضَّةُ النَّسيمِ غَذَاها ... صفوُ ماءِ العلومِ والآدابِ
فهي كالخُرَّدِ الأوانسِ يَخلِطْـ ... ـنَ شِماسَ الصِّبا بأُنْسِ التَّصابي
رِقَّـةٌ فوقَ رِقَّةِ الخصرِ تُبْدِي ... فطنةً فوقَ فطنةِ الأعرابِ
طالباتٍ أبا المُفَضَّلِ يَمْتُتْـ ... ـنَ إليه بأَوكَدِ الأسبابِ[1]
خطبَتْ ودَّه ونائلَه الغَمْـ ... ـرَ ، وكم أعرضت عن الخُطَّابِ
ملكٌ ما انتضى المهنَّدَ إلا ... خِيلَ بدراً يسطو بحدِّ شِهابِ
خِـيمُه في مواطنِ الحِلْمِ ، كَهْلٌ ... ونَداهُ في عُنفوانِ الشَّبابِ[2]
راتعٌ في رياضِ حمدِ أُناسٍ ... رتَعوا منه في رياضِ ثَوابِ
قمرٌ أطلعَتْه أقمارُ ليلٍ ؛ ... أسَدٌ أنجبَتْه آسادُ غابِ
جَلَبَ الخيلَ ضُمَّراً تُلْهِبُ العُشْـ ... ـبَ إذا ما أثَرْنَ نارَ الضِّرابِ
بخميسٍ كأنما حَجَبَ الشَّمْـ ... ـسَ ، وقد ثارَ نقعُه بضَبابِ
وكأنَّ اللِّواءَ في الجوِّ لما ... باشَرَتْه الصَّبا جَناحا عُقابِ
فإذا الرِّيحُ نبَّهته ، وقد أغْـ ... ـضى تبدَّى لها وُثوبَ الحُبابِ[3]
في مقامٍ للموتِ تُحْتَسَبُ الأنْـ ... ـفُسُ في هَبْوَتَيْهِ أيَّ احتسابِ
حين أوفَى على العِراقِ طُلوعَ الـ ... ـبَدْرِ في ليـلِ حادثٍ مُستَرابِ
فثنَى الأرضَ منه محمرَّةَ الأرْ ... جاءِ ، والأفقُ حالكُ الجِلبابِ

---

1 أَوْكَد : أوثق .

2 خيمه : أصله ، سجيّته .

3 الحُبَاب : الحية .

آلُ حمدانَ غُرَّةُ الكرمِ المحْـ ـضِ ، وصفوُ الصَّريحِ منه اللُّبابِ
أشرقَ الشرقُ منهمُ وخلا الغَرْ بُ ، ولم يخلُ من نَدىً وضِرابِ
نَزَلوا منه مَنْزِلاً وَسَمُوهُ بالنَّدى ، فهو مَوسِمُ الطُّلاَّبِ
يَنْجلي السِّلْمُ عن بدورٍ رَواضٍ فيه ، والحربُ عن أسودٍ غِضابِ
جادَنا منهمُ سَحائبُ جودٍ أنشأتها جَنوبُ ذاك الجَنابِ
فحمَلْنا مِلءَ الحقائبِ من أفْـ ـوافِ مدحٍ يبقى عَلى الأحقابِ
واستقلَّت بنا سواعٍ تخوضُ الـ ـبحرَ خَوضَ النُّسورِ بَحْرَ السَّرابِ
شتَّتتْ شملَها الشَّمالُ ، وأمسَت كالغرابيبِ عُذِّبَتْ باغترابِ[1]

32

وقال يرثي بعض بني فهد : [من الكامل]

أَتظُنُّ أنَّ الدَّهرَ يُسعِفُ طالباً ، أو تُعتِبُ الأيّامُ منا عاتِبا
فُقِدَ النَّوالُ ، فعادَ بَرقاً خُلَّباً ، ومضى السَّماحُ ، فعاد وعداً كاذِبا
وطوى الرَّدى شِيَمَ ابنِ فَهدٍ بعدما نشرَتْ بدائعَ سُؤدُدٍ وغرائبا
ليتَ الرَّدى لمّا سما لَكَ جَحفلٌ ، ملأَ البلادَ أسنَّةً ، وقواضبا
فيؤوبَ مغلوباً لديك مذمَّماً ، وتؤوبَ محمودَ السجيَّةِ غالبا
يَبكيكَ عَزمٌ لم يزلْ إشراقُه في كلِّ مُظلِمَةٍ شِهاباً ثاقبا
وسماءُ مجدٍ إن تَغَيَّمَ أُفقُها أطلعْتَ فيها بالسيوفِ كواكبا
ورغائبٌ شيَّدْتَها بمواهبٍ ، لو أنهنَّ نطَقْنَ قُمْنَ خواطبا
في مَضجَعٍ وسِعِ الحسينَ ، وجُودُه يَسَعُ البلادَ مشارقاً ومغاربا
لو أنَّ قبراً جادَ ساكنُ لَحْدِهِ لم يَرجِعِ المرتادُ منه خائبا

---

1 الغرابيب ، مفردها غربيب : الأسود الحالك ، وأراد الغربان .

33

وقال في أبي الفوارس سلامة بن فهد : [من الكامل]

لأبي الفوارسِ في السَّماحِ مآربٌ تُقضَى ، فتَقضي للعُفاةِ مآرِبا[1]

مَلِكٌ أبرَّ على الملوكِ بهمَّةٍ ، زِيدَتْ بها الأزدُ الكِرامُ مَناقِبا[2]

وأغرُّ يَحسُنُ منظراً وضَرائباً ، كالسَّيفِ يحسُنُ رَوْنقاً ومَضارِبا[3]

ومُناسِبُ السَّيفِ الحُسامِ ، فإنْ جرَى في الجودِ أصبحَ للسَّحابِ مُناسبا

شِيَمٌ كأنفاسِ الرِّياحِ جرَتْ على زَهْرِ الرَّبيعِ شَمائلاً وجَنائبا

طلبَ العُفاةُ نوالَه ، فبَدا لهم متهلِّلاً للحَمْدِ منهم طالبا

ورأى الزمانَ عليهم متعتِّباً ، فغـدا لـه بالمكرُمـاتِ مُعاتِبا

كم قد رأيتُ لبِشْرِهِ من شارِقٍ يَحتَثُّ من جَدوى يديه سَحائِبا

فأريتُه زُهرَ الربيعِ مَدائحاً ، ورأيت منه حَيَا الرَّبيعِ مَواهبا

34

وقال يعاتب أبا إسحاق إبراهيم بن هلال الصابي الكاتب وكان قدَّمَ عليه رجلاً من أهل الأدب ببغداد في إيصاله إلى بعض الملوك ، وكانا جميعاً سألاه ذلك : [من البسيط]

تَحِيَّةُ الغيثِ مُنْهلّاً سحائبُه ، على العقيقِ ، وإنْ أقوَتْ مَلاعِبُه[4]

لا بل على الحيِّ مشدوداً هوادِجُه على الشُّموسِ ومذموماً رَكائبُه[5]

---

1 العُفَاة ، مفردها العافي : كل طالب فضل أو رزق .

2 أبَـرَّ عليه : غلبه وفاق عليه .

3 الضرائب ، مفردها ضريبة : الطبيعة والسجيَّة .

4 أقْوَت الدار : خَلَتْ من ساكنيها .

5 الشَّمُوس : الفرس لا يمكِّن أحداً من ركوبه أو إسراجه ولا يكاد يستقر .

حتى تَرُدَّ عليه آيةً سلَكَتْ ظِباؤُها الغيدُ ، أو حلَّتْ ربائبُه

ففي الظعائنِ مجنوبٌ لغانيةٍ ، تَغْنَى بوصلِ سواه ، أو تُجانبُه[1]

وفي الديارِ سميعٌ ليس تُسمعُه إجابةً ، وخطيبٌ لا تُخاطبُه

حتى يُبَدِّلَ للعُشّاقِ زورَتَه طَيفٌ يَصُدُّ عن العُشّاقِ صاحبُه[2]

سرى إلى البدرِ يُخفي البدرَ منتقباً ، والبدرُ يأنَفُ أن تُخفى مناقبُه

إذا بدا الصبحُ من إشراقِ طلعتِه ، أبدَتْ لكَ الليلَ مُسودّاً ذوائبُه

والحُسنُ ضِدّانِ لا أدري ، إذا اجتمعا، أنـوارُه فتَنَتْني أم غَياهبُه

حُلِيُّـه وثناياه وعَنبـرُه ، كلٌّ يَنُمُّ عليه ، أو يراقبُه

فلستُ أدري ، إذا ما سار في أُفُقٍ ، شَمائلُ الأفقِ أذكى أم جَنائبُه

أما القريضُ ، فما تَحظَى محاسنُه عندَ الملوكِ كما تَحظى معائبُه

وربما ظَلَمَ الدينارَ ناقدُه ، وقد كَساه ضروبَ الحُسنِ ضاربُه

كأنني بنجيبِ الشِّعرِ قد رحلَتْ ، عنهم إلى الشَّرفِ الأعلى نجائبُه[3]

ولو تشاءم لانقضَّت صواعقُه ، على العِراقِ كما ارفضَّت سَحائبُه[4]

قل للذي قَلَّدتْني كفُّه رسَني ، وكنتُ أُدْنُو إليه ، وهو جاذبُه

لك الأمانُ ، إذا انسابت أراقِمُه ، من المكامِنِ ، أو دبَّتْ عقاربُه[5]

ليسَ الصديقُ الذي أعطاك شاهدُه شَهْدَ الودادِ ، وخان الغيبَ غائبُه

كم مَنطِقٍ كسحيقِ المِسكِ ظاهرُه ، لم يُقْضَ عندَ أبي إسحاقَ واجبُه

كانت مدائحُنا غرّاً محجَّلةً ، تُثني عليه ، فقد أضحَتْ تُعاتبُه

---

1 المجنوب : كل طائع منقاد .

2 الزَّوْرة : المرة من زار .

3 نجيب الشعر : نفيسه . النجائب ، مفردها النجيبة : الناقة الكريمة .

4 ارْفَضَّتْ : تفرَّقَتْ وذهبَتْ .

5 الأراقم : الحيات ، وأراد بها وبالعقارب قصائد الهجو .

وما أقولُ لِـمَن طابَـتْ عناصرُه ... في رُتبةِ المجدِ ، وابيضَّتْ مَناسبُه
أغرُّ زانَ مديحي فضلُ سُؤدُدِهِ ، ... كلؤلـؤ العِقْـدِ زانَتْـه ترائبُه
وصادقُ الوُدِّ لا ترتدُّ خُلَّتُه ... على الصَّديقِ ، ولا يَـزْوَرُّ جانبُه
لا أستريحُ إلى زُورٍ ولا كَذِبٍ ، ... يُهدَى إليه ، وشرُّ القولِ كاذبُه
وليسَ للذَّمِّ فيه مَذْهَبٌ فَيُرى ... أنَّى ، ومِن ذهَبٍ صيغَتْ مَذاهبُه
نَبا عليَّ ، فما أدري لنَبوتِه ، ... أنيابُ دهري أمضى أم نوائبُه[1]
هُوَ الحُسامُ لقومٍ ماءُ صَفحتِه ... بشاشةٌ ، ولأقـوامٍ مضاربُـه
والغيثُ ، إن برقتْ نحوي مخائِلُه ، ... راحت تَصوبُ على غيري صوائبُه
هذا وما صَدِئَت قِدْماً مسامعُه ، ... بما نظمْتُ ، ولا ضاعَت مواهبُه
ولي من الأدبِ المحمودِ أثمرُه ... يُنمى إليه ، وأعرافٌ تناسِبُه
ورَغبةٌ كلما جاءَت معرِّضةً ... بجاهِه أعرضَت عنها رغائبُه
وكم ضربتُ بماضٍ منه ذي شُطَبٍ ، ... عَضْبٍ مضارِبُه حلوٍ ضَرائبُه
وردْتُ في طيِّبِ الأنفاسِ ذي ثَمرٍ ... قريبةٍ من يد الجاني أطايبُه
عَاقَبْتني بجفاءٍ لا أُقومُ به ، ... فهَل عقابُك محمودٌ عواقبُه
وعادَ رأيُك لي سُوداً مشارِقُه ، ... وكنتُ أعهَدُه بيضاً مغاربُه
الشِّعرُ وَشْيُ بُرودٍ أنتَ ساحِبُه ، ... فَهْمَاً ، ودُرُّ عقودٍ أنتَ ثاقبُه
فلِمْ مَنعْتَ على الإحسانِ مُحسِنَه ... ما نالَ من جاهِكَ المبذولِ خاطبُه
وزاهرُ الحمدِ إن أنْصَفْتَهُ زَهَرٌ ... يَطيبُ رَيَّاهُ ، إن طابَتْ مشاربُه
أكان في العَدلِ أن تَظْما حدائِقُه ... بسَاحتَيْكَ وأن تُروى سباسبُه[2]
لقد نثرتُ على قَومٍ حصَى كَلِمٍ ، ... لو شئتَ لانْتَثَرَتْ فيكم كواكبُه
لولاكَ ما ارتُدِيَتْ أطمارُه ، وغدَت ... تُرَدُّ ، وهي أنيقاتٌ سبائِبُه

---

1 نبا : تباعد وتجافى .

2 السباسب ، مفردها سبسب : المفازة .

لأصبِرَنَّ على إخلالِ عُرفِكَ بي ، حتى يثوبَ إلى المعهودِ ثائبُه
عسى العتابُ يَرُدُّ العتْبَ منك رضاً ، وربما أدركَ المطلوبَ طالبُه

35

وقال يمدح سلامة بن فهد : [من الخفيف]

هذه الشمسُ أوشكَتْ أن تغيبا ، فأَقِلاً المَلامَ والتَّأنيبا
أوجَبَتْ لوعةُ الفِراقِ على الصَّبِّـ ـبِ جَوىً يَقرَحُ الفؤادَ وَجيبا[1]
لن يُرى غالبَ الصَّبابةِ ، حتى يَدَعَ اللَّومَ في الهوى مَغلوبا
حَثَّ غَرْبٌ من المدامعِ غرباً ، حينَ رامت تلك الشموسُ الغُروبا[2]
أعرضَتْ خِيفَةَ الرَّقيب ، ولولا ه لكان الإعراضُ منها رَقيبا
وأَرَتْه بَرْقَ الثُّغورِ ، فأبدى بارقَ الشَّوقِ في حَشاه لَهيبا
والثَّنايا العِذابُ تَثني على الوجْـ ـدِ الحَشا أو تُضاعِفُ التَّعذيبا
حَيِّ ربعاً لهنَّ يَزدادُ حُسْناً ، وَمَحَلّاً منهن يزدادُ طِيبا
سَلَبَتْه النَّوى بدورَ تَمامٍ ، تركتني من العَزاءِ سَليبا
قد قطعْنَ البلادَ شَرقاً وغَرْباً ، وبَلَوْنا الوَرى فُتوّاً وشِيبا
ونَزَلنا بكلِّ مُجتَدِبِ المنـ ـزِلِ نَرْعى لديه رَبعاً جَديبا
قَرُبَ الوعدُ ، والنَّوالُ بعيدٌ ، فأراني النَّوى بعيداً قَريبا
فدَعَوْنا أبا الفوارسِ للجُو دِ ، فكان القريبَ فيه المُجيبا
وهَزَزْنـاه للمكارمِ فاهتَـ ـزَ كما هَزَّتِ الرِّياحُ القَضيبا
فرأينا مُهذَّبَ الفِعْلِ يُكسَى حُلَلَ المَدْحِ هُذِّبَت تَهذيبا

---

1 الوجيب : الخفقان .

2 الغَرْب : الدمع .

ونَسيبَ الحُسامِ أَسْرَفَ في الجُو دِ فَخِلناه للسَّحابِ نَسيبا
يا غريبَ السَّماحِ والمَجدِ والسُّؤ دُدِ أصبحْتَ في الأنامِ غَريبا
مَلِكٌ عُدَّتِ الملوكُ من الأز دِ ، فكان الشريفَ منها الأديبا
راحَ يُبْدي لمن أتى مُستجيراً ، من صُروفِ الزَّمانِ ، أو مُستَثيبا
خُلُقاً مُشرِقاً وَوَجْهاً طَليقاً ، ونَوالاً جَزلاً ، ورأياً مُصيبا
قمرٌ لاحَ في سَحابَةِ جُودٍ منه ، مازال ذيلُها مَسحُوبا
ورأى البدرَ في دُجاه حميداً ، والحَيا في أوانِه محبوبا
كلما مَدَّتِ الحوادثُ باعاً ، مدَّ للمكرُماتِ باعاً رَحيبا
وإذا خاضَ غَمرةَ الموتِ رَدَّ السْـ ـسَيْفَ من غَمرةِ الدِّماءِ خَضيبا
شِيَمٌ لا تَزالُ تُشجي قلوباً من أعاديه ، أو تَسُرُّ قُلوبا
وخِلالٌ أغَضُّ من زَهْرِ الرَّوْ ضِ كَسَتْهُ الثَّناءَ غَضّاً قَشيبا[1]
فاطْلُبِ المكرُماتِ بالحمدِ منه تَجِدِ الحمدَ عندَه مَطلوبا
يا بنَ فَهدٍ أحلَّني جُودُ كَفَّيْـ ـكَ مَحَلّاً رَحبَ الجَنابِ رَحيبا
أنتَ أضحكْتَ لي الزَّمانَ فأبدى الـ ـبِشرَ منه ، وكان يُبْدي القُطوبا
فمتى لم أقُم بشُكْرِكَ في النا سِ خطيباً ، فلا وُقيتُ الخُطوبا

36

وقال يهجو البشري الكاتب : [من الطويل]

لقد طَمِعَ البِشريُّ فيَّ ولم يكنْ لِيَطْمَعَ فيَّ المرءُ ، وهو لبيبُ
خلعتُ عليه من ثنائيَ خِلعةً تَحِنُّ إليها أنفُسٌ وقلوبُ
فقطَّبَ حتى خِلتُ أن قد وَسَمْتُهُ ، وذو اللؤمِ فيه ضُجْرَةٌ وقُطوبُ
وقاسَمَني جودَ الأمير كأنَّما ، له في القوافي السائراتِ نَصيبُ

1 القشيب : الجديد .

37

وقال يهجو علي بن العصب الملحي ، وهو من متأدّبي بغداد وكان دعا السّريّ يوماً شديد الحرّ إلى غرفته ، فأطعمه وسقاه نبيذ الدبس طريّاً وماءً من بئر كرخايا : [من الطويل]

أرى الشاعرَ المِلحيَّ راحَ بنا صَبًّا ، نباغضُه عَمْداً ، فيوسِعُنا حبًّا

دعانا ليستَوفي الثناءَ ، فأظلمَتْ خلائقُ تستوفي لِصَاحِبِها السبًّا

تيمَّمَ كَرخايا ، فجاد قَليبُها عليه ، وما شُربٌ القليبِ لنا شُربا[1]

وأحضَرَنا محبوسةً طولَ ليلِها ، معذَّبةً بالنارِ مُسْعَرةً كَرْبا

تحتَّتَ من رَطْبِ الذُّؤابَةِ لحمُها ، ومن يابسِ الحَبِّ الثقيلِ لها الحُبَّا[2]

وساهرَها ليلاً يُضيِّقُ سِجنَها ، فلما أضاءَ الصُّبحُ أوسَعَها ضَرْبا

إذا مسحَتْها الرِّيحُ راحتْ كأنما تُمسِّحُ موتَى كشَّفَتْ عنهمُ التُّربا

وداذنةٍ تنهَى الصَّباحَ ، إذا بدا وتُفسِدُ أنفاسَ النَّسيمِ ، إذا هَبَّا[3]

شَرابٌ يُفضُّ الطينُ عنه ، إذا بدا ثلاثةَ أيامٍ ، وقد شَبَّ ، لا شبَّا

يُمدُّ بأطرافِ النهارِ ، وما افترى ، ولا كانَ خِدْناً للزُّناةِ ولا تِربا

فلما تراءتْ للجميعِ حبالُنا ، عجبتُ لمضروبَيْنِ لا جَنَيَا ذَنبا

38

وقال يمدح القاضي أبا الحصين علي بن عبد الملك الرقّي وأنشده إياها بحلب : [من الوافر]

تَناهى ، فاطمأَنَّ إلى العِتابِ ، وأحسنَ للعواذلِ في الخِطابِ

---

1 كرخايا : موضع قرب بغداد . القليب : البئر .

2 الحُب : الخابية ، والأرجح أن الكلمة هي : حُبَّة قُلِبت التاء فيها ألفاً ، والحُبَّة : البزرة .

3 قوله : داذنة : لم نجد هذه اللفظة .

وسارَ جَنِيبَ غُصْنٍ غيرِ رَطْبٍ ، وكان جنيبَ أغصانٍ رِطابِ
خلَتْ منه ميادينُ التَّصابي ، وعُرِّيَ منه أفراسُ الشَّبابِ
وزهَّدَه خِضابُ الناسِ لمَّا تولَّى عنه في زُورِ الخِضابِ
وردَّ كؤوسَه في الحَلْيِ تُجلَى ، وكان يَردُّها عُطْلَ الرِّقابِ
وأيقنَ أنـه ظِفـرُ اللَّيـالي تبيَّنَ في شَبا ظِفْرٍ ونابِ
وإن غادرْتَ مِصباحاً ضئيلاً ، فقد ساوَرْنَ أثقبَ من شِهابِ[1]
رأيتُ رِداءَه عِبئاً عليه ، وسهلَ طريقِه حَزْنَ الشِّعابِ[2]
كأن لم يُغْنِ فتيانَ العوالي بنَجدَتِه ، وفتيانَ التَّصابي
ولم يَعْدِلْ صفاءَ العيشِ فيهم ، وبعضُهُمُ قَذاةٌ في شَرابِ
ورُبَّ مُعَصْفراتِ القُمْصِ طافَتْ عليه بها مُعَصفرةُ النِّقابِ
وألفاظٍ له عَذُبَتْ ، فأغنَتْ غِناءَ الرَّاحِ بالنُّطَفِ العِذابِ[3]
يكرِّرُها على راووقِ فِكْرٍ ، فيبعثُها كرَقـراقِ السَّرابِ
وخَرْقٍ طال فيه السَّيرُ حتى حَسِبناه يسيرُ مع الرِّكابِ[4]
صَحِبْنا فيه تَرْحاتِ التَّنائي ، على ثِقَةٍ بِفَرْحاتِ الإيابِ
إلى الخِرقِ الذي يَلْقى الأماني ، رحيبَ الصَّدْرِ منه والرِّحابِ
لقد أضحَتْ خِلالُ أبي حُصَيْنٍ ، حصوناً في المُلِمَّاتِ الصِّعابِ
كساني ظِلَّ نائِلِه ، وآوى غرائبَ مَنطِقي بعدَ اغترابِ
فكنتُ كروضَةٍ سُقِيت سَحاباً ، فأثنتْ بالنَّسيمِ على السَّحابِ
عَطاءٌ يَستَهِلُّ البِشرُ فيه ، فيبعثُه انسكاباً في التهابِ

---

1 ساوره : وَاثَبَه .

2 الحَزْن : ما غَلُظَ من الأرض وقلَّما يكون إلا مرتفعاً .

3 النُّطَف ، مفردها نُطْفَة : الماءُ الصافي قلّ أو كثر .

4 الخرق بالفتح : القفر ، وبالكسر : الكريم السخي .

كما سارَتْ مؤلَّفَةُ الهَوادي ، بلَمْعِ البرقِ مُذهَبَةَ الرَّبابِ[1]
تَجرَّدَ للجِهادِ ، فكان عَضباً حديدَ الحَدِّ فيه غيرَ نابِي
ينازلُ مُصلَتاً من كلِّ أوبٍ ، ويدخُلُ مُعلَماً من كلِّ بابِ
وأشيبَ عاينَ العلياءَ طِفْلاً ، فقارعَ قبل تقريعِ العِتابِ
وحرَّمَ مِسْمَعَيْهِ على المَلاهي ، وهُدَّابَ الإزارِ على التُّرابِ
يروعُكَ ، وهو مصقولُ السَّجايا ، إذا ما هَزَّ مصقولَ الذُّبابِ
وقد شَغَلَتْ كعوبُ الرمحِ منه يَديهِ عن مُلامَسَةِ الكِعابِ
وخفَّ عليه ثِقْلُ الدِّرعِ حتى كأنَّ دروعَه سَرَقُ الثِّيابِ[2]
وكم خرَقَ الحِجابَ إلى مَقامٍ توارَى الشَّمسُ فيه بالحِجابِ
إذا شُنَّتْ به الغاراتُ كانت نفوسُ المُعلَمينَ من النِّهابِ
كأنَّ سيوفَه بينَ العوالي جداولُ يطَّرِدْنَ خِلالَ غابِ
وخَيْلٍ قادَها في جِنْحِ ليلٍ ، تَطيرُ بِوَطْئِها نارَ الضِّرابِ
إذا مرَقَتْ من الظَّلماءِ أذكَتْ على المُرَّاقِ ثائرةَ العَذابِ[3]
وقِرْنٍ شامَ صفحتَه ، فعادَى صفيحةَ سيفِهِ عندَ الضِّرابِ
وقد وضَحَتْ سطورُ البِيضِ فيه ، كما وَضَحتْ سطورٌ في كِتابِ
مناقبُ تملأُ الحُسَّادَ غَيْظاً ، وتُغْني الطَّالبينَ عن الطِّلابِ
وحُكمٌ يَفْرُقُ الأعداءُ منه كأنك فيه فاروقُ الصَّحَابي[4]
يَوَدُّكَ فيه مَنْ تَقضي عليه ، لشافي الحُكمِ أو كافي الصَّوابِ
إليكَ زَفَفتُها عذراءَ تأوي حِجابَ القلبِ لا حُجُبَ النِّقابِ

---

1 الرباب : الغيم .

2 السرق ، مفردها سَرَقَة : الشقة من الحرير .

3 المرّاق : الخوارج ، مفردها مارق .

4 فاروق : هو عمر بن الخطاب .

أذَبْتُ لِصَوْغِها ذَهَبَ القوافي ، فأَدَّتْ رونقَ الذَّهَبِ المُذابِ
تهاداها الملوكُ كما تَهادَتْ أكفُّ البيضِ منظومَ السِّخابِ[1]
تروقُك ، وهي ناجمةُ المعاني ، كما راقَتْكَ نَاجِمَةُ الحَبابِ

39

وقال يمدح أبا تغلب الغضنفر ابن ناصر الدولة ويصف قصره وبستانه والدولاب : [من البسيط]

حسبُ الأميرِ سماحٌ وَطَّدَ الحَسَبا ، ورُتبةٌ في المعالي فاتَتِ الرُّتَبا
أعطَى فقالَ العُفاةُ النازلون به : أنائلاً أنشأَتْ كفَّاه أم سُحُبا
أغرُّ لا يتحامَى قِرنَه أبداً ، حتى يرُدَّ غِرارَ السيفِ مُختَضِبا[2]
كاللَّيثِ لا يسلُبُ الأعداءَ بَزَّهُمُ في الرَّوْعِ لكن ترى أرواحَهم سَلَبا
لا يعرفُ الغَدرَ ما ضُمَّتْ جوانِحُه على الوفاءِ ، ولا يُبْقي إذا وَثَبا
أمَّا عَدِيٌّ ، فقد عدَّتْه سَيِّدَها ، نجابةً ، وهي تُدْعى السادةَ النُّجُبا
أُسْدٌ ، إذا حاولتْ أرضَ العِدا حملَتْ على الكواهلِ غاباً لِلْقَنا أَشِبا[3]
لما همَمْتَ بآثارٍ مجدَّدَةٍ حدوْتَ للحاسِدِ الأحزانَ والكُرَبا
أنشأْتَه منزلاً في قلبِ دجلةَ لا تمتاحُ جَنَّتُه الغُدرانَ والقُلُبا[4]
صفا الهواءُ به والماءُ فاشتبَها ، كأنَّ بينهما من رِقَّةٍ نَسَبا
وأصبحَ الغيثُ مخلوعَ العِذارِ بهِ ، فليسَ يَخلعُ أبرادَ الحَيا القُشُبا
فَمِنْ جِنانٍ تُريكَ النَّوْرَ مُبتَسِماً في غير إبَّانِه ، والماءَ مُنسَكِبا[5]

---

1 السِّخاب : قلادة من قرنفل ونحوه ليس فيها لؤلؤ ولا جوهر .
2 القِرْن : الكُفْؤ والنظير في الشجاعة وغيرها .
3 الأَشِب : الملتفّ الأشجار .
4 القُلُب ، مفردها قليب : البئر .
5 النَّور : الزَّهر الأبيض .

ومن سَواقٍ على خضراءَ تَحسَبُها مُخضرَّةَ البُسْطِ سَلُّوا فوقَها القُضُبا

كأَنَّ دُولابَها ، إذ حَنَّ ، مُغتَرِبٌ ، نأى ، فَحَنَّ إلى أوطانِه طَرَبا[1]

باكٍ ، إذا عَقَّ زَهْرُ الرَّوْضِ والدَه من الغَمامِ ، غدا فيه أباً حَدِبا[2]

مُشَمِّرٌ في مَسيرٍ ليسَ يُبْعِدُهُ عن المحلِّ ، ولا يُهْدي له تَعَبا

مازالَ يطلُبُ رِفْدَ البحرِ مُجتَهِداً للبَرِّ حتى ارتدى النُّوَّارَ والعُشُبا

فالنخلُ من باسقٍ فيه وباسِقَةٍ ، يُضاحِكُ الطَّلْعَ في قُنْوانِهِ الرُّطَبا[3]

أضحَت شماريخُه في الجوِّ مُطلِعَةً إما ثُرَيَّا ، وإمَّا مِعْصَماً خُضِبَا[4]

تريك في الظِّلِّ عِقياناً ، فإن نَظَرَتْ شمسُ النَّهارِ إليها خِلتَها لَـهَبا[5]

والكَرْمُ مُشتَبِكُ الأَفنانِ تُوسِعُنا أجناسُه في تساوي شِرْبِها عَجَبا

فكَرمةٌ قَطَرَت أغصانُها سَبَجاً ؛ وكرمةٌ قطرَت أغصانُها ذَهَبا[6]

كأنَّما الوَرَقُ المُخضَرُّ دونَهما غيرانُ يكسوهُما من سُنْدُسٍ حُجُبا

والماءُ مُطَّرِدٌ فيه ومُنْعَرِجٌ كأنَّما مُلِئَتْ حيَّاتُه رُعُبا

وبركةٌ ليس يُخفي مَوجُ لُجَّتِها من القَذى ما طفَا فيها وما رَسَبا

تُسدي عليها الصَّبا بُرْداً فإن ركَدَتْ رأيتَه دارسَ الأفوافِ مُستَلَبا

قد كُلِّلَتْ بنجومٍ للحَبابِ ضُحًى ، فإن دَجا الليلُ عادَتْ أنجُماً شُهُبا

ترى الإِوزَّ سُروباً في ملاعبِها كما تأمَّلتَ في ديباجَةٍ لَعِبا

---

1 الطرب هنا : الحزن .

2 الحدب : من حدبَ عليه : تعطَّف .

3 الطلع من النخل : ما يبدو من ثمرته في أول ظهورها . القنوان ، مفردها قِنَى : العذق وهو من النخل كالعنقود من العنب . الرطب : ما نضج من البسر قبل أن يصير تمراً .

4 الشَّماريخ ، مفردها شِمْراخ : العذق عليه بسرٌ أو عنب .

5 العِقْيان : الذهب الخالص .

6 السبج : الخرز الأسود ، أراد به العنب الأسود .

يَرِفُّ منه على أمواجِها زَهَرٌ ، أربى على الزَّهْرِ حتى عاد مُكْتَئِبا
مُسَلِّمٌ ، وسباعُ الطَّيرِ حائمةٌ ، يخطَفْن ما طارَ في الآفاقِ أو سَرَبا
كأنما الجارحُ المرهوبُ يَحذَرُه ، فليسَ يُوفي عليه جارحٌ ذَهَبا
وسهمُ فوَّارَةٍ ما ارتدَّ رائدُه حتى أصابَ من العيُّوقِ ما طلَبا
أوفى فَلَمْ تَثْنِهِ حربُ الشَّمالِ ، وقد لاقَتْه ، فاعترَكا في الجوِّ واحترَبا
كأنَّ بركَتَه دِرْعٌ مُضاعَفَةٌ تُقِلُّ رُمحَ لُجَيْنٍ منه مُنتَصِبا
والقصرُ يَبسِمُ في وَجهِ الضُّحى ، فترَى وجهَ الضُّحى عندما أبدى لنا شَحَبا
يبيتُ أعلاهُ بالجوزاءِ مُنتَطِقاً ، ويَغتدي برداءِ الغَيمِ مُحتَجِبا
تَطَأْمنَ نَحوَهُ الإيوانُ حينَ سَما ذُلّاً فكيف تُضاهي فارسُ العَرَبا[1]
إذا القصورُ إلى أربابِها انتسبَتْ ، أضحى إلى القِمَّةِ العَلياءِ مُنتَسِبا
فَصِلْه لا وَصَلَتْكَ الحادثاتُ ، ولا زالَتْ سُعُودُك فيه تُنْفِدُ الحِقَبا[2]
بَرٌّ وبحرٌ وكُثبانٌ مُدَبَّجةٌ ترى النفوسُ الأماني بينها كَثَبا[3]
ومنزِلٌ لا تزالُ الدَّهرَ ، عَقوتُه جديدةَ الرَّوْضِ جَدَّ الغيثُ أو لَعِبا
حصباؤه لؤلؤٌ نَثْرٌ ، وتُربَتُه مِسكٌ ذكيٌّ ، فلو لم تَحمِهِ انتُهِبا
وكلُّ ناحيةٍ منه زَبَرْجَدَةٌ ، أجرى اللُّجَيْنُ عليها جدولاً سَرِبا
فإنْ دعاكَ إليه ذِكْرُ مأدُبَةٍ ، فما نَشَأْتَ ، وفيها للعُلى ، أدَبا
وإن دعاكَ له ظِلٌّ فربَّ وَغىً جعلْتَ ظِلَّكَ منها السُّمرَ والعَذَبا
لا تُكَذِبَنِّي فإني في مدائحِكم مُصَدَّقُ القَوْلِ ، لا أستحسِنُ الكَذِبا
مَنْ رامَ في الشِّعرِ شأوي كَلَّ عنه ، ومَنْ ناوَى أبا تغلِب في سُؤدُدٍ غُلِبا

---

1 تَطَأْمَنَ : انخفض .
2 تُنْفِد : تُفني .
3 الكَثَب : القُرْب .

40

وقال أيضاً يعزّيه عن والدته ويتظلم من الخالديين[1] ويذكر إغارتهما على شعره : [من الطويل]

نسالمُ هذا الدهرَ ، وهو لنا حَرْبُ ، ونعتُبُ ، والأيامُ شيمَتُها العَتْبُ
ونَخطُبُ صُلحَ النَّائباتِ ، ولم يزَل لأنفسِنا من خَطْبِها أبداً خَطْبُ
تَهُمُّ بنا أفراسُها وسيوفُها ، فلا هذه تَكبو ، ولا هذه تَنبو
وكنا نعُدُّ المَشرفِيَّةَ والقَنا حصوناً ، إذا هزّت مضاربَها الحربُ
فلما مَضى المِقدارُ قلَّ غناؤها ، فلم يمضِ حَدٌّ من ظُباها ، ولا غَرْبُ
تبلَّدَ هذا الدهرُ فيما نرومُه ، على أنَّه ، فيما نحاذرُه نَدْبُ
فسَيْرُ الذي يرجوه سَيْرُ مُقيَّدٍ ، وسيرُ الذي يَخشى غوائلَه وَثْبُ
إذا فاجأتْنا الحادثاتُ بمصرَعٍ ، فليس سِوى الجَنْبِ الكريمِ لنا جَنْبُ
فعَزِّ الأميرَ التَّغلِبيَّ ورهطَه ، بمن غَرَبَتْ عنه الغَطارفَةُ الغُلْبُ[2]
بسيِّدَةٍ عمَّت صَنائِعُها الوَرَى ، فأعربَ عن معروفِها العُجْمُ والعُرْبُ
ومُشرِفَةِ الأفعالِ لم يَحوِ مثلَها ، إذا عُدِّدَ النِّسوانُ ، شرقٌ ولا غَربُ
تَساوَتْ قلوبُ الناسِ في الحُزْنِ ، إذ ثَوَتْ كأنَّ قلوبَ الناسِ في موتِها قَلْبُ
وكانَتْ سهولُ الأرضِ دونَ هِضابِها ، فلما حَواها السَّهلُ ذَلَّ له الصَّعبُ
فإن كانَ ، فيمن غَيَّبَ التُّرْبُ ، تِربُها فمريمُ ، من دونِ النساءِ ، لها تِربُ
وطُوبى لماءِ المُزنِ لو أنَّ ظهرَها لرَيِّقِه ما فاضَ رَيِّقُه السَّكْبُ[3]

---

1 الخالديّان : هما الشاعران أبو بكر محمد بن هاشم وأبو عثمان سعيد بن هاشم .

2 الغطارفة ، مفردها غِطْرِيف : السيِّد ؛ السريّ .

3 طوبى : غبطة وسرور .

وأقسِمُ لو زادَتْ على المِسكِ تُربةٌ ... لزادَ على المِسكِ الذكيِّ بها التُّربُ

فضائلُ يُنفِدنَ الثَّناءَ كأنما ... ثَناءُ ذواتِ الفضلِ من حُسنِها ثَلْبُ[1]

لقد جاورَت من قومِ يُونُسَ مَعْشراً ... أحبَّت بروحٍ لا يجاورُه كَرْبُ

فقد بردَت تلك المضاجعُ منهم ، ... فأشرقَ ذاك النُّورُ فيها فما يخبو

فللهِ ما ضَمَّ الثَّرى من عَفافِها ، ... وما حَجَبَتْها من طهارتِها الحُجُبُ

لَئِن كان وادي الحُصنِ رحباً لقد ثوى ... بعَرصَتِه المعروفُ والنائلُ الرَّحبُ

وإن عَذُبَتْ ريَّاه ، أو طابَ نَشرُه ، ... فقد مَلَّ في بطحائها الكرَمُ العَذْبُ

عَجِبْتُ له أنّى تضمَّنَ مثلَها ، ... ولا كِبْرٌ يَعروه ذاك ، ولا عُجْبُ

ولو عَلِمَت بطحاؤه ما تضمَّنَت ... تطاولَتِ البطحاءُ وافتخرَ الشِّعبُ

تُذالُ مصوناتُ الدموعِ إزاءَها ، ... وتَمشي حُفاةً حولَها الرَّجْلُ والرَّكْبُ

فلا زالَ رَطْبُ الرَّوضِ من ريِّقِ النَّدى ، ... كأنَّ النَّدى من فوقِه اللُّؤلُؤُ الرَّطْبُ

أبا تغلِبٌ صبراً ، ومازلتَ صابراً ، ... إذا زَلَّ حَزمٌ ثابتٌ ، أو هَفا لُبُّ

فقد أعقبَتْ منكم أُسودَ شجاعةٍ ، ... وكم مُعقِبٍ في الناسِ ليسَ له عُقْبُ[2]

وأنتم جَنابُ المكرُماتِ ، ولم يكن ... لتهفو رواسيها ، وإن عَظُمَ الخَطْبُ[3]

فكلُّ حياً للجودِ أنتم سَحابُه ؛ ... وكلُّ رحىً للحربِ أنتم لها قُطبُ

ولـو أنـه غيرُ الحِمـامِ صَببتُم ... عليه سَحاباً قَطْرُهُ الطَّعنُ والضَّربُ

أرى أرضَكم أضحتْ سماءً بعزِّكم ، ... فأنتم لها الأقمارُ ، والأنجمُ الشُّهبُ

تموتُ عِداكم قبلَ سَلِّ سيوفِكم ، ... ويَفنيهِمُ من قبلِ حَربِكمُ الرُّعبُ

وكيفَ تنالُ الحربُ منكم ، وإنما ... بأمرِكم تمضي العواملُ والضَّربُ[4]

---

1 الثلب : الشتم والقذف .

2 العقب : العاقبة .

3 الرواسي : الجبال الثوابت الرواسخ .

4 العوامل ، مفردها عامل : صدر الرمح وهو ما يلي سنانه .

إذا أنتَ كاتبتَ العِدا مُثِّلت لها ظُباكَ ، فنابت عن كتائبِك الكُتْبُ
دعانا الأميرُ التغلبيُّ إلى النَّدى ، فنحن له شَرْبُ النَّدى ، وهو الشُّربُ[1]
نصاحبُ أياماً له عَدَوِيَّةً ، محاسنُ أيامِ الشبابِ لها صَحْبُ
هو الغيثُ نال الخافقَين نوالُه إلى أن تساوَى عندَه البُعْدُ والقُرْبُ
يزورُ النَّدى زُوَّارَه متواتراً عليهم ، وزُوّارُ الحَيا أبداً غِبُّ[2]
أأعداءَه كفُّوا فإنَّ نصيبَكم إذا رمتُمُ إدراكَ غايتِه النَّصْبُ[3]
وهل يستوي عذْبُ المياهِ ومِلحُها ، وهل يتكافا الخِصبُ في الأرضِ والجَدبُ
فإن عَجزَ الأقوامُ أو بانَ نقصُهم ، فليس لمن بانَتْ فضيلتُه ذَنبُ
رأيتُكَ طِبّاً للقريضِ ، ولم يكن لِينظِمَه إلا الخبيرُ به الطِّبُّ
ولا بدَّ أن أشكو إليك ظُلامةً ، وغارةَ مِغوارٍ سجيَّتُه الغَصْبُ
تخيَّلَ شِعري أنه قَومُ صالحٍ ، هلاكاً ، وأن الخالديَّ له السَّقْبُ[4]
رعَى بين أعطانٍ له ومَسارحٍ ، ولم تَرْعَ فيهنَّ العِشارُ ولا النُّجبُ[5]
وكان رياضاً غضَّةً ، فتكدَّرَتْ مواردُها واصفرَّ في تُربِها العُشبُ
يُسَاقُ إلى الهُجْنِ المَقَارِفِ حَلْيُهُ ، وَتُسْلَبُهُ الغُرُّ المحجَّلةُ القُبُّ[6]
غُصِبْتُ على ديباجِه وعُقودِه ، فديباجُه غَصبٌ وجوهرُه نَهبُ
وأبكارُها شتَّى أذيلَ مَصونُها ، وريعَت عَذاراها كما رُوِّعَ السِّربُ

---

1 الشَّرْب : الشاربون .
2 الغِبّ : الزيارة المتقطعة ، وهي عكس المتواترة .
3 النَّصْب : التعب .
4 الخالدي : من أدباء بلاط سيف الدولة . السَّقب : ولد الناقة ساعة يولد ، وأيضاً : الغصن الريّان ، الغليظ الطويل .
5 أعطان : مَبَارك الإبل ومرابض الغنم حول الماء .
6 الهُجْنُ : اللئيمة .

يعرِّيكُمُ من عَصبِه وبُرودِه ، عصائبَ شَتَّى لا يَليقُ بها الغَصبُ
فإن رِيعَ سِربي أو تُمرِّدَ دونَه ، ولم يُنجِني منه الحمايةُ والذَّبُّ
فعندي هِناءٌ للعدوِّ يُهينُه ، إذا اختلفتْ منه خلائقُه الجُربُ[1]
فكنتُ ، إذا ما قلتُ شِعْراً حدَت به حُداةُ المطايا أو تغنَّت به الشَّربُ

41

وقال يمدح الأمير أبا العباس أحمد بن نصر بن حمدان : [من البسيط]

شَفاه قُرباً ، وقد أشفَى على العطَبِ ، خَيالُ نائيةٍ حيَّاهُ من كَثَبِ[2]
ألـمَّ يُتحِفُهُ بالوَرْدِ من خَفَرٍ في وجنتَيْهِ ، وبالصَّهباء من شَنَبِ
فباتَ عذبَ الرِّضا والظَّلمِ ليلتَه ، وربما باتَ مُرَّ الظُّلمِ والغَضَبِ
إذا تجلَّى جلا الخدَّينِ في خَفَرٍ ، وإن تثنَّى ثَنى العِطْفَينِ من تَعَبِ
وكيفَ بالجِدِّ منها ، وهي لاعبةٌ ، تُهدي إلى الصبِّ جِدَّ الشوقِ في اللَّعِبِ
تعرَّضَت لِيَ في بيضِ السوالفِ لا يُسلِفنَ وعداً ، ولا يُقْرَفْنَ بالرِّيَبِ
من بارزٍ ، بحِجابِ الصَّونِ مِحتَجِبٍ ، وسافـرٍ بنِقــابِ الـوَرْدِ مُنتَقِبِ
حتى كأنَّ سُجُوفَ الرَّقْمِ ضاحيةً تكشَّفَت عن دُمًى منهن أو لُعَبِ[3]
هلاّ ونحنُ على كُثْبِ اللِّوى اعترَضَت تلك المحاسنُ من قُضُبٍ ومن كُثُبِ
أيامَ لي في الـهَوى العُذريِّ مأرُبةٌ ، وليسَ لي في هوى العُذّالِ من أَرَبِ
سقى الغمامُ رُباهَا دمعَ مُبتَسمٍ ، وكم سقاها التَّصابي دمعَ مُكتَئِبِ
ولو حمَدْتُ بها الأيامَ قلتُ : سقَى ربوعَها أحمدُ المحمودُ في النُّوَبِ

---

1 الهِنَاء : القطران .
2 النائية : أراد الزائرة .
3 الرقم : ضرب مخطط من الوشي والبرود . السُّجُوف ، مفردها سِجْف : ستار مشقوق من الوسط .

سأبعثُ الحمدَ مَوشِيّاً سبابيه إلى الأميرِ صحيحاً غيرَ مُؤتَشِبِ[1]

إنَّ المدائحَ لا تُهدى لناقدِها ، إلا وألفاظُها أصفى من الذَّهَبِ

كم رُضتُ بالفِكْرِ منها روضةً أُنُفاً ، تفتَّحَ الزَّهْرُ منها عن جَنَى الأدبِ

إذا الرجا هَزَّ أرواحَ الكلامِ بها ، أتتك أحسنَ من مُهتزَّةِ القَصَبِ

لَفظٌ يروحُ له الرَّيحانُ مُطَّرِحاً ، إذا جعلناه رَيحاناً على النُّخَبِ[2]

أما تَراه أبا العَبَّاسِ مُعتَرِضاً على السُّها ، ويَدي تجنيهِ من قُرُبِ[3]

خُطَى المكارمِ فردُ الحسنِ مُغترباً ، يلوذُ منه بفَردِ الجودِ مُقترِبِ

مُقسَّمٌ بين نَفْسٍ حُرَّةٍ ويَدٍ ، مقابـــلٌ بينَ أمٍّ بَـــرَّةٍ وأبِ

مِصباحُ خَطبٍ له في كُلِّ مُظلِمَةٍ ، صُبحٌ من العِزِّ أو صبحٌ من الحسَبِ

إذا بلَوْنا عَدِيّاً يومَ عاديةٍ ، كانت ضرائبُها أحلى من الضَّربِ

قَومٌ همُ البيضُ أفعالاً ، إذا اطَّرَدَتْ جداولُ البيضِ في غابِ القَنا الأشِبِ[4]

راحَ الصِّيامُ ، فولَّى عنك مُنقَضِياً ، ورحتَ عنه بأجرٍ غيرِ مُنقضِبِ[5]

فعادَ فِطرُكَ في نَعماءَ سابغةٍ ، وفي سُعودٍ إليها ساقةُ الحِقَبِ[6]

أتاكَ ، والجوُّ يُجلى في مُمَسَّكةٍ ، والأرضُ تختالُ في أبرادِها القُشُبِ

إذا ألحَّ حُسامُ البَرقِ مُؤتَلِقاً في الرَّوضِ جَدَّ خطيبُ الرَّعدِ في الخُطَبِ

فللخمائـــلِ بُسطٌ غيـــرُ زائلـــةٍ ، وللسَّحائبِ ظِلٌّ غيرُ مُستَلَبِ

تَمَلَّها يا ابْنَ نصرٍ ، فهي سيفُ وغىً ، ماضي الظُّبا ، وشِهابٌ ساطعُ اللَّهَبِ

---

1 المؤتشب : المختلط . السبائب ، مفردها سَبيبة : شقة كتّان رقيقة .

2 النُّخب : المنتخبون من الناس .

3 السُّها : نجم ضئيل النور .

4 الأشب : الملتفّ .

5 المنقضب : المنقطع .

6 الساقة : الموكب ؛ مؤخر الجيش .

تَسري ، فتخفُقُ أحشاءُ العدوِّ لها ، كأنها رايةٌ خفّاقةُ العَذَبِ[1]
تكادُ تَبرُقُ لو أن الثناءَ له كتيبةٌ برَقت من قَبلُ في الكُتُبِ
فلو هتَفتَ بها في يومِ مَلحَمةٍ ، قامت مَقامَ القَنا والبِيضِ واليَلَبِ[2]

42

وقال يهجو رجلاً بخيلاً من أهل العراق : [من البسيط]

أَهونْ عليَّ بعَبدِ الله إن غَضِبا فما له عنديَ العُتبَى ، إذا عَتِبا
كَسَوتُه حَبَراتِ المَدحِ مُذهَبَةً ، وقلتُ : قد مُلِئَتْ كَفّي به ذَهَبا
وقد ضربْتُ بسيفٍ مُرهَفٍ فنَبا ، وقد قدحْتُ بزَنْدٍ مُضرَمٍ ، فَخَبا
حتى إذا الإذنُ من نَجواه قرَّبَني ، ورفَّعَ الحاجبُ الأَستارَ والحُجُبا
وقفتُ بين يَدَي نَشوانَ من حُمُقٍ أَصُبُّ في أُذْنَيه الزُّورَ والكَذِبا
إذا وعَى المدحَ لم يطرَبْ لبهجتِه ، وإن تصافَعَ قَومٌ عندَه طَرِبا

43

وقال : [من الوافر]

هيَ الدنيا ، وزينتُها الشَّبابُ ، وفي اللذّاتِ بعدَهما ارتيابُ
فلا تذهَبْ بك الأطماعُ ، وأَذهِبْ كؤوسَكَ لي ، فقد حانَ الذَّهابُ[3]
نَزَلْنا منزِلاً من سُرَّمَرَّى ، به اللذّاتُ صافيــةٌ عِذابُ
حديثٌ كابتسامِ الرَّوْضِ جادَتْ عليه بفيضِ أَدْمُعِها السَّحابُ
وأقداحٌ تَفوتُ المِسكَ طيباً ، ويَكمَدُ عندَها الذَّهَبُ المُذابُ[4]

---

1 العَذَب ، مفردها عَذَبة : الطرف من كل شيء .
2 اليَلَب : التروس أو الدروع .
3 أَذْهِبْ كؤوسك : اجعلها مُذَهَّبة .
4 يَكْمَد : يتغيّر لونه . تفوت : تجاوز .

إذا ما الرَّاحُ والأُترُجُّ لاحا لعينِك قلتَ : أيـُّهما الشَّرابُ[1]

44

وقال : [من المتقارب]

هَفا طَرَباً في أوانِ الطَّرَبْ ، فَـأَنْـخَبَ أقداحَه بالنُّخَبْ[2]
وغنَّى ارتياحاً إلى عارضٍ يغنّي ، وعَبرتُه تَنسَكِبْ
غيومٌ تُمَسِّكُ أُفقَ السَّما ، وبَرقٌ يُكتِّـبُها بالذَّهَب
وخضراءُ تَنثُرُ فيها الصَّبا ، فريدَ ندىً ما لَه' من ثُقَب
فأنوارُها مثلُ نظمِ الحِلَى ، وأنهارُها مثلُ بِيضِ القُضُب[3]
شَهِدْتُ بها في نَدامَى سلَوا عن الجِدِّ واستهتَروا باللَّعِب
وأغناهمُ عن بديعِ السَّماع بدائعُ ما ضُمِّنَتْهُ الكُتُب
وأحسنُ شيءٍ َربيعُ الحَيا أُضيفَ إليه ربيعُ الأدَب

45

وقال يصف دولاباً : [من الكامل]

الماءُ يَلعَبُ كالأراقمِ مَوجُه ، والسُّفْنُ بالأذنابِ فيه عَقارِبُ[4]
والصَّوتُ من دُولابِ كلِّ متوَّجٍ أطفالُ زَنْجٍ للرَّضاعِ نَوادِبُ
فانظُرْ إليه كأنه ، وكأنما كِـيزانُهُ ، والماءُ منها ساكِبُ[5]
فَلَكٌ يدورُ بأنجمٍ جُعِلَت له كالعِقدِ ، فهي شَوارِقٌ وغَوارِبُ

---

1 الأُتـْرُج ، مفردها أُتـْرُجَّة : شجر من جنس الليمون تسميه العامة الكبَّاد .
2 النُّخَب ، مفردها نخبة : الشربة العظيمة ، ويريد أنه تخيَّر لأقداحه أفضل الشراب .
3 القُضُب ، مفردها قضيب : السيف القطَّاع .
4 الأراقم ، مفردها أرقم : الحية .
5 الكيزان : جمع كوز .

46

وقال يصف شمعاً أُهديَ إليه : [من مجزوء الكامل]

جاءتْ هديَّتُكَ التي هي شمسُنا بعدَ الغياب
حلَّيْتَ أفْقَ مَحلِّنـا منها بنَجْمٍ أو شِهاب
بسَليلَةِ النَّحـلِ الكَريـ ـمِ ، شقيقةِ النُّطَفِ العِذاب[1]
صُفرِ الجُسومِ ، كأنما صِيغَتْ من الذَّهَبِ المُذاب
فكأنَّ مـاءَ الحُسنِ ، إذ شَرَقَتْ به ، ماءُ الشَّباب
فإذا ذَكَتْ نيرانُها ليلاً ، وجَدَّت في التهاب
أنساكَ طِيبُ دُخانِها طِيبَ العبيرِ ، أو المَلاب[2]
وإذا عرَتْهـا مَرْضَـةٌ ، فَشِفَاؤُهـا ضَربُ الرِّقاب
تَثني الدُّجى عن لونِه ، فيعودُ مُبْيَضَّ الحِجاب
لولا غرائـبُ فِعلِهـا لاَرْتَدَّ في لونِ الغُراب

47

وقال أيضاً وكان سمع أن الخالديَّين يُريدان الرجوعَ إلى بغداد ، قبل وفاةِ الوزير المهلبي ، يهجوهما ويذكر إغارتهما على شعره ، وخاطب فيها أبا الخطاب المفضَّل بن ثابت الضبيّ الكاتب ، وهو صديقُهما ، ويعرِّضُ برجلٍ من الكتَّاب يتعصَّب لهما عليه : [من الكامل]

بكَرَت عليك مُغيرةُ الأعرابِ ، فاحفَظْ ثيابَك ، يا أبا الخطَّابِ

---

1 النُّطَف : الماء الصافي .

2 الملاب : طيب يشبه الزعفران .

وَرَدَ العراقَ رَبيعَةُ بنُ مُكَدَّمٍ ، وعُتيبَةُ بنُ الحارثِ بنِ شِهابِ
أَفَعِنْدَنا شَكٌّ بأنهما هما في الفَتْكِ لا في صِحَّةِ الأنسابِ
جلَبا إليكَ الشِّعْرَ من أوطانِه ، جَلْبَ التِّجارِ طرائفَ الأجلابِ
فبدائعُ الشُّعراءِ فيما جَهَّزا مقرونةٌ بغَرائبِ الكُتّابِ
تبّاً لقومٍ لا تَزالُ حُلومُهم وعقولُهم في ضِلَّةٍ وتَبابِ[1]
لهما من الحَظِّ الصَّوارمُ والقَنا ؛ ومن الطُّروسِ نفيسةُ الأسلابِ[2]
شَنَّا على الآدابِ أقبحَ غارةٍ ، جَرحَتْ قلوبَ محاسنِ الآدابِ
فحَذارِ من حركاتِ صِلِّي قَفرةٍ ، وحَذارِ من حَركاتِ لَيْثَيْ غابِ
لا يسلُبانِ أخا الثَّراءِ ، وإنما يتناهبانِ نتائجَ الألبابِ
إنْ عَزَّ موجودُ الكلامِ عليهما ، فأنا الذي وقفَ الكلامُ ببابي
أو يَهبُطا من ذَلَّةٍ ، فأنا الذي ضُرِبَتْ على الشَّرَفِ المُطِلِّ قبابي
كَم حاولا أَمَدِي فطالَ عليهما أن يُدرِكا إلاّ مثارَ تُرابي
عَجْزاً ولم تقِفِ العبيدُ ، إذا جرَتْ يومَ الرِّهانِ ، مواقفَ الأربابِ
ولقد حَمَيْتُ الشِّعْرَ ، وهو لِمَعشَرٍ رِمَمٍ ، سوى الأسماءِ والألقابِ[3]
وضربْتُ عنه المُدَّعينَ ، وإنما عن صُورَةِ الآدابِ كان ضِرابي
فغدَت نَبيطُ الخالديةِ تَدَّعي شِعري وتَرفُلُ في حَبيرِ ثيابي[4]
أشياخُ عُمْرِ الزَّعفرانِ تراهُمُ حولَ الصليبِ حَوانيَ الأَصلابِ[5]
نَزَلُوا ذَرَمَّةَ بين غَضٍّ نواظرٍ ، لم تَسْمُ مُذْ خُلِقَتْ وذُلٍّ رِقابِ[6]

---

1 التباب : الهلاك .

2 الطروس ، مفردها طِرْس : الصحيفة .

3 الرّمم ، مفردها رمة : ما بلي من العظام .

4 الحبير : الثياب الجديدة ، البُرد الموشّى .

5 عُمْر : صومعة الراهب . الزعفران : دير مشهور .

6 ذرمّة : بلدة .

وَطَنَ المُحرَّمَةِ الجسومِ نجاسةً ، … في خيرِ صُحفٍ نُزِّلَتْ وكِتابِ

من كلِّ أشقرَ باحثٍ خُرطُومُه … عن رِزقِه ، فتراه في إكْتابِ[1]

خُزرِ العُيونِ خفِيَّةٍ أصواتُها … تُكسي الرؤوسَ شوائلَ الأذنابِ[2]

يحمي جَوانبَ سَرْحِها إيرادُها ، … فيبيتُ عنها مُشْرَعَ الأنيابِ

رُعِيَتْ لشيخِ الخالديةِ بُرهةً ، … بل كان يَرعاها على الأحقابِ

أسعيدُ ! إنَّك لو بَصُرْتَ بهاشمٍ … في العُمرِ غيرَ مُبجَّلِ الأصحابِ

مَحْضَ المَذَلَّةِ ، راكباً عُكَّازَهُ ، … رَثَّ المعيشةِ شاحبَ الجِلبابِ

لحلفْتَ أنَّكَ لا تُطيلُ عِمامةً … مصقولةَ العَذَباتِ والأهدابِ

نفقُوا بآلاتِ الخَنا وتوهَّمُوا … أنَّ الزَّمانَ جَرى بهم وكَبَا بي[3]

قَومٌ ، إذا قَصَدُوا الملوكَ لمطلَبٍ ، … نُفِضَتْ عمائمُهُم على الأبوابِ

من كلِّ كَهْلٍ يستطيرُ سِبالُه ، … لَوْنَيْنِ بينَ أنامـلِ البَوَّابِ

مُغْضٍ على ذُلِّ الحِجابِ يَرُدُّه ، … دامي الجبينِ ، تَجهُّمُ الحُجَّابِ

ومُفَهَّهَيْنِ تعرَّضا لِحِرابَتي ، … فتعرَّضَتْ لهما صدورُ حِرابي[4]

نَظَرا إلى شِعري يروقُ فتَرَّبا … منه خُدودَ كواعبٍ أترابِ

شرباه ، فاعترفا له بعُذوبَةٍ ، … ولرُبَّ عَذْبٍ عادَ سَوطَ عَذابِ

في غارةٍ لم تَنْثَلِمْ فيها الظُّبا … ضَرْباً ، ولم تَنْدَ القَنا بخِضابِ

تركَتْ غرائبَ مَنْطِقي في غُربَةٍ … مَسبِيَّةً لا تَهْتَدي لإيابِ

جَرحى وما ضُرِبَتْ بحَدِّ مُهَنَّدٍ ، … أسرَى وما حُمِلَتْ على الأقتابِ

1 إكتاب : لعلّها مخففة عن اكتئاب : حزن .

2 الشوائل ، مفردها شائلة : الناقة التي ترفع ذَنَبها للّقاح ولا لبن لها أصلاً .

3 نَفَقَ البيعُ : راج ورُغِبَ فيه ، ويريد أن تجارتهم بالكلام الفاحش رائجة . الخنى : الفحش في الكلام .

4 المفهَّه : العيـيّ .

لَفْظٌ صقلْتُ متونَه ، فكأنَّه ... في مُشرقاتِ النَّظْمِ دُرُّ سِخابِ[1]
وكأنما أجريْتُ في صفَحاتِه ، ... حُرَّ اللُّجَيْنِ ، وخالصَ الزِّرياب[2]
أغربْتُ في تحبيره ، فرُواتُه ... في نُزهَةٍ منه وفي استغرابِ
وقطعتُ فيه شبيبةً لم تَشتغلْ ... عن حُسْنِه بِصَبَاً ولا بتصابي
فإذا ترقرَقَ في الصَّحيفةِ ماؤُه ، ... عَبِقَ النَّسيمُ ، فذاكَ ماءُ شبابي
يُصغي اللبيبُ له فيَقسِمُ لُبَّه ... بين التعجُّبِ منه والإعجابِ
جِدٌّ يَطيرُ شَرارُه ، وفُكاهَةٌ ... تَستعطِفُ الأحبابَ للأحباب[3]
أَعزِزْ عليَّ بأن أرى أشلاءَه ... تَدْمَى بِظِفْرٍ للعدوِّ ونابِ
أَفَنٌ رماه بغارةٍ مأفونةٍ ... باعَتْ ظِباءَ الرُّومِ في الأعراب[4]
أأُخَيَّ قد عزَّيْتَني بحسيبةٍ ... منه ، فعَزٍّ بها ذوي الأحساب[5]
عَزٌّ الأكارِمَ أنها حَسَبُ النَّدى ، ... فاضَتْ أنامِلُهم بغيرِ حِسابِ
هم نافسوا في حَليه وبُرودِه ، ... وَهُمُ أُثيبُوا عنه خيرَ ثَوابِ
وسقَوه محتَفِلَ الحَيا رَيَّانَه ، ... ورأَوا ذُنوباً سقيَه بذناب[6]
إني أحذِّرُ مَنْ يقولُ قصيدةً ... غرّاءَ خِدْنَيْ غارةٍ ونِهاب[7]
ذِئبَينِ إذ نَظَرا إلى سيَّارَةٍ ... بَعَثا لها يوماً كيومِ ذُؤَاب[8]

---

1 السِّخاب : قلادة ليس فيها لؤلؤ ولا جوهر .
2 الزرياب : الذهب .
3 الجدّ : ضد الهزل .
4 الأفن : الضعف في الرأي .
5 الحسيبة : ذات الحسب ، الشريفة الأصل .
6 الذناب : الدلاء ، مفردها ذنوب .
7 الخِدْن : الصاحب .
8 السيّارة : القوم السائرين ، القافلة . يوم ذؤاب : لعله من أيام العرب ، أو أن ذؤاب أحد الفرسان الذين فتكوا في ذلك اليوم .

عِلْجَيْنِ إذ حَنَّ النَّواقِسُ صرَّحا ... بالشَّوقِ أو حَنَّا حَنينَ النَّابِ
شَغَفاً بذي القُربانِ يصدُقُ أنه ... ينشقُّ من نَسَبٍ إليه قُرابِ[1]
ورضىً عن الإنجيلِ يُظْهِرُ فيهما ... غَضَباً على الفُرقانِ والأحزابِ
إني نَبَذْتُ على السَّواءِ إليكما ، ... فتأهَّبا للفادحِ المُنتابِ
نُصِبَتْ مجانيقُ الهجاءِ ، وإن رأتْ ... لكما ضُؤولَةَ مَنصِبٍ ونِصابِ[2]
وإذا نَبذْتُ إلى امرئٍ ميثاقَه ، ... فليَستعِدَّ لسطوتي وعِقابي
حاولتُما جبلاً كأنَّ رِعانَه ... فَوقَ السَّحابِ الغُرِّ غُرُّ سحابِ[3]
فإذا أصابَكما غِضابُ سِهامِها ، ... غَبرتْ مدى الأيامِ غيرَ غِضابِ
وجريتُما في غِرَّةٍ ، فنكصتُما ... من سَوءَةِ العُقبَى على الأعقابِ
ورميتُما المِسكَ الذَكيَّ بِغَيْبَةٍ ، ... وذَكاؤه يُربي على المُغتابِ
فَلَتَلْفَحَنَّكُما سمائمُ مَنطِقي ، ... ولَتُغْرِقَنَّكُما سُيولُ شِعابي
ولَتَسرِيَنَّ مع الجَنوبِ إليكما ... مغموسةً في الشَّرْيِ أو في الصَّابِ[4]
ولَتَطْلُعَنَّ من الفِجاجِ كأنها ... غُرَرُ الجيادِ لواحِقُ الأقرابِ
ولأَضْرِبَنَّكُما على ما خُنْتُما ... بصوارمٍ للشِّعرِ غيرِ نَوَابِي
متواتراتٍ لا تغُبُّكما ، وهل ... للصُّبحِ راعي الليلِ من إغبابِ[5]
تشتقُّ أجبالُ الشَّقيقِ ، فإن سَرَت ... ذاتَ اليمين خطَتْ غِمارَ الزَّابِ[6]
نبلٌ أُغلغِلُ منكما مسمومةً ... بمكامنِ الأحقادِ والأطرابِ[7]

---

1 القُرَاب : القريب .
2 المَنْصِب والنِّصاب : الأصل .
3 الرِّعان ، مفردها رَعْن : أنف الجبل .
4 الشري : الحنظل . الصاب : شجر مرّ .
5 إغباب : تَقَطُّع .
6 الزَّاب : نهر في العراق .
7 مكامن الأحقاد والأطراب : كناية عن القلوب .

فأُريكما الدنيا به مُغبرَّةً ، حتى يُظَنَّ اليومُ يومَ ضَبابِ
فلْتَعْلَما ، إن لم تَهُبَّ عليكما ، أبداً ، نسيمَ جِنايتي وجَنابي
وَلْـيَحْذَرِ الكذّابُ تِربُكُما يداً باتتْ تَحِنُّ إلى طَلَى الكذّابِ[1]
فَلَكَمْ عدوٍّ قد أطلْتُ عَذابَه بِكُلومِ رَيِّقَةِ الكلامِ عِذابِ
وشَّيْتُها قبلَ الحُتوفِ كما ارتدى بالوَشْيِ ظهرُ الحيَّةِ المُنسابِ
لولا أبو الخطَّابِ طالَ تنكُّري للخَطْبِ يظلِمُني ، وساءَ خِطابي
وهَبَتْ شمائلُه الجزيلَ ، وأَبرأَتْ يُمناه من نَدَبِ الزَّمانِ إهابي[2]
وكفاكَ أنَّ الدَّهرَ أَعْتَبَنِي به ، فكَفَيْتُ عَتْبي عندَه وعِتابي

48

وقال يصف يوماً لعب فيه بالفهد بالربض الأعلى ويذكر أحواله فيه ويصف عربة[3] : [من المتقارب]

ألا غَادِها مُخطِئاً ، أو مُصيبا ، وسِرْ نحوَها داعياً أو مجيبا[4]
وخذْ لَهَباً حَرُّه في غدٍ ، إذا الحَرُّ قارنَ يوماً لَهيبا
دعانا الخريفُ إلى مَوْطِنٍ ؛ يفوقُ المواطنَ حُسناً وطِيبا
وقد جُمِعَ الحُسْنُ في روضةٍ ، وفرَّقَ دِجلةُ فيه شُعوبا
وَمُضْطَرِبٍ وشيُ أبرادِه ، يُضاحكُ وَشْيَ النِّجادِ القَشيبا
نُشيِّدُهُ إن نزَلنا ضُحىً ، ونَهدِمُه إن رحلْنا الغُروبا
كأنَّا ارتبَطنا بـهِ نافـراً من الخيلِ يُفرِقُ شخصاً مَهيبا

---

1 الطَّلى : العنق .
2 النَّدب : أثر الجرح .
3 العربة ، مفرد عربات : سفن رواكد كانت في دجلة .
4 غَادِها : بَاكِرْها .

فبِتْنا ، وبات نسيمُ الصَّبا يُدَرِّجُ في جَانبيه الكَتِيبا[1]
يكادُ على ضُعفِ أنفاسِه يُطيرُ على الشَّربِ تلك الشُّروبا
وقد حجبَ الأرضَ ريحانُنا ، فلم يَبْقَ للعينِ منها نَصيبا
كأنَّا على صفحَتيْ لُجَّةٍ ، تُلاقي الشَّمالُ عليها الجَنوبا
فمن طَرَبٍ يستفزُّ النُّهى ؛ ومن أدبٍ يَسترِقُّ القُلوبا[2]
وساقٍ يقابلُ إبريقَه ، كما قابلَ الظَّبيُ ظبياً رَبِيبا
يطوفُ علينا بِشمسيَّةٍ ، يروعُ بها الشمسَ ، حتى تغيبا[3]
وينشرُ صيَّادُنا حولَنا لُباباً من الصيدِ يُرضي اللَّبيبا
سَبابيطَ تُخبِرُ أجسامُها بأنْ قد رَعَيْنَ جَناباً خَصيبا[4]
نَواعمَ لو أنها باشَرَتْ هواءً لأحدثَ فيها نُدوبا
فلولا الدروعُ التي قُدِّرَت لأبدانِها أوشكَتْ أن تَذُوبا
وَتُبْعَثُ للبرِّ وحشيَّةٌ تسوقُ إلى الوحشِ يوماً عَصيبا[5]
مُؤدبةٌ يُرتَضى فعلُها ولم نرَ ليثاً سِواها أُديبا
وتُركيَّةُ الوَجهِ تُبدي لنا إخاءً فصيحاً ووجهاً جَلِيبا[6]
تُعانِقُ إن وثَبتْ صيدَها عناقَ المحبِّ يُلاقي حبيبا
طِراداً صحيحاً وخُلْقاً صَبيحاً ووَثْباً مليحاً وأمراً عَجيبا
فقَد ملَكتْ وُدَّ أربابِها ، فكلٌّ يخافُ عليها شَعوبا[7]

---

1 الكتيب : القربة المشدودة بالوكاء . يدرّج : يُدني .
2 النُّهى : العقول .
3 الشمسيَّة : الخمرة المطبوخة بالشمس .
4 السبابيط : من دوابّ البحر وأراد بها الأسماك .
5 الوحشية : أراد بها كلاب الصيد .
6 التركية : صفة لكلاب الصيد . الجليب : المجلوب .
7 الشَّعُوب : المنية .

وللماءِ من حولِنا ضَجَّةٌ ، إنِ الماءُ كافحَ تلكَ العُروبا[1]
جبالٌ تؤلِّفُها حِكمةٌ ، فتَحبو البحارَ بها لا السُّهوبا
تُقابِلنا في قميصِ الدُّجى ، إذا الأفقُ أصبحَ منه سَليبا
حيازيمُها الدَّهرَ منصوبةً ، تُعانِقُ للماءِ وَفْداً غَريبا
عَجِبْتُ لها شاحباتِ الخدو دِ لم يُذهِبِ السَّرْيُ عنها الشُّحوبا
إذا ما هَمَمْنا بِغِشْيَانِها رَكِبْنا لها وَلَداً أو نسيبا
تُغَنِّي السُّكورُ لنا بينَها ، غناءً نَشُقُّ عليه الجُيوبا[2]
يُجاورُها كلُّ ساعٍ يَرى ، وإن جدَّ في السَّيرِ ، منها قَريبا
خَلِيُّ الفؤادِ ، ولكنَّه يَحِنُّ ، فيُشجي الفُؤادَ الطَّروبا
فيا حبَّذا الديرُ من منزلٍ ، هَصَرْنا به العيشَ غضّاً رطيبا
إذا ما آستَحَمْنا به نزهةً ، حَمَتْنا بدائعُه أن نَخيبا[3]

49

وقال يهجو النامي[4] الجزار : [من الطويل]

أَجزَّارَ بابِ الشَّامِ كيفَ وجدْتَني ، وأنتَ جَزورٌ بين نابي ومِخْلَبي
أراكَ انتهبْتَ الشِّعرَ ، ثم خَبَأْتَهُ ، عن الناسِ فِعلَ الخائفِ المُترقِّبِ
تباعدْتَ عن باقورةِ الشِّعرِ بالمُدى إليه ، فلم تَحْرَجْ ، ولم تَتَحوَّبِ[5]

---

1 العروب : السفن الراكدة .
2 السكور ، مفردها سِكْر : سدّ النهر .
3 استحمنا : طلبنا .
4 النامي : أبو العباس النامي ، أحمد بن محمد المصيصي الشاعر ، كان جزاراً بمدينة حلب .
5 الباقورة : جماعة البقر . المُدَى ، مفردها مِدْية : الشفرة الكبيرة . تحرج : تُذنب .
تتحوّب : تتجنب الإثم .

ولمّا جرى الحُذّاقُ في ضوءِ صُبْحِه ، تَعَثَّرْتَ منه في ضَبابَةِ غَيهَبِ
جريْتَ من الإيجازِ أقربَ مَسلَكٍ ، ومن ذَهَبِ الألفاظِ أحسنَ مذهبِ
وتَزعَمُ أنَّ الشِّعرَ عندكَ أعربَتْ محاسنُه عن ناطقٍ منك مُعرِبِ[1]
فما بالُ شعرِ الناسِ ملءَ عيوننا ، وشعرُك في الأشعارِ عنقاءُ مُغرِبِ

50

وقال يهجو علي بن العصب المِلحي الشاعر ، ويصف مناهدة أهل الريب في منزله : [من الوافر]

سَلِ المِلْحِيَّ كيف رأى عِقابي وكيف ، وقد أبى رأيَ الصَّوابِ
رقاني الهاشميُّ فسَلَّ ضِغْني ، وأغمدَ عنه نائبتي ونابي[2]
وقال : أخو المودَّةِ والتصابي ، وعونُ أخي الصبابةِ والتَّصابي
وشَيخٌ طابَ أخلاقاً فأضحَى أحبَّ إلى الشَّبابِ من الشَّبابِ
له دارٌ ، إذا استخفيتَ فيها ، خَفِيتَ فلم تَنَلْكَ يَدُ الطِّلابِ
طرقناه ، وقِنديلُ الثريَّا يَحُطُّ ، وفارسُ الظَّلْماءِ كابي[3]
فرحَّبَ واستمالَ وقال : حُطَّتْ رحالُكُمُ بأفنيةٍ رِحابِ
وحضَّ على المُناهدةِ النَّدَامى بألفاظٍ مهذَّبةٍ عِذابِ[4]
وقال : تيمَّموا الأبوابَ منها ، فكلٌّ جاء من تِلقاءِ بابِ
فهذا قالَ : ريحانٌ ونَقْلٌ ، وثَلجٌ مثلُ رَقرَقَةِ السَّرابِ[5]

---

1 المُعْرِب : الفصيح .
2 الضِّغْن : الحقد .
3 الكابي : المظلم .
4 المناهدة : اشتراك الجماعة بالسويّة في النفقة .
5 النَّقْل : ما يُتَنَقَّلُ به على الشراب من فستق وتفاح ونحوهما .

وهذا قال : قِدرٌ من طَعامٍ ؛ وهذا قال : دَنٌّ من شَرابِ
وسَمْحُ القومِ مَنْ سَمَحَتْ يَداه بخدٍّ غَريرةٍ بِكْرٍ كَعابِ
فتمَّ لهم بذلك يومُ لَهْوٍ ، غريبِ الحُسْنِ عذْبٍ مُستطابِ
إذا العِبْءُ الثقيلُ توزَّعَتْهُ رقابُ القومِ خفَّ على الرِّقابِ

51

وقال يهجو رجلاً من أهل الشام : [من مجزوء المتقارب]

مَدَحْتُ أَبَا جَعْفَرٍ وَقُلْتُ : شَرِيفُ العَرَبْ
فَأَسْلَمَنِي بُخْلُـــهُ إِلَى خَيْبَةِ المُنْقَلَبْ
وَأَبْدَى عَلَى بَابِهِ تَجَمُّلَ أَهْلِ الأَدَبْ[1]
إِذا قُلْتُ قَدْ جَادَ لِي يَقُولُ قَمِيصي : كَذِبْ

52

وقال يصف كِيزان الفُقّاع[2] : [من الرجز]

جُدْ لي بها للشَّرخِ من نُشَّابِها ، لم تَشْرَبِ السِّنُّ قُوى شَرابِها[3]
فهيَ خِلافُ الرّاحِ ، وانتسابُها في قِدَمِ العُمرِ إلى أحقابِها
دَخِينَةٌ والثلجُ من تُرابِها خضرٌ جرَى الإفرندُ في أثوابِها[4]
فاسودَّتِ الأطواقُ في رِقابِها ، تفوحُ ريًّا المِسكِ في قِرابِها

---

1 التجمُّل : الصبر على المكاره .
2 الفُقّاع : شراب يُتَّخذ من الشعير .
3 نشابها ، مفردها نشبة : العقار . الشرخ : أول الشباب وريعانه .
4 الدخينة : التي أصابها الدخان . الإفرند : جوهر السيف .

ومِسكُها الفائحُ من شَرَابِها ، إذا السيوفُ آنحَزْنَ عن أثوابِها[1]
حيثُ صريعُ الرَّاحِ ، أو يَحيا بها ، وأعقَبَته البِرَّ من عِقابِها
فهي شِفاءُ النفسِ من أوصابِها ، وَكَرْبَةِ المخمورِ والتهابِها
يغنَى بها الساقي الذي يُغْنى بها حُجُبُها في الظِّلِّ من حِجابها
وعَقَدَ الآسَ على قِبابها ، وصانَها عن ذامِها وعابِها[2]
وقامَ يجلوها على خُطَّابها ، كأنما في الرَّحْبِ من رِحابها
لطائماً تنفَحُ في عِيابِها ، فالصائمُ القائمُ من أصحابِها[3]
وشاربُ الخمرةِ من شُرّابِها

53

وقال يمدح الأمير أبا العباس أحمد بن نصر بن حمدان : [من البسيط]

عُوجا على ذاك الكثيبِ من كَثَبْ ، فَكَمْ لنا في رَبْوَتَيْهِ من أَرَبْ
ما عَنَّ للعينِ به سِرْبُ مَهًا ، إلا جرى من جَفنِها دمعٌ سَرَبْ[4]
سِرْنَ ، فقد عُوِّضَ قلبي طَرَباً للحُزنِ من فَرْطِ السرورِ والطَّرَب
واحتجبَتْ في كِلَلِ الرَّقْمِ دمًى ، تَـأنَـقُ أثناءَ الحِجالِ والحُجُبْ[5]
جُدْنَ بأجيادٍ تحلِّيها النَّوى فرائداً من دمعِ عينٍ مُنسَكِبْ[6]

---

1 انحزن : ملن .
2 العاب : العيب .
3 اللطائم ، مفردها لطيمة : المِسْك . العِياب ، مفردها عَيْبَة : ما تُجعل فيه الأشياء كالصندوق .
4 المها ، مفردها مَهَاة : البقرة الوحشية . سَرَبَ : جرى وسال .
5 الكِلل ، مفردها كِلَّة : الستر الرقيق ، ويريد به الهودج . الرَّقْم : ضرب مخطط من الوشي . تأنق : تصبح حسنة المنظر . الحِجَال ، مفردها حَجَلة : الستر .
6 الأجياد ، مفردها جِيد : العُنُق . الفرائد ، مفردها فريدة : الجوهرة النفيسة .

صواعدُ الأنفاسِ أَبْقَتْ نَفَساً في صُعُدٍ منا ودمعاً في صَبَبْ[1]
ومُخطَفٍ يهتزُّ من ماءِ الصِّبا ، كأنما يهتزُّ عن ماءِ العِنَبْ[2]
قامَ وسُوقُ اللَّهوِ قد قامَ به ، يَنخُبُ أقداحَ النَّدامى بالنُّخَبْ[3]
ويمزُجُ الكأسَ بعَذْبٍ ريقُه ، حتى تبدَّى الصُّبحُ مُبيضَّ العَذَبْ[4]
وَجْدِي به وَجْدُ الأميرِ أحمدٍ بجَمْعِ حَمْدٍ ، أو بتفريقِ نَشَبْ[5]
أغرُّ رَدَّ الجُودَ وَعْداً صادقاً من بعدِ ما كان غُروراً وكَذِبْ
يستمطرُ البِيضَ دماً ، وتارةً يُمْطِرُ راجيه ذِهاباً من ذَهَبْ[6]
كالعارضِ انهلَّ رَواءً ديمةً ، وبَرقُهُ بادي الحريقِ مُلتهِبْ
مُغرىً بسمرِ الخَطِّ لا سُمْرِ المَها ، بأساً ، وبِيضِ الهِندِ لا بِيضِ العَرَبْ
يُريه أعلى الرأيِ حَزْمٌ كامنٌ فيه كُمونَ الموتِ في حَدِّ القُضُبْ
حَسْبُ بني حمدانَ مجْداً أنهم أبناءُ محمودِ السَّماحِ والحَسَبْ
أُسْدٌ إذا ما سلَبَت أُسْدَ الوَغى أنفسَها ، عافَت نَفيساتِ السَّلَبْ
كم حاسدٍ رَحْبِ الفِناءِ ضَيَّقَتْ عليه أسيافُ الأميرِ ما رَحُبْ
وحامدٍ يسحَبُ ذيلَ نِعمَةٍ أعمَّ من ذيلِ السَّحابِ المُنسَحِبْ
حنَّ إلى أرضِ العِراقِ فامتطَى مطيَّةً تسبَحُ في اللُّجِّ اللَّجِبْ[7]
ناجيةً تَرجو النَّجاةَ تارةً بِسَيْرِها ، وتارةً تخشى العَطَبْ

---

1 الصُّعُد : المشقة .

2 مخطف الخصر : ضامره .

3 النُّخَب ، مفردها نُخَبَة : المختار من كل شيء ويريد به الخمر . أي يتخيّر لأقداح الندامى أفضل الشراب .

4 العَذَب : الأطراف .

5 النَّشَب : المال .

6 الذهاب ، مفردها ذِهْبة : المطرة .

7 اللَّجِب : البحر الشديد الموج .

إذا المطايا قَوَّمَتْ رؤوسَها لتهتدي قَوَّمَ هاديها الذَّنَبْ
ركائبٌ إن عرَّستْ لم تسترحْ ، وإن سرَت لم تشكُ إفراطَ التَّعَب[1]
كأنما في الماء ظمآنٌ ، فلا ينقَعُ رقراقُ السَّرابِ المُنسرب[2]
كأنما نَحُلُّ منها أوطُناً ، ونحْنُ للسيرِ الحثيثِ في دَأَب
ولم يزُرْ بغدادَ حتى إنَّها بحرُ ندىً يحيا به روضُ الأدب
كأنَّنا ، لما بدَتْ رِباعُها ، أسْرَى أحسُّوا بفِكاكٍ مُقترِب
عُدْنا بمُبْيضٍّ الصِّلاتِ في الرِّضا منه ومُحمَرِّ الظُّباةِ في الغضَب
أثْرى من المجدِ ، فأبقى سعيُه مآثراً تبقَى على مَرِّ الحِقَب
فراحَ راجيه ، وقد نالَ المُنى بنائلٍ فلَّلَ أنيابَ النُّوَب
وراح من وشْي الثَّناء كاسياً ، يخطِرُ في أَثناء أبرادٍ قُشُب

54

وقال يمدح أبا الفوارس سلامة بن فهد ويعرّض بالخالديين وكانا مدحاه بقصيدة ثم قلباها في غيره : [من المتقارب]

يُعنفُني أنْ أطَلْتُ النَّحيبَا ، وأسكُبُ للبَيْنِ دمعاً سَكوبا
وَأَدْنَى المُحبِّين مِنْ نحبه مُحِبٌّ بكى يومَ بَيْنٍ حَبيبا
دعا دمعَه ، ودعَتْ دمعَها ، فبلَّلَ منها ومنه الجُيوبا
فتاةٌ رمتْه بِسَهْمِ الجفونِ ، ومدَّت إليه بَناناً خَضيبا
فعاينَ منهم غزالاً رَبيباً ، وبَدراً مُنيراً ، وغُصْناً رَطيبا
وعَهْدي بها لا تُديمُ الصدودَ ، ولا تتجنَّى عليَّ الذُّنوبا

---

1 عَرَّس : توقف عن السير للاستراحة .
2 يَنْقَع : يرتوي .

لياليَ لا وَصلُنا خِلسةً   نراقبُ للخوفِ فيها الرَّقيبا
ولا برقُ لذَّاتِنا خُلَّبٌ ،   إذا ما دعَونا لوصلٍ قُلوبا
وكم لي وللبَيْنِ من مَوقِفٍ   يُميتُ بِلَحْظِ العيونِ القُلوبا
إذا شَهَرَ اللَّحْظُ أسيافَهُ ،   تدرَّعْتُ للصَّبرِ بُرداً قَشيبا[1]
كأنّيَ في هَبْوَتَيْه ابنُ فَهْدٍ ،   إذا اليومُ أصبحَ يوماً عَصيبا
فتىً يَستَقِلُّ جَزيلَ الثَّوابِ   سَماحاً لمن جاءه مُستَثيبا[2]
ويُربي على سُنَنِ المكرُماتِ ،   فيُظْهِرُ فيهنَّ مجداً غَريبا
وتَلقاه مبتسماً واضحاً ،   إذا ما الحوادثُ أبدَتْ قُطوبا
كريمٌ إذا خابَ راجي النَّدى   حَمَتْنا مكارِمُه أن نَخيبا
رأى لحظُه ما تُجِنُّ الصُّدورُ ،   فخِلناه يعلمُ منها الغُيوبا
بعيدٌ ، إذا رُمْتَ إدراكَهُ ،   وإن كانَ في الجُودِ سهلاً قريبا
نَمَتْهُ من الأزدِ صِيدُ المُلوكِ ،   ومازال يَنْمِي النَّجيبُ النَّجيبا[3]
سَلِمتَ ، سلامَةُ ، للمَكْرُماتِ ،   ومازِلْتَ تَبسُطُ باعاً رَحيبا
تَزُفُّ إليك تِجارُ المديحِ   عَذارى تَروقُكَ حُسْناً وطِيبا
فكمْ لك من سُؤدُدٍ كالعبيرِ ،   أصابَ من المدحِ ريحاً جَنوبا
ورأيٍ يُكشِّفُ ليلَ الخُطوبِ   ضياءً ، إذا الخَطْبُ أعيا اللَّبيبا
ومُشتمِلٍ بنِجادِ الحُسامِ   يَفُلُّ شبا الحربِ بأساً مَهيبا[4]
ملأْتَ جوانِحَه رَهبةً ،   فأطرقَ ، والقلبُ يُبدي وَجيبا
كسوْتَ المكارمَ ثوبَ الشَّبابِ ،   وقد كُنَّ أُلبِسْنَ فينا المَشيبا

---

1 تَدَرَّع : لبس .
2 استقلَّ الشيء : رآه قليلاً .
3 الصِّيد : المتكبرون .
4 النِّجاد : حمائل السيف .

ضرائبُ أبدَعْتَها في السَّماحِ ، فلَسْنا نرى لك فيها ضَريبا[1]
تَخلَّصْتَني من يَدِ النَّائباتِ ، وأحلَلْتَني منك رَبعاً خَصيبا
ومُلِّكْتَ مَدحي كما مُلِّكَتْ بنو هاشمٍ بُرْدَها والقَضيبا
وأنِّي لواردِ بحرِ القريضِ إذا وردَ المادحون القَليبا
ولسْتُ كمَنْ يَستردُّ المديحَ ، إذا ما كساه الكريمَ المُثِيبا
يُحلِّي بمَدْحَتِه غيرَه ، فيُمْسي مُحلًّى ويُضحي سَليبا

55

وقال يمدح أبا الحسن باروخ بن عبد الله ويصف قصره وبستانه بالموصل :

[من الطويل]

أرى هِمَّةً تختالُ بينَ الكواكبِ ، وطَوْداً من العلياء صعْبَ الجَوانبِ
ومَربِضَ آسادٍ ومَعدِنَ سُؤدُدٍ ، ومَوئِلَ مطلوبٍ وغايةَ طالبِ
عُلًى مَلَكَتْ لُبَّ الأميرِ ، وإنَّما تَمَلَّكُ ألبابَ الكرامِ المَناجبِ
تَروحُ به بينَ الصَّوارمِ والقَنا ، وتَغدو به بينَ اللُّهى والمَواهِبِ
فَتًى طالبيُّ الدِّينِ أصبحَ جُودُه يُحَسِّنُ للطُّلاَّبِ وجهَ المطالبِ
تَساهَمَ فيه العُربُ والعُجمُ ، فاحتوى على المجدِ من أقيالِها والمرازبِ[2]
وكَم وَمَضَتْ أسيافُهُ بمشارِقٍ ، فراعَ العِدا إيماضُها بمَغاربِ
حُبِيتَ على رَغمِ الحسودِ بَجَنَّةٍ ، حبَتْكَ بأنواعِ الثِّمارِ الأطايبِ
تَعَجَّلْتَ منها ما يُعَجَّلُ مثلُه ، لكلِّ جَميلِ السَّعيِ عَفِّ المَذاهبِ
مَيادينُ رَيحانٍ كأنَّ نسيمَه ، نَسيمُ الهَوى أيامَ وَصْلِ الحَبائبِ

---

1 الضرائب ، مفردها ضريبة : الطبيعة . الضريب : المثل .

2 تَساهم : تَشَارك . الأقيال : ملوك اليمن . المرازب ، مفردها مرزبان : القائد عند الفرس .

كأنَّ سَواقيـــه سلاسلُ فِضَّـةٍ ... إذا اطَّرَدَتْ بين الصَّبا والجَنائبِ[1]

وروضٌ إذا ما راضَه الغيثُ ، أنشأتْ ... حدائقُه وَشْياً كوَشْيِ السَّبائبِ[2]

وحاليةُ الأجيادِ من ثَمَراتِها ، ... مُفلَّكَةُ الأجسامِ خُضرُ الذَّوائبِ[3]

خرَقنَ الثَّرى عن مائه الغمْرِ ، فارتوَتْ ... أسافلُها من زاخرٍ غيرِ ناضبِ

إذا ما سقَتْهُنَّ السَّحائبُ شُربةً ... خلَطْنَ بماء البَحرِ ماءَ السَّحائبِ

تُقِلُّ شماريخَ الثِّمارِ كأنها ... إذا طَلَعَت حُمْراً أكفُّ الكَواعبِ[4]

وجاعلةٌ دَرَّ السَّحابِ مُدامةً ، ... إذا شَرِبَتْ دَرَّ السَّحاب الصوائبِ

لها كالئٌ يُذكي اللِّحاظَ خِلالَها ، ... حَذاراً عليها من سِخاطِ النوائبِ[5]

يرُدُّ إليها حيَّةَ الماء ما انكفَتْ ... عن القصدِ أو صَدَّت صدودَ المُجانبِ[6]

فقد لَبِسَت خُضْرَ الغَلائلِ ، وانثنَت ... لها مُرجَحِنَّاتٌ بخُضْرِ الشَّواربِ[7]

قُطوفٌ تساوى شِربُها ، وتباينَت ... تَبايُنَ مُسوَدٍّ العِذارِ وشائبِ

فمن بَرَدٍ لم يَجلُ للشَّمسِ حاجباً ... من الظلِّ إلا غازَلَتْه بحاجبِ

ومن سَبَجٍ أجرَت به الكرْمُ سِلْكَها ، ... ولم تُجْرِ في منظومِه خَرْقَ ثاقبِ[8]

بدائعُ أضحَتْ في المذاقِ أقارباً ، ... وإن كنَّ في الألوان غيرَ أقاربِ

ترى الماءَ شتَّى السُّبْلِ يَنسابُ بينَها ، ... كما رِيعَتِ الحيّاتُ من كلِّ جانبِ

ومسترفِدٌ تيَّارَ دِجلةَ رافداً ... سواحلَها من نازحٍ ومُقاربِ

---

1 الجنائب : رياح الجنوب .

2 السبائب ، مفردها سبيبة : شقّة كتان رقيقة .

3 مفلّكة : مستديرة .

4 الشماريخ ، مفردها شمراخ : غصن دقيق رخص ينبت في أعلى الغصن الغليظ .

5 الكالىء : الحارس ؛ الراعي .

6 حيَّة الماء : كناية عن الساقية . انكفت ، مخففة عن انكفأت : رجعت ، ارتدّت .

7 المرجحنّات ، مفردها مرجحنّة : المائلة المهتزة ، الثقيلة .

8 السِّلْك : الخيط يُنظَم فيه الخرز ونحوه .

يسيرُ ، وإن لم يبرَحِ ، الدهرَ ، خُطوةً ، فليس بِوقّافٍ ، وليس بساربِ
مواصلُ إيجافٍ تكادُ تُجيبُه ، إذا حنَّ ليلاً مُوجِفاتُ الرّكائبِ[1]
تَسيلُ ، خلالَ الرّوْضِ من فَيْضِ دمعِه ، قَواضبُ تُزري بالسيوفِ القَواضبِ
وممتنعٌ جِلْبابُه الغيمُ في الضُّحى ، وحِلْيتُه في الليلِ زُهْرُ الكواكبِ
أضاءَ ، فلو أنَّ النجومَ تحيَّرتْ ضَلالاً هَداها سُبْلَها في الغَياهبِ
له شَرَفاتٌ كالوذائلِ أشرَفَتْ على نازحِ الأقطارِ نائي المناكِبِ[2]
إذا لبِسَت وَرْسَ الأصيلِ حسِبْتَها تُعَلُّ برَقراقٍ من التِّبرِ ذائبِ[3]
مجاورُ بَرٍّ ضاحكِ النَّوْرِ مُعْشِبٍ ، وبحرٍ طَموحِ المَوجِ عَذْبِ المشارِبِ
إذا بَكَرَ القَنّاصُ فيه وأعزَبَتْ حبائلُه في صَيدِ تلك العوازِبِ[4]
رأيْتَ بناتِ البحرِ مَوشِيَّةَ القَرَا به ، وبناتِ البَرِّ بِيضَ التَّرائبِ[5]
محاسنُ أرزاقٍ من النَّوْرِ ، والمَها يُغِذُّ إليها طالبٌ غيرُ خائبِ[6]
فَمِنْ سانحٍ بالخيرِ في إثْرِ سابحٍ ، ومُختضِبِ الأطرافِ من دمٍ خاضبِ
وآمنةٍ لا الوحشُ تَذْعَرُ سِربَها ، ولا الطيرُ منها دامياتُ المخالبِ
هي الرَّوْضُ لم تَنشَ الخَواملُ زَهْرَه ، ولا آخضَلَّ عن دمعٍ من المُزْنِ ساكبِ[7]
إذا انبعثَتْ بينَ الخمائلِ خِلْتَها زَرابيَّ كسرى بثَّها في الملاعبِ[8]

---

1 الإيجاف : السرعة في العدو .

2 الشَّرَفات ، مفردها شَرَفَة : مُثلَّثات أو مُربَّعات تُبنى متقاربة في أعلى سور أو قصر . الوذائل ، مفردها وذيلة : المرآة .

3 ورس الأصيل : أراد اصفراره .

4 أعزبت : بعدت . الحبائل ، مفردها حِبَالة : المِصْيَدَة .

5 بنات البحر : الأسماك . بنات البرّ : الطيور . القَرَا : الظهر .

6 يغذّ : يسرع السير .

7 لم تنشَ : لم تَشُمَّ . الخوامل ، مفردها خاملة : التي لا نباهة لها .

8 الزَّرابي ، مفردها زَرْبِيَّة : ما بسط واتكيء عليه .

وإن عُمْنَ في طامي المياهِ تبسَّمَتْ غرائبُها ما بينَ تلك الغَرائبِ[1]
ودُهْمٌ ، إذا ما الليلُ رَفَّعَ سِجْفَه ، تكشَّفَ منها عن وجوهٍ شَواحبِ[2]
وإن آنسَتْ شَخصاً من الإنس صَرْصَرَتْ كما صَرصرَتْ في الطِّرسِ أقلامُ كاتبِ
جِبالٌ رسَتْ في لُجَّةٍ غيرَ أنها تُحاذرُ أنفاسَ الريــاحِ اللَّواعبِ
إذا عاينَتْ للماء وَفْداً رأيْتَها تُــودِّعُ منه غائبــاً غيرَ آيبِ
يسيرُ إليها الرَّكبُ في لُجٍّ زاخرٍ ، وليسَ سوى أولادِها من مراكبِ
تَضُمُّ رجالاً أغربَ الشَّيبُ فيهِمُ ، فمالَ على أَشْفَارِهِمْ والحواجبِ[3]
فمن رَهَجٍ لا يُستثارُ بحافرٍ لديهم ، وخيلٍ لا، تَذِلُّ لراكبِ[4]
عَجائبُ مُلْكٍ في فَنائلَ لم تَكُنْ عجائبُ مُلْكٍ قبلَها بعجائبِ[5]
هي الحرَمُ المحميُّ مِمَّن يرومُه ، بكلِّ صَقيلِ المَتْنِ عَضْبِ المَضاربِ
مواطنُ لم يَسحَبْ بها الغَيُّ ذيلَه ، وَكَمْ للعوالي بينَها من مساحِبِ
أبا حَسَنٍ لا زالَ وُدُّكَ مَشرَبي ، إذا بَعُدَت يوماً عليَّ مشاربي
نُهنِّيكَ بالبُرْءِ الذي قامَ فِعلُه ، مقامَ الضُّحى والحِنْدِسِ المتراكبِ[6]
أعادَ رياضَ الحمْدِ مُونَقَةَ الرُّبا ، ورَدَّ رياحَ الجُودِ ريَّا المَشاربِ
فَصَـدَّقَ مِنْ ظَنِّ الصديقِ ، وأكذبَتْ مواقعُه ظَنَّ العدوِّ المُحاربِ
إذا كنتَ من صَرْفِ الحوادثِ مُعْتِبي ، فلسْتُ عليها ما حَيِيتُ بعاتبِ[7]

---

1 طَمَا الماء : ارتفع وملأ النهر .
2 أراد بالدهم : السفن المطليَّة بالقار . السِّجْف : السِّتْر .
3 أَغْرَب : ملأ .
4 الرَّهَج : الغُبَار .
5 الفنائل ، مفردها فنئل : المرأة القصيرة ، ورقبة الفيل ، وهذا لا يؤدي معنى في البيت ، ولعل الكلمة اسم موضع ، أو محرّفة .
6 الحِندِس : الليل الشديد الظلمة .
7 صَرْف الدهر : نوائبه وحِدْثانه .

إليكَ القوافي الغُرَّ لا نَظْمَ سارقٍ ، ولا فِكْرَ مَأْفُونٍ ، ولا لفْظَ حاطبِ[1]
كتائبَ حَمْدٍ لو رَمَيْتَ بها العِدا ، غَداةَ الوَغى ، قامتْ مَقامَ الكتائبِ

56

وقال يمدحه أيضاً : [من الكامل]

طَلَعتْ شموسُ الخِدْرِ كَيْمَا تَغْرُبا ، وبدَتْ مَحاسنُها لِكَيْ تتغيَّبا
فكَفاه أن يَصِفَ الصَّبابةَ ناطقاً ، دَمعٌ ، إذا وصفَ الصَّبابةَ أطنبا
يا حَبَّذا شمسٌ جلَتْ عنها النَّوى ، فجلَتْ على الصَّبِّ الشَّنيبِ الأشنَبا[2]
وتعمَّدَتْــه بِلَحظَــةٍ لو أنَّهــا سَهمٌ لَجازَ عن الشَّغافِ مُخضَّبا[3]
قامَتْ تُمَيِّلُ للعِناقِ مُقوَّماً ، كالخُوطِ أَبدعَ في الثِّمارِ وأَغرَبا[4]
حملَتْ ذُراهُ الأُقْحُوَانَ مُفَضَّضاً يَسقي المُدامةَ ، والشَّقيقَ مُذَهَّبا[5]
وأَبَتْ ، وقد أخذَ النِّقابُ جَمالَها ، حركاتُ غصنِ البانِ أن تَتَنَقَّبا
ما كنتِ إلا البدرَ فارقَ حُجْبَه ، حتى إذا شِمْناه عادَ مُحجَّبا[6]
فغدَوْتُ لا أدري أكان له الحِمى ، لَمَّا تغيَّبَ مَشرِقاً ، أو مَغرِبا
فإذا الحَيا أعطى الرِّياحَ قِيادَه ، فانقادَ تَجْنُبُهُ الجَنوبُ أو الصَّبا
فسقَى مَحَلاً بالعَقيقِ وخُلَّــةً ورُبىً بأطرافِ الغَميمِ ورَبرَبا[7]

---

1 المأفون : ضعيف الرأي وناقصه . الحاطب : الذي يخلط في كلامه أو الذي يسعى بغيره ويفتري عليه .
2 الشَّنيب والأَشْنَب : مَنْ كان أبيضَ الأسنانِ حَسَنَها .
3 الشغاف : غلاف القلب .
4 المُقَوَّم : يريد القَوَام . الخُوط : الغصن الناعم .
5 المُفَضَّض : المرصَّع بالفِضَّة . المُدامة : الخمر .
6 شَامَ : نظر إلى البدر أين يتجه .
7 الخُلَّة : ما فيه حلاوة من النبات . الرَّبْـرَب : القطيع من بقر الوحش .

ما لي رأيتُ الدَّهرَ وكُلّ صَرْفَه بالقُلَّبيِّ الشَّهْمِ كيفَ تَقلَّبا[1]
سَأُرِيهِ جِدّاً في مَخيلَةِ لاعبٍ ، والنَّدبُ ليسَ يَجِدُّ حتى يَلعَبا[2]
ومُعرِّضٍ لي بالطِّرادِ خَسَأْتُه ، ومتى رأيتَ اللَّيثَ طاردَ ثعلبَا[3]
فَلْيَثْوِ في رَمْسِ الخُمولِ ، فإنني نارٌ تضرَّمُ في ذُؤابَةِ كبكبا[4]
هيهاتَ جانبْتُ السَّفاهَ وأهلَه حَدَثاً ، فكيف أرى السَّفاهةَ أشيَبا
وأحلَّني عِــزُّ الأميرِ مَحلَّــةً لو رامَني فيها الزَّمانُ تهيَّبا
عُذْنا بمُبْيَضٍّ الصَّنائعِ راضياً منه ، ومُحمرٍّ العَواملِ مُغضَبا
غَمْرِ المَواهبِ لا يُساجِلُ مُرغِباً في المكرماتِ ، ولا يُطاولُ مُرهِبا
ومُمنَّعٍ يُردي العدوَّ ، إذا ارتدَى بالسَّيفِ ، أو يحبُو الوليَّ إذا احتبَا
وأغرَّ لو نَطَقَتْ رِحابُ مَحَلِّه ، قالَتْ لطُلَّابِ المَكارمِ : مَرحَبا
ناضلْتُ منه بذي السَّدادِ فما هفَا ، وضربْتُ منه بذي الفَقارِ ، فما نَبا[5]
وصَحِبتُ أيامَ المَشيبِ بِجُودِهِ ، مُبْيضَّةً ، فذمَمتُ أيامَ الصِّبا
بَشَرٌ كمِصباحِ الحَيا وخَلائِقٌ تَخبو لبَهْجَتِها مصابيحُ الرُّبا
ومُناسِبٌ حازَ الفضيلةَ أعجَماً فينا ، كما حازَ الفضيلةَ مُعرِبا[6]
إن شاءَ عُدَّ من الشُّعوبِ أجلَّها ، أو شاءَ عَدَّ من القبائلِ تَغلِبا
يرتاحُ ما غَنَّى الحديدُ إلى الوغَى ، فيخوضُ مَوجاً منه أكدرَ مُجلِبا
ويَكُرُّ مَطرورَ السِّنانِ ، كأنه قمرٌ يطارِدُ في العَجاجةِ كَوكَبا[7]

1 القلّبيّ : المحتال البصير بتقليب الأمور .
2 المخيلة : المظنّة . النَّدْب : السريع إلى الفضائل .
3 خَسَأ : طَرَد .
4 كبكب : جبل .
5 هفَا : زَلّ .
6 المناسب : القريب ، والمشارك في النَّسب ، والمشاكل ، والملائم .
7 المطرور : المحدّد .

أأشيمُ بارقةَ الغَمام ، وقد غدَتْ يُمنَى أبي الحَسَنِ الغمامَ الصيِّبا

قاظَ الزَّمانُ فكنتَ ظِلّاً سَجْسَجاً ، ونأى الربيعُ فكنتَ رَوْضاً مُعْشِبا[1]

تَرَكَ القصائدَ قصَّرت عن عَدِّ ما يُسدِي ، ومن يُحصي الحَصَى والأَثْلَبا[2]

والطالبيّون ٱنْتَحَتْكَ وفودُهُم ، فرأَوا نَداكَ الغَمْرَ قرَّبَ مطلَبا[3]

لاحظْتَهم ، والفكرُ يَصرِفُ عنهم لحْظَ النَّواظـرِ بغضةً وتجنُّبا

فنظمْتَهم جمعاً ، وقد نَشَرَتْهُمُ أيدي الزَّمانِ ، فَفُرِّقُوا أيدي سَبا[4]

أَحبَبْتَ ذا القُربى ، وليس يُحِبُّه إلا ٱمرُؤٌ رفضَ الغريبَ الأَجنَبا

أمَّا الصِّيامُ فقد أجبْتَ دُعاءَهُ ، ورأيْتَـــه فِعـلاً أغـــرَّ مُهذَّبا[5]

شهرٌ وصلْتَ صيامَه بقِيامِه ، فَنَضَوْتَهُ نِضْوَ الجَوانحِ مُتعَبا[6]

فأجبْ دُعاءَ الفِطرِ مُصْطَبِحاً ، فقدْ ناداك حَيَّ على الصَّباحِ فثوِّبا[7]

وتَمَلَّها بِكْراً ، فلستُ مُزوِّجاً شَرَفَ الشريفِ من المدائحِ ثَيِّبا[8]

حمْداً أمَرَّ الفِكرُ سِلْكَ نِظامِه ، فأصاب دُرّاً من عُلاكَ مثقَّبا[9]

إن حَلَّ أوطنَ في صُدورِ رُواتِه ، أو سارَ شَرَّقَ في البلادِ وغرَّبا[10]

---

1 السجسج : الذي لا برد فيه ولا حرّ .

2 الأثلب : فُتات الحجارة والتراب .

3 انتحى : قَصَد .

4 تفرّقوا أيدي سبا : تفرّقوا تفرّقاً لا اجتماع بعده .

5 الأغَرّ : الكريم . المهذَّب : النقي من العيوب ، والمطهَّر الأخلاق .

6 نَضَا الصِّيام : قطعه . النِّضْو : المهزول .

7 اصْطَبَح : تَنَاوَل الأكل صباحاً .

8 تَمَلَّى : تمتَّع .

9 أمَـرَّ : فتل .

10 أوطن فيه : اتخذه وطناً .

57

وقال يمدحه أيضاً : [من الكامل]

مَنْ لي بِرَدِّ سوالفِ الأحقابِ ، ومآربٍ أعيَتْ على الطُلاَّبِ
أتبعْتُها نَفَسَ المحبِّ تضرَّمَتْ أحشاؤه لتَفرُّقِ الأحبابِ
أتبعْتُها نَظَرَ المَشُوقِ تجمَّعتْ زَفَراتُه لتفرُّقِ الأترابِ
إنَّ الظِّباءَ حَمَتْ مراتِعَها الظُّبا ، ورَعَتْ سوائمُها أُسودَ الغابِ[1]
من كلِّ سكرَى اللَّحظِ أثمرَ غصنُها نوعين من وردٍ ومن عُنَّابِ
ريَّا أَخاضَتْنا على ظمإٍ الهوى من وعدِها المطولِ لَمْعَ سَرابِ[2]
للهِ أعرابيّةٌ غدرَتْ بنا ؛ إنَّ النِّفاقَ سَجِيَّةُ الأَعرابِ
حَجَبَت محاسنَها الخيامُ ، ولو بَدَتْ كانَ العَفافُ لها أتمَّ حِجابِ
وأحلَّها من قلبِ عاشِقِها الهوى بيتاً بلا عَمَدٍ ، ولا أطنابِ[3]
هيهاتَ ! ما صدَرَتْ عقودُ نسيبِه عن لوعةٍ كمَنَتْ ، ولا أوصابِ
لكنَّها فِكَرٌ ، إذا ما سُومِرَتْ باتتْ تُفَتِّحُ زَهرَةَ الآدابِ[4]
يَهْنِي العواذلَ أنَّه هَجَرَ الصِّبا أُنُفَ الشَّبابِ مُعَذَّلَ الأَصحابِ[5]
لحْظُ الكواعبِ سرَّه ، فوَجَدْنَه عَفَّ السَّريرَةِ طاهرَ الأثوابِ

---

1 الظُّبا ، مفردها ظُبَة : حدّ السيف . السَّوائم : الماشية والإبل الراعية .

2 ريّا : كثيرة اللحم . أخاض : أدخل .

3 العَمَد ، مفردها عِمَاد : ما يُسْنَد به . الأطناب ، مفردها طُنُب : حبل طويل يُشَد به سُرَادِق البيت .

4 سومرت ، فعل مجهول من سامره : حدّثه ليلاً .

5 الأُنُف ، مفردها أَنَفَة : عزة النفس والترفّع عن العار . المُعَذَّل : من يُلام لإفراط في الجود ونحوه .

كم قُلْنَ لمَّا قامَ في مِحرابِه : سِيَّانِ أنتَ ودُميةُ المِحرابِ
يا حُسْنَ ما خَلعَتْ على أعطافِه أيدي الصِّبا أو زانَه بتصابي
إنَّ الوعيدَ ثَناه عن آرائِه حتى تجنَّبَ مُونِقَ الآدابِ[1]
الآنَ قَصَّرَتِ النَّوائبُ ، فاغتدَتْ بِنَدى الأميرِ كليلةَ الأنيابِ[2]
سَفَرَتْ لنا من رأيه وحُسامِه عن ضوْءِ صُبْحٍ مُسْفِرٍ وشِهابِ
مَلِكٌ عُقودُ الحمدِ مِلْءُ يمينِه ، ونَداه مِلْءُ حقائبِ الطُّلاَّبِ
شفَعَ النَّدى لعُفاتِه بنَدىً ، كما شفَعَ الرَّبيعُ سَحابةً بسَحابِ[3]
وعَفا ، فردَّ البِيضَ في أغمادِها ، وسَطا فَعلَّ متونَها بخِضابِ
وجَرى ، فبينَ مقصِّرٍ عن شأوِه متخلِّفٍ عنه وآخرَ كابي
شيَّدتَ مجدَكَ فاَعْمَلَنْ بمهذَّبٍ بينَ القبائلِ والشُّعوبِ لُبابِ
ونَصَبْتَ نفسَك للنبيِّ وآلِه ، حتى شَفَيْتَهُمُ من الطُّلاَّبِ[4]
فأعزَّ نصرَكَ منهمُ باقي الهُدَى ، وأذلَّ عنه بقيَّةَ الأحزابِ
نَزَلوا فِناكَ مُخضَّبينَ أعِزَّةً ، ما بين رَحبِ خلائقٍ ورِحابِ
فكأنما حَلُّوا بيثربَ منه ، أو نَزَلوا بمكةَ في رُبىً وهِضابِ
فَاَسْلَمْ ، أبا حَسَنٍ ، ليومِ مَكارمٍ ، وُطْفٍ سحائبُها ، ويومِ عِقابِ[5]
لم تَنْضُ أثوابَ الصِّيامِ مُودِّعاً ، حتى كساكَ الفِطْرُ ثَوبَ ثَوابِ
فَاَسْعَدْ بعيدٍ عادَ كوكبُ سَعْدِه طَلْقَ الضِّياءِ مؤكَّدَ الأسبابِ[6]

---

1 الوعيد : الخوف من الحساب في الآخرة . مُونِق : حَسَنٌ مُعجِب .

2 كليلة : ضعيفة .

3 شَفَع : قَرَنَ . العُفاة : طالبو الفضل أو الرزق .

4 نَصَبَ : وقف نفسه على .

5 الوطف ، مفردها وطفاء : المنهمرة .

6 مؤكّد الأسباب : مشدود الأواصر .

وتَحلَّها نظْمَ اللسانِ ، وإنما نَظْمُ اللِّسانِ فرائدُ الألبابِ
لو صافَحَت سَمْعَ الوليدِ جَنَا لَها ، أرسومُ دارٍ أم سُطورُ كتابِ[1]
بل لو تأمَّلَها ابنُ أوسٍ لم يَقُلْ : لو أنَّ دهراً رَدَّ رَجْعَ جوابي[2]

58

وقال يمدح الوزير محمد أبا الحسن ابن محمد المهلبي ، ويتظلم إليه من الخالديين وقد ادّعيا شعره ومدحاه به : [من البسيط]

لنا من الدَّهرِ خَصْمٌ لا نُغالبُه ، فما على الدهرِ إنْ وَلَّتْ نوائبُه
يرتدُّ عنه جريحاً من يُسَالِمُه فكيفَ يَسْلَمُ منه من يُحارِبُه
ولو أُمِنْتُ الذي تَجني أراقمُه عليَّ هانَ الذي تَجني عقاربُه[3]
تَظلَّم الشِّعرُ من ليْثٍ يُساوِرُه ، إذا تبرَّجَ ، أو صِلٍّ يُواثبُه[4]
وحُجِّبَت دون رائيها بدائِعُه ؛ وقُيِّدَت دونَ مَسراها غرائبُه
وكيفَ لا يتحامى سَفْرُها سَنَناً أمسى به أُسَدٌ ضارٍ نوائبُه[5]
يا غَيْبَةَ الكَرَمِ المفقودِ غائبُه ، وخيْبَةَ الأدَبِ المجفوِّ صاحبُه
أتُستباحُ على قَسْرٍ مَحارِمُه ، وتُستَرَقُّ على صُغْرٍ كواعبُه[6]
أبَعْدَ ما انْهَدَّ عُمري في محاسنِه ، حتى وَهَى بحُلولِ الشَّيْبِ جائبُه[7]

---

1 الوليد : الشاعر البحتري .
2 ابن أوس : أبو تمام .
3 أُمِنَ : سَلِمَ من .
4 ساوره : وثب عليه . الصِّل : الحية .
5 السَّفر : المسافرون . السنن : الطريق .
6 المحارم : ما يحميه الرجل ويدافع عنه . الصغر : الذل ، الضَّيم .
7 الجائب : فاعل من جاب البلاد : قطعها .

ورَقرقَ الطبْعُ فيه ماءَ رَوْنَقِهِ ، فجاء كالوَشْيِ مصقولاً سَبائبُه
وكانَ كالثَّمَرِ استقصَيْتُ غايتَه خُبْراً ، فما بيدي إلا أطايبُه[1]
ضَرْبٌ من السِّحْرِ أجْلوه على نَفَرٍ سِيَّانِ قائلُه فيهم وجالبُه
تُضيءُ مثلَ سطورِ البرْقِ أسطُرُه ، كأنما ذَهَبُ القُرطاسِ كاتبُه
تدنَّسَتْ بيدَيْ غَيري مَطارِفُه ، وسُوِّدَتْ بسِوى قَوْمي مَناسبُه[2]
وَشْيٌ ، إذا نَمنَمَتْ منه خواطِرُنا بُرْداً ، فلا بُدَّ من كَفٍّ تُجاذِبُه
نَهْبٌ ، فلو حضَرَتْه النارُ مُضْرَمَةً جرى إليه يخوضُ النارَ ناهبُه[3]
بل لو تعلَّقَ بالجَوزاءِ هاربُه ، ما فاتَ خَطْفَ أبي عثمانَ هارِبُه
سَبَى ، وأبقَتْ بَوادي سَبْيِهِ لُمَحاً معشوقةً إنْ عفَتْ عنها عَواقبُه
إذا الكميُّ تَحامَى بعضَ ما ملَكَتْ رِماحُه من خطيرٍ ، فهو واهبُه
له على سَرْجِ شِعْري غارةٌ أبداً ، يرتاعُ معقولُه منها وساربُه[4]
فلا السِّنانُ لها دامٍ ، وقد برقَتْ فتْكاً ، ولا السَّيفُ مخضوباً مضاربُه
إذا تخطَّفَ من أولادِنا ولداً قامتْ بمِثْلِ قوافيه نوادبُه
إليكُمُ عن شِهابٍ طارَ طائِرُهُ ، قِدْماً يُعَرِّي أديمَ الجوِّ ثاقبُه[5]
فنكِّبُوا عن طريقِ السَّيْلِ تمتنعُوا من قبلِ أن تَتَهاداكُم غَوارِبُه[6]
فلسْتُ أُهدي إلى قومٍ سَمائِحَه من بعدِ ما قُسِّمَت فيهم جنائبُه

---

1 الخُبْرُ : التجربة والاختبار .

2 المطارف ، مفردها مِطْرَف : رداء من خزٍّ ذو أعلام ، ويريد به شعره النادر المستحسَن . سُوِّدَت : من ساد : شَرُفَ ومَجُدَ . المناسب : من النَّسَب .

3 حَضَرَتْه النار : وَصَلَتْ إليه .

4 المعقول : المشدود بالعِقَال (الحبل) . السارب : الذاهب على وجهه .

5 إليكم عن : ابعدوا .

6 نَكَبَ عن : عَدَلَ ومال . الغوارب : أعالي الموج .

ولا تَمُدُّوا إلى العيُّوقِ أيديَكم ، جَهْلاً ، فلن يُدرِكَ العيُّوقَ طالبُه[1]

هل للغَنِيَّيْنِ عُذْرٌ في اغتصابِهِما حَلْياً ، يَبوءُ بأَوْفَى اللَّعنِ غاصِبُه[2]

قلْ للوزير تحرَّجْ إنه سَلَبٌ غَشْماً تعدَّى على المسلوبِ سالبُه[3]

لا يُبعدِ اللهُ دُرّاً حلَّياكَ به ، فكَمْ فتىً عُطِّلَتْ منه تَرائِبُه[4]

ومَرْكَباً يتحرَّى الصِّدقَ مادِحُه ، حُسْناً ، كما يتحرَّى الإفكَ عائبُه[5]

مُدَفَّعاً بأكُفِّ الظُّلمِ رائضُهُ ، مُنكَّباً برماحِ الجُودِ راكبُه[6]

أضحى ابنُ فهْدٍ حَرِيباً من مَحاسنِه من بعدِ ما بُذِلَتْ فيها حَرائبُه[7]

وأنتَ لا شكَّ من أفوافِ يُمنَتِه عارٍ ، كما عُرِّيَت منها مناكبُه[8]

وكيفَ تسحَبُ وَشْياً قد تداولَه قومٌ سِواك فقد رَثَّت مساحبُه

تبرَّجَتْ فيهمُ قِدْماً عرايسُه ، وأشرقَتْ فيهمُ دهراً كواكبُه

لا يُعجِبَنَّكَ دينارُ المديحِ ، ولم يَضْرِبْهُ باسمِكَ دونَ الناسِ ضارِبُه[9]

فخيرُ صَيدِكَ ما حلَّت مَصايدُه ؛ وخيرُ مالِكَ ما طابَتْ مَكاسِبُه[10]

وإن أَصَخْتَ لتَغريدِ المديحِ ، فقد وافَى مُغَرِّدُهُ ، وانحطَّ ناعبُه

---

1 العيّوق : نجم .

2 يَبُوء : يساوي ، وهو كُفءٌ لشخص أو لشيء . أَوْفَى : التام .

3 تَحَرَّج : تَجَنَّب الإثم . الغشم : الظلم .

4 عُطِّلَت التَّرائب : نُزِعَ حَلْيُها . الترائب ، مفردها : تَرِيبة : أعلى الصدر .

5 الإفك : الكذب .

6 المُدَفَّع : الذي يُدْفَع . رائضه : الذي يحاول تذليله وتطويعه .

7 الحريب : المسلوب ماله . الحرائب ، مفردها حريبة : المال المسلوب .

8 ثوب أفواف : رقيق ، فيه خطوط بيض على الطول . يمنته : بُرده .

9 ضَرَب الدينار : سَبَكَه وطَبَعَه .

10 حَلَّ الصيدُ : كان حلالاً .

59

وقال يمدح أبا أحمد طاهر الهاشمي بحلب : [من الطويل]

على غَيرِ عَتْبٍ ما طَوَيْتُ عِتابَـها ، وآثرْتُ من بعدِ الوِصالِ احتسابَـها[1]

وقَفْنا فظلَّ الشَّوقُ يَسألُ دارَها ، وتُجعَلُ أسرابُ الدموعِ جوابَـها

فلا بَرِحَتْ ريحُ الجَنوبِ حَفِيَّةً ، تَخُصُّ بألطافِ السحابِ جَنابَـها[2]

لوامعُ بَرْقٍ لا تَمَسُّ أراكَها وأنفاسُ ريحٍ لا تروعُ تُرابَـها[3]

ومَجدولَةٍ جَدْلَ العِنانِ منحتُها عِناني فأضحَتْ رِحلةُ الهجرِ دابَـها[4]

إذا برزَتْ كان العَفافُ حِجابَـها ، وإن سفرَتْ كانَ الحياءُ نِقابَـها

ومِن دونِها نَيْلُ الغَمامِ ، إذا سرَتْ نُجومُ القَنا الخَطِّيِّ تُزْجي قِبابَـها[5]

حَمَتْنا اللّيالي ، بعدَ ساكنةِ الحِمى ، مشارِبَ يهوى كلُّ طامٍ شَرابَـها

ألاحظُها لَحْظَ الطَّريدِ مَحلَّه ، وأذكُرُها ذِكْرَ البَغيِّ شبابَـها

وأُنشُدُها ، والقُربُ بيني وبينَها ، ولو آبَ حِلمي ما رجوْتُ إيابَـها

تخيَّرتُ أفوافَ المديحِ ، فلم أُنِخْ ببابِ بني العبّاسِ إلا لُبابَـها

قَوافٍ ، لو آنَّ الأخيليَّةَ عايَنَتْ محاسنَها زانَتْ بهنّ سِخابَـها[6]

أغرُّ ، يداه مُزْنَةٌ مُستَهلَّةٌ ، إذا شامَ راجٍ بالشّآمِ سَحابَـها

ولو لم يُثِبْها الهاشميُّ لأصبَحَتْ مآثرُهُ اللاتي حَوَيْنَ ثَوابَـها

---

1 ما : زائدة هنا . احتسبه : نوى به وجه الله .

2 الحَفِيَّة : المبالِغَة في الكرم .

3 الأراك : شجر ذو شوك .

4 مجدولة : يريد امرأة مشدودة القوام . العِنان : اللجام . دابها ، مخففة عن دأبها .

5 تزجي : تدفع .

6 الأخيلية : هي ليلى الأخيلية صاحبة توبة بن الحُمَيِّر : شاعرة .

يَعُدُّ الجبالَ من قريشٍ أُبوَّةً ، إذا عَدَّ ذو فَخْرٍ سِواها هِضابَها
إذا انتَسَبَتْ بينَ الخلائقِ ألحقَتْ أواصرَها بالمُصطفى وانتسابَها
وإن حَمَلَتْ سُمْرَ الرِّماحِ لمَشهَدٍ ، رأيْتَ أُسُودَ الغابِ تَحمِلُ غابَها
وسالَت بهم تِلكَ البِطاحُ ، كأنما أسالوا عليها بالحديدِ سَرابَها
بِهِمْ عَرَفَتْ زُرْقُ الأَسِنَّةِ رَيَّها ، كما عَرَفَتْ بِيضُ السيوفِ خِضابَها
أبا أحمدٍ أصبَحْتَ شَمْسَ مَكارمٍ ، تُضيء ، ومِصباحَ العُلى وشِهابَها
أبوك الذي سقَّى الحَجيجَ ، ولم يَزَلْ بمكَّةَ يَروي رَكْبَها ورِكابَها
ولمَّا أقامَ المَحْلُ بينَ بيوتِهِم ، دعا اللهَ فيه دعوةً ، فأجابَها
ولم يَثْنِ طَرْفَ العينِ حتى تَهلَّلَتْ مَدامعُ مُزْنٍ لا تَمَلُّ انسكابَها
فأعتَبَتِ الأرضُ السماءَ بجاهِهِ ، غَداةَ تولَّى عن قريشٍ عتابَها[1]
بني هاشمٍ أعطاكمُ الحقُّ رُتبةً ، يُقَصِّرُ عنها مَنْ يُريدُ اغتصابَها
فأشرقَ منها في القلوبِ ضياؤكم ، فأذهبَ عن تلك النُّفوسِ ارتيابَها
منعتُم بني مَروانَ حَوْزَتَها بكم ، وحُزتُم على رَغمِ الأُنوفِ نِهابَها[2]
وآثرتُمُ فَكَّ العُناةِ ، وإنما يُمَلِّكُكُم عِتْقُ الرِّقابِ رِقابَها[3]
ومَنْ يَنْأَ عن إرْثِ النُّبوَّةِ والهُدى ، فأنتم وَرِثتُم هَدْيَها وكِتابَها
وهل يتحلَّى بالخِلافَةِ غيرُكم ، وأنتم سلَبْتُم عبدَ شمسٍ ثيابَها

60

وقال يمدح أبا الفوارس ناصر الدولة : [من البسيط]

إذا السَّحابُ حَداه البرقُ مَجْنُونا ، وحَثَّ منه وَميضُ البرقِ شُؤْبُوبا[4]

1 أعتبه : أرضاه . تولَّى : من الولاية .

2 منعتم : حميتم . الحَوْزة : الناحية ؛ ما بين تخوم المملكة .

3 العُناة : الأسرى .

4 الشُّؤْبُوب : الدفعة من المطر .

وحنَّ ، حتى أجابَ النَّبْتُ حَنَّتَه ، كأنه مُذكِرٌ أشجانَها النِّيبا[1]

وحمَّلَ الريحَ حِمْلاً لا كِفاءَ له ، يُعيدُ مَنكِبَه بالثِّقْلِ مَنكوبا

وسارَ جَحفلُه في الجوِّ وانتشرَتْ أعلامُه ، فحَباها البرقُ تَذهيبا

وخِيلَ ، بينَ ضِرامٍ ساطعٍ وَحَيَاً ، أبو الفوارسِ مَرجُوّاً ومَرهوبا

فجاد حَيّاً أُرَوِّي في زيارتِهم خوفاً وظَنّاً أُوَرِّي عنه تغييبا[2]

وإن حَمَى البينُ عَذْباً من مواردِه ، إلا خيالاً يَزيدُ القلبَ تَعذيبا

وربَّما جَنَّبتْ ريحُ الجنوبِ حَيَاً رَدَّ الجَوى فيه حتى عادَ مَربوبا[3]

وشبَّ لي في سوادِ الليل بارقُه ، فخِلْتُه في سوادِ القَلبِ مَشبوبا

أقولُ ، والرِّيحُ تَثْني من أعِنَّتِه على الثَّنِيَّةِ : هَلاَّ رُحْتَ مَسلوبا[4]

أرضٌ ، إذا نُسِجَتْ فيها مَطارِفُها ، زادَتْ لطِيبِ الثَّرى أطرافُها طِيبا

لا تستغيثُ إلى الأنواءِ تُربتُها ، إذا استغاثَ إليها التُّرْبُ مَكروبا[5]

دَساكِرٌ ، ورياضٌ حينَ ساعدَني دِينُ البَطالَةِ كانت لي محاريبا[6]

وما تَنَمَّرَ جِلبابُ الغَمامِ بِها ، إلا كسا الرَّوْضَ من نَهرٍ جَلابيبا[7]

كأنما الغيثُ ، مُرفَضّاً بعَقوتِها ، نُعْمى الأمير ، إذا ارفَضَّتْ شآبيبا[8]

الواهبِ النفْسِ للأرماحِ في نَشَبٍ يُعيدُهُ في طِلابِ الحَمْدِ مَوهوبا[9]

---

1 النِّيب ، مفردها ناب : الناقة المسنّة .

2 أروّي من روَّى في الأمر : تفكَّر فيه . أورّي من التورية : الستر .

3 المربوب : المربّى ، المملوك .

4 الثَّنيَّة : المكان المرتفع .

5 الأنواء : المطر .

6 الدساكر ، مفردها دسكرة : القرية . الدين : العادة . المحاريب ، مفردها مِحْراب : المأوى .

7 نَمِرَ السحاب : اكفَهَرَّ وصار على لون النَّمِر .

8 مُرْفَضّ : متفرق .

9 النَّشَب : الحرب .

بينا تراه وأسلابُ الملوكِ له ، رأيْتَه بسِجالِ العُرفِ مَسلوبا[1]
كالغيثِ يَبسِمُ للرُّوَّادِ بارِقُه ، وربّما عادَ في الأعداءِ أُلْهُوبا[2]
أقامَ للرِّفدِ سُوقاً من مَكارِمِه ، يُضحي الثَّناءُ إليها ، الدَّهرَ ، مَجلوبا
ودَرَّتِ الجُودَ وَعْداً صادقاً يَدُه ، وكان ظَنّاً على الأيامِ مَكذوبا
حِلمٌ ومَكرُمَةٌ ، ما دارَ بينَهما إلا أراكَ هِضاباً ، أو أهاضيبا[3]
يُقابلُ الخَصْمُ منه مَنْطِقاً ذَرِباً ، والقِرْنُ أزرقَ ماضي الحدِّ مَذْرُوبا[4]
أَغَرُّ لا تَخْضِبُ الصَّهباءُ راحتَه حتى يَرُدَّ القَنا رَيَّانَ مَخضوبا
أقولُ للمُبتغي إدراكَ سُؤدُدِهِ : خَفِّضْ عليكَ فليسَ النجمُ مطلوبا[5]
إنْ تسألِ السِّلمَ تَسْلَمْ من صَوارِمِه ، أو تُؤثِرِ الحربَ تَرجِعْ عنه مَحروبا[6]
كم من جَبينٍ أنارَ السيفُ صفحتَه ، فعادَ طِرْساً بحدِّ السَّيفِ مَكتوبا
وكم له في الوغى من طَعنةٍ قتلَتْ عِداه ، أو نثَرت رُمحاً أنابيبا[7]
قومٌ ، إذا جَرَّدوا البِيضَ الرِّقاقَ حوَوْا جُردَ الصَّواهلِ والبِيضَ الرَّعابيبا[8]
بَادون للعِزِّ يَبدو ضَوءُ نارِهِمُ لَيلاً ، إذا باتَ ضَوءُ البرقِ مَحجوبا
يُعِدُّ من تَغلِبَ صِيداً غَطارِفَةً أضحى مُغالِبُهُم في الحربِ مَغلوبا
أَرسَوا قِبابَهمُ في البرِّ ، واتَّخذوا سُوراً عليه من الأَرماحِ مَضروبا
إليكَ ، وافَتْ بنا الآمالُ مُهدِيةً دُرّاً إلى لُجَجِ الأَفكارِ مَنسوبا

---

1 السجال : العطاء . العُرْف : الجود .
2 الألهوب : من أَلْـهَبَ الفرسُ : اجتهد في العَدْو حتى يثير الغبار .
3 الأهاضيب ، مفردها أُهْضُوبة : الدفعة من المطر .
4 الذرب : الفصيح . القرن : النظير . الأزرق : الرمح . المذروب : المحدّد .
5 خَفِّضْ عليك : هَوِّنْ .
6 محروب : مسلوب .
7 العِدا : الأعداء . الأنابيب ، مفردها أنبوب : ما بين العقدتين من القَصَب أو الرمح .
8 الرّعابيب ، مفردها رعبوبة : الناعمة من الجواري .

من كلِّ مَخدومةِ الألفاظِ خادمةٍ على نَفاسَتِها الغُرَّ المَناجيبا
وكم لأفكارِنا من سِلْكِ قافيةٍ أصابَ دُرَّ مَساعٍ منك مَثقوبا

61

وقال يهجو رجلاً : [من المتقارب]

تَباعَدَ عَنْ عِرْسِه جَعفَــرُ ، فَسرَّهُما البُعدُ بعدَ ٱقترابِ[1]
وكانت تَصبــو إلى غيــره ، وكانَ إلى غيرِها ذا تَصَابي[2]
فَبَينا هُما يَتْبعانِ الهَوَى ، على حَذَرٍ مِنهُما وارتقابِ
أتاحَ الزمانُ لهُ سَفرةً مُعجَّلَةً لم تَكُنْ في الحِسابِ
فمكَّنها من قِيادِ الزُّناةِ ، وتُمكِنُه من قِيادِ القِحابِ[3]
فوَدَّا ، وقد وُفِّقَا للفِراقِ ، بأنَّ التَّلاقيَ يومَ الحِسابِ

62

وقال يصف الحمّام ويستدعي صديقاً إليه : [من السريع]

قد أمكنَ الطالبَ مطلوبُ ، وأسعَــدَ الغُــرُّ المناجيبُ
والغَيثُ قد بانَ له عارضٌ على بِساطِ الرَّوضِ مَسكوبُ
والفجرُ كالراهبِ قد مُزِّقَتْ من طَرَبٍ عنه الجلابيبُ
فقُمْ بنا نَنعَمُ في مَنزِلٍ ، نعيمُــه الدائــمُ محجــوبُ
ونشتري منه رخيصاً به ، كأنــه للرُّخــصِ موهــوبُ[4]

---

1 العِرْس : امرأة الرجل .

2 تصبو : تميل ، ويجوز أن تكون : تَصَبَّى ، أي تتصبّى ، والمعنى واحد . التصابي كالتصبّي : الميل إلى اللهو واللعب .

3 القحاب ، مفردها قحبة : الفاسدة ، الفاجرة .

4 الرخيص ، من رَخُص : لان ونَعُم .

بيتٌ بَنَتْهُ حُكماءُ الوَرى ، فهو إلى الحكمَةِ مَنسوبُ
مُجـاورُ النّـارِ ولكنَّـه يُجاورُ الروحَ ، به الطِّيبُ
حَرٌّ هو الظِّلُّ لأجسادِنا ، والحَرُّ للأجسامِ تعذيبُ
طابَ فلو رَدَّ شبابَ آمرئٍ لآرتدَّ شُبّاناً بـه الشِّيبُ
كأنه ، إذ ضَحِكَتْ جُدْرُهُ ، من خالصِ الفِضَّةِ مَصبوبُ
كأنَّ ما قُبِّبَ من سَقفهِ ، قِحْفٌ من البَلُّورِ مكْبوبُ[1]
كم سالبٍ بِزَّةَ أعدائِه أطرقَ فيه ، وهو مَسلوبُ
فربَّ شَيْءٍ فيه أبصرْتَه لولاه أضحى وهو مَحجوبُ
يخلو وفيه من صُنوفِ الوَغى للصَّيدِ والقَصْفِ أعاجيبُ[2]
تعترضُ الخيلُ على جُدره قُبْـلاً فَمجنـوبٌ ومَركوبُ[3]
وتلتقي بالبِيضِ فرسانُه ، فضاربٌ منهم ومضروبُ
مَنظرُ حربٍ ما لها مَخْبَرٌ ، سلاحُها بالدَّمِ مخضوبُ[4]
لا يَرتجي العزَّ بها غالبٌ ، ولا يخافُ الذُّلَّ مغلوبُ
وتطرُدُ الوحشَ بها أكلبٌ ، داميـةٌ منهـا المَخاليـبُ
فَلَبَّةٌ بالنّابِ مَلبوبةٌ ، ومَنكِـبٌ بالظُّفْـرِ منكوبُ[5]
ويَشرَبُ الرّاحَ به شاربٌ مُرتَفِـقٌ بالتّـاجِ مَعْصوبُ[6]
عِيانُه يُنْبِيكَ عن نعمةٍ ، وَهْوَ بما عاينْتَ مَكذوبُ

1 القِحْف : إناء كأنه نصف قدح . المكبوب : المقلوب .
2 القَصْف : اللهو والغناء .
3 القبل ، مفردها أقبل : وهو الذي كأنّه ينظر إلى طرف أنفه .
4 مَخْبَر : خَبَرٌ .
5 اللبّة : موضع القلادة من الصدر . ملبوبة : مضروبة .
6 مُرتفق : متكِئٌ .

حتى إذا نِلْتَ به لَـذَّةً ، ليسَ على مَن نالَها حُوبُ[1]
مِلْنا إلى شُربٍ حلالٍ لنا ، إن الحلالَ الطِّلْقَ مَشروبُ[2]
راحَ يُحيِّيكَ بها شادنٌ زَيَّنَـه ظَـرْفٌ وتـأديبُ
فالمسكُ مهجورٌ ، إذا صُفِّقَتْ في الكاس ، والكافورُ مَسبوبُ[3]
وليسَ يكبو الهمُّ إلا إذا أُعمِلَ فيه الكاسُ والكُوبُ

63

وقال : [من الوافر]

سَلَوْتُ محَمَّداً لمَّا تَمادى به الهِجرانُ ، وانقطَع العِتابُ
وقد يُنسَى الربيعُ إذا تَولَّتْ لَيَالِيَهُ ، وقد يُسْلى الشّبابُ

64

وقال يصف الدَّسْتَنْبُوِيّة[4] : [من الكامل]

وقريبةٍ من كلِّ قلبٍ إن بدَتْ للمَرءِ أدناها إليه وقرَّبَا
روَّى القلوبَ نسيمُها ، وتلهَّبَتْ حُسْناً فأَذكَت في القلوبِ تلهُّبا
صفراءُ ما عنَّتْ لِعَيْنَيْ ناظرٍ ، إلا تَوهَّمَها سِناناً مُذْهَبا
فَكأَنَّها ذَهَبٌ حَوى كافورةً ، فغدا برَيـّاهـا ، وراحَ مُطَيَّبا[5]

---

1 الحوب : الإثم .
2 الطِّلْق : غير المُقَيَّد ، أي الحلال المُطْلَق .
3 صُفِّقَتْ : مُلِئَتْ ؛ وصَفَّقَ الشراب : حوّله من إناء إلى آخر ليصفو .
4 الدستنبوية : نوع من البطيخ الأصفر صغير مستطيل .
5 الكافورة : وعاء الخمر .

65

وقال يصفها أيضاً : [من مجزوء الكامل]

وأَغنَّ كالرَّشإِ الغَريـ ـرِ نَشا خِلالَ الرَّبرَبِ[1]
في خَدِّه وردٌ حَمـا هُ من القِطافِ بعَقرَبِ
لـما سَقـاه قـهـوةً في الكاسِ ذاتَ تلهُّبِ
حيًّا بِدَسْتَنْبُويـَّةٍ ، مثلِ السِّنـانِ المُذْهَبِ

66

وقال يصف مزمَّلة[2] : [من المنسرح]

بديعةٌ جِسمُها زَبَرْجدةٌ ، خضراءُ يُخْفي جمالَها الحُجُبُ[3]
مجروحةُ الخصرِ ، غيرُ داميةٍ ، كما تكونُ الجروحُ والنَّدَبُ
كأنـَّها ، من جَفاءِ لِبسَتِها ، مَقرورةٌ ، والهجيرُ يَلتهبُ
كأنـَّما الماءُ ، حينَ تَبْعَثُـهُ ، ذَوْبُ لُجَينٍ ، مِيزابُه ذَهَبُ

67

قال يستسقي أبا الهيجاء الحمداني شَراباً : [من الطويل]

تَجنَّبَني حُسْنُ المُدامِ وطِيبُها ، فقد ظَمِئَتْ نفسي ، وطال شُحوبُها

---

1 الأغَنّ : الذي في صوته غُنَّة .

2 المزمَّلة عند البغداديين : جرة أو خابية خضراء في وسطها ثقب مركَّب فيه قصبة من الفضة أو من الرصاص يشرب منها . سمِّيت بذلك لأنها تُلفّ بشيء من الخيش وغيره ويجعل بينه وبين خزفها التبن . تكون في دورهم أيام الصيف ، يبردون الماء ليلاً بالبرّادات ، ثم يصبّ في هذه المزملة فيبقى فيها بارداً .

3 الزَّبَرْجَد : حجر كريم يشبه الزمرد .

وعندي ظُروفٌ لو تَظَرَّفَ دَهرُها ، لَمَا باتَ مُغْرىً بالكآبةِ كُوبُها
وشُعْثُ دِنانٍ خاوياتٍ كأنَّها صُدورُ رجالٍ فارقَتْها قلوبُها[1]
فسُقياكَ لا سُقْيا السَّحابِ ، فإنَّها هيَ العِلَّةُ القُصوى ، وأنتَ طبيبُها

68

وقال يستدعي صديقاً له : [من المنسرح]

يومُ رَذاذٍ مُمسِّكُ الحُجُبِ ، يَضحَكُ فيه السُّرورُ من كَثَبِ
ومَجلِسٌ أُسبِلَتْ ستائِـرُه على شُموسِ البَهاءِ والحَسَبِ
وقد جرَتْ خيلُ راحِنا خَبَباً في جَرْيِها ، أو هَمَمْنَ بالخَبَبِ
والتهبَت نارُنَا ، فمنظرُها ، يُغْنيكَ عن كلِّ منظرٍ عَجَبِ
إذا ارتمَتْ بالشَّرارِ واطَّرَدَتْ على ذُراها مَطارِدُ اللَّهَبِ
رأيـتَ ياقوتَـةً مشبَّكةً ، تَطِيرُ عنها قُراضَةُ الذَّهَبِ[2]
فسِرْ إلى المجلسِ الذي ابتسمَتْ فيه رياضُ الجَمالِ والأدَبِ

69

وقال يصف مزمَّلة[3] : [من الطويل]

يُحيِّي اشتياقاً بعضُنا بك بعضَنا ، إذا قَبَّلَ الكاسَ الرَّوِيَّةَ شاربُ[4]
وعندي لك الرَّيحانُ زِينَ بَساطُه بِزَهْرٍ ، كما زانَتْ سماءً كواكبُ[5]

---

1 شُعْث : متفرقة .
2 القُرَاضة : القطع الصغيرة ، ويريد بها شرر النار .
3 المزمَّلة : ورد شرحها في الصفحة 100 .
4 الرَّوِيَّة : التي تُشْبِع .
5 البَسَاط : الأرض الواسعة .

وذيْلٌ كما انجرَّتْ ذُيولُ غَلائلٍ مُصَنْدَلَةٍ ، تختالُ فيها الكواعبُ[1]
سقاه دموعَ الوَردِ ساقٍ أساله ، وشابَ له الكافورَ بالمِسكِ شائبُ[2]
وقد أُطلِقَت فيه الشمائلُ وانثنَتْ مقيّدةً في جانِبَيْـــهِ الجَنائبُ[3]
وحافظـــةٌ مـــاءَ الحيـــاةِ لفِتيةٍ حياتُهمُ أن تُستَلَذَّ المَشارِبُ
يسربلُها أجفى اللِّباسِ ، وإنما يَليقُ بها أفوافُـــه والسَّبائبُ[4]
على جَسَدٍ مثلِ الزَّبَرْجَدِ لم يَزَلْ يُشاكِلُه في لَونِـــهِ ويُناسِبُ
إذا استُودِعَتْ حُرَّ اللُّجَينِ سبائكاً ، يُصوَّبُ من أجسامِها ، وهو ذائبُ

70

وقال يستدعي صديقاً له ويصف قدوراً على النار : [من الهزج]

شَوًى أثوابُهُ قُشُبُ ، ومَدٌّ شأنُه عَجَبُ[5]
ترى الأمواجَ تسكُنُ في غَوارِبِـــه وتضطـــربُ
كسِرْبِ الوحشِ يبعُدُ في تـــناطُحِه ويَقتـــربُ
ويـــومٌ يُؤثِـــرُ اللَّذَّا تِ فيه من له أدَبُ
وشمسٌ من وراء الدَّجْـ ـنِ تُسفِرُ ثم تنتقبُ[6]
ومجلِسُنا على شَرَفٍ بحُجْبِ الغيمِ مُحتَجِبُ[7]

---

1 المصندلة : المطيّبة بالصندل ، وهو شجر هندي طيِّب الرائحة .
2 شاب : خلط . الكافور : مادة عطرية .
3 الجنائب : الأفراس .
4 أجفى : الغليظ .
5 الشوى : مجموع أطراف الجسم ، كناية عن الجسم . المدّ : من مدّ ماء البحر إذا ارتفع واندفع نحو الشاطىء .
6 الدَّجْن : الغيم المطبّق المظلم .
7 الشَّرَف : المكان العالي .

علا ، فالبرقُ يَبسِمُ دو　　نَه ، والرعدُ يَنتحِبُ
فَمِنْ شرقيِّهِ لَهَبٌ ؛　　ومن غربيِّهِ صَخَبُ
وبين يديه زاهرةٌ　　إلى الأنواءِ تَنتسبُ ،[1]
لها من كل مُرْتَجِسٍ　　يَمُرُّ بها أبٌ حَدِبُ ،[2]
يَميلُ بها قضيبُ البا　　نِ أحياناً وينتصِبُ
وقد رُفِعَتْ لنا سُودٌ　　نجومُ سَمَائِها الحَبَبُ ،[3]
تَجيشُ بما أفاءَ الطِّرْ　　فُ والمجنوبةُ النُّجُبُ ،[4]
وترطُنُ مثلَ ما جَعَلَتْ　　نساءُ الزِّنج تصطَخِبُ ،[5]
وأحدَقْنا بأزهـرَ خا　　فقاتٌ فوقَه العَذَبُ[6]
يُواصلُ في آسمه فِعْلَ الـ　　ـمُقرَّبِ ثم يُجتَنَبُ ،[7]
فما يَنفكُّ من سَبَجٍ　　يعودُ كأنه ذَهَبُ
وإخوانُ الصَّفاءِ إليْـ　　ـكَ مشتاقٌ ومُكتَئِبُ
وذِكرُكَ بَيْنَهُمْ أزكى　　من الرَّيحانِ إن شَرِبوا
وقد وافاك مَوْكِبُهُمْ ،　　فكنْ حرّاً كما يَجِبُ

---

1 الزاهرة : الحسن من النبات . الأنواء : النجوم .

2 المرتجس : السحاب الرعّاد .

3 سود : أي قدور سود إما لأنها من حديد أو لأن الدخان سوَّدها .

4 أفاء : غَنِم . الطِّرْف : الرجل الحديث الشرف . المجنوبة النُّجُب : الأفراس الكريمة .

5 أراد بالرطانة صوت غليان القدور .

6 أحْدَق : أحاط به . العَذَب : أغصان الشجرة . الأزهر : الإبريق الأبيض ، وأراد إبريق الخمر .

7 المقرَّب : الفرس الذي يُقَرَّب معلفه لكرامته .

71

وقال يستهدي نبيذاً من ابن فهد : [من الطويل]

تصابى ، فأضحى بعد سلوتِه ، صبًّا ، وعاودَ عمروٌ طوْقَه بعدَ ما شَبَّا[1]

ومرَّ به رَطْبُ البَنانِ ، كأنه يُميِّلُ من أعطافِه غُصُناً رَطْبا

نَشرْتُ له صَدْرَ العِتابِ ، فقال لي : ظَفِرْتَ بنا فَٱطْوِ العِتابَ ، لك العُتبى[2]

ولا وصْلَ إلا أن تَبيتَ أكُفُّنا ، ركائبَ تُزْجي من مُدامتِنا رَكْبا[3]

فجدِّدْ بها عهدَ التَّواصُلِ بيننَا ، وداوِ بها شَوقاً ونَفْسٌ بها كَرْبا

وكنْ ، يا ٱبْنَ فهْدٍ ، في الفُتوَّةِ عاذري فما زِلتَ خِدْناً للفُتوَّةِ أو تِرَبا

ولا تَجعَلِ الذَّنْبَ العظيمَ خيانةً ، فليسَ مليحُ الذَّنبِ مُقترِفاً ذَنْبا

72

وقال يصف اللينوفر[4] : [من المنسرح]

يا حُسْنَ لَيْنوفَرٍ شُغِفْتُ به ، يمنَحُه الماءُ صفْوَ مشروبِهْ

كأنه عاشقٌ به ظمأٌ ، توهَّمَ الماءَ ريقَ محبوبِهْ

73

وقال للوزير المهلبي : [من البسيط]

هَل للوزيـــرِ أدامَ اللهُ دولتَـه ، في صاحبٍ يتحرَّى نُصْحَ مَنْ صَحِبا

---

1 يشير هنا إلى المثل القائل : شبَّ عمرو عن الطوق ، وقصة عمرو هذا معروفة في تاريخ العرب .

2 العُتْبى : الرِّضى ، ويريد أنه يسترضيه .

3 يريد أن أكُفَّهم أصبحت مطايا للكؤوس تسوق الخمر إلى الأفواه .

4 اللينوفر : نوع من الرياحين .

وعارفٍ بفنونِ الشِّعرِ يَنقُدُها نَقْدَ الصَّيارفَةِ الأوراقَ والذَّهَبا
طافَ الذكاءُ به يوماً يكلِّفُهُ ، فكادَ يُضرِمُ في أثوابِه اللَّهَبا
لو أنّ صاحِبَه يوماً يكلِّفُه ثِقْلَ الجبالِ إذا ما عدَّه تَعِبا
فَخُذْهُ يَرْضَ الذي تُوليه من حَسَنٍ ، ولو نفى الأصفرَين : الظِّمْأَ والسَّغَبا

74

وقال ينعت الشبكة : [من الرجز]

عندِي إذا ما ارتاحَتِ القلوبُ ، وحنَّ للصَّيدِ الفتى الطَّروبُ
أداةُ رزقٍ شأنُها عجيبُ ، يُخصِبُ منها المَنزلُ الجَديبُ
كالدِّرعِ أصداها الحيا السَّكوبُ ، يَبعَثُها رامٍ بها مُصيبُ[1]
عيونُها عن عينِه تَنوبُ ، في زاخرٍ تيّارُه صَخوبُ
له مجالٌ فيه أو سُروبُ ، إذا ابتغى الرِّزقَ بها الطَّلوبُ[2]
أعطَتْه ما يذكو وما يَطيبُ[3]

75

وقال يحثّ على الشرب : [من المنسرح]

الكأسُ قُطْبُ السُّرورِ والطَّرَبِ ، فاحْظَ بها قبلَ حادثِ النُّوَبِ
وانظُرْ إلى الليلِ كيفَ تَصدَعُهُ رايةُ صُبحٍ . مُبيضَّةُ العَذَبِ
كراهبٍ حنَّ للهوى طَرَباً ، فشقَّ جِلبابَه من الطَّرَبِ

---

1 أصداها : مخففة عن أصدأها : أي سبب لها الصدأ .

2 الطَّلوب : الطالب .

3 يذكو : تسطع رائحته .

فاليومَ يومٌ صفَتْ شَمائلُه ، بصَفْوِ عيشٍ ومنظَرٍ عَجَبِ
فمن صقيلِ المُدُودِ مُطَّرِدٍ ، كأنه ماءُ صفحةِ القُضُبِ[1]
تَرْعُدُ أحشاؤه لديَّ كما تَرْعُدُ أحشاءُ هائمٍ وَصِبِ[2]
ومن قصورٍ عليه مُشرفَةٍ ، تُضيءُ والليلُ أسودُ الحُجُبِ
بيضٍ ، إذا الشَّمسُ حانَ مَغرِبُها ، حَسِبْتَ أطرافَهُنَّ من ذَهَبِ

76

وقال في معناه أيضاً : [من الخفيف]

كَبوَةُ الهمِّ بين كاسٍ وكُوبِ ، واغتباطِ المُحِبِّ والمَحبوبِ
هو يَومي من اللَّذاذَةِ يُجلي ، فِعلَ يومِ الكَريهةِ المَرهوبِ
حبَّذا أسهُمٌ تُفوِّقُها الألـ ـحاظُ ، لا تُتَّقى بغيرِ القُلوبِ[3]
بينَ خيلٍ من المُدامةِ قَرَّبْـ ـنَ إليَّ السرورَ بالتقريبِ[4]
ودِنانٍ أُقِمْنَ صفّاً كما قا مَ ، غَداةَ اللِّقاءِ ، رَجْلُ حُروبِ
وبواطٍ كأنَّهنَّ وِهادٌ ، أترَعَتها سِجالُ غيثٍ سكوبِ[5]
فكأنَّ الكؤوسَ فيها جُنوحاً ، أنجمُ اللَّيلِ صُوِّبَتْ للمَغيبِ
نحنُ أبناءُ هذه الكأسِ لا نعْـ ـدِلُ عن شُربِها إلى مَشروبِ
أدَّبَتْنا الأيامُ حينَ أَرَتْنا بطْشَ أحداثِها بكلِّ أديبِ
وَعَلِمْنَا أنَّا نَصيبُ المَنايا ، فأخذنا من الهوى بنصيبِ

---

1 المدود ، مفردها مَدّ : السيل . المطَّرِد : الجاري .
2 الوَصِب : المريض .
3 فوَّق السهم : جعل له شقاً لوَضْع الوتر فيه .
4 التقريب : مَشْيُ الخيل ببطء .
5 البواطي ، مفردها باطية : إناء من الزجاج يملأ بالشراب .

77

وقال : [من الكامل]

لَبِسَت مُصَندَلةَ الثِّيابِ فمَن رأى   قمراً تَسربَلَ ، بعدَها ، أثوابا
وحَكَت من الرَّشإِ الرَّبيبِ ثلاثةً :   عيْناً وجِيداً مُفْتِناً ، وإهابا

78

وقال يمدح وهي مشروودة[1] : [من مجزوء الكامل]

فلقَد حَدا بـرقُ الغليـ   ـلِ سحائبَ الدمعِ السَّكوبِ
لـولاه لم يـكُ للمنا   زلِ في دُموعي من نصيبِ
وردَتْ عليه صوالجٌ ،   لَعِبَت بحبّاتِ القلوبِ[2]
لَمَّا خطبْتُ نَدى الحُسيـ   ـنِ أَمِنْتُ غائلةَ الخُطوبِ
قَمرُ النَّدى بل ضيغمُ الـ   ـهيجاءِ في اليومِ العَصيبِ
فعُفـاتـُه في مَرتَـعٍ   من سَيْبِ راحتِه خَصيبِ
شِيَمٌ حَلِينَ من الثنا   ءِ كما عَطِلْنَ من العُيوبِ
بغرائبٍ تَهْدي اللُّبا   بَ من الثَّناءِ إلى اللَّبيبِ
لو صافحَتْ سَمْعَ المُحِبْـ   ـبِ لأَذهلتْهُ عن الحبيبِ

79

وقال يرثي بعض إخوانه وهي أيضاً مشروودة : [من الكامل]

وسألتُ عنه ، فقيلَ مَاتَ لِمَا به   قلبُ النَّدى لا شكَّ مَاتَ لِما به

---

1 المشروودة : المقطوع منها أولها .

2 الصَّوالج : عُصِيّ معقوفة الرأس يلعب بها الفرسان .

وكأنَّما بَخُلَ الزَّمانُ على الوَرى ببقائِه ، أو هابَه ، فبدا به

فلِمَن أصونُ مَدامعي من بعدِه ، ولأيِّما أبكيهِ من أسبابِه

لخِطابِه لجوابِه لِصوابِه لحِفاظِه لِثوابِه لعِقابِه

للحَملِ عن مُنتابِه ، للنُّصْحِ عن أسبابِه ، للصَّفْحِ عن مُغتابِه[1]

للبِيضِ من أثوابِه ، للزُّهرِ من آرائِه ، للغُرِّ من آدابِه[2]

لِحِجاه ، أم لِنُهاهُ ، أم لِقِراه ،أم لعُلاه ، أم لنَداه في أصحابِه[3]

أم من يُرَجّي بعدَه صَرفَ الرَّدى عن نفسِه بجِلادِه وضِرابِه

هيهاتَ لا يُغني البُكاءُ ، إذا سَطا أَسَدُ الزمانِ بمِخلَبيْهِ ونابِه

ولَئِنْ سَقاهُ الموتُ كأساً مُرَّةً ، فلْيَشربنَّ الموتُ مثلَ شَرابِه

80

وقال : [من الطويل]

فِداؤُكَ مَنْ أوردْتَه منهلَ الرَّدى ، ووِرْدُ الرَّدى ، للعاشقين يَطيبُ

وما ماتَ حتى أُنْحَلَ الحبُّ جِسمَه ، فلم يبقَ فيه للتُّرابِ ، نَصيبُ

---

1 المُغْتا ب : الذي يذكر غيره بالسوء .

2 الزُّهر : الصافية القوية .

3 النُّهى : العقل . القِرَى : الضيافة .

قافية التاء

81

وقال يصف صيد الدالوية بالطشت والسراج[1] : [من الرجز]

لمَّا مضى يومُكَ في اللّذاتِ ، وفي سرورٍ مُعْجِبِ الأوقاتِ
وأقبلَ اللّيلُ على ميقاتِ ونشر الغرْبُ المُمسَّكاتِ[2]
ومدَّ حتى صِرْنَ مُظْلِماتِ ، قُمنا إلى الصيدِ بمُجلِباتِ[3]
مثلِ البدورِ الزُّهْرِ طالعاتِ ، تخالُـهـا بالتِّبرِ مُشْرَبـاتِ[4]
وسُرُجٍ كالشُّهبِ ذاكيـاتِ ، بمُرعـــداتٍ وبمُبرقـــاتِ[5]
زاهـرةٍ كزاهـرِ النبـاتِ ، تُراعُ منهنَّ مها الفلاةِ[6]
وأكلُبٍ تستغرقُ الصِّفاتِ ، ضوامرِ الأحشاء مُختطَفاتِ
إلى دماء الصَّيْدِ صادياتِ ، باسطةَ الآذانِ سابغاتِ[7]
سواقطِ الأرجاء ساكناتِ ، بلـؤلـؤِ الطَّـلِّ مُقرَّطـاتِ[8]

---

1 قوله الدالوية : لم نجد هذه اللفظة ، ولعلها اسم لطير معروف في العراق ، أو ضرب من الحيوان كالظّباء وغيرها .

2 المسّكات : أي التي لونها لون المسك أسود ، ولعله أراد ستور الظلام .

3 المجلبات : المصوتات ، ولعله أراد بها الطسوت التي يضربن بها لإثارة الصيد .

4 الزُّهْر : المتلألئة .

5 السُّرُج : القناديل . ذاكيات : شديدة اللهب .

6 الزاهر : الحَسَن من النبات .

7 صاديات : عِطاش .

8 سواقط الأرجاء ، يريد أن آذانها متهدلة . مقرّطات : لابسات القُرْط وهو الحَلَق .

فعَنَّ من سِربٍ ، ومن ظَبْياتِ ، مشتبهِ التيجانِ والشِّياتِ[1]
ترى الرَّوامجَ مصندَلاتِ ، قد جلَّلَتْهنَّ مفرِّجاتِ[2]
عن يققِ البطونِ واللَّبّاتِ ، وزُيِّنَتْ منها ذُرى الهاماتِ[3]
فطُوِّقَت من شِبَعٍ طاقاتِ ، فلم تزل تنظُرُ حائراتِ[4]
راسفةً رسْفَ المقيَّداتِ ، قد عَميتْ عن سُبُلِ النَّجاةِ[5]
ثمَّتَ صافحنا المُحَبَّناتِ نحورُها كَثَلَّةِ الرُّعاةِ[6]
حتى ، إذا لاح الصباحُ الآتي ، ونشرَ الشرقُ مُعصفَراتِ[7]
تَنْقَضُّ حتى صِرْنَ مُذْهَباتِ ، قُمنا بها بيضاً مجرَّداتِ
تَحسبُها العينُ مفضَّضاتِ ، فعُدْنَ منهنَّ مخضَّباتِ[8]
وارتفعتْ قدورُنا اللواتي تعتامُ في الخِصبِ وفي الأَزْماتِ[9]
ترى بناتِ الماءِ غالياتِ ، مشرفةً منها على الحافاتِ[10]

---

1 عَنَّ : ظَهَر . قوله : ظبيات ، سكّن الباء مراعاة للوزن . المُشْتَبِه : المُشْكل والملتبس . الشِّيات ، مفردها شِيَة : كل لون يخالف معظم لون الشيء ؛ العلامة .

2 الروامج ، مفردها رامج : ملواح تصطاد به الجوارح كالصقور وغيرها . والملواح : البومة تشد رجلها ليصاد بها البازيّ . المصندلات ، من الصَّنْدَل : شجر خَشَبُه طيب الرائحة . المفرّجات : الكاشفات .

3 اليَقَق : البياض .

4 الطاقات : الحلقات .

5 رسَفَ : مشى مِشْية المقيَّد .

6 المحبّنات : العظيمة الممتلئة ، كناية عن الظِّباء . الثَّلَّة : جماعة الغنم الكثيرة .

7 معصفرات : كناية عن النور .

8 مُفَضَّضات : مطلية بالفِضة .

9 تعتام : تختار الأفضل .

10 بنات الماء : لعله أراد ما وضع في القدور من طيور الماء أو الأسماك . أو لعله أراد اللحم الذي يغلي في الماء .

مثلَ كبارِ الـراء طافياتِ ، فهي وما فيها من الأقواتِ[1]

للضيفِ والجيرانِ والجاراتِ

82

وقال يصف غديراً : [من مجزوء الرمل]

رُبَّ صافٍ رَقْرَقَته الرْ ـريحُ في متنِ صَفاةِ[2]

عَبِقٌ من جرٍّ أذيا لِ ريـاحٍ عَبِقـاتِ

صافحَ الرُّكبانُ منه صَفْحَتَيْ عَذْبٍ فُراتِ[3]

أودَعَتْه الرّيحُ ما استَوْ دَعَها زَهْرُ النَّباتِ

فانثَنَوا عنه بأيـدٍ خَضِـراتٍ عَطِـراتِ

83

وقال يصف نارنجة : [من الكامل المرفل]

أهدتْ على نأيِ المحلِّ ، وقد أنأى التصبُّرَ طولُ هِجْرتِها

نـارَنْجَـةً منها استُعِيرَ لها ما أُلبِسَت من حُسْنِ بَهجتِها

فشُعاعُها من نارِ وجنتِها ، ونسيمُها من عِطرِ نكهتِها

وكأن ما يُخفيه باطنُها ، ما أضمرَتْ من سُوء غَدرتِها

وحكى اخضرارٌ شابَ حُمْرَتَها قَرصَ الأكفِّ أديمَ وجنَتِها

وأتتكَ مُكْمَلَـةً محاسنُهـا تختـالُ في أثـوابِ زينتِها

فشَعارُها صُفْرُ اللُّجَيْنِ ، ومن ذَهَبٍ مَصوغٍ ثوبُ بِذلَتِها[4]

---

1 الرّاء ، مفردها راءة : الشجرة .

2 الصّفاة : الصخرة .

3 الماء الفُرات : العَذب جداً .

4 الشعار : ما تحت الدثار من اللباس . البذلة من الثياب : ما يلبس كل يوم .

تُهدي إلى الأرواحِ من بُعُدٍ تُحَفَ السُّرورِ بطيبِ نَشْرتِها[1]
ويصونُها مسرَى روائِحِها ، من أن تباشرَها بشمَّتِها
فاشربْ عليها من شقيقتِها ، في نعتِ ريّاها وصيغتِها[2]
واعطِفْ عِنانَ النفسِ عن فِكَرٍ ، راحتْ معذَّبــةً بصحبتِها

84

وقال يهجو رجلاً ادَّعى شعره : [من البسيط]

أَمُقدِمٌ ، يا أبا المِقدامِ ، أنتَ على شِعري ، وتاركُهُ أسلابَ غاراتِ[3]
إني خلعتُ إليه العذرَ مُنسلِخاً من الحِجَا ، سابحاً في بحرِ غاراتِ[4]
وكيف شنَّ أبو الغاراتِ غارتَه عليَّ مُقتحماً بالخيل ساحاتي
إن المجانينَ لا تُلحَى إذا اجترَمَتْ ، ولا تُلامُ على إتيانِ سَوءاتِ[5]
ما كنتُ أَحْذَرُ غاراتِ النبيطِ ، ولا أخاف عَضَّ كلابٍ مُستكيناتِ
يا مُدَّعي الشِّعْرِ كُنْ منه على وَجَلٍ ، فقد مُنِيتَ بشيطانٍ له عاتي[6]
ذَلَلْتَ ذِلَّةَ ذي جهلٍ ، وقد كثُرَتْ ، في أخدعَيكَ وفي اليافوخِ ذِلاّتي[7]
صفْعٌ ، أخذْتَ به شِعْري برُمَّتِه ، فنِلْتَ ثأرَكَ ثم ازددْتَ ثاراتِ
وهَبْكَ حاولتَ مَدحاً تستميحُ به فلِمْ جَريتَ على تلك المَلاماتِ[8]

---

1 النَّشْرة : النسيم ، ويريد هنا رائحتها .

2 أراد بشقيقتها : كأس الخمر .

3 الغارات، مفردها غارة : الهجوم على القوم والإيقاع بهم .

4 الحِجا : العقل والفطنة . الغارات هنا : لعله أراد بها النهب .

5 تُلحى : تُلام وتُعاب . اجترمَتْ : أذنَبَتْ . السَّوْءات : الفاحشة ؛ الخلَّة القبيحة .

6 العاتي : الجبار .

7 الأخدعان : عرقان في صفحتي العنق . ولعله أراد بذلاّتي : إذلالي إياك .

8 تستميح : تطلب الفضل والعطاء .

85

وقال يصف بئراً احتفرها في داره : [من الكامل]

إني هُديتُ لنعمةٍ مكنونةٍ ، فأثَرتُها من تُربةٍ وصَفاةِ
بئرٍ كأنَّ رِشاءها في مائِها ، سمراءُ قد رُكِزَتْ على مِرآةِ[1]
كافورةُ الصَّيفِ التي تحيا بها منَّا النُّفوسُ وَصِمَّةُ الشَّتَوَاتِ[2]
طَوَّقْتُها حجرًا ، ولو أنْصَفتُها طوَّقْتُها بقلائـدِ اللَّبَّـاتِ[3]
ملَكت ثناءَ جوانحي ، فجميعُها ، يُثني بما أُولَت من الحَسناتِ
ولَكَمْ مُنيتُ بغيرِها فكأنَّما حاولتُ خيرَ مضيَّعِ الخَيراتِ
تُعطيك بعدَ الكَدِّ ماءً آجناً ، طَرْقاً ، كفَقْدِ الماءِ في الفَلواتِ[4]

86

وقال يمدح الأمير أبا المُرجَّى جابر بن ناصر الدولة : [من الكامل]

شِيَمُ الأميرِ وفَتْ لنا بعِداتِها ، فَجرَتْ سحائبُ جُودِه لعُفاتِها[5]
لا تَعدَمُ العَلياءُ منه شَمائلاً ؛ حَسناتُ هذا الدهرِ من حَسناتِها
نَفديه إنْ كُنَّا الفِداءَ لنفسِه ، من حادثِ الأيَّامِ أو نكَباتِها
شكَتِ العُلى لمَّا شكَتْه جُفونُه ، فشَكاتُـه مَقرونـةٌ بشَكاتِهـا
قد قلتُ للأعداءِ : مهلاً ! إنها نُوَبٌ تجلَّى الصبحُ من ظُلُماتِها

1 الرشاء : الحبل . سمراء : يريد فتاة سمراء . رُكِزَت : أُسنِدَت .
2 صِمَّةُ الشتوات : يريد أنها تحفظ المطر في الشتاء .
3 اللبة : موضع القلادة من العنق .
4 الماء الطرق : الذي خوّضته الإبل .
5 العِدات : الوعود .

قالوا : اشتكى رمَداً حمَى أجفانَه   سِنَةَ الرُّقادِ ، وغضَّ من لَحَظاتِها[1]
فأجبتُهُم لم ترمَدِ العينُ التي   تَحمرُّ بأساً يومَ حربِ عُداتِها
لكنْ رأتــه مُحاربــاً أموالَــه   بنَوالِه ، فَجَرَتْ على عاداتِها

87

وقال يعتذر لسلامة بن فهد من شيء جرى على سكر : [من المنسرح]

لا تأخُذَنِّي بجُرمِ كاساتِ   فما جِناياتُهــا جِنايــاتي
فالسُّكرُ بَـرِيَّـةٌ بلا عَلَمٍ ،   يَضَلُّ فيها أخو الهِدايات
إن كنتَ عني الغداةَ مُنصرِفاً ،   فالحَظُّ ثنائي ، والحظْ مُوالاتي
وإن جرَت زَلَّـةٌ على سَكَرٍ ،   فإنها اليومَ بِكرُ زَلاَّتي



1 حَمَى : منع .

قافية الجيم

88

وقال يمدح أبا الفوارس سلامة بن فهد ويسأله كتاب شفاعة له : [من البسيط]

لو سَالَمَتْهُ سجايا طَرفِكَ السَّاجي ، لكان أوَّلَ صَبٍّ في الهَوى نَاجِـي[1]
سرَتْ أوائلُ دمعِ العينِ حينَ سرَت أوائلُ الحيِّ من ظُعْنٍ وأحداجِ[2]
ومن وراءِ سُجوفِ الرَّقْمِ شَمسُ ضُحىً، تجولُ في جنحِ ليلٍ مُظلمٍ دَاجِـي
مقدودةٌ خَرَطَت أيدي الشبابِ لها حُقَّينِ دونَ مجالِ العِقدِ من عاجِ[3]
كأنَّ عَبْرَتَها يومَ الفِراقِ جرَتْ من ماءِ وجنتِها ، أو ماءِ أوداجِ[4]
ما للقوافي خَطَت قَوماً محاسنُها ، وَأُلْـهِجَتْ بابنِ فَهدٍ أيَّ إلهاجِ[5]
فكلَّ يومٍ تُريهِ رَوضَةً أُنُفاً تُربي على الروضِ من حُسنٍ وإبهاجِ[6]
مُفوَّفاتٌ ، إذا استسقَت أناملَه ، ضَحِكْنَ من عارضٍ للجُودِ ثَجَّاجِ[7]
ثَنى المديحُ إليه عِطْفَه ،. فثنَى أعطافَه ، منه في وَشيٍ وديباجِ
أغرُّ ما حكَمت يُمناه في نَشَبٍ ، إلا تحكَّم فيه الآملُ الراجي[8]

---

1 الساجي : الساكن الفاتر .

2 الأحداج : الأحمال .

3 المقدودة : النحيلة . حقّين ، يريد النَّهْدين .

4 الأوداج ، مفردها ودج : عرق في العنق .

5 قوله خطت : لعلها مخففة عن خطِئت : لم تصب . أُلْهجَ بالشيء : أُولِعَ به ولزمه .

6 روضةٌ أُنُف : عذراء .

7 ثجاج : شديد الانصباب .

8 النشب : المال .

ومُتعِبٌ في طِلابِ المجدِ هِمَّتَه ، مُواصلٌ للسُّرى فيه بإدلاجِ[1]
مَعمورةٌ بذوي التِّيجانِ نِسبتُه ، فما يُعدِّدُ إلا كلَّ ذي تاجِ
تَسطو بأسمرَ يُمضيه سَنا قَبَسٍ ، بينَ الشَّراسيفِ والأحشاءِ ولَّاجِ[2]
والبِيضُ فوقَ متونِ الزَّعْفِ خافقةٌ ، كأنهن حريقٌ فوقَ أمواجِ[3]
عزْمٌ إذا نابتِ الأقوامُ نائبةٌ ، تكشَّفَتْ عن سِراجٍ منه وهَّاجِ
أبا الفوارسِ ! إني مُطلِقٌ هِمَمي ، فيما أحاولُ من نأيٍ وإزعاجِ
منافرٌ نفَراً رثَّت حِبالُهمُ ، وأنهجَ الجودُ فيهم أيَّ إنهاجِ[4]
ترى الأديبَ مُضاعاً بين أظهرِهم ، كأنــه عربــيٌّ بينَ أعــلاجِ
فليسَ يُطرِبُهم أني مدحتُهمُ ؛ وليس يُغضِبُهُم أني لهم هاجي
وأنتَ تعلمُ أني جَدَّ لي سَفَرٌ ، إني إلى الكُتْبِ فيه جِدُّ مُحتاجِ
فما يُطيلُ مُقامي في ديارِهمُ ، إلا انتظــارُ طواميــرٍ وأدراجِ[5]

89

وقال : [من الوافر]

صرَفْتُ عَنِ الكثيرِ الوَفْرِ طَرفي ، وها أنا للقليلِ الوَفرِ رَاجِـي
وكم من نُطْفَةٍ عَذُبَتْ وطابَـتْ أحبُّ إليَّ من بحرٍ أُجاجِ[6]

---

1 الإدلاج : سَيْر الليل كله أو في آخره .

2 الشراسيف ، مفردها شرسوف : طرف الضلع المشرف على البطن . الولاَّج : الدخّال .

3 الزَّعف : الدروع الليّنة .

4 مُنافِر ، من نافَرَ فلاناً : فاخره في الحسب والنسب . أنهج : بَلِيَ .

5 الطوامير ، مفردها طامور وطُومار : الصحيفة . الأدراج : الكُتُب .

6 النُّطفة : القليل من الماء . الأُجاج : الملح .

90

وقال وقد نظر إلى رجل في الحمّام قد أُطلي نُورة[1] : [من الكامل]

ومُجرّدٍ كالنَّصلِ أسْلَمَ نفسَه ، لمجرَّدٍ يكسوه ما لا ينسُجُ
ثوباً تمزِّقُهُ الأناملُ رِقَّةً ، ويُذيبُه الماءُ القَرَاحُ ، فيبهُجُ[2]
فكأنه ، لَمَّا التقى في خَصره ، نصفان ذا عاجٌ وذا فَيروزَجُ[3]

91

وقال يصف الآذَرْيُون[4] : [من الطويل]

وروضةُ آذَرْيونَ قد زُرَّ وسْطَها نَوافجُ مِسْكٍ هيَّجَت قلبَ مُهتاجِ[5]
تراهـا عيونــاً بالنَّهـارِ روانياً وعند غروب الشمس أزرارَ ديباجِ

92

وقال يصف عقرباً : [من المنسرح]

ساريةٌ في الظَّلامِ مُهدِيةٌ إلى النفوسِ الرَّدى بلا حَرَجِ
شائلةٌ في ذُنَيْبِها حُـمَةً ، كأنها سَبْجةٌ منَ السَّبَجِ[6]

---

1 النُّورة : حجر من الكلس يُستعمل لإزالة الشعر .
2 يَبْهُج : يَحْسُن .
3 الفيروزج : حجر كريم .
4 الآذَرْيُون : نبات يقال له أيضاً بخور مريم ، وهو نوع من الزهر الأصفر أو الأحمر الذي يكتنفه السواد من وسطه .
5 النوافج ، مفردها نافجة : الجلدة التي يجتمع فيها المسك .
6 الحُمَة : الإبرة التي تضرب بها العقرب . السَّبج : الخرز الأسود .

93

وقال يستهدي ثلجاً : [من الوافر]

رأيتُ الناسَ ذا جُودٍ ومَنْعٍ ، فذا يُثنَى عليه ، وذاك يُهجَى

وفَقْدُ الثلجِ في إبَّانِ قَيْظٍ ، تَذُوبُ له الصخورُ الصُّمُّ وَهْجا[1]

فجُدْ بالقوتِ منه تَحُزْ ثَناءً ، أراكَ بفضلِه أَولى وأَحْجَى[2]

ولا تتعَجَّبَنْ مِنْ بَرْدِ شِعري ، فإني طالبٌ بالثَّلجِ ثَلْجَا

94

وقال يصف حمّاماً : [من البسيط]

لَمَّا رأينا خُمارَ الكأسِ يَعْلَقُنَا عُجْنا إلى بيتِ عاجٍ أرضُه سَبَجُ[3]

بيتٌ له داخلٌ حَلَّ النَّعيمُ به ، وخارجٌ فيه للقلبِ الشَّجيِّ فَرَجُ

ذو قُبَّةٍ كسماءٍ ، والبُدورُ بها جاماتُها في ذُرىً في الجوِّ ، يَنشَرِجُ[4]

حَرٌّ وبَرْدٌ سَواءٌ ، والهواءُ به مُعَدَّلٌ قِسمةً ما شانَها عَوَجُ

---

1 الوَهْج : اتِّقاد النار .

2 أحجى : أي أخلق به .

3 الخُمار : صُداع الخمر . يَعْلَقُنا : يقتلنا .

4 الجامات ، مفردها جام : الكأس . ينشرج : ينشق ، والمعنى غامض .

قافية الحاء

95

وقال يمدح أبا الفوارس سلامة بن فَهد ويهنئه بعيد الفطر : [من الرمل]

لَمحةُ البارقِ من حيثُ لَمحْ   طَمَحَتْ للشَّوقِ وَهْناً فطَمَحْ
أَذكَرَتْنا الجيرَةَ الغادين من   برقةِ الأبرقِ ، والرَّكْبَ الرَّوَحْ[1]
والخيامَ المُسْتَقِلاَّتِ ضُحًى   بظِباءٍ نزَحَتْ فيمن نزَح
وتَرى الكارين مَغبوقاً به   رَوَقُ الغيثِ به ، أو مُصطَبَح[2]
وقُرى دِجلةَ تَطفو فوقَه ،   واضحاتِ النَّهْجِ ما فيه وضَح[3]
كلُّ خَفَّاقِ الجَناحين ، إذا   فارَقَته غَمْـرةُ المـاءِ جَنَح
والرُّبا من شاطىءِ النَّهرِ ، إذا   سَرَبَ الماءُ عليه وسَرَح
واختيالُ الرَّوضِ في وَشْيِ الحَيا ،   واعتراضُ الجوِّ في قَوسِ قُزَح
وَطَنُ اللَّهوِ ، فَمن مجروحةٍ   دمعُها الرّاحُ ، ودمعٌ مُجتَرَح[4]
يُسلِمُ الدمعَ عليه نازحٌ ،   لو رآه أسلمَ الدمعَ قُزَح[5]

---

1 الرَّوَح بفتح الواو : في الأصل هي الرَّوْح بتسكينهـا : وهي جمع رائح ، فتحها مراعـاة للقافية .

2 الكارين : لم نجد هذه اللفظة ولعله ضرب من الدنان ، أو لعله جمع كار : وهو ضرب من السفن . المغبوق ، من الغَبوق : ما يُشرَب في العَشي ، وهو خلاف الصَّبوح . الرَّوْق : الماء الصافي .

3 الوَضَح : البرص ، ويريد هنا العيب .

4 المُجتَرَح : المُكتَسَب .

5 يُسْلم : يُرْخي . قزح : طرائق ، وهي في الأصل طرائق الألوان في قوس قزح .

حَبَّذا أحناؤه لا المُنحَنى ، وذُرى الطَّلْحِ به لا مُطَّلَح[1]
حيثُ تُرْبُ الأرضِ مِسكٌ راقدٌ ، فإذا نبَّهـه القَطْـرُ نفَـح
ومَقالُ الشَّرْبِ للساقي أَدِرْ فَلَكَ الرّاحِ وللطاهي برَح[2]
يا آبْنَ فَهْدٍ أنتَ لي جارٌ ، إذا حادثٌ أعضلَ ، أو خَطْبٌ فَدَح
كلُّ قولي لكَ ما هذا ندىً ، حين قولي لأُناسٍ ما أشحّ
أَربي أن أجلُبَ الحمدَ إلى يَعرُبيِّ الفخرِ ، أو أهدي المِدَح
وَهَبَ المجدُ له أوضاحَه ، فارتداهُنَّ ، وللنَّاسِ التَّـرَح[3]
بات يجري والحيا في طَلَقٍ ، كـلَّما كلٌّ مُجاريهـه جَمَح[4]
هِمَّةٌ إن شامَها غاضَتْ به ، هِمَّةٌ إن رامَهـا لاحٍ ألحّ[5]
أصلحَ اللهُ لكَ الدَّهرَ ، فقد أصلحَتْ يُمناك دهري فصَلُح
هو عَيشٌ عادَ في صِحَّتِه ، وهلالٌ عادَ للسُّقْمِ شَبَح
وصِيامٌ أزعجَـت بارحَـه سانحاتُ الفِطرِ من حيثُ سَنَح[6]
ورياضٌ تُجتلى في طَرَفٍ نظمَ القَطْرُ حِلاها ومَلُح
فإذا مـرَّ بهـا مُرتَجِـزٌ عاد فيها هَزِجَ الصَّوتِ أَبَحّ
فالبَسِ البُردَ الذي منه ضَفا ، وادخلِ البابَ الذي منه انفتَح[7]
واقتدِحْ نارَ سرورٍ زَنْدُها ، حينَ يخبو ، وجهُ ساقٍ وقَدَح[8]

---

1 الطلح : شجر من العضاة . المطَّلح : مكان الطلح .
2 البرح : الأمر المدهش المعجب .
3 الأوضاح : الحُليّ .
4 الحيا : الخصب ، ويريد الكرم . الطَّلَق : الشوط .
5 غاض : نَقُص أو نَضَب . اللاحي : اللائم والعائب .
6 السانحات : اليمن والبركة ، مفردها سانح : وهو الطير الذي يأتي من جانب اليمين ، ويقابله البارح الذي يأتي من جانب اليسار ؛ والعرب تتيمَّن بالسانح وتتشاءم بالبارح .
7 ضَفَا الثوب : سَبُغَ .
8 الزَّنْد : العود الذي تُقتدح به النار .

بينَ أوتارٍ إذا ما استُنطِقَتْ نُثِرَ العُنّابُ فيه والبلَح
وإذا ٱزْدَدْتَ لشيءٍ فَرَحاً ، فليَزِدِ شانيكَ ، هَمّاً وتَرَح

96

وقال ينتجز رسماً له على بعض الأمراء : [من المنسرح]

قلْ للأميرِ الذي علا ، فغَدا مُرتديـاً بالعُلى ومتَّشِحـا
فتحْتَ بابَ العُلى ، ومثلُك لا يُغْلِقُ بابَ النَّدى الذي فَتحا
حاشاكَ أن تَعدَمَ السَّماحَ ، وأن يَخيبَ راجيكَ بعدَ ما نَجَحا
وأن يقولَ العذولُ مُبتهجاً : أفاقَ من نَشوةِ النَّدى ، فصَحا
نَشدتُكَ اللهَ والذين غدا فضلُهُمُ في الكتابِ مُتَّضِحا
لا تَقطَعَنْ عادتي التي سَلَفَت ، ولا تَرُدَّنَّ سَرحتي بَرَحا[1]

97

وقال يهجو علي بن العصب الملحي : [من الطويل]

سأحتجُّ للمِلحيِّ أَقْوَمَ حُجَّةٍ ، وإن كانَ شِعْري من ظُباهُ جَرِيحا[2]
يقولونَ قُفْصيٌّ عَسا بَظرُ أمِّهِ ، وسالَمَه المُوسى ، فراحَ صَحيحا[3]
وما ضَرَّه أن صافحَ البَظْرُ وَجْهَهُ ، إذا كان مَختونَ اللسانِ ، فَصيحا

---

1 السَّرْحة : تفريج الهم .
2 الظُّبى ، مفردها ظبة : حدّ السيف أو السنان .
3 القفصيّ : نسبة إلى مكان في العراق يُدعى القُفص . عسا : صار عاسياً ، صلباً . البظر : هنة في جانبي الرحم تختن المرأة بقطعها .

98

وقال بآمد وقد حاصرها العدو : [من المتقارب]

على الرُّغْمِ بُدِّلتُ من رُغمِ لاحي ، ومِن نُزَهي في الوجوهِ الصِّباحِ

وشُربي المُدامــةَ ممزوجــةً مُحرَّمُهـا بالحَـلالِ المُبـاحِ

ومُخْطَفَـةِ القَـدِّ مُهتــزةٍ تباكرُني قبلَ حَيْنِ الصَّباحِ

فتُسفِرُ عن مثلِ وَردِ الربيعِ ، وتَبسِمُ عن مثلِ نَوْرِ الأقاحي

بيومٍ يَجُدُّ به الدارعونَ ، فلا يعرفونَ سبيلَ المِزاحِ

تَرُشُّ به السُّمْرُ طَعناً تَرى ، مواقفَنا منه حُمرَ النَّواحي

ويخطِرُ في هَبْوَتَيْهِ الكَميُّ بقَلْبٍ جريءٍ ووجهٍ وَقاحِ[1]

وسابغةٍ مثلِ سَرْدِ الشُّجاعِ ، أوِ الماءِ عندَ هبوبِ الرِّياحِ[2]

وأبيضَ يلمَعُ في مَتنِهِ ، إذا ضَلَّ ، بَرقُ الحِمامِ المُتاحِ

فمَنْ راحَ يُسخِطُ عُذّالَه ويُرضي الهَوى بينَ عُودٍ وراحِ

فإني عَدِمتُ تَثنّي القُدودِ ، وبُدِّلْتُ منه بثَنْيِ الرِّماحِ

وكنتُ أُشيمُ بروقَ الثُّغورِ ، فصِرتُ أشيمُ بروقَ الصِّفاحِ[3]

وما إن سَمِعْتُ غِناءَ الحديـ ـدِ ، إلاّ ذكرتُ غِناءَ الوِشاحِ[4]

فليتَ ضجيعيَ ، ليلَ التَّما مِ ، يَعلمُ أني ضجيعُ السِّلاحِ

أراعي المنيَّةَ عندَ الغُدُوِّ ، وأنتظرُ الحَتْفَ عندَ الرَّواحِ

---

1 الهَبْوة : الغَبْرة .

2 الشجاع : الأفعوان .

3 شام البرق : نظر إليه أين يقصد وأين يُمطر . الصِّفَاح ، مفردها صَفِيحة : السيف العريض .

4 الوِشاح بكسر الواو : السيف ، وبضمها : قلادة من جوهر .

ولو أنَّ لي حيلةً في الفِرارِ ، فررْتُ ، وهانَ عليَّ افتضاحي
متى أطإِ الأرضَ مُبيضَّةً جوانبُها أو أرى الجوَّ صاحي[1]
فألبِسُ خيلَ الوغَى راحةً ، وأُتعِبُ في اللَّهوِ خيلَ المِراحِ
عَسى القُربُ يُطفيءُ من لوعتي ، ويُنْقِصُ من غُـلَّتي والتياحي[2]

99

وقال غزلاً : [من البسيط]

زِدْني منَ العَذلِ فيها أيُّـها اللاحي ، إنَّ الفُؤادَ إليها جِدُّ مُرتاحِ
بيضاءُ تنظُرُ من طَرْفٍ تُقلِّبُهُ ، مُفَرِّقٌ بينَ أجسامٍ وأرواحِ
ماءُ النَّعيمِ على دِيباجِ وَجنتِها ، يجولُ بين جَنى وردٍ وتُفَّاحِ
رَقَّتْ فلو مُزِجَ الماءُ القَراحُ بها والرّاحُ لامتزَجَتْ بالماءِ والرَّاحِ

100

وقال يستدعي أبا بكر محمد بن علي المراغي : [من المنسرح]

لم أَلْقَ رَيحانةً ، ولا رَاحا ، إلا ثَنَتْني إليكَ مُرتاحا
وعِندَنا ظبيةٌ مُهَفْـهَفَةٌ ، تَرأَمُ رِيماً يَحِنُّ صَدَّاحا[3]
تُفسِدُ قلبي إن أَصْلَحتُهُ ، ولا أرى لما أفسدَتْه إصلاحا
وفتيةٌ إن تذاكَروا ذكَرُوا من الكلامِ المليحِ أرواحا
وقد أضاءت نجومُ مجلسِنا حتى اكتسَى غُـرَّةً وأوضَاحا[4]

---

1 صاحي : كذا وردت والوجه : الجو صاحياً .
2 الغـلَّة والالتياح : العطش الشديد .
3 ترأم : تعطف عليه ، وأراد بالرِّئـم الصدَّاح : العود .
4 الأوضاح : الحُلِي من الفضة .

لو جَمَدَتْ راحُنا غدَتْ ذَهباً ، أو ذابَ تُفَّاحُنا اغتدى راحا
عِصابةٌ لو شَهِدْتَ مَجلِسَهم ، كنتَ شِهاباً لهم ومِصباحا
أُغلِقَ بابُ السُّرورِ دونَهمُ ، فكُنْ لِبابِ السُّرورِ مِفتاحا

101

وقال غزلاً : [من السريع]

قامَــت تَثَنَّى بينَ أترابِهــا ، وفائحُ العنبرِ منها يَفوحْ
راهبــةٌ للهِ في نُســوَةٍ ، قد أُلبِسَتْ قُضْبَ اللُّجَينِ المُسُوح [1]
كأنها ، إذ سَفَــرَتْ ، روضَــةٌ ألبسَها الزَّهْرُ صَبيحاً مَليح [2]
لــولاك لم أمشِ إلى بِيعــةٍ ، ولو مشَى حوْلاً إليَّ المَسيحْ [3]

102

وقال يستدعي صديقًا له : [من الكامل]

نَفسي فِداؤُك كيفَ تصبِرُ طائعاً عن فِتيَةٍ مثلِ البُدورِ صِباحِ
حَنَّتْ نفوسُهمُ إليك ، فأعلَنوا نَفَساً يَقُدُّ مَسالكَ الأرواحِ
وغدَوا لراحِهِمُ ، وذكرُكَ بينَهم ، أذكى وأطيبُ من نسيمِ الرَّاحِ
فإذا جرَتْ حَبَباً على أَقْدَاحِهِمْ جعلوك رَيحاناً على الأقداحِ

---

1 المُسُوح ، مفردها مِسْح : كِساء من الشَّعَر يُلبس تقشُّفاً وقهراً للجسد .
2 الصبيح : الوضيء الوجه .
3 البِيعة : المعبد للنصارى واليهود .

103

وقال : [من الكامل]

وهواكَ ، لو كان المَلامُ صَلاحا ، ما زادَ قلبي لوعةً وجِراحا
أَحبِبْ إليَّ بليلــةٍ أفنيتُهــا حتى الصَّباحِ تَفكُّهاً ومِزاحا
ما كانَ لو مَدَّت عليَّ جَناحَها للوصلِ ما غَنَّى الحَمامُ وناحا
باتَتْ يداي له وُشاحاً لازماً ، حتى كسا الليلَ الصَّباحُ وُشاحا
قم فَٱنْفِ بالكاساتِ سُلطانَ الكَرى واجعَلْ مَطايا الرّاحِ منكَ الرَّاحا
لا تأسَفَنَّ على الصَّباحِ فحسْبُنا ، ضوءُ السَّوالفِ والسُّلافُ صَباحا[1]
فَضَّ النديمُ خِتامَها ، فكأنما فضَّ الخِتامَ عنِ العَبيرِ ، ففَاحا
لم أَدْرِ إذ حَثَّ السُّقاةُ كُؤوسَها أَكَواكِباً يَحمِلْنَ أَم أَقداحا
إني مَنَحتُ ذوي الصَّلاحِ مِنَ الوَرَى بُغضاً ، فلستُ إليهِمُ مُرتاحا
مَنْ لي بديرٍ كنتُ مشغوفاً به ، لَمَّا عرَفْتُ الرَّاحَ عادَ رِياحا

104

وقال يستدعي صديقاً له إلى الحمّامِ ، ويصفه : [من الخفيف]

قُمْ بنا قبلَ غُرَّةِ الإصباحِ ، وقيـامِ السُّقـاةِ بالأقـداحِ
نتمشَّى إلى النَّعيمِ الذي فيـ ـه صَلاحُ الأجسادِ والأرواحِ
بيتُ ريفٍ ترودُ عَيْنُكَ فيه بين بيضِ الطُّلى ، وبيضِ الفِقَاحِ[2]
وتُلاقي الجسومَ في خِلَعٍ منـ ـه رِقَاقٍ على الجُسومِ مِلاحِ

---

1 السُّلاف : الخمر .
2 الطّلى : الأعناق . الفقاح : الزهر .

من سراويلِ سُنْدُسٍ تملأ العَيـ ـنَ بَهاءٍ ومن غُلالَةِ داحِ[1]
وإذا كانَ مِئزَرُ الكَفَلِ النَّهـ ـدِ عدوّاً لطرْفِك الطَّماحِ
فهنيئاً لك الصُّدورُ وما فيـ ـهنَّ من ظَاهِرِ الجَمالِ المُباحِ
والخدودُ التي نُقِلْنَ من الوَر دِ إلى عُصْفُرِيَّةِ التُّفَّاحِ
ومجالُ النِّطاقِ حين تُجيل الطْـ ـطَرْفَ في جَنَّةٍ ومَجرى الوُشاحِ[2]
وإذا ما خَلا ، فحسبُكَ ما في جُدْرِه من غَرائبِ الأشباحِ
من قِيانٍ برزْنَ ليسَ على الأبـ ـصارِ في نهْبِ حبِّها من جُناحِ[3]
وكُماةٍ تَهُزُّ بِيضَ سيوفٍ غيرَ مَرهوبَةٍ ، وسُمرَ رِماحِ
فإذا ما صَقَلْتَ جِسمَك فيه بأكفٍّ النَّعيمِ صَقْلَ الصِّفاحِ
مِلْتَ من رَبْعِهِ إلى رَغَدِ العَيـ ـشِ غُدُوّاً مُواصَلاً برَواحِ
تتروَّى من الصَّبوحِ وَتَفْتَضْـ ـضُ نَسيمَ الرِّياضِ قبلَ الصَّباحِ
وأحقُّ الأيّامِ بالقَصْفِ يومٌ جَنَّبَتْ مُزنَه جَنوبُ الرِّياحِ

105

وقال يصف الروض : [من الطويل]

أعادَ الحَيا سُكْرَ النَّباتِ وقد صَحا ، وجدَّدَ من عهدِ الربيعِ الذي انمحى
وباتَ زِنادُ البرقِ يَقدَحُ نارَه على الآسِ ، حتى اهتزَّ فيه وقدَّحا
كأنَّ حَمامَ الرَّوضِ نَشْوَانُ كلما ترنَّمَ في أغصانِه أو تَرَجَّحا
ولاذَ نَسيمُ الرَّوْضِ من طولِ سَيرِه حسيراً بأطرافِ الغصونِ مُطلَّحا[4]

---

1 الداح : الخلوق من الطيب ؛ الوشي .
2 النِّطاق : ما يُشَدّ به الوسط .
3 الجُناح : الإثم .
4 الحسير : الضعيف ؛ المعيي . المطلَّح : المعيـي .

فباشرَ وَرْدَ الأُقحوانِ مُشرَّفاً ، وصافحَ وردَ الباقِلاّءِ مجنَّحا
وحلَّلَ من أزرارِهِ النَّوْرَ ، فاغتدَى كلفظِ جَليبٍ همَّ أن يتفصَّحا[1]
وشَقَّ على لونِ الخدودِ شَقائقاً ، رأتْه عيونُ السِّربِ أبهى وأصلَحا
أراكَ نصالَ النَّبلِ قبلَ اتِّضاحِه ، وحلَّ خَراجُ النبلِ حينَ تفتَّحا[2]

106

وقال يحثّ على الشرب : [من مجزوء الرجز]

إنْ عَنَّ لَهْوٌ ، أو سَنَحْ ، فَاَغْدُ إلى اللَّهوِ ورُحْ
رضيتُ أن أحظَى بعِزِّ اليأسِ والعِزُّ مِنَح
وصاحبٍ يَقدَحُ لي نارَ السرورِ بالقَدَح
فرُحتُ مَطويَّ المُنى ، لا أزجُرُ الطَّيرَ الرَّوَح
ولا أقولُ لامرئٍ ضَنَّ بمالٍ ، أو سَمَح
ولا أرى من صبوَةٍ نَهْجَ التُّقى ، وإن وَضَح
تُصافِحُ الكأسُ يدي ، ما ارتدَّ خطْبٌ ، أو صفَح
في روضَةٍ قد لَبِسَت من لؤلؤِ الطَّلِّ سُبَح[3]
يألَفُني حَمامُها مغتبِقاً ومُصطَبِح
أُوقِظُه بالعَزفِ ، أو يُوقِظُني ، إذا صدَح
والجوُّ في مُمسَّكٍ ، طِرازُه قَوسُ قُزَح[4]
يبكي بلا حُزنٍ ، كما يَضحَكُ من غيرِ فرَح

---

1 الجليب : أراد غير العربي .

2 الخراج : الجزية .

3 السُّبَح ، مفردها سُبْحَه : خرزات منظومة في سلك .

4 الممسَّك : من المِسْك .

كـم جامحٍ مُمتنِـعٍ خلَّيتُـه لـمَّا جَمَـح
وكـم عَـذُولٍ ناصـحٍ قلتُ له ، وقد نَصَح :
أَقْصِرْ فمَنْ رامَ صَلا حَ العيشِ بالكأسِ صَلَح

107

وقال يمدح الأمير سيف الدولة أبا الحسن : [من الخفيف]

خَطَراتٌ هي العُلا ، وارتياحُ ، وغُدوٌّ إلى الوَغَى ورَواحُ
وأيـــادٍ تحُثُّهـــنَّ عِـــداتٌ مثلَ ما حثَّتِ السَّحَابَ الرِّياحُ[1]
يا حُسامَ الإلهِ ، يا جبلَ الدنـ ـيا ، ويا بحرَها الذي يُستَماحُ[2]
ففِداكَ الهُمامُ والمَلِكُ المَر جُوُّ للبَذلِ والفَتى الجَحْجاحُ[3]
خطَأٌ قَولُنا لمثلِك : يَفديـ ـه ذَوو النَّقْصِ والنفوسُ الشِّحاحُ
كيفَ تَفدي الرُّبا الشواهقَ أم كيـ ـفَ يُساوى بغَمرَةٍ ضَحْضَاحُ[4]
بك تَمضي الظُّبَى وتَجري المَذاكي ويَصولُ الرَّدى ويَدْمَى السِّلاحُ[5]
سَفَرٌ مُسفِرٌ لك السعدُ فيه ، قادَه اليُمْنُ ، وانتحاهُ النَّجاحُ
في خَميسٍ كاللَّيلِ وجهُكَ مصبا حٌ تَجلَّى ضياه بل إصباحُ
هاكَ منك العدوَّ أرقمَ يَسري ، في سُراه إليه ، حَيْنٌ مُتاحُ
عبدُ نُعماكَ منذُ شهرينِ ثاوٍ ، فاعتلاقٌ يَحيا به أو سَراحُ

---

1 العِدَات : الوعود .
2 يُستماح : يُطلب منه العطاء .
3 الجحجاح : السيد المسارع إلى المكارم .
4 الضحضاح : الماء الرقيق .
5 المذاكي : الخيول .

108

وقال يصف شمعة : [من المتقارب]

وباكيةٍ ، ليلَها كلَّه ، تحاكي الصَّباحَ بمِصباحِها
بَصيرةُ ليلٍ ، ولكنَّها ، ضريرَتُه ، عندَ إصباحِها
نَجُزُّ لإصلاحِها رأسَها ، فإفسادُها عند إصلاحِها

109

وقال يهجو رجلاً بخيلاً : [من البسيط]

الكَأْسُ تُهْدِي إلى شُرَّابِها فَرَحَاً فَمَا لِهَذَا الفَتَى صِفْرَاً مِنَ الفَرَحِ
يَصْفَرُّ إنْ صَبَّ سَاقِيهِ لَنَا قَدَحاً كَأَنَّما دَمُهُ يَنْصَبُّ فِي القَدَحِ

قافية الخاء

110

وقال في حانة أترجة الخمّارة : [من السريع]

أنخْتُ في حانةِ أُترُجَّةٍ ، وحبّذا حانتُها منْ مُنَاخْ[1]

ثم اطَّرَحْنا الدِّينَ في بيتِها ، حتى انسلَخْنا منه أيَّ انسلاخْ

تُصافحُ الخمرُ به نفسَها ، ونزرعُ النسلَ بها في السِّبَاخ[2]

كلٌّ سميعٍ في الهوى مُبصِرٌ أعمى عن الرُّشدِ أصمَّ الصِّماخْ[3]

حتى إذا الشَّمسُ بها آذنَت خيامَها الصُّفْرَ بحلِّ الأواخ[4]

راحوا عن الراح ، وقد بدَّلوا مشيَ الفرازينِ بمشي الرِّخاخ[5]

---

1 المُنَاخ : مَبْرَك الإبل .

2 السِّباخ : أرض لم تُحرَث ولم تُعْمَر .

3 الصّماخ : خرق الأذن الباطن الماضي إلى الرأس .

4 الأواخ ، مفردها أخية : الحبل .

5 الفرازين ، مفردها فرزان : الملكة في لعب الشطرنج . الرّخاخ ، مفردها رخ : قطعة من قطع الشطرنج .

قافية الدال

111

وقال يمدح الأمير سيف الدولة أبا الحسن علي بن عبد الله بن حمدان ويذكر بعض غزواته إلى خرشنة ويصف قلعة افتتحها : [من الوافر]

وَقائِعُ مثلُ ما بدأَتْ تعودُ ، وخيلٌ ما تُحَطُّ لها لُبودُ[1]

وفتيــانٌ تَقِيَّتُهــم دُروعٌ مُضاعفةٌ ، وصَبرُهمُ عَتيدُ[2]

وتعريــن أسفــار الأعــادي تمائمه إذا ارتاعَ الحديدُ[3]

وأيامٌ على الإسلامِ بِيضٌ ، وهنّ على العِدا حُمْرٌ وسُودُ

تُفتِّحُ زَهْرَةَ الآمالِ فيها فُتوحٌ ، لا يُقَدُّ لها بَريدُ[4]

يُخبِّــرُ عن طِــرادٍ يتَّقيهِ ، كَرى الأعداء ، فهو له طَريدُ

ومُبرِقةُ الحُتوفِ ، إذا أسالَتْ دماءَ الشِّيبِ شابَ لها الوليدُ

يَبيتُ جِلادُها شَرقاً وغَرباً ، حديثاً تَقشَعِرُّ له الجُلودُ[5]

ولا إحجامَ إلاَّ أن تُكفِّي ، عنِ البِيضِ ، الحياةُ أو الخدودُ[6]

---

1 اللُّبود ، مفردها لِبْد : ما يجعل على ظهر الفرس تحت السرج .

2 العتيد : الحاضر المُهَيَّأ .

3 هكذا ورد في الديوان وهو ناقص ومحرّف .

4 البريد : المسافة التي يسيرها الرسول .

5 الجِلاد ، مفردها جليد : ما يجمد على الأرض من ماء ويريد هنا الدماء ؛ وقد يعني قوة المعركة .

6 تُكَفِّي : تغني . البيض : السيوف .

خطا الذَّربُ الأصَمُّ إلى سَمَنْدُو ، وقَعقَعَةُ الحديدِ لها حديدُ[1]
أيرهَبُ جانبَ الأعداءِ ميلاً ، وسيفُ الدَّولةِ الرُّكنُ الشَّديدُ[2]
وقادَ الخيلَ قُبّاً يَقتضيها ذخيرةَ جُهْدِها ، أو يستزيدُ[3]
فأرسلَها على الصَّفصافِ يُخفي سَنا أوضاحِها عنه الكَديدُ[4]
وزارَت أرضَ خَرْشَنَةٍ رِعالاً ، فكادتْ أرضُ خَرْشَنَةٍ تَميدُ[5]
وجُزْنَ على الصعيدِ مُبرقَعاتٍ ، بَراقِعُهُنَّ ما نَسجَ الصَّعيدُ[6]
وخَرَّتْ في قُرى جَيحانَ تَردي بجائحةٍ عليها ، أو تَرودُ[7]
وباتَت توقدُ النِّيرانَ ، فيها وسِيَّانِ الكواكبُ والوَقودُ
وسِحْنَ بجانِبَيْ سَيحانَ حتى رَجَعْنَ وفجُّه المعمورُ بِيدُ
فأصبحَ وهو وِردُ المَوجِ مما يَفيضُ عليه نَحْرٌ أو وَريدُ
إذا خرَّت عليه رأيتَ بحراً ، تَخُرُّ عليه من بحرٍ مُدودُ[8]
وأورَدَها الخليجَ وقد تساوَتْ بجُمَّتِها التَّهائمُ والنُّجودُ
وفوَّقَ للحُصونِ سِهامَ نارٍ ، يُصابُ بلَفْحِها الغَرَضُ البعيدُ
إذا انتشرَتْ على الجُدرانِ راقَتْ ، كما راقَتْ من العَصْبِ البُرودُ[9]

---

1 الذّرب : السيف الحاد . الأصم : القاطع . سمندو : مكان في تركيا .

2 الرُّكْن : العزيز .

3 القُبّ : الضامرة البطون .

4 الكديد : الأرض الغليظة .

5 الرِّعال ، مفردها رعيل : اسم كل قطعة متقدمة من خيل أو رجال .

6 ما نسج الصعيد من الغبار ، والصعيد : ما ارتفع من الأرض .

7 تردي : ترجم الأرض بحوافرها . ترود : تذهب وتأتي في طلب الشيء . خرّت : هجمت . الجائحة : التهلكة والداهية العظيمة .

8 المدود : السيول .

9 راقت : حَسُنَتْ . العَصْب : نوع من البرود .

إذا ركعَ القَنا الخَطِّيُّ صلُّوا صلاةً جُلُّ واجبِها السُّجودُ
فما أبقيتَ إلا مُخْطَفَاتٍ حَمَاها الخَصْرُ منها والنُّهودُ[1]
تُساقُ إليه مَثنىً أو فُرادى كما يَهوي من السِّلكِ الفَريدُ[2]
وبيضُكَ يا ابْنَ عبدِ اللهِ تَلقَى سَباياها الحسانَ كما تُريدُ
تَقُدُّ البَيْضَ في الهَيْجاء قَدّاً ، وتَثنيها السَّوالفُ والقُدودُ[3]
أتاكَ وفي حَشاه رياحُ رَوْعٍ ، عواصفُ ما لِهَبَّتِهَا رُكودُ
بوجهٍ غاضَ ماءُ الأرضِ عنه ، فليس بعائدٍ ما اخضرَّ عودُ
وربَّ مُمَنَّعٍ حاوَلْتَ منه ، فلم يَمنعْه مَعقِلُه المَشيدُ[4]
ومُشرِفَةٍ لقاصدِها صُبوبٌ على قِمَمِ السَّحائبِ أو صُعودُ
تَحُفُّ بها شَواهِقُ شامخاتٌ ، كما حفَّتْ بسيِّدِها الجنودُ
كأنَّ فوارعَ الشُّرُفاتِ منها نساءٌ في مَلاحِفِها قُعودُ[5]
أحطْتَ بها الأسنَّةَ لامعاتٍ ، فهنَّ على ترائبِها عُقودُ
فأولدَها قِراعُكَ ، وهيَ بِكرٌ ، ولم تُرَ قبلَها بِكرٌ وَلودُ
رأتْ أمثالَ صورتِها حديداً ، فكادَتْ ، وهي راسيةٌ ، تَميدُ
ومازالَت جيادُكَ طاوياتٍ ، تُقادُ إلى العدوِّ ، فتستقيدُ[6]
ضربْتَ بها على الثَّغْرَينِ سَدّاً ، يُؤَيِّدُ رُكنَه رأيٌ سَديدُ

---

1 مُخْطَفات : ضامرات .

2 الفريد : الدُّرُّ .

3 البيضة : الخوذة .

4 المَشيد : المرفوع .

5 الفوارع : المرتفعة والحسنة . الشُّرَفات : مثلثات أو مربَّعات تُبنى متقاربة في أعلى سور أو قصر ، ويريد هنا القلعة .

6 الطاويات : الضامرات . استقاد : ذَلَّ وخضع .

وأُبْتَ بها ، وقد أحرزْتَ مجداً قَناكَ عليه ، والبِيضُ الشُّهودُ

طوالعُ بينَ إيماضٍ وخُرسٍ ، تَمائمُها البوارقُ والرُّعودُ[1]

تلقَّيْنَ الثَّرى صُمّاً تَساوى بهِنَّ الرَّملُ والحجرُ الصَّلودُ

فطَوراً بالأُرُنْدِ لها طِرادٌ ؛ وطَوراً بالخليجِ لها ورودُ[2]

ولَمَّا قابَلَتْ طَرسوسُ غُرّاً مُحجَّلـةً تُقابِلُهـا السُّعودُ[3]

كففْتَ شَذاتَها ، فارتدَّ بأسٌ ، كدُفَّاعِ الحريقِ ، وفاضَ جودُ[4]

لقد شَرُفَت بِسُؤْدُدِكَ القَوافي ، وفاز المجدُ والحسَبُ التَّليدُ

فيومَ الحربِ تُطرِبُكَ المذاكي ؛ ويومَ السِّلمِ يُطرِبُكَ النَّشيدُ

تَحاسَدَتِ الملوكُ ، فليسَ تَخبو ضَغائنُها ، ولا تَفنى الحُقودُ

وأنتَ الدَّهرُ إنعاماً وبؤساً ، وما للدَّهرِ ، نَعلَمُه ، حَسودُ

112

وقال يمدح سيف الدولة ويذكر وقعة خرشنة : [من الطويل]

فتوحُك رَدَّتْ بَهجةَ المُلكِ سَرمَدَا ، وأنتَ حُسامُ اللهِ فَلَّ بِكَ العِدا

يُحدِّثُ عنكَ المَشرَفيُّ مجرَّداً ، ويُثني عليك السَّمهريُّ مُسَدَّدا

أعادَ وأبدى الفتحُ منك مُعوَّداً قِراعَ العِدا جارٍ على ما تعوَّدا

ومُمطرُ أرضِ الرُّومِ من دَمِ أهلِها سَحاباً ، إذا رَوَّى الثَّرى منه أحمدَا

تخالفَ فعلُ الغَيثِ منه ، فكلَّما بَدا العُودُ مُخْضراً ثناه مُوَرَّدا

---

1 الخرس : يريد الغيم ليس فيه رعد ولا برق ؛ أو الكتيبة لا يُسمع لها صوت من كثرة الدروع .

2 الأرند : الأرنط أي نهر العاصي .

3 الغرُّ : الخيول الحسنة التي في جبهتها غُرَّة . المحجَّلة : التي في قوائمها بياض .

4 الشذاة : بقية القوة . الدفاع : قوة الموج أو السيل استعارها للحريق .

سَرى مُخلِقاً في اللهِ دِيباجَ وجهِه ، فذبَّ عن الإسلامِ حتى تجدَّدا

يُفلِّقُ بالضَّربِ التَّريكَ وما حَوى ، ويَخرُقُ بالطَّعْنِ الدِّلاصَ المُسرَّدا[1]

فيا لكَ من يومٍ أحرَّ عليهِمُ وأندَى على الدِّينِ الحنيفِ وأبرَدا

وربَّ مُحلًّى بالكواكبِ شاخصٍ شَخَصْتَ إليه ، فانمحى وتأبَّدا[2]

فأعطاك ما تَهوى وقَلَّدَ أمرَه نجومَ قَنَاً أضحى بهنَّ مُقلَّدا

مَثَلْتَ له في مِثلِ أركانِ طَوْدِهِ ، وأسطَرْتَ فيه الجَلْمَدَ الصَّلْدَ جَلمَدا[3]

وَصَدْرٍ وراءَ السَّابريِّ خرَقْتَه ، فكان ثِقافَ الرُّمحِ لمَّا تأوَّدا[4]

وأبيضَ رَقراقِ السَّوابغِ أرهجَتْ سَنابِكُه حتى ثَنا الجوَّ أربدا[5]

تَتابعَ يَهفُو فوقَه كلُّ طائرٍ ، إذا صافَحَتْه راحةُ الرَّاحِ غرَّدا

وأشرقَ في رَأْدِ الضُّحى ، فكأنما تُلاعِبُ منه الشَّمسُ صَرْحاً ممرَّدا[6]

يَزُفُّ نجوماً ليسَ يمنعُ ضوءَها ، تكاثُفُ ليلِ النَّقْعِ أن يتوقَّدا[7]

إذا ما رأتْهُنَّ البَطارقُ أنحُساً ، رآهنَّ مُجْتاحُ البطارقِ أسعُدا[8]

صَدَعْتَ ببرقِ البِيضِ صَدرَ عَجاجَةٍ ، وقد أبرقَ المِقدارُ فيه وأرعَدا

وأُبتَ وقد أشرَبْتَ ساحتَه دماً ، كأنك أشرقْتَ الأَسِنَّةَ عَسْجَدا[9]

---

1 التريك ، مفردها تريكة : بيضة الحديد التي يضعها المحارب على رأسه . الدِّلاص : الدرع اللّينة الملساء . المسرّد : المنسوج .

2 تأبّد : توحّش .

3 أسطره بالسيف : قطعه . الجلمد : الصخر . الصلد : الصلب .

4 السابريّ : ضرب من الثياب . الثِّقاف : آلة تُقَوَّم بها الرماح . تأوَّد : اعوَجَّ .

5 أرهجت : أثارت الغبار . ثناه : ردّه وعطفه .

6 رَأْدُ الضحى : وقت ارتفاع الشمس وانبساط الضوء . الممرَّد : المرتفع .

7 النَّقْع : الغبار .

8 البطارق ، مفردها بطريق : القائد عند الروم .

9 العَسْجَد : الذهب .

لقد لَبِسَ الإسلامُ شَرقاً ومغرباً بسيفِ ابنِ عبدِ اللهِ ظِلّاً مُـمدَّدا
ثَنى الخَيلَ عن ماءِ الفُراتِ صَوادراً ، فكان لها وِردُ الخَليجَيْنِ مَوْرِدا
يَطيرُ على أرباضِ خَرْشَنةٍ بها لوافحُ يَهتِكْنَ المُنيفَ المشيَّدا
حَريقاً يُغَشّي الجُدْرَ حتّى كأنما لبِسْنَ حَبيرَ الوَشْيِ مَثنىً ومَوحِدا
إذا الغَرَضُ المنصوبُ باتَ مُعَصفراً بطائرِ سهمٍ منه أصبحَ أسوَدا
فباتَ على البُرجِ المُطِلِّ ، كأنّـما يُلاحِظُ منه فَرْقداً ثمَّ فرقدا[1]
وبثَّ السَّرايا حولها ، فتفرَّقَتْ ، كما بثَّتِ الرِّيحُ الحَيا فتبدَّدا
فباتَ مُغِذّاً في السِّلاحِ ، ومُوجِفاً ، مُغيراً عليهم في البِلادِ ومُنجِدا[2]
يؤانِسُ منهم كلَّ ليثٍ حَفيظَةٍ على الطِّرفِ وحشيُّ الشَّمائلِ أغيَدا[3]
كأنَّ رماحَ الخَطِّ حولَ بيوتِهِم ، على صَهَواتِ الخيلِ دُرّاً مُبدَّدا[4]
عَرَضْتَ على البِيضِ الرِّقاقِ أُسُودَهم ، وسُقْتَ المَها حُوّاً إليها وسُهَّدا[5]
وقوَّمْتَ منهم جانباً لظُهورِهم ، وأشرَفْتَهم بالمشرفيَّـــةِ مُنشِدا
وأوردْتَ حَدَّ السَّيفِ قِمَّةَ لاوُنٍ ، لتمزُجَ فيه سُورةَ البأسِ بالنَّدى[6]
أتاكَ يَهُزُّ الرَّوعُ أعضاءَ جسمِه ، كما هزَّ بالأمسِ الحُسامَ المُهنَّدا
يَغُضُّ لديكَ الرُّعبُ أجفانَ عَيْنِه ، فإنْ هَمَّ أن يستغرِقَ اللَّحْظَ أرعدَا
وربَّ حديدِ اللَّفظِ واللَّحظِ منهمُ ، مَثَلْتَ له ، فارتدَّ أخرسَ أرمَدا
ذَعَرْتَهُمُ غَزواً دِراكاً ، فأصبحوا على البُعْدِ خَفّاقَ الحشا ومُسهَّدا[7]

---

1 الفرقد : نجم وهما فرقدان .

2 المغذّ : المسرع السير . الموجف : من أوجف الفرس : جعله يعدو عدواً سريعاً .

3 الطِّرف : المهر .

4 في البيت إقواء إذ كان عليه أن يقول : درٌّ مبدَّدٌ ، لأنه خبر كأن .

5 الحُوُّ ، مفردها أحوى وحوّاء : الذي به سواد إلى الخضرة أو حُمرة إلى السواد .

6 لاون : من قوّاد الروم . السُّورة : الفضل والشرف .

7 ذَعَرَه : أفزعه . دِراكاً : متتابعاً متصلاً .

يَظُنُّونَ غَربيَّ السَّحابِ كتيبةً ، تُشَرِّقُ ، والبرقَ الشآميَّ مِطْرَدا[1]

إذا الدولةُ الغرَّاءُ سمَّتْكَ سيفَها لِتُبْهجَ ، سمَّاكَ الهُدى ناصرَ الهُدى

لِيَهْنِكَ أنَّ الرومَ ذَلَّ عزيزُها ، فصارتْ مواليها بِعزِّكَ أعبُدا

إذا قيلَ سيفُ الدولةِ اهتزَّ عرشُها ، وخَرَّتْ رُكوعاً عندَ ذاكَ وسُجَّدا

113

وقال أيضاً يمدحه : [من الطويل]

بِوُدِّيَ لو مُلِّكْتُ ثَنْيَ قِيادي ، فأعتاضَ عن غَيٍّ الهَوى برَشادِ

تمادَتْ دموعي يومَ جدَّتْ بك النَّوى وللَّومِ في أعقابِهِنَّ تَمادي

أُقيمُ ، وحظِّي الهجرُ عندَ إقامتي ، وأرحَلُ ، والشوقُ المبرِّحُ زادي

إذا ما حداه البَرقُ يرتاحُ صَبوةً إلى رائحٍ من ذي الأَراكِ وَغادي

وإنّ لم يكن عهدُ الشبابِ براجعٍ لَدَيْهِ ، ولا عصرُ الصِّبا بمُعادِ

وأخرى تَحامى خُلَّتي عندَ خَلَّتي ، فسِيّانِ قُربي عندَها وبُعادي[2]

وتَعجَبُ من ضَنٍّ القريضِ وخُبْرِه على وَشَلٍ لا رَيَّ فيه لصادي[3]

فما تَعبي إلا لتجديدِ راحةٍ ، ولا سَهَري إلا لطولِ رُقادي

كِلِيني إلى المَهرِيَّةِ القُودِ إنها ستأخُذُ من أيدي الخُطوبِ قيادي[4]

وكلُّ فتىً أجدَى عليَّ فصاحبي ؛ وكلُّ بلادٍ أخصبَتْ فبِلادي[5]

وأُقسِمُ بالغُمْضِ الذي جادَ مَوْهِناً ، تحيَّةَ مشتاقٍ ورنَّةَ حادي

---

1 المطرد : الرمح القصير .

2 الخلّة بضم الخاء : الصداقة ، وبفتحها : الفقر .

3 الخُبْر : العِلم بالشيء . الوَشَل : الماء القليل .

4 المهريّة القود : النياق .

5 أجدَاه : أعطاه عطيّة .

لَفقْدُ النَّدى الرِّبعيِّ أوجَدَني الأَسى ، وأفقَدَني عَيشي ولينَ مِهادي
ووسَّدَني أيدي الرِّكابِ ، وطالما أَقضٌ لديها مَضجَعي ووِسادي
إذا أنا حاولتُ الأميرَ ، فإنما أحاولُ منه جَنَّتي وعِتادي
حللْتُ بنادي الشأمِ لَمَّا أعادَه عليٌّ بنُ عبدِ اللهِ أكرمَ نَادي
أغرُّ ، إذا امتدَّتْ يدُ الدَّهرِ كفَّها ببيضٍ صِفاحٍ أو بِبيضٍ أيادي
يروعُ النَّدى أموالَه بنَفادِها ، وما رِيعَ مَجدٌ عنده بنفَادِ
إذا امتزجَ المعروفُ بالبِشْرِ عندَه ، غدا الحمدُ ممزوجاً له بوِدادِ
رمى كلَّ مُنآدِ القناةِ من العِدا ، بخَطْبٍ تَحاماهُ الخُطوبُ نآدِ[1]
بجُردٍ تُثيرُ النَّقعَ حتى كأنَّما تُمزِّقُ منه البِيضُ ثَوبَ حِدادِ
وبِيضٍ ، إذا اهتزَّتْ تَرقرَقَ ماؤُها ، وهُنَّ إلى ماءِ النُّفوسِ صَوَادِي
وكلِّ رُدَينيٍّ أصمَّ ، كأنَّما تُروِّعُ منه الرَّوعَ حيةُ وَادِي
تَحفُّ بجذلانِ العَشيِّ ، كأنه لَدَى طَرَدٍ ما راحَ نُصبَ طِرادِ[2]
وأغلبَ رَحْبِ الباعِ يُنجِدُه الرَّدَى ، إذا ما ارتدى في مأزَقٍ بِنجادِ[3]
يبيتُ ، وحَدُّ السيفِ حِلٌّ مبيته لديه ، وجَفنُ العَينِ حِلُّ سُهادِ
يُصَعِّدُ أنفاسَ العدوِّ ، إذا ثَنى إليه المَنايا ، في ظُبىً وصِعادِ[4]
أمامَ خميسٍ يَحجُبُ الأفْقَ بالقَنا ، ويملأُ أقطارَ الثَّرى بجِيادِ
فمَنْ عادَ بالكَيدِ الخفيِّ ، فإنَّه يعودُ بيأسٍ في الكريهةِ بَادِي
سأُعْلِمُ نَفسي بالسَّماحةِ عالماً بأنَّ بلادَ التَّغلبِيِّ بِلادي
فدونَكها تختالُ في كلِّ مَسمَعٍ ، وتخطُرُ في مكنونِ كلِّ فؤادِ

---

1 منآد : منعطف . النآد : الداهية .

2 الطرد : الصيد . الطراد : من طارده : حمل عليه في الحرب . النُّصْب : البلاء .

3 الأَغْلَب : الغليظ العنق والقوي .

4 الصِّعاد : الرماح المستقيمة .

حَبَتْكَ بريحانِ الكلامِ ، وإنما تَجودُ بريَّاهُ لكلِّ جَوادِ
بأطيبَ من طِيبِ الرُّقادِ لساهرٍ ، وأعذبَ من رِيقِ الحبيبِ لصَادي

114

وقال يمدح الأمير ناصر الدولة أبا محمد الحسن بن عبد الله بن حمدان :
[من الكامل]

عذَرَ العذولُ فراحَ فيكَ مُساعدا ، وغَدا الهَوى لهَوى المَشوقِ مُعاهِدا
لَمَّا رأى للبَينِ وَجْداً طارفاً منه ، وللهِجرانِ وَجْداً تالِدا
وهوىً يُرَدِّدُ في مَحاجرِ مُغرَمٍ دمعاً ، يكونُ على التَّلدُّدِ شاهِدا[1]
ما ضَرَّ وَسْنَى المُقلَتَينِ لو آنَّها رَدَّتْ على الصَّبِّ الرُّقادَ الشَّارِدا
سفَرَتْ له ، فأَرتْهُ بَدراً طالعاً ، وتَمايَلَتْ ، فأَرتْهُ غُصناً مائدا
وتبسَّمتْ ، فجلَتْ له عن واضحٍ ، متألِّقٍ يَجلو الظَّلامَ الرَّاكِدا
حتى إذا وَقَفتْ لتَوديعِ النَّوى في مَوقِفٍ يُدني الجَوى المُتباعِدا
نثرَتْ رياحَ الشَّوقِ في وَجَناتِها ، من نَرْجِسٍ فوقَ الخُدودِ فَرائِدا
لحظَتْ ربيعَ ربيعِنا آمالُنا ، فغدَتْ ركائبُنا إليه قَواصِدا
يَحمِلْنَ للحَسَنِ بنِ عبدِ اللهِ في حُرِّ الحديثِ مآثراً ومحامِدا
بِدَعٌ ، إذا نظمَ الثَّناءُ عقودَها ، كانت لأعناقِ الملوكِ قَلائِدا
قُلْ للأميرِ أبي محمدٍ الذي أضحَى له المجدُ المؤثَّلُ حامِدا[2]
أمَّا الوفودُ ، فإنَّهم قد عايَنوا قَبْلَ الربيعِ بكَ الربيعَ الوافِدا
يَغشَون من شرقِ البلادِ وغَربِها بالموصِلِ الزَّهراءِ أروعَ ماجِدا

---

1 التَّلدُّد : الخصومة .
2 المُؤثَّل : الأصيل .

خشَعَتْ له إنْ بانَ عنها صادراً ، وتبسَّمَتْ لما أتاها وَارِدا
فكأنما حَلَّ الرَّبيعُ ربوعَها ، فكسا السُّهولةَ والحُزونَ مَجاسِدا[1]
أجرَتْ يداه بها النَّدى ، فكأنما أجرى بساحِها الفُراتَ البَارِدا
مَلِكٌ إذا ما كانَ باديءَ نِعْمَةٍ ، ألفيْتَه عَجِلاً إليها عائِدا
مُتفرِّدٌ من رأيِه بعَزائمٍ لو أنهنَّ طَلَعْنَ كنَّ فَراقِدا
وخَلائقٍ كالرَّوضِ في رأدِ الضُّحى تُدني إليه أقاصياً وأباعِدا
يستنصرون على الزمانِ ، إذا اعتدى من لايزالُ على الزَّمانِ مُساعِدا
جَذلانُ ليسَ على المكارمِ صابراً ؛ يَقظانُ ليسَ عن الكرِيهةِ حَائِدا
خُلُقٌ يَسُرُّ النَّاظرينَ ومَنطِقٌ أبداً يُفيدُ السَّامعين فَوائِدا
ويَدٌ تُعيدُ الماءَ في أقلامِها جُوداً ، وتكسو الطِّرْسَ نُوراً حَاشِدا
إن أُلبِسَتْ تُزْهى بك الدُّنيا ، فقد أصبحْتَ للدُّنيا شِهاباً واقِدا
وبسطْتَ آمالَ العُفاةِ بها ، فقد حَمدُوا نَداكَ مَصادِراً ومَوارِدا
ولَبِسْتَ مجدَكَ بالصَّوارمِ والقَنا ، والنَّجمُ ليسَ يراهُ إلا صاعِدا
أدركْتَ ما حاولتَ منه وادِعاً ، فَعَلَوْتَ مَنْ يَرجُو لَحاقَكَ جَاهِدا
وغدوْتَ رُكناً في الخطوبِ لتَغلِبٍ ، ويَداً لها في المكرُماتِ وساعِدا

115

وقال أيضاً فيه وقد نجا من سمٍّ دُسَّ إليه في الشراب : [من البسيط]

صنائعُ اللهِ لا نُحصي لها عَدَدا ؛ فَنَحْمَدُ اللهَ حمداً دائماً أبدا
كَفَّتْ يدَ الدَّهرِ إذ مُدَّت إلى ملكٍ ، مازالَ يَبسُطُ بالجَدوى إليَّ يَدا
سلامةٌ لَبِسَ المَجدُ السُّرورَ بها من بعدِ ما حُشِيتْ أحشاؤه كَمَدا

---

1 المجاسد ، مفردها مِجْسَد : القميص الذي يلي البدن .

قلْ للعدوِّ الذي أخفَى عَداوتَه ، وجاء يُهدي إليه الحَتْفَ مُجتَهِدا
لو ساعَدَتْكَ اللَّيالي لم تَدع وَزَراً للمكرُماتِ ، ولم تترُكْ لها عَضُدا[1]
سَمَّ الشَّرابَ لِيُدني الحَتفَ من أَسَدٍ ، إذ لم يَنَلْ بظُباه الصَّارمَ الأسدا
فنالَ منه كما نالَ النبيُّ ، وقد أخفَوا له في الشِّواء الغدرَ والحَسَدا
يُفْدي الأميرَ المُرجَّى مَعشرٌ عَجزُوا عن عَقْدِ ما حَلَّ ، أو عن حَلِّ ما عَقَدا
هي السُّعودُ التي كنا نؤمِّلُها ، رَدَّتْ صُروفَ اللَّيالي عِيشةً رَغَدا
تجدَّدَت لك أثوابُ الحياةِ بها ، فَالبَسْ برُغْمِ العِدا أثوابَها الجُدُدا

116

وقال يمدح الأمير أبا الهيجاء حرب بن سعيد بن حمدان[2] ، ويعاتبه على جفوة لحقته منه بعقب مصيبة أصابته : [من الخفيف]

رَدَّ جَفني بسافحِ الدَّمعِ يَندى ، حينَ حيَّيتُه ، فأحسَنَ رَدَّا
سَمَحَت لي به السُّجوفُ ، فما حا دَ عن العينِ ، والرَّكائبُ تُحدَى
قمرٌ ، كلَّما مَنَحناه لَحظاً ، منحَ اللَّحْظَ جُلَّناراً وَوَرْدا
هو كالرِّيمِ ما تَلَفَّتَ جِيداً ؛ وهو كالغُصْنِ ما تأوَّدَ قدًّا
أنا ، إن راحَ أو غَدا لِفراقٍ ، في رَواحٍ من الحِمامِ ومَغْدَى
أيُّها البرقُ ، إن وَجَدْتَ غَماماً ، فَاسْقِ نجداً به ، ومَن حَلَّ نَجدا
وتعهَّدْ تلكَ الخِيامَ ، ففيها ظَبَياتٌ ، يَفتُكْنَ بالصَّبِّ عَمْدا
بجديدِ الشُّؤبوبِ يُصبِحُ منه خَلَقُ الرَّوْضِ ناضراً مُستَجِدًّا
ومُرِبٌّ يُخفي صَنائعَ بيضاً ، حينَ يُبدي لنا شمائلَ رُبْدا[3]

---

1 الوزر : الملجأ .

2 هو أخو أبي فراس الحمداني الشاعر الأمير .

3 المربّ : المقيم ، الداني . الرُّبْد : الغُبْرة .

وكأنَّ الوميضَ يَنشُرُ نُوراً في أعاليه أو يُفَوِّفُ بُرْدا
عادَ بحرُ السُّرُورِ بالشَّيبِ جَزْراً ، بعدمـــا كان بالشَّبيبةِ مَدَّا
وأساءَ الزَّمانُ فيه إلينا ، حينَ أعطى القَليلَ منه وأكدى[1]
كانَ كالبرقِ فاستَتَمَّ خُموداً ، قبلَ أن يَستَتِمَّ للعينِ وَقْدا
قد غَنِينا عَنِ السَّحابِ ، ولو كا نَ رَحيقاً بين السُّقاةِ ، وشَهْدا
أصبحَتْ راحةُ الأميرِ أبي الهيـ ـجاءِ أحلَى جَنىً وأعذبَ وِرْدا
سَيِّدٌ يَهدِمُ الثَّراءَ ، ويَبني سُؤْدُداً في حِمى النُّجومِ ومَجدا
غَمَرَتْنا له سِجَالُ عطَايا ، كَسِجالِ الغَمامِ أُسرفَ جِدًّا
يَضعُفُ الشُّكرُ عن مُكافاةِ ما نَوْ وَلَ فيها ، وما أفادَ وأسدى
وإذا عُدَّتِ المَناهِلُ كانَتْ يَدُهُ منهلاً من العُرفِ عِدًّا[2]
سَدَّ منه وجهَ الخُطوبِ فأضحَى دونَ ما يتَّقي من الدَّهرِ سَدًّا
وكفَى الوَفْدَ أن يَحُثَّ المَطايا بندىً يغتدي إلى الوَفْدِ وَفْدا
أنتَ سَعدُ العُفاةِ ، يا ٱبْنَ سعيدٍ ، وكَفاهم بأن تُطاوِلَ سَعدا
مستهلٌّ إذا تبسَّمَ برقاً ، وهو بينَ الخُطوبِ قَهقَهَ رَعدا
باتَ يُهدي إليَّ شَوْقاً إلى بِشْـ ـرِكَ مستبشِراً إلى الرَّوْضِ يُهدى
وبطيءٌ في السَّيرِ يُسرِعُ وَمْضاً ، مثلَ ما تُسرِعُ الأناملُ عَدًّا
فتذكَّـرْتُ جِـدَّ نُعمـاكَ لَمَّا مَرِحَ الغَيثُ في الرِّياضِ وجدًّا
أنا جَلْدٌ على الخطوبِ ، ولكنْ لستُ فيها على جَفائِكَ جَلْدا
أُوسِعُ الدَّهرَ ، مذ تعتَّبْتَ ، ذَمّاً ، بعدَما كنتُ أُوسعُ الدَّهرَ حَمْدا
فكأنّي أرى السُّرورَ عَدوّاً أتَحامَاهُ ، والمُدامـةَ ضِـدَّا

1 أكْدَى : بَخُلَ في العطاء .

2 العدّ : الماء الجاري لا ينقطع .

فلو آني ارتشفتُ ثَغْرَ حبيبٍ		باردِ الظَّلْمِ لم أنلْ منه بَردا[1]
أَجَفاءً مُــرّاً ، ولم أَجْــنِ ذَنْباً ،		فأُجازَى بــه بُعــاداً وصَدّاً
واطِّراحاً يَبيتُ يُخْلِقُ صَبْراً		بينَ أحشايَ أو يجدِّدُ وَجْدا[2]
حينَ جارَت عليَّ أحداثُ دَهْرٍ ،		ليس يَسلُكْنَ بي ، إذا سِرتُ قَصْدا
نُوَبٌ لو علَتْ شماريخَ رَضوى ،		أوشكَت أن تَخُرَّ منهنَّ هَدّاً[3]
عَرَضَتْني على الحُسامِ ، فأضحَى		كلُّ عُضوٍ مني لِحَدَّيْهِ غِمْدا
وكَسَتْ مَفْرِقي عِمامةَ ضَرْبٍ ،		أُرجُوانيَّـةَ الذَّوائبِ تَـنْـدَى
وإذا قِسْتُ هجرَكَ المُرَّ بالدَّهْـ		ـرِ ، وما قد جَناه كان أَشَدّا
أنا حُرٌّ ، إذا انتسبْتُ ، ولكنْ		جَعلَتْني لكَ الصَّنائعُ عَبْدا
لا أقولُ الغَمامُ مثلُ أياديـ		ـكَ ، ولا السيفُ مثلُ عَزْمِكَ حَدّاً
أنتَ أمضى من الحسامِ وأصفى		من حَيَا المُزنِ في المُحولِ ، وأندَى[4]

117

وقال بديهاً يصف سحابة عنَّت له في دار بعضِ الأشرافِ ويمدح الرجل :
[من الرجز]

أقبلَ كالذَّوْدِ رَعَتْ شَوارِدُه ،		أغرُّ لا تكذِبُنا مَواعِـدُه[5]
فظَلَّ يَعتادُ الحياةَ قائدُه ،		وراحَ ظمآنَ الثَّرى يُناشِدُه[6]

---

1 الظَّلم : ماء الأسنان وبريقها .
2 الاطِّراح : البُعد .
3 الشَّماريخ ، مفردها شِمْراخ : رأس الجبل . رَضْوى : جبل بين المدينة ويَنْبُع .
4 الحَيَا : المطر ؛ الخصب .
5 الذَّوْد : الإبل .
6 الثَّرى : الندى .

حتى إذا ما ارتَجَسَت رواعِدُه ، وَأَذْهَبَتْ بِبُوقِها عُطارِدُه[1]
عادَتْ بما سرَّ الثَّرى عَوائِدُهُ ، وانتثرَتْ في روضِها فرائِدُه
واطَّرَدَتْ بِصَفْوِها مَوارِدُه حتى ظَنَنَّا حَسَناً يُجاوِدُه[2]
هو الحيا الرِّبعيُّ ، فازَ قاصدُه ، مبذولةٌ لوَفدِه فوائدُه
مصروفةٌ عن خِلِّه مكائِدُه ، شاهدةٌ بفضلِه مَشاهِدُه
منظومةٌ من شُكرِه قلائِدُه ، يَحمَدُهُ وَلِيُّهُ وحاسِدُه

118

وقال يهجو علي بن العصب المِلْحِي : [من الطويل]

أما آنَ للمِلحِيِّ أن يَنْشُرَ الوُدَّا ، ويطوي الجَفاءَ المُرَّ والهجرَ والصَّدَّا
أيغضَبُ أن حَلَّيْتُ كَفَّ ابنِ هاشمٍ سِوارَ هِجاجٍ يَقرِضُ القلبَ لا الزَّنْدا[3]
وما خِلْتُ صَفْعَانَ العراقِ يَسومُني لأمثالِهِ ذمّاً يَسيراً ، ولا حَمْدا[4]
إذا مَا أَبُو الوَرْدِ انتحاه بِكَفِّهِ حَسِبْتُ قَفاهُ روضةً تُنبتُ الوَرْدا[5]
تَجودُ سَحابُ الخافقاتِ قَذالَهُ ، فتُوسِعُهُ هَطْلاً ومن دَمِه تَنْدَى[6]

119

وقال يمدح الأمير الحسين بن سعيد بن حمدان : [من الوافر]

سُهادي فيكَ أعذبُ من رُقادي ، وغَيِّي فيكَ أحسنُ من رَشادي

---

1 عطارد : نجم .
2 يجاوده : يفاخره .
3 ابن هاشم : يريد الخالدي .
4 صَفْعَان : الذي يُصفع كثيراً ، يريد به المِلْحِي .
5 أبو الورد : شاعر في بغداد يُضحك الناس ويُعْجِب الناظر إليه والسامع . انتحاه : قصده .
6 الخافقات : الرياح . القَذَال : ما بين الأذنين من مؤخرة الرأس .

وإن حَلَّ الفِراقُ عُقودَ دَمعي ، وبيَّنَتِ النَّوى ما في فُؤادي
فمازالَتْ غَوادي الدَّمعِ تُبْدي خَفِيَّ الوَجْدِ للظُّعْنِ الغَوادي[1]
مَهاً لو مُلِّكَت غَرْبَ التَّنائي لآثَـرَتِ الدُّنُـوَّ على البُعادِ[2]
مَريضاتُ الجُفونِ ، إذا انتحَتْنا بأسهُمِها ، صَحيحاتُ الوَدادِ[3]
فمِنْ نَشوانَ من شَوْقٍ طَريفٍ أَضَفْنـاهُ إلى شَـوْقٍ تِلادِ
وكم للبَيْنِ من شَوْقٍ طَريفٍ أَضفنـاه إلى شَـوْقٍ تِلادِ[4]
ويومٍ لو مَلَكْتُ قِيادَ صَبري بهِ أَلفَيْتَني صَعْـبَ القِيادِ
نُصِرْتُ على الهَوى بالدمعِ فيه ، كما نُصِرَ الأميرُ على الأعادي
فتىً كالدَّهرِ يُسعِدُ مَنْ يُوالي بأنعُمِهِ ، ويُشقي مَنْ يُعادي
ترى الأقدارَ تَنجُدُ فيه نَجْداً رَحيبَ الباعِ يَخطِرُ في النِّجادِ[5]
سَديدَ الرأيِ والرُّمحِ استقامَتْ طَرائِقُهُ على طُرُقِ السَّدادِ
وأبيضَ في سوادِ الخَطْبِ يَسري بعَزْمٍ في سَوادِ اللَّيلِ هَادِي
بفَرْعٍ من عَدِيٍّ بينَ ماضي غِرارِ العَزْمِ ، أو واري الزِّنادِ[6]
فلاحَ سَناهُ في زَمنٍ بَهيمٍ ، وذابَ نَداه في سَنَةٍ جَمادِ[7]
رَمَيْتَ ذوي العِنادِ ، وقد تَمادَوا ، سَفاهاً ، في العَداوَةِ والعِنادِ
بجيشٍ للمَنايا فيه جيشٌ شديدُ البأْسِ في النُّوَبِ الشِّدادِ

---

1 الغوادي الأولى : أمطار الصباح شبّه بها الدموع ، وأما الثانية فيريد الراحلة المنطلقة .
2 الغرب : أول كل شيء ، حدّته .
3 عينٌ مريضة : فيها فتور .
4 هكذا ورد البيت مكرّر العجز عن البيت السابق .
5 ينجد : يعين . النجد : الشجاع الماضي في ما يعجز عنه غيره . النجاد : حمالة السيف .
6 الفَرْع : الشريف . الزَّنْد الواري : الذي خرجَتْ نارُه .
7 سنةٌ جماد : لم يُصِبها مطر .

إذا ماجَ الحديدُ ضُحىً عليه	حَسِبْتَ البرَّ بحراً ذا آطِّرادِ
ببيضٍ أخلَصَتْ حتى أقامَت	عَمُودَ الصُّبحِ في ظُلَمِ الدآدي[1]
وسُمْرٍ سُمِّرَتْ فيهنَّ زُرْقٌ	هَوادٍ في النُّحورِ وفي الهَوادي[2]
إذا صَدَرَتْ عَنِ الأجسادِ خِيلَتْ	مُضمَّخَةَ الصُّدورِ منَ الجِسادِ[3]
فألبَسْتَ الخِلافةَ ثَوْبَ عِزٍّ	غَداةَ لَبِستَ قَسْطَلَةَ الجِيادِ[4]
وأنتَ مُظَفَّرٌ في يومِ سَعْدٍ	مَحا إشراقُه ظُلَمَ البِلادِ
رأيْنا اللَّيْثَ في غابِ العوالي	به ، والشمسَ في ظِلِّ الأيادي[5]
سَلِمْتَ لنَشْرِ عارفةٍ رُفاتٍ	تَعُمُّ ، ودَفْـعِ نائبـةٍ نَآدِ[6]
فكم حلَّتْ بساحتِك الأماني ،	فلم يَصْدُرْنَ عن وِرْدٍ ثِمادِ[7]
وكم قصدَتْكَ أبكارُ القَوافي ،	فلم يَقنَعْ نَوالُكَ باقتصادِ
أرى مَنَّ الحُسينِ بلا امتنانٍ ،	وإحسانَ الحسينِ بلا نَفادِ
خِلالٌ كلُّها رَوْضٌ أَريضٌ ،	قريبُ العَهْدِ من صَوْبِ العِهادِ[8]
يَفوزُ بها كريمٌ عن كريمٍ ،	ويَحويها جَوادٌ عن جَوادِ
زفَفْتُ إليه من مَدحي عَروساً	مُعَرَّسَةَ الهَوى في كلِّ نَادِي
بألفاظٍ عَذُبْنَ ، فهنَّ أشهى	إلى الصَّادي من العَذْبِ البُرادِ
سَوادٌ في بياضٍ لاحَ حتى	حَسِبناهُ بياضاً في سَوادِ

1 الدآدي ، مفردها دأداءة : الليلة المظلمة .

2 السُّمْر : يريد الرماح . الزُّرق : يريد النصال . الهوادي : الأعناق .

3 الجساد : الزعفران الأحمر ، يريد به الدم .

4 القسطلة : غبار الحرب .

5 العوالي : الرماح .

6 العارفة : المعروف . الرفات : البالية . النآد : الداهية .

7 الثماد ، مفردها ثمد : الماء القليل .

8 الأريض : الكثير العشب . صوب العِهادِ : المطر .

وإن بدأتْ مواهبُه ، وعادَت ، فمَـدحي عائـدٌ فيـه وبَـادِي

120

وقال يمدح أبا الفوارس سلامة بن فهد : [من الوافر]

صُدودُكَ علَّمَ النَّومَ الصُّدودَا ، وجدَّدَ للهَوى عَهْداً جديدا
مَلَلْتَ ، فعاد منك الجُودُ ، مَنْعَاً ، ولو أنصفْتَ عادَ المنعُ جُودا
أحلَّ وَداعُنا عَطْفاً جديداً ، وأدنى بينُنا وَصْلاً بعيدا
فمِنْ خَدٍّ يُصافِحُ فيه خَدّاً ؛ ومن جيدٍ يُعانِقُ فيه جِيدَا
وساجي الطَّرْفِ أَلْبَسَهُ التَّصابي سِخاباً يُلبِسُ الجَزِعَ الجَليدا[1]
أُنازِعُه اللِّحاظَ ، فإن تَصدَّى لنا واشٍ تَنازَعنا الصُّدودا
فما ضَيَّعْتُ فيه الحِلمَ ، إلاَّ لأَحفَظَ في الهَوى منه العُهودا
وما انحلَّت عقودُ الدَّمعِ حتى تحلَّى من مدامعِه عُقودا
سقى رَبْعَاً يُجدِّدُ لي التَّصابي رُباه ، ويُخلِقُ الصَّبْرَ الجديدا
حَيَاً يزدادُ منه الرَّوْضُ حُسْناً ، إذا ما ازدادَ بارِقُهُ وَقُودا
فكم صَعَّدْنَ من أنفاسِ صَبٍّ ، فأروى من مَدامِعِهِ الصَّعيدا
تلقَّى الدَّهرُ آمالي بنُجْحٍ ، وعاد ذميمُ أيامي حَميدا
وقالَ : ألا إلى جُودِ ابنِ فَهْدٍ ، فرُحْتُ من اللَّيالي مُستَزيدا
فتًى يُمسي بنائلِه مُفيداً ، ويُصبحُ للمحامدِ مُستَفيدا
ربيعُ الجودُ ما ينفكُّ يُبْدي رَبيعاً من خلائقِه مَجودا
مليءٌ أن يَزيدَ الأَزْدَ فخراً طريفاً ، أو يَشِيدَ لها تَليدا
رأى وجهَ العُلى حَسَناً جَميلاً ، فأصبحَ بالعُلى صبّاً عَميدا[2]

---

1 عينٌ ساجية : ساكنة فاترة . السِّخاب : قلادة من الزهر . الجَليد : ذو القوّة والصبر .

2 العَميد : المريض الذي هدّه العشق .

وردَّ عَطاه لي صفوَ العَطايا ، فليسَ يَـمَلُّ وارِدُهُ الوُرودا
ومدَّ عليه ظِلُّ السَّيفِ ، حتى تَفيَّأ للعُـلى ظِلّاً مَديـدا
فأَسعدَ جُودُه جَدّاً شقيّاً ، وأَشقى بأْسُه جَدّاً سَعيدا[1]
تَمَلَّ أبا الفوارسِ مُشرِقاتٍ تُعيدُ نحوسَها أبداً سُعودا
وزادَك وافدُ الآمالِ نَشْراً ، يُبَشِّرُ بالعُلى منكَ الوُفودا
فكم أنجزْتَ من عِدَةٍ لعافٍ فأَنجزَ للزمانِ بكَ الوعيدا
متى شرَّفْتُ غيرَك بامتداحي ، لَبِسْتُ بمدحِكَ الشَّرَفَ العَتيدا
وكم لي فيك من عَذراءَ بِكْرٍ تُخالُ لحُسْنِها عَفْراءَ رُودا[2]
عرائسَ ما اجتلاها الطَّرْفُ ، إلاَّ أباحَتْه السَّوالِفَ والخُدودا
بألفاظٍ يراها القلبُ بيضاً ، إذا ما عايَنَتْها العينُ سُودا
مُخلَّدَةٍ تُطيلُ شَجَى الأعادي ، وتَضمَنُ عن معاليكَ الخلُودا
شَغَلْتُ بها قلوبَ النّاسِ طُرّاً ، فما تَنفَكُّ نَسْخاً أو نَشيدا

121

وقال أيضاً يمدحه : [من المنسرح]

أأُقحُواناً أَرَتْـهُ أم بَرَدَا غَيداءُ يهتزُّ عِطْفُها غَيَدا
رَنَتْ إليهِ بِطَرْفِ خاذِلَةٍ ضَعيفَةِ الطَّرْفِ تُضْعِفُ الجَلَدا[3]
لو وجَدَتْ للفِراقِ ما وَجَدا لافتقَدَتْ نومَها كما افتقَدا
لا تَـلْحُ صبّاً على صَبابَتِه ، وإنْ رأى الغَيَّ في الهوى رَشَدا

---

1 الجَدّ : الحظ ؛ الرزق .

2 الرُّودة : الشابة الحسنة .

3 الخاذلة : الظبية المتخلّفة عن صواحبها المنفردة عن القطيع .

فلم تَزَلْ للفِراقِ غائِلَةٌ   تَلَذُّ في المَوْرِدِ الذي وَرَدا

لو كَفَّ ، يومَ الفِراقِ أدمعَنا الصْـ   ـصَبْرُ ، كُفِينا المَلامَ والفَندا[1]

إلفانِ لم يَألَفا الصُّدودَ ، ولم   يَستَبْدِلا من كَراهما السُّهَدا

أذَلَّ عِزُّ النَّوى عَزاءَهُما ،   وبيَّنَ البينُ منهما الكَمَدا[2]

سِرْنــا بآمالِنــا إلى مَلِكٍ   يُسَرُّ بالآمـلِ الذي وَفَـدا

مُستَيْقِظُ الرأيِ والعزيمةِ ما آسـ   ـتَيْقَظ طَرْفُ الزَّمانِ ، أو رَقَدا

فلاحَ رَوْضُ النَّسيمِ مُبتَسِماً ،   وفاضَ بَحْرُ السَّماحِ مُطَّرِدا

مَدَّ ابنُ فَهدٍ إلى العُفاةِ يداً ،   كفَتْ من الدَّهرِ ساعداً ويَدا

فاضَ على آمِليه منه حَياً   أنفَـدَ آمالَـهـم ومـا نَفِدا

والغَيثُ واللَّيثُ والهِلالُ ، إذا   أقمرَ بأساً ونَجـدةً ونَدَى

خلائِقٌ منه غَضَّةٌ تَرَكَتْ   خَلائِقَ الدَّهرِ غَضَّةً جُدُدا

وهِمَّةٌ ما تَطأطَأَتْ هِمَمُ الْـ   أَقْوامِ إلاّ سَمَتْ به صُعُدا

ما بَعُدَتْ للعَلاءِ مَنزِلَـةٌ   إلاَّ أَرَتْـهُ بُعادَها صَعَدا[3]

ناسٍ مِنَ الجُودِ ما يجودُ به ،   وذَاكِرٌ منه كُلَّ ما وَجَدا

بذلتُ وجدي من الثناءِ لِمَنْ   يبذُلُ في المكرماتِ ما وجدا

أغرُّ يُغريه بالنَّدى خُلُقٌ   رَدَّ به الجُودَ بعدَما فُقِدا

يَحُلُّ ما يَعْقِدُ الزَّمانُ ، ولا   يَحُلُّ صَرْفُ الزَّمانِ ما عَقَدا

سَلِمْتَ للمجدِ يا سلامةُ ما   غرَّدَ حادٍ لرِحْلَةٍ وَحَدا

قَضيْتَ حقَّ الصِّيامِ مُجتَهِداً ،   فَرُحْتَ بالأجرِ منه مُنفرِدا

وشرَّدَ الهمَّ عن مواطِنِه   عيدٌ أعادَ السُّرورَ إذ شَرَدا

---

1 الفَنَد : اللوم .

2 العَزاء : الصبر .

3 الصَّعَد : المشقة ، العذاب .

فَاسعَدْ بِدُنْيا بَدَتْ محاسِنُها منكَ ، فأعطَتْكَ عيشةً رَغَدا
ومِدْحَةٍ ثُقِّفَتْ ، فلم يَدَعِ التَّـ ـثْقِيفُ مَيْلاً بها ، ولا أَوَدا
أماتَتِ الحاسدين من أَسَفٍ ، وغادَرَتْ أَوْجُهَ العِدا رُبُدا

122

وقال أيضاً يمدحه : [من المنسرح]

كانَ جَليداً ، فخانَه جَلَدُهْ ، وعادَه بعدَ هِمَّةٍ كَمدُهْ
وأطلقَ الشَّوقُ أَسْرَ عَبرَتِه ، وهو أسيرُ الفؤادِ مُضطَهَدُه
أَدَمْعُ ذاكَ الغزالِ فاضَ على الـ ـخدَّيْنِ ، أم عِقْدُهُ وَهَتْ عُقَدُه
قامَ يُريدُ الوَداعَ كالغُصُنِ الرَّ ـيَّانِ يَثني قُوامَه غَيَدُه
وذو الهَوى غَضَّةٌ صَبابَتُه ، يُكابدُ الشَّوقَ طِبُّهُ كَبِدُه
كم بينَ تلك السُّجوفِ من مُقَلٍ تَبْذُلُ من دَمعِها الذي تَجدُه
ومستعيرِ النُّضارِ من رَشإٍ لم يُخْطِهِ لحظُه ولا جَيَدُه
لا يرتجي الصَّبُّ بَرْدَ غُلَّتِه ، ما ضَنَّ عنه بريقِه بَرَدُه
غدا ابنُ فهدٍ ، والمجدُ شيمَتُه ، والجودُ والمجدُ لهوُه وَدَدُه[1]
فتىً فتى السَّماحِ ، مُكتَهِلُ الـ ـحِلْمِ ذَكيُّ الفؤادِ مُتَّقِدُه
ومُسرِفُ الجُودِ حينَ يَقتَصِدُ الـ ـغَيْثُ ، رَفيقُ الفَعالِ مُقتَصِدُه
كم من صَباحٍ سَناهُ عَزْمَتُه ؛ ومن أيـادٍ سِماتُهنَّ يَدُه
مناقبٌ يَنطوي الحَسودُ لها على جَوىً ، أو يُميتُه حَسَدُه
جَرى فبَذَّ المُلوكَ حينَ جَرى ، وفاتَ أقصَى مَداهُمُ أَمَدُه
وكيفَ يَرجو لَحاقَه مَلِكٌ ، يَضيقُ عن رَحْبِ صَدْرِهِ بَلَدُه

---

1 الدد : اللعب .

رَبْعٌ كأنَّ الرَّبيعَ أَلْبَسَه غَرائبَ النَّوْرِ يانعاً خَضَدُه[1]
ومَنهَلٌ راقَ وِردُه ، فغَدا يَطرُدُ عنَّا الإعْدامَ مُطَّرَدُه[2]
وصارِمٌ لم يَشِمْه ذو زَرَدٍ ، إلا تَفرَّى عن حَدِّهِ زَرَدُه
إذا ارتدى مُهجةَ الكَميِّ غَدا ، مُضرَّجاً من جِسادِهِ جَسَدُه[3]
يَعضُدُ قَرْماً تَقِلُّه يَدُه ، طَوْراً ، وطَوْراً يَكُنُّه عَضُدُه[4]
يَلقَى المَنايا مَنْ راحَ يُوعِدُه حَتماً ، ويَلقى النَّجاحَ مَنْ يَعِدُه
صَنيعُه سائرٌ يلوحُ ، وهل يَخْفى صَنيعٌ مدائحي بُرُدُه
وَقفٌ علينا الثَّناءُ ، ما اطَّرَدَتْ حُسْناً معانيه ، واستوى أَوَدُه
وكلَّما أخلَقَتْ بدائِعُهُ ، جاءَتْ إليه مُجِدَّةً جُدُدُه

123

وقال يمدحه : [من الوافر]

يَغُضُّ الطَّرْفَ عن وَرْدِ الخُدودِ ، ويُعْرِضُ عن مُهَفْهَفَةِ القُدودِ
مُقِرٌّ للعَواذِلِ بالتَّصابي ؛ مُقيمٌ للوُشاةِ على الجُحودِ
أَفادَ به الهَوى شَوْقاً طَريفاً ، يُضَرِّمُ لوعةَ الشَّوقِ التَّليدِ
ومن جَوْرِ الهَوى أن راحَ يُزْجي مَطايا البَيْنِ في أَثَرِ الصُّدودِ
وفَوقَ العِيسِ بِيضٌ وكَّلَتْنا بأيَّامٍ من الهِجرانِ سُودِ[5]
وغِزلانٌ تُزيلُ الوَشْيَ صَوْناً لوَشْيِ جمالِها الغَضِّ الجديدِ

---

1 الخَضَد : الضمور في الثمار .

2 الإعدام : الفقر .

3 الجساد هنا : الدم .

4 يَعْضُد : يَنْصُر . القَرْم : العظيم . تَقِلّ : تحمل .

5 العيس : النِّياق ، مفردها عيساء .

إذا خطرَت فما للقُمْصِ إلا مصافحةُ الرَّوادِفِ والنُّهودِ
هيَ الأيامُ إن جمحَتْ عِناداً أذَلَّتْ كلَّ جبَّارٍ عنيدِ
تنامُ ، وَتُطْرِقُ الأحداثُ يَقْظَى ، ولوعَ الطَّيفِ بالرَّكْبِ الهُجُودِ[1]
إليكَ ، فرُبَّ هاجرةٍ أفاءَتْ عليَّ إفاءَةَ الظِّلِّ المَديدِ
إذا لم آوِ فيه إلى ابنِ فهدٍ ، فما آوي إلى رُكْنٍ شَديدِ
إذا حَلَّ الوفودُ له مَحَلّاً ، غدَوا ومحَلُّهم عَطَنُ الوُفودِ[2]
أتيتُ مُرَوَّعاً يهتزُّ جاشي ، فأُبتُ محسَّداً يَهتزُّ عودي
فَعِشْ للمجدِ تُنْجِزُ فيه وَعْداً ، من الجَدوى ، وتَصفَحُ عن وَعيدِ

124

وقال لسلامة بن فهد وقد فُصد : [من الوافر]

وقانَا اللهُ فيكَ مُنى الحسودِ ، ودافعَ عنك للكرمِ التَّليدِ
ومدَّ عليكَ للنَّعماءِ ظِلّاً ، فإنَّا منك في ظِلٍّ مَديدِ
فُصِدْتَ ، فلا عَراكَ الهمُّ فيه ، ولا عُرِّيتَ من ثَوبِ السُّعودِ
دَمٌ ، ودَّ المؤَمِّلُ لو فَداه بماءِ الوجهِ ، أو بدمِ الوَريدِ
وكَفٌّ ، لو يكونُ لها كِفاءٌ وَقَيْناها بديباجِ الخُدودِ
فكانَ لها الشِّفاءُ بغيرِ كَلْمٍ ، وكانَ بنا مُباشَرَةُ الحديدِ

125

وقال أيضاً يمدحه ويهنئه بالعيد : [من البسيط]

قسمتَ قلبيَ بينَ الهمِّ والكَمَدِ ، ومُقلتي بين فَيْضِ الدَّمعِ والسَّهَدِ

---

1 الهجود : النائمون .

2 العَطَن : مبرك الإبل ومربض الغنم حول الماء .

ورُحْتَ في الحُسْنِ أشكالاً مُقَسَّمةً ... بينَ الهِلالِ وبينَ الغُصنِ والعُقَدِ[1]

أرينَني مطَـراً يَنهَـلُّ ساكبُـه ... من الجُفونِ وبَرْقاً لاحَ من بَرَدِ

ووجنةً لا يُروِّي ماؤها ظمأً ... بُخلاً ، وقد لَذَعَتْ نيرانُها كَبِدي

فكيفَ أُبْقي على ماءِ الشُّؤونِ ، وما ... أبقَى الغَرامُ على صبري ولا جَلَدي[2]

جرَى ابنُ فَهْدٍ ، فلم يُدْرَكْ له أَمَدٌ ، ... وكلُّ ذي سُؤدُدٍ يجري إلى أَمَدِ[3]

وحَنَّ للجُودِ مُهْتَزّاً ومُنتَصِباً ، ... كالرُّمحِ لم يُؤْتَ من مَيلٍ ولا أَوَدِ

وعلَّمَ الدَّهْرَ من أخلاقِهِ خُلُقاً ... أذكى من الوَرْدِ أو أَحْلَى من الشَّهْدِ

فالمَجدُ منه عُلًى مقرونةٌ بِعُلًى ، ... والجُودُ منه يدٌ موصولةٌ بيدِ

فَضلانِ مازالَ مَحسوداً بنَيْلِهِما ، ... والبأسُ والجودُ مَقرونانِ بالحَسَدِ

أَغرُّ لا صَلَفٌ يُزري بسُؤدُدِه ... بينَ الملوكِ ، ولا كِبْرٌ على أحدِ

يُريكَ من رِقَّةِ الألفاظِ مَنطِقُه ... دُرَّ العُقودِ ، غدَتْ محلولةَ العُقَدِ

جعلتُه جُنَّةً من كلِّ نائبةٍ ، ... ورُحْتُ من جُودِه في جَنَّةِ الخُلدِ[4]

أبا الفوارسِ أحييتَ السَّماحَ لنا ، ... وقُمْتَ فيه قِيامَ الروحِ للجَسَدِ

ما رُمْتُ إحصاءَ ما أوليتَ من حَسَنٍ ، ... إلا وزادَ على الإحصاءِ والعَدَدِ

آثرْتَ في الصَّومِ تَقوى اللهِ مُجتهداً ... على هواكَ وبِعتَ الغَيَّ بالرَّشَدِ

فأسعَدْ بعيدٍ أعادَ اللَّهوَ في سَعَةٍ ، ... واليُمْنَ في دَعَةٍ والعيشَ في رَغَدِ

تَقدَّمَتْ مِدْحَةٌ زَهراءُ مُشرِقَةٌ ... كالرَّوْضِ يَضْحَكُ عن نُوَّارَةِ الخَضَدِ[5]

وجاشَ بَحْرِي فلم أقنَعْ بواحدةٍ ... حتى أتيتُ بها مُشتدَّةَ العَضُدِ

---

1 لعله أراد بالعقد المكان الكثير الشجر ، مفردها عقدة ، أو أراد العقد بكسر العين : القلادة حرّكها لضرورة القافية .

2 الشؤون : عروق الدموع .

3 الأمد : الغاية ومنتهى الشيء .

4 الجنة بالضم : الترس ، وبالفتح : الفردوس .

5 الخَضَد : الضعف في النبات .

قِلادَةٌ جالَ فيها الفِكْرُ فانتظَمَتْ نظْمَ القلائدِ لم تَنْقُصْ ولم تَزِدِ

126

وقال أيضاً يمدحه : [من الطويل]

سواءٌ علينا وعدُها ووعيدُها ، إذا ما تساوى وَصلُها وصدودُها
وقَفْنا وقد ريعَتْ مَها الحيِّ ، فانثَنَتْ تَصِيدُ بألحاظِ المَها مَنْ يَصيدُها
أَعَنْ وَسَنٍ تَرْنو إليَّ عيونُها ؛ أَمِنْ سَكَرٍ مالَتْ عليَّ قُدودُها
فجازِعَةٌ تُعطي الغَرامَ قيادَها ، وقد راحَ مُقتادُ الغَرامِ يقودُها
وساكنةٌ تهتزُّ ساكنةَ الجَوى ، إذا اهتزَّ من ماء الشَّبيبةِ عُودُها
فللوردِ خدَّاها ، وللخَمرِ ريقُها ، وللغُصنِ عِطْفاها ، وللرِّيمِ جِيدُها
ألم تَرَني عِفْتُ المَطالبَ ، إذ عفَا من الجُودِ مَغناها ، ورَثَّ جَديدُها
وصُنْتُ عُقودَ المَدحِ من كلِّ مُمْسِكٍ ، يَهونُ عليهِ دُرُّها وفَريدُها[1]
هَلِ المجدُ إلا في أيادٍ تُفيدُها سجايا ابنِ فَهْدٍ ، أو مَعَالٍ تَشيدُها
فتىً حَثَّ جَدواه ، فما يَستَحِثُّها ، وزادَتْ أياديه ، فما يَستزيدُها
له شَرَفٌ عالي المحلِّ ، وهِمَّةٌ تُصَعِّدُ أنفاسَ العَدوِّ صعودُها
ومازالَ فَرْدَ المَكرُماتِ ، وإنما يؤمِّلُ فردُ المَكرُماتِ ، وحيدُها
ترى بينَ عينيهِ من البِشْرِ أنجماً تَلوحُ لمُرتادِ السَّماحِ وُفُودُها
فإن تَشْتَهِرْ في كلِّ شَرْقٍ ومَغْرِبٍ معالي ابنِ فَهدٍ ، فالثناءُ يَزيدُها
سلامةُ ! إنَّ الأَزْدَ بالبأسِ والنَّدى تَسودُ الوَرى طُرّاً ، وأنتَ تَسودُها
وقد عَلِمَ الأعداءُ أنْ لستَ بادئاً بجائحةٍ ، إلا وأنتَ مُعيدُها[2]

---

1 المُمْسِك : البخيل .

2 الجائحة : البليّة والتهلكة .

رأتْ أَسَداً يَلقى المنيَّةَ حاسِراً ، إذا اختالَ في قُمْصِ الحديدِ أُسودُها
فأَقصَرَ عنها بأسُها ودِفاعُها ، وأُكهِمَ منها حدُّها وحديدُها[1]
أرِقْتُ لوُدٍّ منك أودى ابتسامُه ، وأنجُم بشرٍ منك غابَتْ سُعودُها
وما سَتَرَ الكِتْمانُ عندي صَنيعَةً ، ولا أفسدَ النَّعماءَ فيَّ جُحودُها
سأنشُرُ فَضْلاً لاتَزالُ تُديمُهُ ، وأُثني بنُعمى لاتزالُ تُفيدُها[2]
وأشكُرُها شُكْرَ الرِّياضِ صنيعةً من الرَّائحاتِ الغُرِّ راحَت تَجودُها
فوَلَّتْ تِجارُ الحَمْدِ تَنْشُرُ حمدَها ، وقد سَعِدَتْ بالجُودِ منك جُدودُها
أريتَهُمُ وَجْهاً طليقاً وراحةً يُري بأسَها في النَّائباتِ وجودُها
وصارَتْ قَوافي الشِّعرِ فيك عرائساً تُضيءُ الدُّجى أجيادُها وخدودُها
فلا زالَتِ الأيامُ تلقاكَ بيضُها خصوصاً وتَلقى مَنْ يُعاديكَ سُودُها
فتُسعِدُ في خَفْضٍ منَ العيشِ سعدَها ، ويعتادُ في يُمْنٍ من الدَّهرِ عيدُها
ودونَك من مُستطرَفِ الوَشْيِ خِلْعَةً مَطارِفُها مَوْشِيَّةٌ وبُرودُها
فما زهَرَتْ إلا لديكَ نجومُها ، ولا حَسُنَتْ إلا عليكَ عُقودُها

127

وكتب إليه : [من البسيط]

قُلْ لابنِ فَهْدٍ ، وإن شطَّتْ مَنازِلُه ، وكم بعيدٍ على العافين ما بَعُدا
إنَّ الغُصونَ التي رَوَّيْتَها شحَبَتْ ، وكيف نُضرتُها ، والماءُ قد نَفَدا
غَشِيتُ بعدَك منسوباً إلى أدبٍ يجفو الأديبَ ويُطفي نُورَه حسَدا

1 أكهم السيف : كلَّ .
2 تفيدها : تعطيها .

128

وقال يمدح أبا الحسن ابن أحمد بن إبراهيم بن فهد : [من الكامل]

فَرَّقْتُ بينَ جُفونِه ورُقادِه ، وجمعْتُ بينَ غَرامِه وفُؤادِه
وأبثُّ في ثِنْيَيْ حَشاه صَبابةً باتَت لها الأشجانُ بينَ وِسادِه
للهِ أيامُ الكئيبِ ، فقد مَضَتْ بمُرادِه الغَضِّ الهَوى ومُرادِه
أيامَ للعُذَّالِ عِزُّ جِماحِه ، شَغَفاً ، وللأحبابِ ذِلُّ قِيادِه[1]
غَفَلاتُ دَهْرٍ غَيُّهُ وضَلالُه ، أولى بنا من هَدْيِهِ ورَشادِه
ودُجىً بذاتِ الطَّلْحِ يَبيَضُّ الهَوى لأخي الصَّبابَةِ في ارتكامِ سَوادِه[2]
وثَرىً كأنَّ رُباه تَنشُرُ حَلْيَها ، ما بينَ حُرِّ تِلاعِه ووِهادِه
عُطْرٌ تَمرُّ به الرِّياحُ فتنكسي عُطرَين من أجسادِها وجِسادِه
ما صانَ قُرْبَ العيشِ فيه مَدامعي ، حتى أُزيلَ مَصُونُها لبِعادِه
وإذا الصَّبا أضحَى عِتادَ مُتيَّمٍ ، فنَفادُها يَهواه عندَ نَفادِه
والدَّهْرُ كالنَّشوانِ في إصلاحِه ، ما راحَ يُصلِحُه وفي إفسادِه
راعٍ لنا يَجتاحُ دَثْرَ سَوامِه ؛ وأبٌ لنا يسطو على أولادِه[3]
فَفَعالُهُ المحمودُ عندَ بخيلِه ، وفَعالُه المَذْمومُ عندَ جَوادِه
ولو اقتَدى فينا بأحمدَ لارتَدَى بُردَيْـــنِ من تَوفيقِــه وسَدادِه
خِرْقٌ تَخرَّقَ في سَماحٍ لم يَزَلْ غَمْرُ السَّماحِ يَقِلُّ عندَ ثِمادِه[4]
مُرتادُ حَمْدٍ لاتَزالُ خوافقاً رايــاتُ أنعُمِــه على مُرتادِه

---

1 الذِّل : الانقياد والسهولة .

2 ارتكم : اجتمع بكثرة وازدحام .

3 الدثر : الكثير . السوام : الماشية ، الإبل .

4 الخرق : الكريم السخيّ . تخرّق : توسّع . الثّماد : الماء القليل .

إن كنتَ مُطَّرَدَ الجوارِ ، فَعُذْ بِهِ ، أو كنتَ مُمتَحَنَ الزَّمانِ فنَادِه
يُعْطِيكَ ما يُعطِيه غَرْبُ حُسامِهِ ، وشَبا أسنَّتِه ، وكرُّ جَوادِه
مازالَ يَصعَدُ بينَ بِيضِ سُيوفِه قُلَلَ الفَخارِ ، وبينَ سُمْرِ صِعَادِه
تَعِبُ الجَوانحِ يَشتري قَضَضَ العُلى ، أبداً ، براحتِه ولِينِ مِهادِه[1]
قد قلتُ للجاري على آثارِه : أنتَ الجَوادُ ، ولستَ من أندادِه
ذهبَتْ سِجالُكَ عند جَرْيِ جَوادِه ، وخَبا ضِرامُكَ عندَ وَرْيِ زِنادِه
وإذا امرؤٌ أعيَتْ عليكَ سُهولُه ، فاغضُضْ جفونَك عن ذُرَى أطوادِه
شَرَفٌ ، إذا ما اختالَ فيه ، رأيتَه في تاجِ تُبَّعِه وحُلَّةِ عادِه[2]
بيتٌ لتُبَّعَ تلتقي عَمَدُ العُلى في ملتقى أطنابه وعِمادِه
هذا ، ومُعتَرَكٌ ، إذا عرَكَ القَنا فيه الشُّجاعُ مضى طريدَ طِرادِه
خلَطَ العَجاجةَ بالدِّماءِ ، كأنَّما نُشِرَتْ مَجاسِدُه خِلالَ جِيادِه
أوفى عليٌّ ، فما انجلَتْ غَمَراتُه ، إلا بِصِدْقِ كِفاحِه وجِلادِه
رحلَ الصِّيامُ ، وقد أعدَّ من التُّقى والنُّسْكِ فيهِ عُدَّةً لمَعادِه[3]
متمسِّكاً بالصِّدقِ في مَوعودِه ، متمسِّكاً بالعَفوِ في إيعادِه
قَبِلَ الإلَـهُ صِيامَه في شَهْرِهِ ، وأعادَ ما يَهواه من أعيادِه

129

وقال من أبيات يرثي فيها الحسين وأهله : [من البسيط] .

فما يبالي ، إذا ما الدَّهرُ أسعَدَه ، ضَنَّ الخَلِيُّ بدَمْعِ العَينِ أو جادَا

---

1 قضض : جميع .
2 التُّبَّع : الملوك من اليمن . الحُلَّه : السلاح . عاده : نسبة لقوم عاد .
3 يوم المعاد : يوم الحساب .

وعَنَّ للعَيْنِ سِرْبٌ راحَ يُذكِرُهُ شَبائِهَ السِّرْبِ ألحاظاً وأجيادا
راحُوا رِياحاً تُزَجِّي كلَّ ساريةٍ من النَّدى وغدَوا لِلحِلْمِ أطوادا
تَناهَبوا الفضلَ دونَ الناسِ كلِّهمُ ، فأصبحَ الناسُ أعداءً وحُسَّادا
لا يُبْعِدُ اللهُ مِنكم عُصبةً فَضُلَتْ ، فزَادَها الفضلُ إقصاءً وإبعادا
كَشِيمَةِ العُودِ مازالَتْ بلا سببٍ تُهدِي إلى العُودِ إحراقاً وإيقادا
قَتلى أُقيمَتْ بأكنافِ العِراقِ لها مآتمٌ أصبحَتْ بالشَّامِ أعيادا

130

وقال يمدح أبا الحسن باروخ بن عبد الله مولى ناصر الدولة ويصف بستانه وقصره ويهنّئه بالبناء : [من الكامل]

باليُمْنِ ما رفعَ الأميرُ وشيَّدا ، وبِجَدِّه النَّعماءَ ما قد جدَّدا[1]
قصرٌ أنافَ على القصورِ بحُلَّةٍ ، مَلِكٌ أنافَ على المُلوكِ مؤيَّدا
قُلنا ، وقد أعلاه جَدٌّ صاعِدٌ في الجوِّ حتى ما يُصادِفُ مَصْعَدا :
أَبنِيَّةٌ ببنائِها فُضِحَ البِنَا ، أم فَرقَدٌ بسَناه شانَ الفَرقَدا
غُرَفٌ تَـألَّقُ في الظَّلامِ ، فلو سرَى بضِيائِها ، ساري الدُّجُنَّةِ لاهتدَى[2]
عُنِيَ الرَّبيعُ بها فنَشَّرَ حولَها حُلَلاً تُدبِّجُ وَشْيَها أيدي النَّدى
فكأنَّما تُزجي السَّحائبُ فوقَها ، جَيْشاً يهُزُّ البَرقُ فيه مِطْرَدا[3]
وكأنَّما نَشَرَ الهواءُ بجوِّها في كلِّ ناحيةٍ رِداءً مُجسَدا[4]
وكأنَّ ظِلَّ النَّخلِ حولَ قِبابِها ، ظِلُّ الغَمامِ ، إذا الهجيرُ توقَّدا

1 النَّعْماء : اليد البيضاء الصالحة .
2 الدُّجُنَّة : الظلمة .
3 المطرد : الرمح القصير .
4 المجسد : المصبوغ بالزعفران .

من كلِّ خَضراءِ الذَّوائبِ زُيِّنَتْ   بثِمارِهـا جِيـداً لها ومُقلَّدا
خرَقَتْ أسافلُهنَّ رَيَّانَ الثَّرى ،   حتى اتَّخَذْنَ البحرَ فيه مَورِدا
شَجَرٌ إذا ما الصُّبحُ أسفرَ لم يَنُحْ   للأمـنِ طائـرُه ، ولكن غـرَّدا
غَنِيَتْ مَغانيها الحِسانُ عنِ الحَيا ،   ما راحَ في عَرَصاتِهِنَّ ، وما اغتدَى
بمُشَمِّرٍ في السَّيْرِ إلا أنَّه   يَسري فيمنَعُه السُّرى أن يَبعُدا[1]
وَصَلَ الحَنينَ بِعَبْرَةٍ مَسفوحَةٍ ،   حتى حَسِبْناه مَشُوقاً مُكْمَدا
مُستَرْفِدٌ أمواجَ دِجلةَ رافدٌ   وجهَ الثَّرى ، أكرِمْ بهِ مُسترْفِدا

131

وقال يهجو ابن العصب الملحي وكان يتعصَّب للخالديين عليه : [من الطويل]

أُناشِدُ دَهْري أن يَعودَ كما بَدا ،   فقَد غارَ بي في الحادثاتِ وأنجدَا
توعَّدَني من بَعْدِ ما وَعَدَ الغِنى ،   فأنجزَ إيعاداً وأخلَفَ مَوعِدا
وكنتُ أرى الأيامَ ظِلّاً مُمَدَّداً   ومُهْتَصَراً غَضّاً وعَيشاً مُمَهَّدا
فَصِرْنَ لرَيْبِ الدَّهرِ سَهْماً مُسَدَّداً ،   وأسمرَ خَطِّيّاً وعَضْباً مُجَرَّدا[2]
سَقاها ، وما السُّقْيا بكفٍّ صَنيعِها   خَليعِ الحَيا إنْ جَرَّ بُرْدَيْهِ غَرَّدا
فزارَ من الدَّيْرَيْنِ إلْفاً ومَألَفاً ،   وجادَ على النَّهرين عَهْداً ومَعْهَدا
مَراقدُ من بُسْطِ الرِّياضِ ، إذا اكتفى   بِهِنَّ صريعُ الرَّاحِ لم يَنْبُ مَرْقَدا
وليلٍ كأنَّ التُّرْبَ تحتَ رِواقِه ،   مُندًّى بماءِ الوَردِ ما باشرَ النَّدى
تُعانِقُنا فيه الرِّياحُ مَريضةً ،   كأنَّا لَقِيناها معَ الصُّبحِ عُوَّدا
أَرَتْنا اللَّيالي قَصْدَها دونَ جَوْرِها   وشأنُ اللَّيالي أن تجورَ وتَقْصِدا[3]

---

1 يصف هنا دولاب الساقية .

2 رَيْب الدهر : صروفه .

3 قصدها : عدلها .

ومن عَجَبٍ أنَّ الغَبِيَّينِ أبرَقا مُغِيرَيْنِ في أقطارِ شِعْري ، وأرعَدا
فَقَد نَقلاه عن بياضِ مَناسبي ، إلى نَسَبٍ في الخالديَّةِ أسودَا
وإنَّ عَلِيّاً بائعَ الملحِ بالنَّوى تجرَّدَ لي بِالسَّبِّ فيمَن تجرَّدا
وعندي له لو كان كُفءَ قوارضي قوارضُ يَنثُرْنَ الدِّلاصَ المُسَرَّدا
ومغموسَةٌ في الشَّرْيِ والأَرْيِ هذه لِيَرْدَى بها باغٍ ، وتلكَ لتُرتَدَى[1]
إذا رامَ عِلْجُ الخالديَّةِ نيلَها ، أَخذْنَ بأعنانِ النُّجومِ وأخلَدا
لكَ الويلُ إن أطلقتُ بِيضَ سيوفَها ، وأطلقتُها خُزْرَ النَّواظِرِ شُرَّدا[2]
ولستَ لجِدِّ القَوْلِ أهلاً ، فإنما أُطيرُ سِهامَ الهَزْلِ مثنىً ومَوْحِدا
نَصَبْتَ لفِتيانِ البَطالَةِ قُبَّةً ، ليَدخُلَها الفِتيانُ كَهْلاً وأمرَدا
وكان طريقُ القَصْفِ وعراً عليهِمُ ، فسهَّلْتَــه حتـى رَأَوه مُعبَّــدا
وكم لَذَّةٍ لا مَنَّ فيها ولا أذًى هَدَيْتَ لها خِدْنَ الضَّلالةِ فَاهْتَدَى[3]
قصدتَهمُ وزناً ، فساوَيْتَ بينَهُم ، ولم تأخذِ السَّيفَ الشَّديدَ لتَقْصِدا
وجئتَهمُ قبلَ ارتدادِ جُفونِهِم ، بمائدةٍ تُكْسَى الشَّرائحَ والمِدَى
ومبيضَّةٍ مما قــراه محمــدٌ أبوك لكي تَبيضَّ عِرْضاً ومَحتِدا[4]
نَثَرْتَ عليها البَقْلَ غَضّاً ، كأنما نَثَرْتَ على حُرِّ اللُّجَيْنِ الزَّبَرْجَدا
ومصبوغَةٍ بالزَّعفرانِ عريضةٍ ، كأنَّ على أعْضائِها منه مِجْسَدا[5]
تَرَقَّبَها الصَّيَّادُ يَوْماً ، فقادَها كما قُدْتَ بالرِّفقِ الجَوادَ المُقيَّدا
ولم يَدْرِ إذ أنجى لها بِردائِه ، أكانَ رِدًى ما ارتدَّ منه أم رَدى[6]

1 الشَّري : الحنظل . الأري : العسل .
2 خَزَرَتْ عينُه : ضاقت .
3 الخِدْن : الصاحب .
4 المَحْتِد : الأصل .
5 المِجْسَد : قميص يلي البدن .
6 أنجى : رمى بنجوه ، غائطه .

تُريك ، وقد عُلَّت بياضاً بصُفرَةٍ ، مِثالاً من الكافورِ أُلبِسَ عَسْجَدا
يَحُفُّ بها منهم كهولٌ وفتيةٌ ، كأنهمُ عِقْدٌ يَحُفُّ مُقلَّدا
فلا نَظَرُ الدَّاعي إلى الزَّادِ كَفَّهم ، ولا خَجلَةُ المدعوِّ ردَّتْ لهم يَدا
ومِلْتَ بهم من غيرِ فَضلٍ عليهمُ ، إلى الوَرْدِ غضّاً والشَّراب مُورَّدا
فيا لَكَ يوماً ما أَخَفَّ مؤونَةً ، وأعذبَ في تلك النُّفوسِ وأرغدا
مُناهدةٌ إن باتَ مثلُكَ طيَّها تَنَفَّسَ مجروحَ الحشا ، أو تنهَّدا[1]
فلا عَدِمَ الفِتيانُ منكَ قَرارةً ، أيسلُّهُم سَعْـداً عليَّ مُسْعِدا[2]
مُعِدّاً لهم في كلِّ يومٍ مُجَدَّدٍ من الرَّاحِ والرَّيحانِ ، عيشاً مُجدَّدا
إذا وصَلوا أضحى الخِوانُ مُدَبَّجاً ، وإن وصَلوا أمسى الخِوانُ مُجرَّدا
وإن شرَعوا في لَذَّةٍ كنتَ بِيعَةً ؛ وإن طَمِعُوا في مَرفِقٍ كنتَ مَسجِدا[3]
لك القُبَّةُ العَلياءُ أوضحْتَ فَتقَها ، وأطلعْتَ منها للفُتوَّةِ فَرْقَدا
يُصادِفُ فيها الزَّوْرُ جَدْياً مُبرَّزاً ، وباطيةً ملأى ، وظبياً مُغرِّدا
وقد فَضُلَت بِيضُ القِبابِ لأنني نصبْتُ عليها بالقصائدِ مِطرَدا

132

وقال يصف دجاجة عملها حِمَّاضِيَّة[4] : [من الرجز]

إسمعْ مَقالاً من أخٍ ذي وُدِّ ، وذاك أني كنتُ حِلْفَ وَجْدِ
بشادِنٍ في كلِّ حُسْنٍ فَردِ ، مليحِ وجهٍ ورشيقِ قَدِّ

1 المناهدة : المخاصمة .
2 هكذا ورد البيت وهو مرتبك المعنى .
3 المرفق : ما ينتفع به . البِيعَة : المعبد للنصارى واليهود .
4 الحماضيَّة : يريد أنه طبخ الدجاجة مع الحُمَّاض ، وهو ما في جوف الأُتْرُجَّة داخل اللب ، والعامة تسمي الأُتْرُج بالكبَّاد .

كَبَدْرٍ تمٍّ في قضيبِ رنْدِ   فزارني الآن بغيرِ وَعْدِ
جاءَ مفاجأةً ، وليسَ عندي   إلا طعامٌ غيرُ مُستَعِدٍّ
دَجاجةٌ في شَبَهِ السَّمَنْدِ ،   تَليدَةٌ ، وفخرُها بالهندِ[1]
عظيمةُ الزَّوْرِ بِصَدْرٍ نَهْدِ ،   أجريتُ منها في مَجالِ العِقدِ
مُرهفةً ذاتَ شَباً وحَدٍّ   لغيرِ ما ذَحْلٍ وغيرِ حِقْدِ[2]
بل رغبةٌ فيها شبيهَ الزُّهْدِ ،   ولم تَزَلْ بالماءِ كفُّ العَبدِ
وفُصِّلَتْ أعضاؤها من بَعْدِ ،   مع لُبٍّ أُتْرُجٍّ كلونِ الشَّهْدِ
بل طعمُه عن طَعمِه ذو بُعْدِ ،   حتى إذا أسعرَهَا بالوَقْدِ
صبَّ عليها اللوزَ مثلَ الزُّبْدِ ،   وغُلِيَت بعدُ بماءِ الوَرْدِ
ثم أتى يسعَى بها كالمُهدي ،   كأنها قد بُخِّرَتْ بالنَّدِّ[3]

133

وقال يصف فاضل قدح : [من الطويل]

أعاذِلُ ، إنَّ النَّائباتِ بمَرصَدِ   وإنَّ سرورَ المرءِ غيرُ مُخَلَّدِ
إذا ما مضى يومٌ ، من العيشِ صَالحٌ   فَصِلْهُ بيومٍ صالحِ العيشِ ، مُرْغِدِ
وحاليةٍ من حُسنِها وجَمالِها ،   وإن برزَتْ عُطلَ الشَّوى والمُقَلَّدِ

---

1 السمند ، ويقال له السمندل أيضاً ، قيل : إنه طائر ببلاد الهند يبيض ويفرخ في النار ، وهو بالخاصية لا تؤثر فيه النار ويعمل من ريشه مناديل ، فإذا اتّسخ بعضها طرح في النار فتأكل النار وسخه الذي عليه ، ولا يحترق المنديل . وقيل إنه دابّة دون الثعلب نارنجية اللون حمراء العين ذات ذنب طويل ، ينسج من وبرها مناديل إذا اتّسخت أُلقيت في النار فتصلح ولا تحترق .
2 الذَّحْل : العداوة والحقد .
3 النَّدُّ : عُودٌ يُتَبَخَّرُ به .

تُعاطيكَ كأساً غيرَ ملأى ، كأنَّما فَواقِعُها أحداقُ دِرْعٍ مُزَرَّدِ
كأنَّ أعاليها بَياضُ سَوالفٍ تَلوحُ على تَوريدِ جَيْبٍ مُوَرَّدِ[1]

134

وقال يصف عربة[2] : [من الرجز]

وابنةِ بَرٍّ لم تَبِنْ عَنْ زُهْدِ ، أضحى بها البحرُ قريبَ العَهْدِ
تَعافُه ، وهو زُلالُ الوِردِ ، فليسَ تَحبُوهُ بِصَفْوِ الوُدِّ
إلاّ بِرَبْـطٍ عنـدَه وشَـدٍّ لـمَّا نَضَتْ مَلاحِفَ الإفْرِنْدِ[3]
واتَّشَـحَتْ منَ الدُّجى بِبُرْدِ ، توسَّطَتْ سِكْرَ صَفيحٍ صَلْدِ[4]
وأشبَهَتْ واسطةً في عِقْدِ ، مُطِلَّةً على رِكابِ الوَفْدِ
كأنَّـها أمُّ النَّعامِ الرُّبْـدِ ، عَجاجُها شَيَّبَ فَوْدَ المُرْدِ[5]
واجدةٌ بالبَرِّ أيَّ وَجْدِ ، تذكَّرَتْ طيبَ ثَراه الجَعْدِ
أَيامَ تُغذَى بجَنىً كالشَّهْدِ ، ولَمْعِ بَرْقٍ وحَنينِ رَعْدِ
فَهْيَ تُعيدُ أنَّةً وتُبْدي ، كما يَئِنُّ مُوثَقٌ في القَيْدِ
لولا امتدادُ الطُّنُبِ المُمْتَدِّ ، لَشَمَّرَتْ تَشميرَ ذاتِ الجِدِّ[6]
فصافَحَتْ خَدَّ الثَّرى بخدِّ

---

1 الجَيْب : القلب والصدر .
2 العربة : سفينة راكدة مطليَّة بالقار .
3 الإفرند من السيف : جوهره ووشيه .
4 السكر : ما سدّ به النهر .
5 الرُّبْدة : الغُبْرة . الفود : جانب الرأس .
6 الطُّنب : الحبل الطويل ، وأراد به الحبل الذي ربطت به العربة .

135

وقال وقد شرب بالقفص على أسد من وَرْد : [من الرمل]

رُبَّ أيَّامٍ على القُفْصِ لَنا ، لا نرى أمثالَها طولَ الأبَدْ
غَضَّةٌ ، ريحانُنا الغَضُّ بها أَسَدٌ من غابةِ الوَردِ وَرَدْ
ما رأى النَّاسُ شُروباً مثلَنا ، شربوا الرَّاحَ على وجهِ الأسَدْ

136

وقال يصف ساقياً : [من الطويل]

وبِكْرٍ شَرِبناها على الوَرْدِ بُكرةً فكانتْ لنا وِرْداً إلى ضحوةِ الغَدِ
إذا قامَ مُبيَضُّ اللِّباسِ يُديرُها ، توهَّمْتَه يَسعى بكُمٍّ مُوَرَّدِ

137

وقال ينتجز أبا المرجَّى وعداً : [من الطويل]

أميرَ النَّدى ! إنَّ الثَّناءَ خُلودُ ؛ وإنَّ القَوافي السَّائراتِ جُنودُ
إذا انفضَّ من حَولِ الملوكِ عديدُها ، فحولَك منها عُـدَّةٌ وعَديدُ
فهنَّ ، إذا ناضَلْنَ عنك صَوارِمٌ ؛ وهنَّ ، إذا لاحَتْ عليكَ عُقودُ
ولي من نَدى كفَّيْكَ رسْمٌ تضاءَلَتْ مَعالِمُه ، حتى تَكادَ تبيدُ
غَدَا خَلَقاً ، والحمدُ فيه مُجدَّدٌ ، ومُنْتَقَصاً ، والشُّكرُ فيه يَزيدُ[1]
فإنْ يَكُ رَسْمي من نَوالِكَ دارساً ، فرسمُكَ غَضٌّ من ثَنايَ جَديدُ

---

1 الخَلَقُ : البالي .

138

وقال يستدعي صديقاً له إلى عربةٍ ويصفها : [من السريع]

قد وَفَتِ المُزْنُ بميعادِها ، وخَصَّتِ الرَّوْضَ بإسعادِها
وأخمدَتْ شُعْلَةَ إبراقِها ، وسكَّنَتْ ضَجَّةَ إرعادِها
وأضحَتِ الأغصانُ قد نُظِّمَتْ غَرائبُ الحَلْيِ بأجيادِها
وأوجهُ الأيامِ مُبيَضَّةٌ ، تُخبرُ عن رِقَّةِ أكبادِها
والعيشُ في طيبِ أثانينها ، إذا تفكَّرْتَ وآحادِها[1]
وقد صَفَتْ بالزَّهَرِ المُجتلى مَوارِدُ الرَّاحِ لوُرَّادِها
فزُرْ بنا سوداءَ مَصفودَةً ، في غَمْرَةِ الماءِ بأصفادِها[2]
كأنَّها زِنجيَّةٌ واصلَتْ حَنِينَها من ضيقِ أقيادِها
إذا نضَى الصُّبحُ سوادَ الدُّجى ، لم يَنْضُ عنها سُودَ أبرادِها
طريقُ مَنْ خافَ لها لُجَّةً يقطعُ في أحشاءِ أولادِها[3]

139

وقال يعرِّض بالتَّلْعَفَرِيّ المؤدِّب : [من الطويل]

يُنافسُني في الشِّعرِ ، والشِّعرُ كاسدُ ، حَسودٌ كَبا عن غايتي ، ومُعانِدُ
وكلُّ غَبيٍّ لو يُباشِرُ بَرْدُهُ لظَى النَّارِ أضحَى حرَّها ، وهو بارِدُ

---

1 الأثانين ، جمع إثنين : يريد أن العيش طيب في الأيام سواء في اثنين اثنين منها أو في واحد واحد .

2 السوداء المصفودة : أراد العربة الراكدة في الماء .

3 أراد بالأولاد : القوارب التي ينقل إليها الذين يخافون لجّة الماء .

إذا سُئِلُوا عمَّا يَلوحُ تبلَّدوا ، كأنَّهمُ عندَ السُؤالِ جَلامِدُ
قِيامٌ يَهُزُّونَ النُسوعَ ، كأنَّما بأيديهمُ حيَّاتُ رَمْلٍ أساوِدُ[1]
يَموتُ ذَكاءُ الطِّفْلِ ما دامَ عندَهُمْ ، وكيفَ صَلاحُ الفَرْعِ والأصلُ فاسِدُ
أَفيقُوا ، فلن يُعطى القريضَ مُعلِّمٌ ، وهل يتولَّى الأغبياءَ عطارِدُ
فلا تمنحوا منه الكرامَ قلائداً ، فليسَ من الحَصباءِ تُهدَى القَلائِدُ

140

وقال : [من الكامل]

يا دَهْرُ ! صافيتَ اللِّئامَ مُساعِدا لهُمُ ، وجانَبْتَ الكِرامَ مُعانِدا
فغَدَوْتَ كالمِيزانِ يَرْفَعُ ناقِصاً فينا ، ويَخْفِضُ ، لا محالةَ ، زائدا

141

وقال يتشوَّق الموصل ويذكر خرابها : [من الطويل]

أقولُ لحنَّانِ العَشيِّ المُغَرِّدِ ، يهُزُّ صفيحَ البارقِ المتوقِّدِ
تَبَسَّمَ عن رَيِّ البلادِ حَبيُّه ، ولم يبتسمْ إلا لإنجازِ مَوْعِدِ
على الشَّرَفِ المعمورِ بالعَمْرِ ، فالرُّبا ، فتلكَ الثَّنايا ، فالطريقِ المعبَّدِ[2]
فسُودِ اللَّيالي من بَنِيَّةِ جَعْفَرٍ ، فَدِمنَةِ آثارِ الخليفةِ أحمدِ[3]
بِصَفحَةِ مصقولِ الأديمِ ، كأنَّما سَفائِنُهُ رُبْدُ النَّعامِ المُشرَّدِ

---

1 النُّسُوع ، مفردها نِسْع : حبل عريض طويل تُشَدّ به الرحال . الأساود : يريد أن لونها أسود .
2 العمر : موضع .
3 الدِّمْنَة : آثار الدار .

شَوائِلُ أذنابٍ يُخَيِّلُ أنَّها عَقارِبُ دَبَّتْ فَوقَ صَرْحٍ مُمَرَّدِ
فمَشهَدُ عمروٍ حيثُ يُلْعَنُ ظالِمٌ ، وتَبْكي على المظلومِ آلُ محمَّدِ
مَحلُّ الهَوى العُذريِّ في غَيرِ حِلَّةٍ وعَهْدُ الشَّبابِ الغَضِّ في غَيرِ مَعهَدِ
مَضَت نَومَةُ التَّعريسِ في ظلِّ أمنِهِ ، وأعقبَها ليلُ السَّليمِ المُسَهَّدِ[1]
أمُجُّ له العَذْبَ النَّميرَ ، كأنَّه مُجاجةُ مُحمَرٍّ الحماليقِ أسوَدِ[2]
ولا وَصْلَ إلا أن أروحَ مُغَرِّراً بأدهمَ في تيَّارِ أخضرَ مُزبِدِ[3]
إذا ما أَهَلَّ الرَّكْبُ فيه جرَى لَهُم ، على سَنَنٍ كالمَشرَفيِّ المُجرَّدِ
إذا ما ارتدَى اللَّيلَ البَهيمَ ، فإنَّني بلَيْلَينِ منه والدُّجُنَّةِ مُرتَدي
أرى بلداً يشكو منَ الماءِ مثلَ ما شَكا الغِمْدُ من حَدِّ الحُسامِ المُهَنَّدِ
تَحَوَّفَ غَربيَّ القصورِ كأنَّما رُمِينَ على الأيَّامِ منه بمِبرَدِ[4]
مُكَفَّرَةُ الجُدرانِ للمَدِّ لا تَني تَخُرُّ عليه من رُكوعٍ وسُجَّدِ[5]
وعَهْدي بها مثلُ الفَراقدِ تُنْتَضى ذَوائِبُها ما بينَ نَسْرٍ وفَرقَدِ
بقيَّةُ أبشارِ البنـاءِ كأنمـا تَصوغُ لها الآصالُ تِيجانَ عَسجَدِ
فيا سطوةَ الأيَّامِ عُودي لسِلْمِها ، كما كنتِ قبلَ اليومِ مَغلولةَ اليَدِ
ويا جانِبَيْها بالمُناخِ سُقيتُما بأعذبَ ممَّا يُسقَيانِ وأبرَدِ
ويا ديْرَها الشَّرقيَّ لازالَ رائحٌ يَحُلُّ عُقودَ المُزنِ فيكَ ويَغتدي[6]
مَوارِدُ لَهْوٍ صَفَّقَتْ في ظِلالِها مَوارِدُ من ماءِ الكرومِ مُوَرَّدِ

---

1 السليم : المشرف على الهلاك .

2 الحماليق : باطن أجفان العين .

3 بأدهم : أراد سفينة مشبَّهة بالفرس الأدهم . الأخضر المزبد : البحر .

4 تَحَوَّفَ : تَنَقَّص من حافات الشيء .

5 يشير إلى انقضاض أمواج مدّ البحر على الجدران وتهديمها .

6 الرائح : المطر أو السحاب الذي يجيء رواحاً ، أي عند العشي .

عليلَةُ أنفاسِ الرِّياحِ ، كأنَّما يُعَلُّ بماءِ الوَرْدِ نَرجِسُها النَّدي

يَشُقُّ جيوبَ الوَرْدِ في شَجَراتِها ، نَسيمٌ متى يَنْظُرْ إلى الماءِ يَبرُدِ[1]

وملعَبُ إفرِنْدِيَّةِ الرَّوْضِ يَعْتَلي عليه خَلوقيُّ البِناءِ المُشَيَّدِ[2]

صوامعُ في سَرْوٍ أنافَ كأنها قِبابُ عقيقٍ في قِبابِ زَبَرْجَدِ

142

وقال يصف النارنج[3] : [من البسيط]

أَجرِ المُدامَ على نُجْحِ المَواعيدِ ، وَجُدْ عليَّ برَيَّا النَّحْرِ والجيدِ

فقد تَنَبَّهَ من إغفائِه زَهَرٌ ، كأنَّ رَيَّاهُ رَيَّا المِسكِ والعُودِ

وشَرَّدَ الصُّبحُ عنَّا اللَّيلَ ، فاتَّضَحَتْ سُطورُهُ البيضُ في راياتِهِ السُّودِ

ولاحَ للعينِ نارَنْجٌ كما اختضَبَتْ بالزَّعفرانِ ثُديُّ النُّهَّدِ الغِيدِ

143

وقال يصف النرجس : [من المنسرح]

دونَكَها نَرجِسيَّةَ الجَسَدِ ، على أفانينِ مُسمِعٍ غَرِدِ[4]

فقد جَلا النَّرجِسُ الجَنِيُّ لنا عن عِيشَةٍ ، في قُدومِهِ ، رَغَدِ

يجمعُ ضِدَّيْنِ قَلَّ ما اجتَمَعا ، من لَهَبٍ ساطعٍ ومن بَرَدِ

---

1 نسيم متى ينظر : استعار حاسة النظر لحاسة اللمس .

2 إفرنديَّة : نسبة إلى إفرند السيف ، استعاره للرَّوض . الخلوقيّ نسبة إلى الخلوق : الطيب ، استعاره للبناء .

3 النارنج : شجر ورقه أملس ليس بشديد الخضرة ، يحمل حملاً مدوّراً في جوفه حماض كحماض الأترج .

4 مسمع : أي طائر مسمع غناءه .

فهو كشُهْلِ العيونِ، من كَثَبٍ ، وهو كزُهْرِ النُّجومِ من بُعُدِ[1]
أَظُنُّ نُجْلَ العيونِ تَحسُدُه ، فَهْيَ مِراضٌ من شِدَّةِ الحَسَدِ[2]
قد قُلتُ ، إذ أنجدَ الزَّمانُ به ، كتائبَ اللَّهْوِ ، غيرَ مُتَّئِدِ
أهلاً بما أمرضَ العيونَ ، فما تُفْرَقُ من دائِها مَدَى الأَبَدِ[3]

144

وقال يصف الثريَّا : [من مجزوء الرجز]

إزدَدْ منَ الرَّاحِ وَزِدْ ، فالغَيُّ في الرَّاحِ رَشَدْ
يُديرُها ذو غُنَّةٍ ، أغيدَ يَثنيهِ الغَيَدْ[4]
كأنَّها في كَفِّهِ جَمرَةُ نارٍ تتَّقِدْ
مَدَّ إليها يَدَه ، فالتَهَبَتْ إلى العَضُدْ
والجوُّ قد كادَتْ ثُرَيْـ ياهُ على الغرب تَرِد
كأنَّها شابورَةٌ مُذْهَبَةٌ منَ الزَّرَدْ[5]

145

وقال : [من الخفيف]

قَصَدَ الدَّهْرُ فيك من بعدِ جَوْرٍ ، وأرى الدَّهرَ فيكَ جَوْراً وقَصْدا[6]

---

1 الشّهل ، مفردها أشهل وشهلاء : العين التي يخالط سوادَها زرقةٌ .

2 النّجل ، مفردها أنجل ونجلاء ، والنّجل في العيون : سعتها وحسنها .

3 تفرق : تبرأ وتشفى .

4 الغنّة : صوت من اللهاة والأنف . الأغيد : الطويل العنق . يثنيه : يميله .

5 قوله شابورة : لم نجد هذه اللفظة ، ولعلّها شيء يشابه الثريَّا في شكله ، أو لعلها سلسلة من الزرد .

6 القصد : العدل .

فاسقِني كالعروسِ ألبسَها الما ءُ وُشاحاً من الحَبابِ وعِقْدا
قد ظَمِئْنا ، فكان ريقُكَ وِرْداً ، وثَمِلْنا ، فكان خدُّكَ وَرْدَا
جمعَ اللهُ شملَنا ، فودَدْنا أنَّ بين الصَّباحِ واللَّيلِ سَدَّا

146

وقال في أترجة الخمّارة : [من السريع]

لا سُقِيَتْ حانةُ أُتْـرُجَّةٍ ، غَيْثاً ، ولا حانةُ مولودِها
مخضوبَةٌ بالخَمْرِ جاءَتْ بهِ مُخْتَضَباً من دمِ عُنقودِها
تَعذيبُهُ العُشّاقَ تَعذيـبُها ، ووعدُه نُسخَةُ موعودِها
فَبَظْرُها ، إذ ولَدَتْ مِثلَهُ ، أَولَى بعِقْدِ الدُّرِّ مِنْ جيدِها
كنتُ لها صَيداً ، ولكنَّني أفلَتُّ من وَرْطَةِ سَفُّودِها[1]

147

وقال يصف السراج : [من السريع]

وحيَّةٍ في رأسِها دُرَّةٌ ، تَسبَحُ في بحرٍ قصيرِ المَدى
إنْ هي غابَـتْ ، فالعَمى ظَاهِرٌ ، وإنْ بَدَتْ بانَ طريقُ الهُدى

148

وقال وقد ركب في قارب ببحيرة فامية فلحقته شدَّة : [من الطويل]

تَقَرَّبْـتُ من هذي القَوارِبِ راكباً ، ويا ليتَني منها ، الغداةَ ، بَعيدُ
فبِتُّ أرى جُندَ الحِمامِ ، وليسَ لي ، إذا اعتزَلَت ، إلاَّ الدُّعاءَ جُنودُ

---

1 السَّفُّود : حديدة يشوى عليها اللحم .

تَلاعَبُ بي أمواجُ بَحْرٍ كأنَّها شَواهِقُ بَرٍّ تَنْثَني وتَميدُ
فإنْ أنْقَلِبْ منها إلى الأرضِ واطئاً على التُّرْبِ يوماً ، إنَّني لسعيدُ

149

وقال يهجو ابن حسان من عُدولِ الموصل : [من الطويل]

نَوائبُ دَهْرٍ مُكثِراتٌ عِنادَها ، أُجاهِدُها حتَّى أمَلَّ جِهادَها
وما الدَّهرُ إلاَّ عَثرَةٌ لا أقالَها ، وفائدةٌ محمودَةٌ لا أفادَها
ولستُ أرى أنَّ ابنَ حَسَّانَ مُخْبِثٌ ، إذا هو أبدَى عِفَّةً وأعادَها
أخو الظُّلْمِ يُخْفي كَيْدَه بسكُونِهِ ، كذا النَّارُ تُخفي بالرَّمادِ اتِّقادَها
وكم من كتابٍ نَمَّقَتْ فيه كَفُّه شَهادَةَ زُورٍ لا تُساوي مِدادَها
ومالكَةٍ إرْثاً حَوى الإرثَ دونَها ، وقد أمْلَكَتْهُ النَّائباتُ قيادَها
فراحَتْ وما امتدَّتْ إلى الزَّادِ كَفُّها ، وراحَ رَخِيَّ البالِ يأكلُ زادَها
فلو أنَّ ما يأتي من الظُّلْمِ ظُلْمَةٌ على الأُفْقِ لم يَجْلُ الصَّباحُ سوادَها

150

وقال يصفُ صيدَ الدالويّة بالطَّشت والسِّراج : [من الرجز]

لَمَّا مضَى اليومُ حميداً فانجرَدْ ، ونشَرَ اللَّيلُ جَناحاً ، فرَكَدْ[1]
دَعَوْتُ فِتيانَ الطِّرادِ والطَّرَد ، ومارِدُ الخُضِرِ على الصَّيْدِ مرَدْ[2]
يَكشِرُ عن مثلِ الحِرابِ ، أو أحدّ ، يُقصَدُ في آثاره حيثُ قَصَد

---

1 انجرد : مضى .

2 الخضر : طير يقال لها القارية لعلهم كانوا يصطادون به . مَرَدَ : تفوَّق على غيره من أمثالـه .

فاحتملوا زُهْرَ مصابيحَ تَقِدْ ، وكلَّ صَفراءَ من الصُّفْرِ تُعَدّ[1]
حنَّانَةٍ في اللَّيلِ من غيرِ كَمَد ، كأنَّ ماءَ البئرِ فيها يَطَّرِد
يَقرَعُ للصَّيدِ بِمَلْمومِ الجَسَد كأنه لولا آستِوَا الرأسِ وتَد[2]
فتوقُه الوحشُ صحيحاً إن رَقَد ، حتى إذا عايَنَها السِّرْبُ صدَد[3]
مُجِدَّةٌ تُهدي له الحَيْنَ المُجِدّ ، بصَفحةِ البدرِ ورنَّاتِ الأسَد
فحُيِّرَتْ غِزلانُه ، فلم تَجِد ، وأقبلتْ تركضُ كالسِّربِ الفَرِد
ثم غَشِيناهنَّ أمّاً وولَد ، وشادناً يُعطي القِيادَ مَنْ وَجَد
يُورِدُها حوضَ المَنايا فتَرِدْ ، فحينَ لاحَ الفجرُ مُنصاتَ العَمَد[4]
وصارَ بحرُ اللَّيلِ ضَحضاحاً ، ثَمَد ، خِلْنا المُدى وَرْداً له الوَرْدُ سَجَد
وأُضحَتِ الأُهبُ شباريقَ قِدَد ، كأنها في الرَّوضِ نَظماً وبَدَد[5]
مُصَنْدَلاتُ القُمصِ تُغري وَتَقِدْ ، فنحن والضِّيفانُ في عَيشٍ رَغَد
نعُدُّ للزَّورِ كريماتِ العُدَد ، فمثلُنا بمثلِهِنَّ مُستَبِدّ

151

وقال يمازح رجلاً من أهل الموصل يعرف بعبد الكريم ، شاعراً مليحاً وكان أبوه مزيّناً وكان السريّ يميل إليه في حداثته : [من الوافر]

أُحُلُّ بعقوةِ الشَّرفِ التَّليدِ وَأَلْبَسُ جُنَّةَ الفَخْرِ العَتيدِ

---

1 صفراء : يريد القوس .
2 اسْتِوا : مخففة عن استواء .
3 الفتوق : الآفات ، والأماكن الواسعة ، مفردها فتق ، ولا نعلم ماذا أراد بفتوق الوحش . الصَّدَدُ : القَصْدُ إلى الشيء .
4 المنصات : المستوي .
5 الأهب ، مفردها إهاب : الجلد . الشباريق : القطع من الثوب ، مفردها شبرق . القِدَدُ : القِطَعُ .

وأعلمُ أنني شَرَقُ المُعادي		ببَرِدِ شَرابه ، وشَجَا الحَسودِ[1]
وأصفَحُ والمَنايا الحُمْرُ حَولي ،		تَبَرَّجُ ، والصَّواعِقُ من جنودي
أرى الآدابَ تَصْعَدُ والقوافي		مُعفَّرَةَ الترائبِ في الصَّعيدِ
فيا أَسَفي على خُلُقٍ جديدٍ ،		تَعِزُّ لدَيه ، أو جَدٍّ سَعيدِ
فليتَ اللهَ أنجدَها بِحُرٍّ ،		سريعٍ عندَ دعوتِها نَجيدِ
وحَجَّامٌ يقولُ الشِّعرَ جاءَتْ		غرائبُهُ إليَّ على البَريدِ
مَزَحتُ فجدَّ في عَتْبٍ تلظَّتْ		على آثارِه شُعَلُ القَصيدِ
فيا بعدَ السَّلامَةِ من أَكُفٍّ		تُغَرُّ بِهِنَّ ضاريةُ الأُسودِ
فلا تُبعِدْ سيوفَكَ من سيوفٍ ،		فكم فتكَتْ بجبّارٍ عَنيدِ
صوارِمُ تَضربُ الأعناقَ جَهْلاً ،		وتحكمُ في الجِبَاهِ وفي الخُدودِ
تُعَلِّلُ مَنْ سطوتَ بها عليه		بلَفظٍ مثلِ تَفويفِ البُرودِ
فمِنْ نَظْمٍ تُدبِّجُه مليحٍ ؛		ومن نَثْرٍ تُهَذِّبُهُ سَديدِ
وكم يتدرَّجُ المنديلُ منه ،		على أدراجِ شِعرِكَ والحديدِ[2]
فيُنشِدُه الذي حبَّرْتَ فيه ،		ويَحلِقُ رأسَه بعدَ النَّشيدِ

152

وقال : [من الكامل]

أَلْبَسْتِنِي النِّعَمَ الَّتي غَيَّرْنَ لي		وُدَّ الصَّدِيقِ فَعَادَ منها حَاسِدا
فَلْتَلْبَسَنَّ بها الثَّنَاءَ مُسَيَّراً		وَمُخَلَّدَاً مَادَامَ يَذْبُلُ خَالِدا[3]

---

1 الشَّرَق : الغصّة . الشجا : الهمّ والحزن .

2 يتدرَّج : يتقدَّم شيئاً فشيئاً .

3 يذبل : اسم جبل .

قافية الذال

153

وقال يهجو عليّ بن العصب المِلحيّ ويذكر قيادته وبيعه للنبيذ : [من المنسرح]

شَيخٌ لنا من شيوخِ بَغداذِ	أغذَّ في اللَّهوِ أيَّ إغذاذِ
رَقَّ طِباعاً ومَنطِقاً ، فغَدا	وراحَ في المُستَشَفِّ كاللاّذِ[1]
تَطِنُّ تحت الأكُفِّ هامتُه ،	إذا علَتْها طَنينَ فُولاذِ
قَوّادُ إخوانِه ، فإن ظَمِئوا ،	سقاهُمُ الرَّاحَ سَقْيَ نَبَّاذِ[2]
له على الشَّطِّ غرفةٌ جمَعَتْ	كلَّ خَليعٍ نَشا ببغداذِ
أعدَّ فيها ٱبنةَ الشِّباكِ لهم ،	مَمْقُورَةَ الجنْبِ وٱبْنَةَ الداذي[3]
وكَدَّةً من صَباحِ قُطْرُبُّلٍ ،	وجُؤذُراً من مِلاحِ كَلْوَاذِ[4]
يقولُ للزائرِ المُلِمِّ بهِ :	أَوَصلُ هذا أَلَذُّ أَم هَذي
وشاعرٌ جوهرُ الكلامِ له	مِلْكٌ ، فمن تاركٍ وأَخَّاذِ
كأنَّ ألفاظَــه لرِقَّتِهــا	وحُسنِها خمرُ طِيزَناباذِ[5]

---

1 اللاّذ : الثوب من الحرير الأحمر .

2 النبّاذ : بائع النبيذ .

3 ابنة الشباك : السمك . الداذي : شراب ويريد الخمر . ممقورة ، من مَقَر السمكة المالحة : نقعها بالخل .

4 قوله : وكدّة : هكذا في الأصل . قطربل وكلواذ : دسكرتان في العراق . الجؤذر : ولد البقرة الوحشية ويريد به غلاماً .

5 طيزناباذ : قرية على دجلة كانت مشهورة بالخمر .

تَصُدُّ عن نكهةٍ له خَبُثَتْ ،   وهي عِذابٌ كيُنْعِ آزاذِ[1]

كم كَبِدٍ بالعِراقِ ناجيةٍ   منها ، وأُخرى بجَزٍّ أفلاذِ

قلْ لعليٍّ سقَتْكَ غاديةٌ   مُسِفَّةُ الوَدْقِ ذاتُ إرذاذِ[2]

فخيرُ ما فيه أنَّه رجلٌ   يخدُمُني ، الدهرَ ، وهو أُستاذي



1 آزاذ : نوع من التمر .

2 الوَدْق : المطر .

قافية الراء

154

وقال يمدح سيف الدولة أبا الحسن ويذكر عمارته سور حلب ويهنئه بمولود جاءه ويذكر إخراب العدوِّ الحدثَ : [من البسيط]

نادِيكَ من مطرِ الإحسانِ ممطورُ ، ومُرتَجيكَ بغَمْرِ الجُودِ مَغمورُ

والبِيضُ ظِلٌّ عليك ، الدهرَ ، منتشرٌ ، والنَّقعُ جَيبٌ عليكَ ، الدهرَ ، مَزرورُ

والشِّرْكُ قد هُتِكَتْ أستارُ بَيضَتِه بحدِّ سيفِكَ ، والإسلامُ مَنشورُ

كم وقعةٍ لك شَبَّتْ في ديارِهِمُ ناراً ، وأشرقَ منها في الهُدى نُورُ

بنهضَةٍ خَرَّ فُسطاطُ الكَفورِ لها خوفاً ، وأذعنَ بالفُسطاطِ كافورُ[1]

إن تَشْتَكِ الحَدَثُ الحَسناءُ حادثَةً سَعى بها حائنٌ منهم ومَغرورُ[2]

فإنَّها نَشوةٌ وَلَّتْ عُذوبتُها ، وخَرَّ ذو التَّاجِ عنها ، وهو مخمورُ

يستنقِصُ الوِترَ من أعدائِه مَلِكٌ ، عدوُّهُ حيثُ كانَ ، الدهرَ ، موتورُ

مجاورٌ وَزَراً منه ، وهل وَزَرٌ ، والسَّيفُ في يد سيفِ اللهِ مشهورُ[3]

يا مَنْ يَمُنُّ على الأسرى فيأسِرُهم عِلْمَاً بأنَّ طليقَ المَنِّ مأسورُ

ومَنْ لَدَيْهِ رياضُ الحَمدِ مُونِقَةً ، فزَهرُها فيه منظومٌ ومنثورُ

إنْ تَعمُرِ السُّورَ ، أو تُهمِلْ عَمارَتَه ، فإنَّه بك ما عُمِّرْتَ مَعمورُ

---

1 كافور الإخشيديّ : كان أميراً على مصر .

2 الحدث : قلعة بناها سيف الدولة في بلاد الروم . الحائن : الأحمق .

3 الوزر : الملجأ .

مَحلُّكَ الغابُ يحمي اللَّيثَ حَوزَتَه ، فإن خَلا منه يوماً ، فهو مَجذُورُ[1]

للهِ سُورٌ على الأيامِ يكلَؤهُ ، وأنتَ ، لا شكَّ فيه ، ذلك السُّورُ

حَمَيْتَهُ برماحِ الخَطِّ مُشرَعَةً ، وكلُّ حُصْنٍ سوى أطرافِها زُورُ

أنتَ الهُمامُ الذي مَنْ هَمُّهُ أبداً جَرُّ الحديدِ ، وذيلُ النَّقعِ مَجرورُ

من أُسرةٍ قهَروا كِسرى وأسرتَه ، والنَّاسُ مهتَضَمٌ منهم ومقهورُ

لهم من البَرِّ مُصطافٌ ومُرتَبَعٌ ، ومَحْضَرٌ في ظِلالِ الحَضْرِ مَحْظورُ[2]

ولا معاقلَ إلا كلُّ سابغَةٍ يطوي الفِجاجَ سَناها ، وهو منشورُ

وكوكبٌ في ذُرى سمراءَ مُغرِبَةٍ ، إذا تمادَى القنا ، نَحرٌ وتَامورُ[3]

تَملَّ فارسَكَ المذكورَ في شِيَمٍ بمثلِها الذَّكَرُ الصَّمصامُ مذكورُ

وافى ومَولِدُهُ المُوفي يخبِّرُنا ، بأنَّه ناصرٌ للمجدِ منصورُ

جَرى فِرِنْدُ أبيه في مَضاربِهِ ، فجاءَ وهو حديدُ الحَدِّ مأثورُ[4]

فعاشَ ما نَشَرَ الدَّيجورُ حُلَّتَه ، وما انطوَى بضياءِ الفَجْرِ دَيجورُ

حتى نراه ، وحَدُّ السَّيفِ في يدِهِ ، مُثَلَّمٌ ، وسِنانُ الرُّمحِ مَأْطُورُ[5]

إنَّ السَّماحَةَ أخلاقٌ عُرِفْتَ بها ، والمَكرُماتُ حَديثٌ عنكَ مَسطورُ[6]

والدَّهرُ يا آبْنَ أبي الهيجاءِ يفعلُ ما أمرْتَه ، فهو مَنْهِيٌّ ، ومأمورُ

لو هَمَّ بَأسُكَ بالطَّوْدِ الذي شَمَخَتْ هِضابُهُ لَهَوَى من بأسِكَ الطُّورُ[7]

---

1 حوزته : ناحيته . المجذور : المستأصل ، الهالك .

2 قوله : الحضر ، لعله أراد الحضرة الملكية . المرتبع : الموضع الذي يُقام فيه في فصل الربيع .

3 التامور : القلب .

4 السيف المأثور : القديم المتوارَث .

5 مأطور : معطوف ومثنِيّ .

6 مسطور : مكتوب .

7 الطَّوْد والطُّور : الجبل .

155

وقال يمدحه ويذكر بعض غزواته : [من الكامل]

عُفْرُ الظِّباء لدَى الكثيبِ الأعفرِ ، سَفَحَتْ دموعُكَ يومَ سفحِ مُحَجَّرِ[1]

أقبلْتَ بين مُعَرِّضٍ بكَ مُعْرِضٍ ، حَذَرَ الوُشاةِ ، وضاحكٍ مُستعبرِ

يلطِمْنَ بالبَرَدِ العقيقَ ، وإنما يَقتصُّ من وَرْدِ الخُدودِ الأحمرِ[2]

وإذا الفِراقُ أساءَ في أفعالِهِ كانت إساءتُه بأحسنِ مَنْظَرِ

سفَرَتْ فشِمْتُ لها بوارقَ شيمَةٍ ، وَثِقَ الهَوى منها بِحَظٍّ مُسْفِرِ

ثم اكتسَتْ خَفَرَ الحَياء ، فخبَّرَتْ وَجَناتُها عن ذِمَّةٍ لم تُخْفَرِ

لا تُنْكري جَزَعَ الشَّجيِّ ، فإنَّه لم يأتِ يومَ الجزعِ منهُ بمُنكَرِ

نَفَرَ الكَرى عن مُقْلَتَيْهِ وأحدَقَتْ بفؤادِهِ حَدَقُ الظِّباء النُّفَّرِ

ولربَّما أغضَتْ ، وفي أحشائِه ما شاءَ من جَمْرِ الغَضا المُتسعِّرِ

فعَلى اللَّيالي الغُرِّ يأسي أم على ما فاتَ من عَيْشٍ أغَرَّ مُشَهَّرِ

لا بدَّ من شُعُثٍ تُطالِعُ مَوهِناً أرضَ الشآمِ بكلِّ أشعثَ أغْبَرِ[3]

ما كنتُ آمَنُ في المَقامِ منيَّتي ؛ فأخافَها بين القِلاصِ الضُّمَّرِ[4]

لَمَّا بدَتْ راياتُ صُبْحٍ مُقْبِلٍ يَخفُقْنَ في أعجازِ ليلٍ مُدبرِ

وتقطَّرَتْ خَيْلُ السَّحابِ بمنزِلٍ رَكَضَ الصَّبا فيه فلم يتقطَّرِ

مِلْنا فعفَّرْنا الوجوهَ ، ديانةً ، في التُّربِ بينَ مُحلِّقٍ ومُقَصِّرِ

متوشِّحينَ بكلِّ أبيضَ مُرهَفٍ ، نِيطَتْ حَمائِلُهُ بأبيضَ أزهَرِ

---

1 العُفر ، مفردها أعفر : ما كان لونه لون التراب . المحجَّر : موضع .

2 شبَّه البنان بالبرَد في صفاء لونه ، وشبَّه الخدود بالعقيق .

3 المَوْهِن من الليل : نحو منتصفه أو بعد ساعة منه .

4 القِلاَص : الإبل .

نَطوي على المَدحِ الصُّدورَ ، وإنما تُطْوى على أمثالِ يُمْنَةِ عَبْقرِ[1]
تَلْقى الأميرَ إلى السَّماحِ مشوقةً شوقَ الرِّياضِ إلى السَّحابِ المُمْطِرِ
مَلِكٌ ثَنا الآمالَ صفوُ نوالِه ، عن كلِّ مطروقِ النَّوالِ مُكَدَّرِ
يأتيك عن فَهْمِ الثَّناءِ نوالُه ، عفواً ، وتلك سَجيَّةُ المستبصِرِ
كَرَمٌ تكشَّفَ عن حِلَى آدابِهِ ، كالبحرِ يكشِفُ غَمْرُه عن جَوهَرِ
فكأنَّ أيدي الشُّكرِ ، إذ عَبَثَتْ به أيدي الصَّبا عَبَثَتْ بمِسْكٍ أذفَرِ[2]
لمعَتْ بوارِقُه ، فكُنَّ سَحائباً في معشرٍ ، وصَواعِقاً في معشَرِ
وغدَتْ ملوكُ الأرضِ تخطُبُ سِلمَه، من مُنجدٍ نائي المحلِّ ومُغورِ
حلاَّهُمُ مِنناً ، فحلُّوا باسمِهِ يومَ العُروبَةِ كلَّ ذُروَةِ مِنبَرِ
ورأوهُ شمساً في غَمامةِ نائلٍ ، تَهمي ، وبدراً في دُجُنَّةِ عِثْيَرِ[3]
عَمَّ السَّباسِبَ بالكتائبِ والقَنا ، ببَنانِهِ في كلِّ قاعٍ مُقفرِ
وأقامَ يقظانَ العزيمةِ ساهراً ، بالثَّغرِ يكلأُ نائماً لم يَسهَرِ
مُوفٍ على قِمَمِ المكارمِ ، مُوقِدٌ نيرانَهـــا للطـــارقِ المتحيِّرِ
ما شَمَّرَ الأعداءُ إلا راعَهم بنُهوضِ أروعَ لِلِّقاءِ مُشمِّرِ
سَالوا فسالَ عليهمُ مطرُ الرَّدَى ، من كلِّ أجردَ سابحٍ مُتمَطِّرِ
ودَنوا ، فلم تَنُبِ القَنا عن جُنَّةٍ منهم ، ولا نَبَتِ الظُّبا عن مِغفَرِ[4]
حتى انثنَى والخيلُ تسحَبُ فوقَهم بالرَّكْضِ ، أرديةَ العَجاجِ الأَكدَرِ
لو أنَّ مُصْطَلَماً بَكَتْهُ رِمَّةٌ ، لبكَتْهمُ في التُّربِ رِمَّةُ قَيصَرِ[5]

---

1 اليمنة : برد يماني . عَبْقر : موضع كانت العرب تزعم أنه كثير الجن .
2 عَبَثَ : خلط . الأذفر : الشديد الرائحة .
3 الدجنّة : الظلام . العثير : الأثر الخفي .
4 الجنّة : الترس . المغفر : زرد يلبسه المحارب تحت القلنسوة .
5 المصطلم : المُسْتَأصَل والمقطوع من أصله . الرمّة : ما بلي من العظام .

أعليُّ ! لا زالَتْ عُلاكَ سَوافِراً ، تختالُ بينَ مثقَّفٍ ومُذَكَّرِ[1]
فلقَد جريْتَ أمامَ تَغلِبَ سافِراً ، جَرْيَ السِّنانِ أمامَ لَدْنِ الأسمَرِ
شَرَفاً تَبينُ قِبابُه مضروبةً ، في كلِّ مبدىً للفَخارِ ومَحْضَرِ
ومَكارِماً يسعَى إليهنَّ المُنى ، سعيَ الحجيجِ إلى الصَّفا والمَشْعَرِ[2]
موصولةً بشمائلِ الأدبِ التي إن فاخَرَتْ جاءَتْ بأفضلِ مَفْخَرِ
إنَّ السَّماحَ مواردٌ مخصوصةٌ بالحمدِ بينَ ورودِها والمَصدَرِ
وَأَعَلُّها ما كانَ عذباً سائغاً حُفَّت مناهلُه بروضٍ أخضَرِ
آليتُ لا أُهدي كرائمَ مَنْطِقي إلا إلى المَلِكِ الكريمِ العُنْصُرِ
من كلِّ مُشرقَةِ النِّظامِ تلألأتْ ، فحكَتْ نِظامَ اللُّؤلُؤِ المتخيَّرِ
عَبِقَتْ ، وقد فَصَّلْتُها بخِلالِهِ ، حتى كأنَّ فصولَها من عَنْبَرِ
ودَعَتْ ينابيعَ النَّدى ، فتفجَّرَتْ كَرَماً على ينبوعِها المتفجِّرِ[3]
كَثُرَتْ محاسِنُها ، وقلَّ كلامُها ، فأتتْكَ تُخْبِرُ عن مُقِلٍّ مُكثِرِ

156

وقال يمدحه ويذكر مجيء وفد طَرَسوس والمصِّيصة وإفضالَه عليهم : [من الوافر]

أغُرَّتُكَ الشِّهابُ أمِ النَّهارُ ؛ وراحتُكَ السَّحابُ أمِ البِحارُ ؟
خُلِقْتَ مَنِيَّةً ومُنىً ، فأضحَتْ تَمورُ بكَ البسيطةُ أو تُمارُ
تُحَلِّي الدينَ ، أو تَحمي حِماه ، فأنتَ عليه سُورٌ ، أو سِوارُ
سيوفُكَ من شَكاةِ الثَّغرِ بُرءٌ ، ولكن للعِدا فيها بَوارُ

---

1 يريد بالمثقَّف : الرمح وبالمذكَّر : السيف الشديد الجيد .
2 المَشْعَر : موضع مناسك الحج .
3 وَدَعَتْ : تركت .

وكفَّاكَ الغَمامُ الجَوْدُ يَسْري ، وفي أحشائِه ماءٌ ونارُ
يَسارٌ من سجيَّتِها المَنايا ، ويُمنى من عَطيَّتِها اليَسارُ
عَصَفْتَ بحاتمٍ كَرَماً فأضحَى وجُلُّ فَعالِه المشهورِ عارُ
فقد شَهِدَتْ ، وما حابَتْكِ طيٌّ بِأنَّ الجُودَ مَعدِنُه نِزارُ
يَحُفُّ الوَفْدُ منك بأَرْيَحيٍّ ، تَحُفُّ به السَّكينَةُ والوَقارُ
وسيفٌ من سيوفِ اللهِ مُغرًى ، بسَفْكِ دِما العِدا ، منه الغِرارُ[1]
وبدرٌ ما استسرَّ البدرُ ، إلا تعالَى أن يُحيطَ به السِّرارُ[2]
حضَرْنا ، والملوكُ له قِيامٌ ، تَغُضُّ نواظراً فيها انكسارُ
وزُرْنا منه ليثَ الغابِ طَلْقاً ، ولم نرَ قبلَه ليثاً يُزارُ
فكانَ لجوهرِ المَجدِ انتظامٌ ؛ وكان لجوهرِ الحَمدِ انتثارُ
بعثْتَ إلى الثُّغورِ سحابَ عدلٍ ، وبَذلٍ لا يَغُبُّ له انهمارُ
وأسكنْتَ السكينةَ ساحتَيها ، فقرَّتْ بعدَما امتنعَ القَرارُ
وعلَّمْتَ النَّفيرَ بها رجالاً ، عَداهُم عن عدوِّهمُ نِفارُ
وفِضْتَ على عدوِّهمُ ، فقُلنا : أفاضَ البحرُ أم سحَّ القُطارُ[3]
مكارمُ يَعجَزُ المُدَّاحُ عنها ، فجُلُّ مديحِهم فيها اختصارُ
فعِشتَ مخيَّراً أعلى الأماني ، وكان على العدوِّ لك الخِيارُ
وضيفُكَ للحَيا المنهلِّ ضَيفٌ ، وجارُكَ للرَّبيعِ الطَّلْقِ جارُ

157

وقال أيضاً يمدحه ويذكر وقعته بالمدائن مع البريديين : [من المتقارب]

تذكَّرَ نَجداً ، فحنَّ ادِّكارا ، وأرَّقَه البرقُ لَمَّا استطارَا

---

1 غرار السيف : حدّه .

2 استسرَّ القمر : اختفى ليلة أو ليلتين . السِّرار : آخر ليلة من الشهر .

3 القطار : السحاب الكثير القطر .

أماتَــتْ صبابتُــه صَبْرَه ، وكان يَرى أن يموتَ اصطِبارا
وجارَ الهَوى ، فاستجارَ الدموعَ ، إذا لم يجِدْ غيرَها مُستجارا
وقَفْنا ، فكم خَفَرٍ عارضٍ يُعَصْفِرُ وَرْدَ الخدودِ احمِرارا
وأُدْمٍ ، إذا رامَ ظُلمَ الفِرا قِ ، عُذْنَ بِفَيْضِ الدُّموعِ انتصارا[1]
يَجُدْنَ عليَّ بأجيادِهِنَّ ، ويُبْدينَ لي الوردَ والجُلَّنارا
وإن أَعْرَ من سَلوةٍ ، أو أَحِدْ عَنِ الرُّشدِ لم يكسُني الغَيُّ عارا
فغَدْرُ المحبِّ سوادُ العِذارِ ، إذا خلعَ الحبُّ منه العِذارا[2]
وحاشا لغاوي الصِّبا أن يُقالَ عصَى غَيَّه وأطاعَ الوَقارا
وَبِكْرٍ ، إذا جَنَّبَتْها الجَنوبُ حسِبْتَ العِشارَ تؤمُّ العِشارا[3]
ترى البرقَ يبسِمُ سِرّاً بها ، إذا انتحبَ الرَّعدُ فيها جِهارا
إذا ما تَنَمَّرَ وَسميُّها ، تَعَصفَرَ بارِقُها ، فاستطارا
يُعارِضُها في الهواءِ النَّسيمُ ، فَيَنثُرُ في الرَّوْضِ دُرّاً صِغارا
تَكادُ تسيرُ إليه الرياضُ ، إذا اطَّرَدَ الماءُ فيها ، فسَارا
فطَوْراً تَشُقُّ جيوبَ الحَياءِ ؛ وطوراً تَسُحُّ الدُّموعَ الغِزارا
كأنَّ الأميرَ أعــارَ الرُّبــا شمائلَــه فاشتملْــنَ المُعَارَا
هو الغيثُ تغنَى به بلدةٌ ، وأخرى تَحِنُّ إليه افتقارا
أيــادٍ ، سحائبُها ثَــرَّةٌ ، تفيض رَواحاً وتَهمي ابتكارا[4]
وباعٌ ، إذا طالَ يومُ اللقا ءِ غادرَ أعمارَ قومٍ قِصارا[5]

---

1 الأُدْم : السُّمْر .

2 العِذار الأولى : الشعر الذي يحاذي الأذن ، والثانية : الحياء .

3 البكر : أراد السحابة البكر ، أي الغزيرة . العشار : النياق التي مضى على حملها عشرة أو ثمانية أشهر .

4 سحابةٌ ثرّة : غزيرة الماء . الرَّوَاح : العشيّ . ابتكاراً : باكراً .

5 الباع : قَدْرُ مَدّ اليدين .

ولن يرهَبَ السَّيفَ حتى يَرى … على صفحةِ السيفِ ماءً ونارا
أبا الحسَنِ اخترْتَ حُسْنَ الثَّناء ، … ومثلُكَ مَنْ يُحسِنُ الاختيارا
وكم قد وَطِئْتَ ديارَ العِدا … على الرُّغمِ منهم ، فجُستَ الدِّيارا[1]
بخيلٍ تَـمُدُّ عليها الدُّجَى ، … وبِيضٍ تَرُدُّ عليها النَّهارا
وأطلعْتَ فيها نجومَ القَنا ، … فليست تَغورُ ، إذا النجمُ غارا
ويومَ المدائنِ ، إذ زُرْتَـهـا ، … وقد منعَتْها الظُّبا أن تُزارا
وخاضَتْ جيادُكَ فيها الدِّماءَ ، … ومن قبلُ جاءت تُثيرُ الغُبارا
فلو أنَّ كِسرى بإيوانِها … لأَهدَتْ سَطاك إليه انكسارا[2]
سَقَيْتَ الرِّماحَ دِماً ، فانثنَتْ … نَشاوى كأنْ قد شَرِبْنَ العُقارا[3]
يُقصِّرْنَ إذ طُلْنَ خَطْوَ العِدا ، … ويُبدينَ في كلِّ نحرٍ عِثارا[4]
وكم من ملوكٍ تواعدْتَهم … علىَ النأيِ منهم ، فماتوا حِذارا
جريْتَ ، فأنضَيْتَ شأوَ الرِّياحِ ، … وجاوزْتَ في السَّبْقِ من أن تُجارى
نأيْتَ ، فأصبحْتَ جارَ الفُراتِ ، … وكنتَ لدِجلةَ ، من قبلُ ، جارا
فقد عُـــذْنَ منــك بمستَلئِمٍ … يُبيحُ التَّليدَ ويَحمي الذِّمارا
بغيثٍ يجودُ ، إذا الغيثُ ضَنَّ ، … وليثٍ يَثورُ ، إذا النَّقْعُ ثارا
وأغلَبَ إن سارَ في تَغلِبٍ … سمِعْتَ لسُمرِ الرِّماحِ اشتِجارا
تغارُ عليه قوافي المديحِ ، … فيأبَيْنَ ، إن رَيْتَ ، إلا ابتِدارا[5]
وحُــقَّ لقافيــةٍ لم تكُـنْ … مآثــرُه حَليَهـــا أن تَغارا

---

1 جاسَ الديارَ : دار فيها بالعيث والفساد ، وطلب ما فيها .
2 السطا : السطوة .
3 العُقار : الخمرة .
4 العِثار : المكروه والمهلكة .
5 ريت : مخففة عن رأيت .

لأذكَــرَني بِشرَه عــــارضٌ أضاءَ دُجى اللَّيلِ حتَّى أنارا

ومرَّ على الرَّوضِ مَرَّ الخليعِ ، يُغنِّي ، ويَسحَبُ فيه الإزارا

فأيقنْتُ أن سأُطيعُ النَّوى ، وأَعصي الهَوى صائراً حيثُ صَارا

دَعَتْكَ الثُّغورُ ، وقد عاينَتْ حِماماً مُطِلّاً وحَتْفاً بَوارا

وصادفَ بعــدَكَ وفــدُ الثَّنا ءِ وِرْداً ثِماداً ورَبعاً قِفارا

يَقولون إن طرَقَتْ أزمةٌ : أأنْجدَ ذاك النَّدى أَم أغارا

فليسَ المحلُّ مَحَلّاً لهم ، إذا فَقدوكَ ، ولا الدارُ دارا

158

وقال أيضاً يمدحه : [من الطويل]

قليلٌ لها أن يتْبعَ الدَّمعُ غيرَها ، وقد أزمعَتْ ، يومَ الفراقِ ، مسيرَها

شفَا كَمَدي أُنسُ الظِّباءِ ، وإنَّما عَرَتْ فرقةٌ شتَّى الظِّباءِ نَفُورَها

وما عاقَني ، يومَ العقيقِ عن الجَوى ، سُفورُ دُمًى أبدَتْ لبَيْنٍ سُفورَها

إذا رَدَّها كَرُّ العِناقِ عواطِلاً من الحَلْيِ حلَّتْ بالدُّموعِ نحورَها

غدا الشَّوقُ في الأحشاءِ ثَانِيَ عِطْفِهِ ، غداةَ ثَنَتْ أعطافَها وخصورَها

دعَتْني إساءاتُ الخُطوبِ إلى السُّرى ؛ وكَم من سُرًى أهدَتْ لنفسٍ سرورَها

فبُحْتُ بما استودَعْتُ صَدْري من الهَوى؛ وباحَتْ بما استودَعْتُ منه صدورَها

فبِعتُ وِصالاً ، لا أَمَلُّ أصيلَه ، بأيامِ هَجرٍ لا أملُّ هجيرَها

لقد حاوَلَتْ سِلْمَ الأميرِ عِداتُه ، لتحمَدَ في سِلمِ الأميرِ أميرَها

فزارَتْهُ من أَعلى الصَّعيدِ ، وقد ثنى إليها عِنانَ السَّيرِ كيما يزورَها

مُطِلٌّ على أرضِ العِراقِ بِعَزمَةٍ ؛ وثاوٍ بأرضِ الشامِ يحمي ثغورَها

مُعِدٌّ ليومِ الرَّوْعِ بِيضاً تذكَّرَتْ ظُباتِ الأعادي ، فاستقالَتْ ذُكورَها[1]

وسُمراً تَثَنَّى في الطِّعانِ كأنَّها نَشاوى سقَتْها الأَندرينَ ، خمورَها

فقد تارَكَتْه التُّركُ لمَّا تأمَّلَتْ سَطاه ، ولو لاقَتْه لاقَتْ مُبيرَها[2]

أزارَهمُ أُسْدَ العرينِ خَوادراً تُرَدِّدُ في غابِ الرِّماحِ زئيرَها

كتائبَ لو لاقَيْنَ كِسرى ، وقد سَمَتْ لإيوانِ كِسرى غادرَتْهُ كسيرَها

ورامَتْ حُماةُ الرُّومِ لُقياه ، فاغتدَتْ مواقفُها ، يومَ اللِّقاء ، قبورَها

أمالَ إليهم أوجُهَ الخيلِ آلفاً . سُراها إلى أوطانِهم وبُكورَها

وجاءَهُمُ في الرِّيحِ رَيَّا عَجاجَةٍ تَبُثُّ الصَّبا كافورَها وعبيرَها

فحلَّ بِنَصْلِ السيفِ لُؤلُؤَ تاجِها ، وحطَّ بأطرافِ الرِّماحِ سريرَها

وشَنَّ على الحُورِ الكواعبِ غارَةً أغارَ بها غِيدَ النِّساء وحُورَها

فإنْ تَطْغَ يوماً عايَنَتْ منه حَتفَها ؛ وإنْ تَستَجِرْ يوماً أضلَّتْ مجيرَها

وكم حومَةٍ حامَتْ عُقابُ لوائِها عليكَ ونارُ الحربِ تُذكي سعيرَها

وشاهقةٍ يَحمي الحِمامُ سهولَها ، وتمنَعُ أسبابُ المنايا وعورَها

إذا سترَتْ غُرُّ السَّحابِ ، وقد سرَتْ ، جوانِبَها ، خِلْتَ السَّحابَ سُتورَها

وإنْ عادَ خوفاً من سُيوفِكَ ربُّها بِدِرَّتِها أضحَى لَديْكَ أسيرَها[3]

مُقيمٌ تَمُرُّ الطَّيرُ دونَ مَقامِه ، فليسَ تَرى عيناه إلا ظُهورَها

ثَنَيْتَ إلى غاياتِها الأُسْدَ ، فانثنَتْ تُساوِرُ بالبِيضِ الصَّوارمِ سُورَها[4]

---

1 استقالت ذكورها : طلبت منها أن تقيل عثرتها أي ترفعها منها . ومعنى عجز البيت غير واضح .

2 مُبيرها ، من أباره : أهلكه .

3 الدِّرَّة : الدم ، السوط يضرب به ؛ وهي بضم الدال : اللؤلؤة . ولا نعلم ماذا أراد بقوله : عاد بدرتها .

4 سَاوَرَ : وَثَب عليه ؛ تَسَلَّق .

وآثَرْتَ بالعَدْلِ الخلافةَ ، فاعتلَى　　سَناها ، وكاد الجَوْرُ يُخمِدُ نورَها

بعثْتَ إليها تَغْلِبَ ابنةَ وائلٍ ،　　فكانَتْ ، وقد عَمَّ الظَّلامُ ، بُدورَها

فإنْ تُدْعَ دونَ الأولياء لِنُصْرَةٍ ،　　عَليٍّ بنَ عبدِ اللهِ ، تُدْعَ نصيرَها

أتتْكَ القوافي ظامئاتٍ إلى النَّدى ،　　فأوردْتَها عَذْبَ المياهِ نميرَها[1]

وعادَتْ بكُفءٍ منكَ يُكثِرُ مَهرَها ،　　وقد عَدِمَتْ أكفاءَها ومُهورَها

فأيقنْتُ بالنُّجْحِ الذي كنتُ أرتجي　　لديكَ ، وعاينتُ المُنى وغرورَها

159

وقال يمدح الأمير أبا الهيجاء حرب بن سعيد بن حمدان ويعاتبه على جفوةٍ لحقته منه ، ويصف ما جرى عليه من الأعراب : [من الكامل]

ما ضَرَّ ليلتَنا بسَفْحِ مُحَجَّرٍ　　لو باعَدَتْ سَفَرَ الصَّباحِ المُسفِرِ

باتَ العِناقُ يَهُزُّ من أعطافِنا　　غُصُنَين في ورَقِ الشَّبابِ الأخضرِ

إلفانِ وِرْدُهُما المُدامُ على الظَّما ،　　وجَناهُما زَهْرُ الحديثِ الأزهَرِ

لا تُنْكِري خَفَقانَ قلبٍ خافقٍ　　نَفَرَتْ به غِيدُ الظِّباءِ النُّفَّرِ

شَرفاً من الأيَّامِ يوماً صالحاً　　شفَيا به حَرَّ الجَوى المُتسَعِّرِ

للهِ صادرةُ اللَّيالي ، إنهــا　　صدرَتْ بطيبِ العَيْشِ أسرعَ مَصدَرِ

عندي لها نَفَسُ المَشوقِ ، إذا جرَتْ　　خطَراتُهــنَّ وأنَّــةُ المُتذكِّرِ

ولربَّ ساقٍ توَّجَتْ يدُه يدي　　بإناءِ ياقــوتِ المُـدامِ الأحمرِ

وغَريرةٍ جاهرْتُ غَيرانَ الهَوى　　بوِصالِها ، فنَعِمْتُ غيرَ مُغرَّرِ

أيامَ كان رِدايَ يَفضُلُ قامتي ،　　فتُذالُ في عُرْفِ الصِّبا والمُنكَرِ[2]

---

1 الماء النمير : العذب .

2 تذال : يُطال ذيلها ، والضمير للقامة .

وحدائقٍ يَسبيكَ وَشْيُ بُرودِها ، حتّى تَسُبَّ لها سبائبَ عَبقَرِ[1]

يَجري النَّسيمُ خِلالَها ، وكأنَّما غُمسَتْ فضولُ ردائِهِ في العَنْبَرِ

باتَتْ قلوبُ المَحْلِ تَخفِقُ بينَها كَخُفُوقِ راياتِ السَّحابِ المُمطِرِ

من كلِّ نائي الحُجرَتَيْنِ مُقنَّعٍ ، بالبَرقِ داني الطُّرَّتَيْنِ مُشَهَّرِ[2]

تُحدَى بألسنةِ الرُّعودِ عِشارُه ، فتسيرُ بين مُغَـــرِّدٍ ومُزَمْجِرِ

طارَتْ عقيقةُ بَرْقِهِ ، فكأنَّما صَدَعَتْ ممسَّكَ غيمِه بِمُعَصفرِ[3]

فالـرَّوْضُ بينَ مُزَنَّــرٍ ومُدَنَّــرٍ فيها ، وبينَ مُسيَّرٍ ومُحبَّرِ[4]

والغُدْرُ ، في أرجائِه ، مَصقولةٌ ، مثلَ الدراهمِ أشرَقَتْ في مَنْثَرِ[5]

وكأنَّما عرضَت لزاهرِ زَهرِها كفُّ الأميرِ بعارضٍ مُتَعَنْجِرِ[6]

مَلِكٌ ، إذا ما مَدَّ خَمسَ أناملٍ في الجُودِ فاضَ بهنَّ خمسةُ أبحرِ

تَلقاه يومَ الرَّوْعِ فارسَ مَعرَكٍ ضَنْكٍ ، ويومَ السِّلمِ فارسَ مِنبَرِ

تَبكي سحائبُه ويضحَكُ بِشْرُهُ ، فنوالُهُ من ضاحكٍ مُستَعبِرِ

متفرِّعٌ من دَوْحَةٍ عَدَوِيَّةٍ ، هي والسَّماحُ تَفرَّعَا من عُنصُرِ

جبرَ الوليَّ نوالُه ، وتناهبَتْ أسيافُـــه جَبَرِيَّـــةَ المتجبِّرِ[7]

مثلُ الشِّهابِ أضاءَ حِلَّةَ مَعْشَرٍ بحريقِهِ ، وأصابَ حِلَّةَ معشَرِ

شَرَفٌ يقولُ لمن يُناوِئُه : اكتِئِبْ ، وَعُـلًى يقول لمن يُجاريه : اخسَرِ

---

1 تسبّ : تقطع . السبائب ، مفردها سبيبة : شقة كتان رقيقة .

2 الحجرتين : الناحيتين . الطُّرَّة : الطريقة من السحاب .

3 عقيقة البرق : لمعانه . المُمسَّك : من المِسْك .

4 المُدَنَّر : المتلألىء . المسيَّر : فيه خطوط . المحبَّر : المُوَشَّى .

5 الغُدُر : جمع غدير . المنثر : مكان نثر الشيء أي رميه متفرّقاً .

6 المتعنجر : السائل ماؤه .

7 الوليّ : الجار ، الصديق ، الحليف . الجبرية : الكبرياء .

ويدٌ تَساوى الناسُ في معروفِها ، فيدُ المُقِلِّ تنالُـه والمُكثِرِ
يا تغلبَ الغلباءِ طُلْتِ بِطَوْلِه ونجارِه قِممَ الكواكبِ ، فَٱفْخري[1]
بمُطوَّقٍ طوْقَ المحامدِ ، ساحبٍ بُرْدَ المكارمِ ، بالثَّناءِ مُسَوَّرِ[2]
وأغَرُّ مُغرىً بالصُّفوفِ يَشُقُّها ، وظُبا السُّيوفِ يشقُّ جيبَ المِغْفَرِ
كَرٌّ أعلَّ سِلاحَه ، فضِرابُـه بمثلَّـمٍ وطِعانُـه بِمكسَّرِ
عمرَتْ ، أبا الهيجاءِ ، ربعَك نِعمَةٌ موصولةٌ بِكَ عُمْرَ سبعةِ أنسُرِ[3]
وسقَتْكَ طيِّبةَ النَّسيمِ ، كأنَّما تَهمي عليك بها حياضُ الكَوْثَرِ
أسهرْتَ ليلي ، إذ عَتَبتَ ، فلَم أذُقْ غُمضاً ، ومَنْ تَعتُبْ عليه يَسْهرِ
لو لم تكن متنكِّراً لي لم أكُن لأذُمَّ صَرْفَ الحادثِ المُتنكِّرِ
وإذا رُميتُ بعَتْبِ مثلِك خانَني جَلَدي ، فلم أصبِرْ ولم أتصبَّرِ
أنَسيتَ غُـرَّ مدائحٍ حلَّيتُها بعُلاكَ ، باقيةً بَقاءَ الأَدْهُرِ
تغدو عليك من الثَّناءِ بناهدٍ معشوقةٍ ، وتروحُ منك بمُعصِرِ[4]
بِدَعٌ تضوَّعَ نَشْرُها ، فكأنَّما كُتِبَتْ صَحائِفُها بمِسْكٍ أذفرِ
هذا ، ولم أجْنِ القبيحَ ، فأجتني غَضَباً ، ولم أَهجُرْ لديك فأُهْجَرِ
بل قد ركِبتُ من الذُّنوبِ عظيمَها ، ورجوتُ عفوَكَ ، فَٱعْفُ عني واغفِرِ
فلقـد تعمَّـدَ ثَغرتي بسِهامِـه واشٍ تعمَّدَني بقُبْحِ المَحضَرِ
يا سَيِّدَ الأُمَرا دعوْتُكَ شاكراً ، إنْ تُعْطِ أو تَحرِمْ ، صنيعُكَ يُشكَرِ
ومُظَفَّرٍ بنَدَى يَدَيْكَ ، ولو غدا بالحمدِ غيرُكَ عادَ غيرَ مظفَّرِ
أذكَى له المِرِّيخُ جَمْرَ نُحوسِه ، وتَغَيَّبَتْ عنه سُعودُ المُشتَري[5]

---

1 الطَّوْل : القدرة ؛ الغنى ؛ الفضل ؛ العطاء . نِجاره : الأصل .
2 المسوَّر : المسوّد .
3 أراد أنسر لقمان السبعة ، وأسطورتها معروفة .
4 الناهد : الجارية التي أشرف نهداها . المعصر : الجارية المدركة .
5 كانوا يعتقدون أن المريخ كوكب نحس ، والمشتري كوكب سعد .

نُوَبٌ أُطَرْنَ عليه شُعلةَ أبيضٍ ، عَضبِ المَضاربِ ، أو شَرارةَ أسمَرِ

ورمَتْ به شقراءُ تَحْسِبُ بُردَها يَنقَدُّ من شِيَةِ الجَوادِ الأشقَرِ

ترمي بمُحمَرِّ الشَّرارِ ، كأنَّما تُرمَى جوانبُها بوردٍ أحمَرِ

خلَعَتْ عليه من الحريرِ يَلامِقاً صُفْراً ، فبينَ مُحلَّلٍ ومُزرَّرِ[1]

فالدَّهرُ يَعجَبُ منه لَمَّا مسَّه بِجَهنَّمَ الصُّغرى فلم يَتفطَّرِ

هِيَ وَعكَةٌ كانت ثِقافَ مُقوِّمٍ ، لَدْنَ المَهَزَّةِ أو صِقالَ مُذكَّرِ

تاجٌ كبَدْرِ التَّمِّ عادَ ضِياؤُهُ ، بعدَ الكُسوفِ فِراقَ عينِ المُبْصِرِ

أو كالحُسامِ جَلا الصَّياقلُ مَتْنَهُ حتى تَرَقرَقَ منه ماءُ الجَوهَرِ

إنَّ النُّضارَ ، إذا تَتابعَ سَبْكُهُ ، خَلَصَ النُّضارُ ، وزادَ نَضْرَةَ مَنْظَرِ[2]

فَلْيُكْمَدِ الأعداءُ ، أو فَلْيَحْمَدوا إذ قدَّروا فيه الذي لم يُقْدَرِ

160

وقال يمدح الأمير أبا المرجَّى جابر بن ناصر الدولة ويذكر وقعته بسنجار : [من الخفيف]

لَحْظُ عَيْنَيْكَ للرَّدى أنصارُ ، وسيوفٌ شِفارُها الأشفارُ

فتكَتْ بالمحبِّ من غيرِ ثأرٍ ، فلها في فؤادِهِ آثارُ

وَقعةٌ باللِّوى استباحَتْ نُفوساً ، قَمَرَتْها غَرَّاءَها الأقمارُ[3]

ومهاً تكتُمُ البَراقِعُ مِنْها صُوَراً هُنَّ للعُيونِ صِوارُ[4]

أعربَ البانُ بَينَهنَّ ، فمن أثْـ ـمارِه الياسَمينُ والجُلَّنارُ

---

1 اليلامق ، مفردها يلمق : ضرب من الثياب .

2 خَلَصَ : أصبح خالصاً مصفًى .

3 قَمَرَتْها : سلبَتْها . غَرَّاءَها : حُسْنَها .

4 الصوار : وعاء المسك .

قد صرَفْنا الأبصارَ عنهنَّ خوْفاً ، إذ رَمَتْنا بلَحْظِها الأبصارُ

هاتِها لم تُباشِرِ النّارَ ، واعلَمْ أنها في المَعادِ للشَّرْبِ نارُ[1]

قَصُرَتْ ليلةُ الخَوَرْنَقِ حُسْناً ، واللَّيالي الطِّوالُ فيه قِصارُ[2]

بِكَرٌ تَرتَعي جَنَى اللَّهوِ غَضّاً ، واللَّـذاذاتُ بينَهـا أبكارُ[3]

إذ وجوهُ الأيَّامِ فيه رِياضٌ ، وميـاهُ السُّرورِ فيـه خِمارُ

وَجَناتٌ تَحَيَّرَ الوَردُ فيها ، وثُغورٌ جَرَتْ عليها العُقارُ

كـلَّما كرَّتِ الجباهُ بصُبحٍ عطفَتْ ليلَها عليه الطِّرارُ[4]

فَضُحاه من الذَّوائبِ ليلٌ ؛ ودُجاه من الخُدودِ نَهارُ

غَنِيَتْ عن سَحائبِ المُزْنِ أرضٌ ، هنَّ من راحةِ الأميرِ تُمارُ

ظِلُّها سَجْسَجٌ ، وزَهْرُ رُباها عَطِرٌ ، والحَيا بها مِدرارُ[5]

حيثُ لا وِرْدُنا ثِمادٌ ، ولا الوَعـ ـدُ غرورٌ ، ولا الهُجوعُ غِرارُ[6]

يَتصدَّى لظاهِرِ البِشْرِ طَلَقُ الـ ـوَجْهِ ، فيه سكينةٌ ووَقارُ

لا يُصَدُّ الثَّناءُ عَنه ، ولا تَرْ غَبُ عن وِرْدِهِ النُّفوسُ الحِرارُ

سائلِ الدَّيلَميَّ كيفَ رأى سِنْـ ـجارَ لما تَنمَّرَتْ سِنجارُ

إذ تلاقَى بأرضِها الحَطَبُ الجَزْ لُ ونارٌ يَحُثُّها إعصارُ

مَعْشَرٌ أصبحوا وُجوداً ، وأمسَوا عَدَماً ، والخُطوبُ فيها اعتبارُ

---

1 لم تباشر النار : أي خمرة لم تغل . الشَّرْب : جمع شارب . المعاد : أراد به يوم القيامة .

2 الخورنق : قصر كان للنعمان بن المنذر في الحيرة .

3 البِكَر ، مفردها بكرة : الفتية من النِّياق استعارها للنساء اللواتي يصفهنَّ . الأبكار : أول كل شيء .

4 الطِّرار ، مفردها طُرَّة : الجبهة .

5 سجسج : ليِّن الهواء .

6 الغِرَار : القليل من نوم وسواه .

لم يَسِرْ حَينُهم إليهم ، ولكِنْ　　زَجَروا نحوَه الجِيادَ وسَاروا
خطرَتْ بالقَنا الأُسودُ عليهِم ،　　فارتوى مِنهُمُ القَنا الخَطّارُ
في بَرارٍ تكشَّفَ النَّقْعُ عنها ،　　وهيَ من رَوْنَقِ الحديدِ بِحارُ
مَوْقِفٌ لو أطَلَّ كِسْرى عليه ،　　لانْثَنى كاسِفاً وفيه انْكِسارُ
جَبَرَ المُلْكَ فيه جَبَّارُ حَرْبٍ　　رافِعٌ من لِوائِـهِ الجَبَّارُ
أَسَدٌ في الحديدِ تَستَوحِشُ الأُسْـ　　ـدُ لدَيـهِ ، ويأنَسُ الزُّوَّارُ
قَبُحَ الضَّرْبُ في الوُجوهِ ولكن　　حَسُنَتْ عن سيوفِكَ الأخبارُ
وتَحلَّتْ بك المدائحُ ، حتّى　　هي شَدْوُ القِيانِ والأَسْمارُ
واشرأَبَّتْ لكَ الدِّيارُ ، فلو تسـ　　ـطيعُ سيراً سَرَتْ إليكَ الدِّيارُ
نِعَمٌ للسُّيوفِ لا يَنفَدُ الشُّكْـ　　ـرُ عليها ، أو تَنْفَدُ الأعمارُ
أبْرَأَتْنا كما أَبـارَتْ عِدانـا ،　　فَهْيَ فينا بُرْءٌ ، وفيهم بَوارُ
قد أَطاعَتْكَ في العدوِّ المَنايا　　وجرَتْ بالمُنى لك الأَقدارُ
لا تَقُدْ جَحفَلاً ، فأنتَ من النَّجـ　　ـدَةِ والبأسِ جَحْفَلٌ جَرَّارُ
أيـُّها اللائمي على صَوْنِ وَجْهي !　　إنَّ بذْلَ الوُجوهِ شَيْنٌ وعارُ
أَمَلِي في المُلوكِ عُسْرٌ ، ولكنْ　　أملي في أبي المرجَّى اليَسارُ

161

وقال أيضاً يمدحه ويذكر هذه الوقعة بسنجار مع الديلمي : [من الكامل]

مَرِضَت جفونُك والحُتوفُ شِعارُها ،　　هنَّ السُّيوفُ شِفارُها أشفارُها
جَاوَرْتَ من شِيَمِ الكَواعبِ في الهَوى　　مَنْ لا يُجارُ من الصَّبابَةِ جارُها
للهِ موقِفُنا بمنعـرجِ اللـِّوى　　ومَحارُنـا في لَوْعَـةٍ ومَحارُها[1]

1　المحار : مصدر ميمي من حار : رجع .

نَضَتِ البراقعَ عن مَحاسِنِ رَوْضَةٍ ، رِيضَتْ بمحتَفِلِ الحَيا أَنـوارُها[1]
فَمِنَ الثُّغورِ المُشرِقاتِ لُجَيْنُها ، ومن الخُدورِ المُذْهَباتِ نُضارُها
مصقولَةٌ بِسَنا الصَّباحِ جِباهُها ، مَصبوغَةٌ بِدُجى الظَّلامِ طِرارُها
أغصانُ بانٍ أغربَتْ في حَمْلِها ، فغَرائِبُ الوَرْدِ الجَنيِّ ثِمارُها
طالَتْ ليالي الحُبِّ بعدَ فِراقِها ، وأحبُّهنَّ إلى المُحِبِّ قِصارُها
ولرُبَّ لَيلاتٍ بهنَّ تَفرَّجَتْ أَسدافُهـا وتأرَّجَـتْ أَسحارُها[2]
ما كانَ ذاكَ العيشُ إلا سكرةً رَحلَتْ لَذاذتُها وحلَّ خُمارُها[3]
اللهُ أكبرُ فرَّقَ السَّيفُ العِدَا ، فتفرَّقَـتْ أيـدي سَبـا أخبارُها
لا تَجبُرُ الأيَّامُ كَسْرَ عِصابَةٍ ، كُسِرَتْ وذَلَّ بجابـرٍ جَبَّارُها
رحلَتْ ، فكانَ إلى السُّيوفِ رحيلُها ، وثوَتْ ، فكانَ على الحُتوفِ قَرارُها
سجَرَتْ بحارُهُمُ دماً ، فتَيَقَّنَتْ ؛ أنَّ الأُسودَ عرينُها سِنْجارُها[4]
برزَتْ لها أُسْدُ الرَّها ، إذ حُوصِرَتْ ، والأُسْدُ تأنَفُ أن يطولَ حِصارُها[5]
ثَبَتوا إلى أجدارِها ، فكأنَّهم ، والطَّعْنُ يَقتَلِعُ الكُماةَ ، جدارُها
مُستَعصِمينَ من الأميرِ بهَضْبَةٍ عَدَوِيَّـةٍ لا تُرْتَقـى أوعارُها
يَغشَونَ قارعةَ القِراعِ بأوجهٍ ، أَلِفَتْ مباشرةَ القَنا أبشارُها[6]
عَلِمَ الأعاجمُ أنَّ وَقْعَ سُيوفِكُمْ نـارٌ تُشَبُّ ، وأنتـمُ إعصارُها
مَنْ ذا يُنازِعُكُمْ كريماتِ العُلى ، وهي البـروجُ ، وأنتـمُ أقمارُها
الحربُ تعلمُ أنكم آسادُها ؛ والأرضُ تعلمُ أنكم أمطارُها

1 مُحتفل الحيا : مطر شديد .
2 أسدافها : ظلماتها . تَأَرَّجَ : فاحَتْ منه رائحة طيبة .
3 الخمار : صداع الخمر .
4 سجرت : فاضت .
5 الرُّها : حيٌّ من مذحج ، وبضم الراء : مدينة .
6 القارعة : النكبة المُهلكة . أبشارها : جِلْدها .

هي وقعةٌ ، لكَ عِزُّها وسَناؤُها ، وعلى عَدوِّكِ نارُهـــا وشَنارُها[1]
رَكِبَ السَّفينَ مُشرِّقاً في مَعْشَرٍ ؛ مَنْ قالَ تغرُب خيفةً أبصارُها ؟
مَوتورَةٌ بِشَبا الأَسِنَّةِ لو بَغَتْ وِتْراً إليكَ تضاعَفَتْ أوتارُها[2]
عَمَرَتْ ديارُكَ من قبورِ ملوكِهم ، وخلَتْ من الأُنْسِ المُقيمِ ديارُها
وردَتْ بآسادِ الشَّرى مُبيضَّةً أفعالُها ، مُحمرَّةً أظفارُها
والسُّمْرُ قد خضَبَ الطِّعانُ صدورَها ، فكأنها قد أُذهِبَتْ أشطارُها[3]
والمُرهَفــاتُ جميلــةٌ أفعالُهـــا في المُلْكِ غيرُ جميلــةٍ آثارُها
فلتشكرنَّكَ دولَــــةٌ جَدَّدْتَهـــا ، فتجــدَّدَتْ أعلامُهـــا ومنارُها
حلَّيْتَها وحَمَيْتَ بيضةَ مُلكِها ، فغِرارُ سيفِكَ سورُها وسِوارُها
وغريبةٍ تجري عليك رياحُها أَرَجاً إذا لفَحَتْ عدوَّكَ نارُها
مِمَّنْ له غُرَرُ الكلامِ تفتَّحَتْ أبوابُهـــا ، وترفَّعَــتْ أستارُها
تَجري وتَطلُبُــه عصائبُ قصَّرَتْ عن شأوِهِ ، فقُصارُها أَقصارُها[4]
يَحوي له الأَسَدُ البعيدُ نِجارَهُ ، ويعوقُهـــا عمَّا حَـــواه نجارُها
فتعيشُ بعدَ مماتِه أشعارُه ؛ وتموتُ قبلَ مماتِها أشعارُها

162

وقال يمدح الأمير أبا البركات لطف الله ابن ناصر الدولة ويتظلَّم إليه من الخالديَّين ويعرِّض بأحمد بن إبراهيم بن فهد وكان يتعصَّب لهما : [من البسيط]

أَكُفُّ تَغلبَ أنواءُ الحَيا الجاري ؛ ونارُ بأسِهِمُ أذكى من النارِ

---

1 الشَّنار : العار .
2 الوِتْر : الظلم والانتقام .
3 أُذهِبَتْ : من الذَّهَب .
4 قصارها : جهدها . أقصارها ، مفردها قصر : التقصير .

وَالحمْدُ حَلْيُ بني حَمدانَ تَعرِفُهُ ؛ والحقُّ أَبلَجُ لا يُلقى بإنكارِ
قَومٌ : إذا نَزَلَ الزُّوَّارُ ساحتَهم ، تَفَيَّـؤوا ظِـلَّ جَنّـاتٍ وأنهارِ
مُؤمَّرون ، إذا ثارَتْ قرومُهُمُ أَفْضَتْ إلى الغايةِ القُصْوى من الثّارِ[1]
فكلُّ أيامِهم يومُ الكِلابِ ، إذا عُدَّتْ وقائِعُهُم ، أو يومُ ذي قارِ
تتابعَتْ بركاتُ اللهِ نازلَـةً على أبي البرَكاتِ المانعِ الجارِ
على الحَيا الغَمْرِ والبَحرِ ، الذي رسَبَتْ فيه جواهرُه ، والضَّيْغَمِ الضّاري
على الأميرِ الذي أضحَتْ مناقبُه مِثلَ النُّجومِ ، تُضيءُ اللَّيلَ للسّاري
إذا عزَمْتُ على إحصائِها ازدَحَمَتْ ، فكاثَرَتْ مِدَحي فيه ، وإكباري
وهل يُقاسُ فضاءُ البحرِ مُنحَرِفاً بأذرُعٍ قصَّرَتْ عنه وأشبارِ
أصبحْتُ أُظْهِرُ شُكراً عن صَنائِعِه ، وأُضْمِرُ الوُدَّ فيها أيَّ إضمارِ
كيانعِ النَّخْلِ يُبْدي للعيون ضُحًى طَلْعاً نَضيداً ، ويُخفي غَضَّ جُمّارِ[2]
أأكرمَ النّاسِ ! إلاّ أن تُعَدَّ أباً ، فـاتَ الكِـرامَ بآبـاءٍ وآثارِ
أشكو إليكَ حَليفَيْ غارةٍ شهَرَا سَيفَ الشِّقاقِ على دِيباجِ أشعاري
ذِئبَيْنِ لو ظفرَا بالشِّعرِ في حَرَمٍ لَمَزَّقـاهُ بأنيـابٍ وأظفـارِ
سَلاَّ عليه سيوفَ البَغْيِ مُصْلَتَةً في جَحْفَلٍ من شَنيعِ الظُّلْمِ جرَّارِ
وأرخصَاهُ ، فقُلْ في العِطرِ مُنتَهَباً لديهِما ، يُشتَرى من غيرِ عَطّارِ
لَطائِمُ المِسْكِ والكافورِ فائحةٌ منه ، ومُنتَخَبُ الهِنْديِّ والغارِ[3]
وكلُّ مُسفِرَةِ الألفاظِ تَحسَبُها صفيحةً بين إشراقٍ وإسفارِ
أرَقْتُ ماءَ شبابي في مَحاسِنِها ، حتى ترَقرَقَ فيها ماؤُها الجاري

1 القُرُوم ، مفردها قَرْم : السيد .

2 الطَّلْع : ما يبدو من ثمرة النَّخْل في أول ظهورها . النَّضِيد : المجتمع المتراكم . الجمار : شحم النخل .

3 اللَّطائم ، مفردها الطيمة : وعاء المسك .

كأنّما نَفَسُ الرَّيحانِ يَمْزُجُهُ صَبا الأصائلِ من أنفاسِ نَوَّارِ
باعا عرائِسَ شِعْري بالعراقِ ، فلا تَبْعَدْ سَباياهُ من عُونٍ وأبكارِ[1]
مجهولةُ القَدْرِ مظلومٌ عَقائِلُها ، مقسومَةٌ بين جُهَّالٍ وأغمارِ[2]
وما يَضرُّهُما ، والدُرُّ ذو خطَرٍ ، إن حلَّياهُ ملوكاً ذاتَ أخطارِ
وما رأى الناسُ سَبْياً مثلَ سَبْيِهِما ، بِيعَتْ نَفيسَتُه ظُلماً بدينارِ
إذا كساكَ ثيابَ المَدحِ سالبُها ، يَوماً ، فإنَّكَ أنتَ المكتسي العاري
واللهِ ما مدَحا حيّاً ، ولا رَثَيا مَيْتاً ، ولا افتَخَرا إلا بأشعاري
إن توَّجاكَ بدُرٍّ ، فهو من لُجَجي ؛ أو ختَّماكَ بياقوتٍ فأحجاري
هذا ، وعنديَ من لفظٍ أُشَعشِعُهُ سُلافَةٌ ذاتُ أضواءٍ وأنوارِ[3]
كريمةٌ ليسَ من كَرْمٍ ، ولا التَمَتْ عروسُها بخِمارٍ عندَ خَمَّارِ
تَنشُو خِلالَ شِغافِ القلبِ ، إن نشأَتْ ذاتُ الحَبابِ خِلالَ الطِّينِ والقارِ
لم يبقَ لي من قريضٍ كان لي وَزَراً على الشَّدائدِ ، إلا ثِقْلُ أوزاري[4]
أراه قد هُتِكَتْ أستارُ حُرمَتِه ، وسائرُ الشِّعرِ مستورٌ بأستارِ
كأنه جَنَّةٌ راحَتْ حدائقُها من الغَبِيَّينَ في نارٍ وإعصارِ
عارٍ منَ النَّسَبِ الوضَّاحِ مُنتَسِبٌ في الخالديَّةِ بين الذُّلِّ والعارِ
وما أُظُنُّ دَعِيَّ الأزدِ يُنْصِفُني ، حتى تموجَ به أمواجُ تَيَّاري[5]
غضبانُ ، يستُرُ عني وجهَه بيَدٍ ، وَدِدْتُ لو سُمِّرَتْ فيه بمسمارِ
لقد تحيَّفَ شِعْري مَعْشَرٌ غَرَرٌ ، منهم قريبٌ ، ومنهم نازحُ الدَّارِ[6]

---

1 العون ، مفردها عوان : من كان في منتصف السنّ .
2 العقائل ، مفردها عقيلة : الكريمة الحَسَب . الأغمار : الجُهَّال .
3 شعشع الخمر : مزجه .
4 الوزر : الملجأ .
5 الدَّعِيّ : المتَّهم في نسبه .
6 الغرر : المغرور .

يُفوِّقـون ، ونَبْلي في كِنانَتِه ، إلـيَّ كُلَّ كليـلِ النَّصـلِ خَـوَّارِ
ولو تفوَّقَ سَهْمي راكباً وَتَراً ، يوماً لطال عليهم نَقْضُ أوتاري
إياكُمُ أن تَشِيمُوا برقَ غاديَةٍ مُسِفَّـةٍ بذُعـافِ السُّمِّ مِدرارِ[1]
ولا يَغُرَّنَّـكُمْ أمطـارُ مُبتَسِمٍ يُزجي الصَّواعِقَ في أثناءِ أمطارِ
فالسَّيفُ يُبدي ابتساماً عند هَزَّتِه ، وقـد أُسَرَّ المنـايا أيَّ إسرارِ
وما رأيتم شُجاعاً قبلَ رؤيَـتِـه قَراكُمُ ، وهو مُودٍ ، شَهْدَ مُشتارِ[2]
يَبُزُّ مِنكم شَباباً ما لَهم حزَنٌ على الصِّبا ، وشيوخاً غيرَ أبرارِ
مَنْ كان يَعجزُ عن سَهلي إذا استبَقَتْ خَيلُ القَريضِ ، فكم تُجتابُ أوعاري[3]
وهل يَقومُ لجَمْعي حينَ أُضرِمُهُ مُغرَّرٌ عن زِنادٍ قلبُهُ واري
لو كُنتُمُ العنبرَ الوَردَ الشَّبيهَ به ، والمَنْدلَ الرَّطْبَ ، شَبَّتْ منكُمُ ناري
لكِنَّكُمْ حَطَبٌ بـالٍ يُحرِّقُـهُ سَعيرُ شَمْسِ الضُّحى من قبلِ أشعاري

163

وقال يمدح الأمير أبا الهيجاء حرب بن سعيد بن حمدان ويعتذر إليه :
[من الوافر]

يُؤَرِّقُهُ ، إذا البرقُ استنارا ، هـوىً يقتـادُ عَبْرَتَه اقتسَارا
بَدا مِشْقاً تَرودُ العينُ فيه ، فتَقـرَأُ من لوامِعِـه ادِّكارا[4]
ونَمنمةً تُضيءُ له وتَخبُو ، كما طَيَّرْتَ عن زَندٍ شَرارا[5]

---

1 مسِفَّة : دانية .
2 قراكم : أضافكم ، من الضيافة . مُودٍ : ميت . مُشْتار ، من اشتار العسلَ : جناه .
3 اجتاب : قطع .
4 المشق : الطويل مع رقة .
5 النمنمة : الوشي .

وإيماضاً يَشُقُّ الجوَّ شَقّاً ، كما اقْتَبَسَتْ إماءُ الحيِّ نارا
فرُحْتُ أُسائِلُ الرُّكبانَ عنه ، بأيِّ جَنوبِ كاظمةَ استطارا
لَأَذكَرَني أعزَّ الناسِ جاراً ، وأحلى الأرضِ في عينيَّ دَارا
وعِدْلَ الحبِّ من قومٍ تَعدَّى عليَّ الشَّوقُ بعدَهُمُ ، فَجارا[1]
وناعمةَ الصِّبا تسجُو ، فتشجُو قلوباً من صبابَتِها مِرارا[2]
أقولُ لها ، إذا سفرَتْ ومارَتْ : أَغُصْنُ البانِ أثمَرَ جُلَّنارا
أصابَهمُ ، وإن بَعُدُوا منالاً على العُشّاقِ ، أو بَعُدُوا مَزارا
نسيمُ الرِّيحِ ما راحَتْ جَنوباً ، وصوبُ المُزْنِ ما ابتكَرَتْ عِشارا
سأُعفي الدهرَ من تكديرِ عَذلي ، فأُعذِرُهُ ، وإنْ خلعَ العِذارا
لَقِينا من حوادِثِهِ جيوشاً ، وخُضْنا من نَوائِبِهِ غِمارا
فلم نُظْهِرْ له إلا قِراعاً ؛ ولم نَلْبَسْ لهُ إلا وَقارا
ومَنْ يكُنِ الأميرُ له مُجيراً ، يكُنْ للكَوكبِ العَلويِّ جَارا
هو الجبلُ الأَشمُّ حِمىً وعِزّاً ترَفَّعْ أن تَرى جبلاً مُغارا[3]
فرَرْتُ إليه من صَرْفِ اللَّيالي ، فنكَّبَ جَورُها عني فِرارا[4]
ولمَّا اخترْتُهُ ليَفُلَّ عني شَباةَ الدَّهرِ لم آلُ اختِيارا[5]
وكانَ القُربُ منه جمالَ دنيا ، ترى أيامَها ، حُسناً ، قِصارا
وعيشاً ناضرَ الأفنانِ غَضّاً يَرِفُّ ، إذا اهتصرناهُ اهتِصارا
فَما بَرِحَ العِدا حتّى أَعادوا حلاوَةَ نَشوَتي منه خُمارا

---

1 العِدْل : النظير والمِثْل .
2 تسجو : تَحِنُّ .
3 المغار : موضع الغارة .
4 نَكَّبَ عن : عَدَل وتنحّى .
5 يريد أنه لم يُقَصِّر في الاختيار .

فعوَّضَني من الأُنسِ انحرافاً ؛ وبدَّلَني من البِشْرِ ازوِرارا
فصِرْتُ أرى نهاري منه ليلاً ، وكنتُ أرى به ليلي نَهارا
أبِيتُ ، ومُقلتي تُذري نجيعاً ، وقد أفنَت مدامعَها الغِزارا[1]
تَرى الأشفارَ منه مُعَصْفَراتٍ ، فتحسَبُ أنها لاقَتْ شِفارا
أبا الهيجاء أصبحَتِ القوافي تَخُبُّ إليكَ حجّاً واعتِمارا
عِتاباً كالنَّسيمِ جرَى لعَتْبٍ يُضَرِّمُ في الحَشا مني استِعارا
أُشَعشِعُه لأُطرِبَ سامعيه ، كما شَعشَعْتُ بالماءِ العُقارا
أيجمُلُ أن أُرى منك انحرافاً ، ولا عاراً أتيتُ ، ولا شَنارا[2]
ولم أُجحَدْ صنائعَ مِنْكَ جلَّتْ ، ولم أسلُبْكَ مدحاً فيك سارا
ولكنّي كَسَوْتُكَ حَلْيَ قَوْمٍ رأيتُكَ منهم أزكَى نِجارا
وأيُّ غريبَةٍ للشِّعرِ لاقَتْ عُلاكَ ، فحاولَتْ عنها اصطِبارا
تَحِنُّ إليكَ أبكارُ القوافي ، إذا اجتُلِيَت رَواحاً وابتِكارا
فتقرَبُ منك أُنساً بالمعالي ، وتبعُدُ من بُعولتِها نِفارا
ويُؤثِرُكَ الثَّناءُ على مُلوكٍ ، تَعُدُّ مقامَها فيهم خَسارا
وكيفَ تُلامُ خَيِّرَةُ القَوافي ، إذا اختارَتْ من القومِ الخِيارا
تبيَّنَ زهوُها في العيدِ لمَّا رأَتْ مولىً يُتوِّجُها فَخارا
فهزَّتْ عِطْفَها طَرَباً إليه ، وأَلقَتْ عن مَحاسنِها الخِمارا
فإنْ تَكُ هفوةٌ عرَضَتْ سِراراً ، فقد أَصْحَبْتُها عُذراً جِهارا
وممَّا شيَّدَ الشَّرَفَ المُعَلَّى ، ذُنوبٌ صادَفَتْ منك اغتِفارا
فَضَلْتَ الناسَ فضلاً واقتصاداً ، وإشراقاً من الجَدوى ابتِدارا

---

1 النجيع : الدم . تُـذْري : تَصُبُّ .

2 الشنار : العار .

ولولا أن أُعوذَكَ من عدوٍّ حَسِبناهُ لنَضرَتِه نُضارا

164

وقال يمدح أبا اليقظان عمار بن نصر بن حمدان : [من الرمل]

أقصَرَ الزَّاجِرُ عنه فازدَجَرْ ، وطوَى اللائمُ ما كانَ نَشَرْ
حمَلَ الغَيُّ عليه أُصْرَه ، فإذا قيلَ ارعوى عنه أصرّ[1]
قائلٌ ، إنْ نُذُرُ الشَّيبِ بدَت في عِذاريه ، وما تُغْني النُّذُرْ[2]
شَعَرٌ ماتَ على مَفرِقِهِ ؛ وحياةُ المرءِ في مَوْتِ الشَّعَر
وشبابٌ جَفَّ إلا شَجَرٌ مُوجِفٌ منه ، وكم يبقَى الشَّجَر
يا خليليَّ اطلُبا وِتْرَكما ، تَجِـداه بين كأسٍ ووَتَر
شاقني مُستَشرَفُ الدَّيرِ ، وقد راحَ صَوبُ المُزنِ فيه وبكَر
أهواءٌ رَقَّ في أرجائِهِ ، أم هوىً راقَ ، فما فيه كَدَر
وخُدودٌ سفَرَتْ عن وَرْدِها ، أم ربيعٌ عن جَنى الوَرْدِ سفَر
مَجلِسٌ يَنصرِفُ الشَّرْبُ ، وما طُوِيَتْ من بَسطَةٍ تلك الحِبَر
وكأنَّ الشَّمسَ فيه - نثرَتْ ورَقاً من بينِ أوراقِ الشَّجَر
بينَ غُدْرٍ يَقَعُ الطَّيرُ بها ، فتراهُنَّ رِياضاً في غُدُر
وثَرىً يَشهَدُ بالطِّيبِ له عَبَقٌ حالفَ أطرافَ الأُزُر
وغيومٌ نشرَتْ أعلامَها ، فلها ظِلٌّ علينا مُنتَشِر
ونسيمٌ عطَّرَ الرَّوضَ ، فإنْ طارَ في الصُّبحِ ارتديناه عُطُر
نحنُ في ظلٍّ وصالٍ سجسجٍ ناعمِ الآصالِ فَينانِ البُكَر[3]

---

1 الأُصْرُ : الثقل ؛ الذنب .

2 النذر ، مفردها نذير : المنذر .

3 السجسج : المعتدل .

وإذا الدَّهرُ رمانـا صَرفُـه فبِعَمَّـارِ بنِ نَصْـرٍ ننتَصِرْ
يا أميراً خضعَ الدَّهرُ لـه ، فغَدا يفعلُ طُـرّاً ما أمر
وإذا الجَدبُ عرَا كان حيّاً ؛ وإذا الخَطبُ دَجى كان قَمر
وإذا هُزَّ لـمَعروفٍ مضَى كالحُسامِ العَضبِ ، إنْ هُزَّ بتَر
صادقُ البِشْرِ ترى ماءَ النَّدى ، يرتقي في وَجْهِهِ أو يَنحَدِر
فلهُ فيه اطِّرادٌ كامِنٌ ، كاطِّرادِ الماءِ في العَضْبِ الذَّكَرْ
قلتُ ، إذ بَرَّزَ سَبْقاً في العُلى : أإلى المَجْدِ طريـقٌ مُختصَر
إنْ تكُنْ تَغلِبُ يوماً وَسَمَتْ صفحةَ الدَّهرِ بيومٍ مَشتَهَر
فبنو الحارثِ فيهم وَزَرٌ ، حينَ لا يُنجي من الدَّهرِ وَزَر
فعَدِيٌّ غُرَرُ المَجدِ ، إذا قُسِمَ المجدُ حُجولاً وغُرَر
مَعشَرٌ ، لولا أحاديثُ النَّدى ، عنهمُ لم يَعرِفِ الناسُ السَّمَر
يا أبا اليقظانِ أيقظْتَ النَّدى ، فملأْتَ البدوَ منه والحَضر
ولكَمْ أرديتَ من مُستلئِمٍ صادِقِ الإقدامِ يحمي ويَكُرّ
والضُّحى أدهمُ في النَّقعِ فإنْ ضَحِكَتْ فيه الظُّبا كان أغَرّ
مَوقِفٌ لو لم يكنْ ناراً إذاً لم تكُنْ زُرْقُ عَواليهِ شرَر
يُنظَمُ الطَّعنُ على أبطالِهِ ، وعُقودُ الهامِ فيه تنتشِر
وكأنَّ الشَّمسَ في قَسطَلِهِ ، كاعبٌ أُسبلَ سِجْفَيْها الخَفَر[1]
فتوخَّيتَ بهِ حمدَ العُلى ، والقَنا يَخطِرُ محمودَ الأثَر
وثَنَيْتَ الخيلَ عنه لابِساً حُلَّةَ النَّصرِ ، مُحلًّى بالظَّفَر
قد تقَضَّى الصَّومُ محموداً ، فعُدْ لهوىً يُحمَدُ ، أو راحٍ تَسُرّ
أنتَ والعيدُ الذي عاودْتَه غُرَّتا هذا الزمانِ المُعتكِر

---

1 السِّجْف : الستر والحجاب .

لَذَّ فيك المدحُ حتى خِلتُه سَمَراً لم أَشْقَ فيه بسَهَر

165

وقال يمدح الأمير أبا المظفر حمدان بن ناصر الدولة ويهنئه بالبرء من علة نالته : [من مجزوء الكامل]

أعَنِ الأَهِلَّةِ في الدَّياجِر ، سفَرَت لنا ، والبَينُ سَافِرْ[1]
أَم عن محاجِرِ رَبرَبٍ كشَفَتْ لنا تلك المَعاجِر[2]
أَظِباءُ وَجْرَةَ أَقصَدَتْـ ـكَ بسِحرِ أجفانٍ فَواتِر
جنَتِ الهَوى وتنصَّلَت باللَّحظِ من تِلكَ الجَرائر
حتَّى أخذْنَ من المنا طقِ للذي تحوي المآزر
لأُخاطِرَنَّ ، ومَا المُنى في الحُبِّ ، إلا للمُخاطر
فَلأُوضِحَـنَّ صَبابتـي بالدَّمعِ في الدِّمَنِ الدَّواثِر
تاللهِ أغدُرُ بالـهَوى ، مادُمتُ مُسوَدَّ الغَدائِرْ
ولَكَم هصرتُ غُصونَ عَيـ ـشٍ مُورِقِ الأفنانِ ناضِر
ووجدتُ عَدْلَ الدَّهرِ حُكـ ـمَ مُسفِّهٍ ووفاءَ غادِر
وعلى الأميرِ أبي المظفْـ ـفَرِ في النَّدى تُثنَى الخَناصِر
وعليـه تَزدَحِـمُ العُلى دونَ البريَّـةِ والمـآثر
مَلِكٌ ، إلى أفعـالِه تُنمَى المَناقِبُ والمَفاخِر
كَثُرَتْ مواهبُه وقلْـ ـلَتْ عندَ طالبِها المَعاذِر
وتغايرَتْ فيـه العُلى ، حتى حَسِبناها ضَرائِر

1 الأهلّة ، جمع هلال .
2 المعاجر ، مفردها معجر : ثوب تشدّه المرأة على رأسها .

ذَخرَ الثَّناءَ وفرَّقَتْ يُمناه مُجتمَعَ الذَّخائر

وأقامَ يُعمِلُ في العَدوْ ـوِ ظُبا العواسلِ والبَـواتر

متقَيِّـــلاً شرَفَ الأرا قِـمِ كابراً منهم ، فكابر[1]

أقمـــارُ مَجْـدٍ تَنجلي بضيائِها ظُلَمُ الدَّياجِر

وجبـــالُ أحــلامٍ تَقِلْـ ـلُهُمُ الأَسِرَّةُ والـمَنابِر

آسادُ كلِّ كريهـــةٍ ، فتكَتْ بآسادٍ خَوادِر

تَدمى شَبا أظفارِها ، والمـوتُ محمَرُّ الأَظافِر

وتَرى السَّوابغَ والقَنا مثلَ الغَلائـلِ والمَخاصِر

كم حاولوا قسْرَ العدوْ ـوِ بصولةِ الأُسْدِ القَساوِر

وكتائبٍ تُزجي الرَّدى ما بينَ مُدَّرِعٍ وَحاسِر

وَتـَرَكْــنَ وَسْمَ أهِلَّةٍ في الصَّخرِ من وَقْعِ الحَوافِر

فَبَكَرْنَ يَحجُبْنَ الصَّبا حَ بقَسطَلٍ في الجوِّ ثائِر

وغدَوا ، وطِيبُ ثَنائِهِمْ يُنْبيكَ عن طيبِ العَناصِر

يا ناصرَ الكرَمِ الذي لولاه كانَ بغَيرِ نَاصِر

مَنْ كانَ مِثلَكَ لم تَنَلْ معشارَ سُؤدُدِهِ العَشائِر

شِيَمٌ ، إذا ما شِمْتَها أغنَتْ عنِ الدِّيَمِ الهَوامِر

مثلُ الأصائــلِ في السَّما حِ ، فإنْ أبى عادَتْ هَواجِر

وشمائلٌ هُـــنَّ الشُّمو سُ لباطنٍ منها وظَاهِر

فكأنَّما هي رَوْضَةٌ ، منظومَةٌ فيها الأَزاهِر

يَهنـــي المَكارِمَ أنـهــا أمِنَتْ بِبُرئِكَ ما تُحاذِر

مِنْ بعدِ ما أنحَتْ عليـ ـكَ نوائبٌ خُزُرُ النَّواظِر

---

1 الأراقم : بنو تغلب .

فاهتزَّ جِسمُكَ مثلَما يَهتَزُّ ماضي الحدِّ باتِرِ
لازالَ لُطفُ اللهِ يَدْ رَأُ عنكَ مكروهَ الدَّوائِرِ[1]
وسرَتْ إلى أعدائِكَ الـ أحْدَاثُ بالأَجَلِ المُسافِرِ
لاحَظْتُ رَبعَكَ ، فاكتَحَلْـ ـتُ بمُخصِبِ الجَنَباتِ زَاهِرِ
وَوَرَدْتُ بحراً منك محـ ـمودَ المَوارِدِ والمَصادِرِ
وتركْتُ مدحَكَ سائراً في الناسِ من بادٍ وحاضِرِ
فتحلَّ منه مُحَبَّرَ الـ أبْرَادِ ، مَنظومَ الجَواهِرِ
لم يُعْزَ دُرُّ عقودِهِ ، إلا إلى بحرِ الخَواطِرِ

166

وقال لناصر الدولة وقد عزم على المسير إلى العراق : [من البسيط]

سِرْ ، سَرَّكَ اللهُ ، فيما أنت مُنتظِرُ ، فقَد جَرى بالذي تَهوى لك القدرُ
وأَظفَرَتْكَ بما أمَّلْتَ أربعةٌ : النَّصرُ والفَتحُ والإقبالُ والظَّفَرُ
لم يعلُ نجمُكَ في أعلى مَطالِعِه ، حتى غدَتْ أنجُمُ الأعداءِ تَنتشِرُ
وكيفَ يَبعُدُ أمرٌ أنتَ طالبُه ، واللهُ طالبُه والبدوُ والحَضَرُ
يا ناصرَ الدولةِ استعجِلْ إجابتَها ، فقد دَعَتْكَ ، وما في صفوِها كَدَرُ
مُلْكٌ تجدَّدَ لم يُدْمَ السِّنانُ له عِزّاً ولم يَتحلَّ الصَّارمُ الذَّكَرُ
بابُ السَّعادَةِ مفتوحٌ لداخلِه ، وأنتَ داخلُه ، والسادةُ الغُرَرُ
فالمُلْكُ مُبتَسِمٌ ، والأَمرُ مُنتَظِمٌ ، والدَّهرُ من دولةِ الأَوغادِ يَعتَذِرُ
فما انتظارُكَ ، والآفاقُ ناظرةٌ إليك ، والحَضرَةُ الغرَّاءُ تَنتَظِرُ
وقد نَجا البدرُ ، إذ طافَ الكُسوفُ به ، وزالَ عن مُشتَهيهِ الخوفُ والحَذَرُ

---

1 الدَّوائر : النائبات من صروف الدهر .

167

وقال يهجو علي بن العصب الملحي : [من الخفيف]

أَرْبُعَاءٌ حُسامُه مشهورُ ، حين يأتي ، وشرُّه مَحذورُ[1]

نتوقّاه أولَ الشّهرِ ، إن دا رَ ، ونخشاه آخراً لا يدورُ

فَاَغْـدُ سِرّاً بنا إلى قَفَصِ المِلْـ ـحيِّ ، فالعيشُ فيه غَضٌّ نَضيرُ

نتوارى من الحوادثِ ، والدهـ ـرُ خبيرٌ بمَنْ توارَى بَصيرُ

مَنزِلٌ في فِناءِ دِجلةَ يرتا حُ إليه الخليعُ والمَستورُ

طائرٌ في الهواءِ ، فالبرقُ يَسري دونَ أعلاه ، والحَمامُ يَطيرُ

وإذا الغيمُ سارَ أُسبِلَ منه حُلَلٌ حولَ جُدْرِهِ وسُتورُ

فإذا غارَتِ الكواكبُ صبحاً ، فهُوَ الكوكبُ الذي لا يَغورُ

ليسَ فيه إلا خُمَارٌ وخَمرٌ ومَماتٌ من سُكْرِهِ ونُشورُ

وحديثٌ كأنَّه زَهَرُ السَّو سَنِ حُسناً ، أو لؤلؤٌ مَنثورُ

وجَريحٌ من الدِّنانِ يسيل الرْ ـرَاحُ من جُرحِهِ ، وقِدرٌ تَفورُ

ولَكَ الظَّبيةُ الغَريرَةُ ، إنْ شِئْـ ـتَ ، فإن عِفتَها ، فظَبْـيٌ غرير[2]

فتَنَعَّمْ بها نَهاراً ، وبِتْ ، يا سيِّدي مُعَرِّساً ، وأنتَ أمير[3]

كلُّ هذا بدِرْهَمَيْنِ ، فإنْ زِدْ تَ ، فأنتَ المبجَّلُ الموفورُ

فهو شيخٌ رأى القيادةَ عَيْشاً ، كلُّ عَيْشٍ سِواه إفكٌ وزُورُ

ومن الجَوْرِ أنْ يُلامَ عليٌّ ، وَهْوَ عِنْدي في فِعْلِه معذورُ

---

1 قوله : أربعاء : هكذا في الأصل ولعله اتخذه بمعنى روبعا وهو القصير الحقير .

2 الغريرة : مؤنث الغرير : المغرورة ، والتي لا خبرة لها .

3 معرِّساً : نازلاً ليلاً .

ترك المِلْحَ والتِّجارةَ فيه ، إذ رآها تِجارةً لا تبورُ
فتيمَّمْ بنا السرورَ إليه ، إنَّ يَومَ السُّرورِ يومٌ قصيرُ

168

وقال يمدح أبا الفوارس سلامة بن فهد : [من المتقارب]

ثَنتْ لكَ أعطافَها والخُصورا ، وأعطَتْكَ أجيادَها والنُّحورا
تصدَّتْ لنا ، والهوى أَنَّةٌ ، فصَدَّتْ ، وقد غادَرَتْهُ زَفيرا
وكانت ظباءٌ ترودُ اللِّوى ، فأضحَتْ شموساً ترودُ الخُدورا[1]
فِراقٌ أصابَ جَوىً ساكناً ، فكان له يومَ سَلْعٍ مُنيرا
وساجي الجُفونِ ، إذا ما سجَى أغارَ المَهَا دَعَجاً أو فُتُورا[2]
أُغَرِّرُ بالنَّفسِ في حبِّه ، وآلفُ منه غزالاً غَريرا
وأَعتدُّ زَورَتَهُ في الكَرى نوالاً لديَّ ، وإن كان زُورا
لقد جَهِلَ الدهرُ حقَّ الأريبِ ، ومازالَ بالدَّهرِ طِبّاً خَبيرا[3]
عزائِمُهُ شُعَلٌ لو سطَتْ على اللَّيلِ عادَ ضياءً مُنيرا
إذا ما توعَّرَ خَطْبٌ سرَى فَغَلَّ سهولَ الفَلا والوُعورا[4]
نـزورُ أغـرَّ تَغـارُ العُلى عليه ، ويُلْفى عليها غَيورا
إذا المجدُ أنجـزَ ميعادَه أعادَ وعيدَ اللَّيالي غُرورا
يَعُدُّ من الأَزدِ يومَ الفَخارِ ملوكاً حوَتْ تاجَها والسَّريرا
يُريكَ النَّدِيُّ ، إذا ما احتبَوا ، بدورَ المحافلِ تحبُو البُدورا[5]

---

1 ترود : تدور وتذهب وتجيء .
2 الدَّعَج : عين شديدة السواد مع سعتها .
3 الأريب : الماهر البصير .
4 غلَّ : دَخَل .
5 تحبو : تعطي .

وتَجلُبُ من كرَمٍ في النَّدى ، فإن أجلَبَ الدهرُ أضحى وَقورا[1]
أقولُ لمَنْ رامَ إدراكَه ، وما رامَ من ذاك إلا عَسيرا
عزاؤُك إنْ عَزَّ نَيلُ السُّهى ، وصبرُكَ لستَ تنالُ الصَّبيرا[2]
سلامةُ ، يا خيرَ مَنْ يَغتدي سليمُ الزَّمانِ به مُستَجيرا
إلى كَم أُحبِّرُ فيك المديحَ ، ويلقَى سواي لديك الحُبورا
لَهمَّتْ عرائِسُه أن تَصُدَّ ؛ وهمَّتْ كواكبُه أن تغورا
أتُسلِمُني بعدَ أن أوجَدَتْ على نُوَبِ الدَّهرِ ، جاراً مُجيرا
وأسفــرَ حَظِّـــيَ لمَّا رآ كَ بيني ، وبينَ اللَّيالي سَفيرا
وكم قيلَ لي : قد جفاكَ ابنُ فَهْدٍ ، وقد كُنتَ بالوصلِ منه جَديرا
فقلتُ : الخطوبُ ثَنَتْ وُدَّهُ ، فلم يَبْقَ لي منه إلا يَسيرا
سأُهدي إليك نسيمَ العِتابِ ، وأُضمِرُ من حَرِّ عَتْبٍ سَعِيرا
مَعانٍ ، إذا ظَهَرَتْ دَبَّجَتْ بُطونَ المديحِ له والظُّهورا
تَبَرَّجُ للفِكْرِ أُنْساً به ، وطوراً تَخَفَّرُ عنه نُفورا
تراءَت له كسطورِ البُروقِ ، وقد رامَها فشَآها سُطورا[3]
فيَهنِكَ أَنْ حَلَّ وَفْدُ السُّرورِ ، وأزمعَ وفدُ الصِّيامِ المَسيرا
فلا فَضْلَ للعُودِ حتّى يَحِنَّ ؛ ولا حمْدَ للكأسِ حتّى تَدورا
فقد جدَّدَ الدَّهرُ ظِلّاً ظليلاً ، ورَوْضاً أَريضاً ، وماءً نَمِيرا
وحَلَّ الرَّبيعُ نِطاقَ الحَيا ، فغادرَ في كُلِّ سَهْلٍ غَديرا
هــواءٌ نُبَاشِرُهُ حُسَّراً ، فنَقسِمُه ساجِياً ، أو حَسِيرا[4]

---

1 تجلب ، من جلب الشيء : جاء به . أجلب : توعَّد بالشر .

2 السُّهى : كوكب خفيّ من بنات نعش . الصبير : مقدّم القوم في أمورهم ، والجبل .

3 شآها : سبقها .

4 الساجي : الساكن . الحسير : المكشوف .

وزهـرٌ ، إذا ما اعتَبَرْنا النسيمَ ، حَسِبناهُ يمسَحُ منه العَبيرا[1]
وروْضٌ يُراقُ بماءِ الحياةِ ، فنُوَّارُهُ يَملأُ العَينَ نُورا
جلا البَرقُ عن ثغرِه ضاحكاً إليه ، فأضحكَ منه الزُّهورا
وسَافرَه الرَّعدُ مُستَعْطِفاً ، فقد سَفَرَ الوردُ فيه سَفِيرا[2]
ومالَتْ من الرَّيِّ أشجارُه ، كأنَّ السَّواقي سقَتْها الخُمورا
وولَّتْ صوادرَ منشورةً ، وقد ملأَ الحُزْنُ منه الصُّدورا
أوَانٌ تحَيِّيك أنـوارُه رَواحًا بأنفاسِها ، أو بُكورا
وشهرٌ يُشهِّرُ ثَوبَ الثَّرى ، ويَنظِمُ بالطَّلِّ فيه شُذُورا[3]
أعادَ عُبوسَ الرُّبا نَضْرةً ، وشَيبَ الغُصونِ شباباً نَضيرا
فسَلَّ الجَداوِلَ سَلَّ الذُكورِ ، وأغمضَ للبِيضِ بِيضاً ذُكورا[4]
ودلَّ على عَدْلِـه أننـا نَرى القُرَّ مُعتَدِلاً ، والهَجيرا
فلازِلْتَ مُغتَبِطاً ما حَيِيتَ بعيدٍ يُعيدُ عليك السُّرورا
بكاسٍ بِكَفٍّ خلُوبِ اللّحا ظِ تَخلُبُ شُرَّابَها والمُديرا
إذا هـو عايَنَهـا بالمِـزاجِ رأى غُدرَها لـهَباً مُستَطيرا
تُشيرُ إليكَ بهـا كَفُّـهُ ، وقد مثَّلَتْ لك كِسرى مُشيرا
بحُلَّةِ وَرْدٍ ، إذا رَدَّهـا على الشَّرْبِ عاوَدَها مُستَعيرا
تَحُفُّ بِها صُوَرٌ لاتزالُ عيونُ النَّدامى إليهنَّ صُورا[5]
فلو أنَّ ميْتاً يُلاقي النُّشورَ ، بِنَشْرِ المُدامَةِ لاقَى النُّشورا

---

1 اعتبر : اختبر وتعجّب .

2 سافره : لعله أراد باراه في السفور ، أي التكشّف .

3 الشُّذُور : اللؤلؤ الصغير ، كناية عن الزهر .

4 أغمضَ السيفَ : أدخله في غِمْده .

5 الصُّوْر الثانية : المائلة نحوها .

وفِكْـرٍ خواطِـرُهُ أُلبسَتْ عُلاكَ من المَجْدِ ثوباً خَطيرا[1]
مَحاسِنُ لو عُلِّقَتْ بالقَتيرِ ، لَـحَسَّنَ عندَ الحِسانِ القَتيرا[2]
إذا ما جَفَت خِلَعُ المادِحينَ عليهنَّ ، رقَّتْ فكانت حَريرا[3]

169

وقال أيضاً يمدحه : [من الكامل]

ما سَرَّهُ أن ذاعَ من أسرارِه ما غَيَّبَ الكِتمانُ في إضمارِه
تأبى العبارةُ عن هواه فينبري جفنٌ يعبِّرُ عنـهُ في استعبارِه
أخفاه بين ضلوعِه ، فجَفَت به حُـرَقٌ تُظاهِـرُه على إظهارِه[4]
أنَّى يكونُ القصْدُ شيمةَ وَجْدِه ، يومَ النَّوى ، والجَورُ شيمةُ جارِه[5]
هل يُنْجِدَنَّ فريقُ نجدٍ بعدَما غارَتْ نجومُ الحُسنِ في أغوارِه
نُهدي التحيَّةَ منهمُ لمحجَّبٍ ، عَبَراتُنـا أبـداً تَحيَّـةُ دارِه
وضعيفِ عَقدِ الخَصرِ رابٍ ردفُهُ ظَلَمَ الجمالَ نِطاقُه لإزارِه
ومُوَدِّعٍ ظَفِرَتْ يَداه بمهجتي ، فمضَى ونَضْحُ دمي على أظفارِه
أقصرْتُ عن ذِكرِ السُّلُوِّ ، وقصَّرَت هِمَمُ العذولِ ، فَزادَ في إقصارِه
وغَنِيتُ بالساقي الأَغَنِّ ، لأنه وِزْرٌ يَزيدُ الصبَّ من أَوزارِه
ظَفِرَتْ يَداهُ بمُهجَةِ الدَّنِّ الذي غَبَرَتْ وديعةُ صدرِه وصِدارِه[6]

---

1 الخطير : الرفيع القدر .
2 القتير : الشيب .
3 جَفَا الثوبُ : غَلُظَ .
4 تُظاهره : تُعاونه .
5 القصد : الاستقامة ، نقيض الإفراط .
6 غبرت : مضت . الصدار : قميص يُغَشِّي الصدر بلا كمَّين .

فصباحُها من ليلِه ، ونسيمُها   من تُربه ، وعقيقُها من قارِه[1]

قلْ للعذولِ إليكَ عن ذي عُـدَّةٍ   ما ثارَ إلا نالَ أبعدَ ثارِه

صِلُّ القَريضِ إذَا آرْتَـوَتْ أَنْيَابُه   من سُمِّه قَطَرَتْ على أشفارِه

لو أنَّه جارى عتيقَي طَيٍّءٍ   في الحلْبَتَيْـــنِ تَبرقَعـا بغُبارِه[2]

مازالَ يُنجِدُهُ ابنُ فَهدٍ ناصراً ،   حتى أعادَ الدَّهرَ من أنصارِه

جاورْتُ منه غَزيرَ جَمَّاتِ النَّدى ،   والبحرُ يُغْني جارَه بجِوارِه[3]

وأغرُّ ما طلَعَتْ أسِرَّةُ وَجْهِه ،   إلا استسرَّ البدرُ قبلَ سَرارِه[4]

مثلَ الشِّهابِ محرِّقاً أو كاسفاً   ظُلَمَ الخُطوبِ بنورِه أو نارِه

أو كالـحُسامِ ، إذا مضَى في مَشهَدٍ   شَهِدَتْ مَضارِبُه بعُتْقِ نِجارِه

أو كالرَّبيعِ الطَّلْقِ واجهَ قَطْرُه   وجهَ الثَّرى ، فاخضرَّ من أقطارِه

خُلْقٌ ، سهولُ المَكرُماتِ سهولُه ،   وتوعُّرُ الأيَّـــامِ من أوعارِه

إن لاحَ ، فهو الصُّبحُ في أثوابِه ؛   أو فاحَ ، فهوَ الرَّوضُ في نُوَّارِه

نَزَلَتْ على حُكْمِ القَنا أعداؤُهُ ،   لمَّا أشارَ إليهـــمِ بِشَرارِه

وارتدَّ مَنْ جَاراه مُضمِرَ حسرةٍ ،   لمَّا جرَى للمَجـدِ في مِضْمارِه

عَزْمٌ يَذُبُّ عن العُلا بذُبَابِهِ ،   أبداً ، ويَحمي عِزَّها بغِرارِه[5]

ومكارِمٌ تُـعْلي ذُرى أطوادِه   في الأزدِ ، أو تُـذْكي سَنا أقمارِه

يا خِيرةَ المجدِ الذي وَرِثَ العُلى   من فَهْدٍ آلأدنى ، ومن مُختارِه

---

1 عقيقها : أراد لونها الأحمر ، وهي مهجة الدنّ أي الخمرة . القار : الزفت ، وأراد : الدنّ المطليّ بالقار .

2 عتيقي طيّء : البحتري وأبو تمام .

3 جمَّات ، مفردها جمَّة : البئر الكثيرة الماء .

4 سَرَار القمر : اختفاؤه ليلة أو ليلتين .

5 ذباب السيف : طرفه الذي يضرب به . غرار السيف : حدّه .

بَكَرَ الثَّناءُ عليك ، فاخلَعْ عُونَه ، والبَسْ جديدَ الحَلْيِ من أبكارِه[1]
واسلَمْ ، فقد سَلِمَتْ خِلالُكَ كلُّها من عُرِّ أخلاقِ اللئيمِ وعارِه[2]
وتَحلَّها من عائذٍ بك ، واثقٍ دهراً ، سهامُ الظُّلمِ في أوتارِه
ألبَسْتَه بُـرْدَ الغِنـى ، وسَلَلْـتَه من عُدْمِه ، فانسلَّ من أطمارِه
قد كان هِيضَ جَناحُه ، فجَبَرْتَه بنَداكَ ، حتّى طارَ في أوطارِه[3]
فجفَى المَواطِنَ والأحِبَّةَ ناسياً مَنْ لا يُفيقُ ، الدَّهرَ ، من تَذْكارِه
لولا ربيعُ نَوالِكَ الغمرِ النَّدى ، ما كانَ يَذهَلُ عن ربيعِ ديارِه
نشرَ الثناءَ ، فكانَ من إعلانِه ، وطوَى الودادَ ، فكانَ من أسرارِه
كالنَّخلِ يُبْدي الطَّلْعَ من أثمارِه ، حيناً ويُخفي الغَضَّ من جُمَّارِه

170

وقال يتظلَّم إليه من الخالديَّين والتَّلْعَفْري وقد ادَّعوا شيئاً من شعره :
[من الطويل]

هَلِ الصَّبرُ مُجْدٍ حينَ أدَّرِعُ الصَّبْرا ، وهل ناصرٌ للشِّعْرِ يُوسِعُه نَصْرا
تَحَيَّفَ شِعْري ، يا ابنَ فهدٍ مُصالِتٌ ظلومٌ ، فقد أُعدِمْتُ منه ، وقد أُثرَى[4]
وفي كلِّ يومٍ ، لِلْغَبِيَّيْنِ ، غـارَةٌ تُـرَوِّعُ ألفاظي المحجَّلةَ الغُرَّا[5]
إذا عَنَّ لي مَعنىً تَضاحَكَ لَفظُه ، كما ضاحَكَ النُّوَّارُ في رَوْضِه الغُدْرا
غَريبٌ كَسَطرِ البَرْقِ لَمَّا تبسَّمَتْ مَخائِلُه للفِكْرِ أودَعْتُه سَطرا

---

1 العون ، مفردها العوان : ما كان في منتصف السنّ من كل شيء ، استعاره لشعر المدح .
2 العر : الجرب .
3 الأوطار : الحاجة والبُغْية .
4 المصالت : الذي يأخذ بيتاً لغيره لفظاً ومعنى ، وهذا من أقبح السرقات الشعرية .
5 المحجَّلة : المشهورة .

فوَجهٌ من الفتيانِ يمسَحُ وَجهَه ؛ وصَدْرٌ من الأقوامِ يُسكِنُهُ صَدْرا
تناوَلَهُ مُثْرٍ من الجَهْلِ مُعْدِمٌ من الحِلْمِ ، معذورٌ متى خَلَعَ العُذرا[1]
فبعَّدَ ما قَـرَّبْـتُ منه غَباوَةً ، ورَدَّدَ ، ما سهَّلْتُ من لَفْظِهِ ، وَعْرا
فمهلاً ، أبا عثمان ، مهلاً ، فإنَّما يَغارُ على الأشعارِ مَنْ عَشِقَ الشِّعْرا[2]
لَأَطفأتُما تلك النُّجومَ بأسرِها ، ودنَّستُما تلكَ المَطارِفَ والأُزْرا
فوَيحَكُما ! هلاَّ بِشَطْرٍ قَنِعتما ، وأبقَيْتُما لي من مَحاسِنِها شَطرا ؟
لَئِنْ وَتَرتْ كَفِّي سعيدَ بنَ هاشِمٍ ، فقد نالَ من شِعْري بغارَتِه الوِترا

171

وقال يمدح الأمير سيف الدولة أبا الحسن علي بن عبد الله : [من الكامل المرفّل]

أَمِنَ المُدامَةِ تَنْثَني سُكْرا ، أَم قد سقَتْكَ جُفونُها خَمرا ؟
نثرَتْ فَرِيدَ الدَّمْعِ حينَ رَأَتْ صَبّاً يُقادُ إلى الرَّدى نَثرا
إنَّ الوَداعَ ، وإن سَعِدْتُ بِه ، لَيَزيدُ كامنَ لوعتي حَرَّا
لمَّا رَأَتْ للبَيْـــنِ رائِعَـــةً تَطْوي الوِصالَ ، وتَنشُرُ الهَجْرا[3]
ضاقَتْ بأدمُعِها الجفونُ كَما ضاقَ المودِّعُ بالـهَوى صَدْرا
وإذا رَأَيْتَ نوالَهم ثَـمَداً ، فالحظْ بينَ طِلابِكَ البَحرا
اكفُفْ يَدَيْكَ عَنِ اللِّئامِ ، ولو أُضحَتْ يَداكَ من الغِنى صِفْرا
وإلى الأميرِ سرَيْـتُ مُرتَدياً بعزيمَةٍ تَدَعُ الدُّجى فَجْرا
وأَغَرَّ نهدٍ لو طَلَبتُ به شأوَ الجنائبِ بَذَّها حُضْرا[4]

1 أراد : خلع العذار : أي ترك الحياء .
2 أبو عثمان : هو سعيد بن هاشم الخالدي .
3 رائعة ، من راع : فَزِع .
4 النَّهْد : الفرس الحسن الجميل الجسيم . الجنائب : الخيول . الحُضْر : الجري .

طِرْفاً ، إذا ما اختالَ ، خِلْتَ به　　صَلَفاً من الإعراضِ ، أو كِبْرا
يُنْسيكَ صِبغُ أديمِه الخَمرا ؛　　وتُريكَ غُرَّةُ وَجْهِه البَدْرا
لا يستَقِــرُّ كأنَّ أربعَـــه　　فُرْشٌ يَطَا من تَحتِها الجَمرا
وكأنَّه ، لمّا آكتسى عَرَقاً ،　　ورَقُ الشَّقائقِ يَحمِلُ القَطرا
يجري ، ويَعطِفُه العِنانُ ، كما　　عُطِفَ القَضيبُ ، وقد غدا نَضْرا
حَمَدَ العُفاةُ ، فطالَ حمدُهمُ ،　　بنَدى الأميرِ عليٍّ الدَّهرا
أدنَى المَكارِمَ ، وهيَ نازِحَةٌ　　بالجودِ منه ، وشرَّدَ العُسْرا
نشَرَتْ له غُرُّ الصَّنائعِ في　　شَرقِ البلادِ وغربِها ذِكْرا
والنَّوْرُ ، إن جادَ الغَمامُ به ،　　حمَلَتْ له ريحُ الصَّبا نَشْرا
يَلقاهُ راجي الجُودِ مُبْتَسِماً ،　　سهْلَ الخلائقِ لابِساً بَدْرا
عَزَماتُه ، في كلِّ مُظلِمَةٍ ،　　سيفٌ يُضيءُ البدوَ والحَضرا
يقظانُ ينتجعُ الحتوفَ وقد　　جعَلَ السَّبيلَ إلى العُلى الصَّبرا[1]
في فِتيَةٍ ، جعلوا مَعاقِلَهم　　بيضَ الصَّفائحِ والقَنا السُّمرا
يَرِدُ النَّدى وِرْدَ الظِّماءِ على　　نَهَلٍ يُبَرِّدُ منهمُ الحرَّا
بمُثَقَّفاتٍ يُحتَمَلْنَ ، وقد　　حمَلَتْ نُجوماً في الوَغى زُهرا
وصَوارمٍ خُضْرٍ مَضارِبُها ،　　تَكْسو الرِّجالَ عَمائماً حُمْرا
فكأنَّ أطرافَ القَنا حَدَقٌ　　تَرنُو إلى مُقَلِ العِدا شَزْرا
وكأنَّ سابِغَةَ الدُّروعِ ضُحىً　　غُدْرٌ تَمرُّ بها الصَّبا مَرَّا
قَومٌ ، إذا آسْوَدَّ الزَّمانُ غَدَتْ　　أَيمانُهُـــم بفِعالِهِـــم غُــرَّا
سادوا ، وسادَهمُ أبو حَسَنٍ　　بِعُلىً تَزينُ النَّظمَ والنَّثرا
مَلِكٌ ، إذا استُلَّتْ صَوارِمُه ،　　ذهَبَتْ دماءُ عِداتِهِ هَدرا

---

1 ينتجع الحتوف : يأتيها .

ظَلَمَ العِدا والمالَ ، حين سَطا بأساً ، وأتبع نائلاً غَمْرا
لازالَ يَظلِمُ في سَطاه وفي نَفَحاتِـه الأعداءَ والوَفرا

172

وقال يمدح أبا شجاع منكلان ويهنئه بولده أبي الفتح ويذكر ولايته الحديثة[1] : [من الكامل المرفّل]

غَضبانُ ينساني ، وأذكرُه ، ويَنامُ عن ليلي ، وأسهرُه
وبجَـوْرِه ما صارَ مُورِقُـه حظّي ، وحظٌّ سوايَ مُثمِرُه
وكفَى الهَوى لو كان مُكتَفياً ، ما رحتُ أُضمِرُهُ وأُظْهِرُه
لم يقتسِمِ في العاشقين أسىً ، إلاَّ وقِسمي منـه أوفـرُه
فأطيحُ في نَفَسٍ أُصعِّدُه ، وأعومُ في دَمْعٍ أُحدِّرُه[2]
وسميرِ نجمٍ لا بَراحَ له ، وكأنَّمـا مَلِكٌ يُسَمِّـرُه
ومهفهَفٍ هفَتِ العقولُ به شَغَفـاً ، تخيَّرَهُـنَّ أحـورُه
إن لم يكن وهبَ الغزالُ له لَحَظـاتِ مُقلتِـه فجُؤذُرُه
وافَى بخَمرَتِه وناظرِه ، بالفَتْرِ يُسكِرُهـا وتُسكِرُه[3]
حمراءَ كالياقوتِ صافيةً ، ومعظَّـمُ الياقـوتِ أحمرُه
فهي التي عَصَرَتْ لقَاطِفِها عُنقودَها من قبلُ يَعْصِرُه
في كأسِه كسرى يقابِلُه من خَلْفِ سِترِ الرَّاحِ قَيصَرُه
فكأنَّها نارٌ هُما حِصَبٌ لحريقِهـا العالـي يُسَعِّرُه[4]

---

1 أبو شجاع منكلان : أحد ولاة الدولة الحمدانية . الحديثة : مدينة عراقية كانت تابعة للحمدانيين .

2 أطيح : أهلك . أُحَدِّرُه : أسكبه .

3 الفتر : الضعف والفتور .

4 الحصب : كل ما يُرمى في النار لتشتعل .

أصلَى لها هذا تَمَجُّسُه ، وأَحَلَّهـا هـذا تَنصُّرُه
في زاهرٍ عَبِقٍ تَضوُّعُه ، فكأنّ عطّـاراً يُعَطِّـرُه
ضاهَى مُسَّكَه مُعَنبَرُه ، وحكى مُدَرهَمَـه مُدَنَّـرُه
وحكى غديراً غادرَتْه لنا خُضْرُ النباتِ يرُفُّ أخضرُه
صافٍ تمُدُّ الرِّيحُ خُطوتَها ، ويَفيضُ فيه ، فلا تكدِّرُه
مثلُ الرِّداءِ يُكَفُّ ، صانِعُه يَطويـهِ أحيانـاً ويَنشُرُه[1]
شادَ الأميرُ بناءَ مَكرُمَةٍ ، لا يستطيعُ النَّجمُ يَعْشِرُه[2]
وَسَمَا به الكرَمُ الذي شَرُفَتْ فيـه أسِرَّتُـه ومِنبَـرُه
وكأنَّ قُدْساً ، أو مَتالِعَه ، وهبَ الوَقارَ له تَوَقُّرُه[3]
ومَغيمُ يومِ السُّخطِ مُظلِمُه ، ومُضيءُ ليلِ البِشْرِ مُقْمِرُه
وكأنَّه في الغَيْبِ مُطَّلِعٌ للأمْـرِ يُـورِدُهُ ويُصْـدِرُه
وإذا الأناملُ أُرْعِشَتْ حذَراً ، فشِفاءُ من عَلِقَتْهُ خِنصَرُه
وإذا تَلَجلَجَ قائلٌ حَصَراً ، وأمـاتَ حجَّتَـه تَحَيُّرُه
فَتَقَ المَسامِعَ بالصَّوابِ ، ولم تُنْجِـدْ بَديهتَـه تفَكُّـرُه
من حيث لا معنىً يُعَقِّدُه عَيّـاً ، ولا لفظٌ يُكدِّرُه
فمَتى أرادَ الجَحْدَ حاسِدُه شَهِدَتْ غَمائمُـهُ وأبحُـرُه
وإذا طَمَى في البَرِّ بحرُ وغىً لا شَيءَ ، إلا السَّيفَ ، مَعبَرُه
أبصرْتَ عسكرَ نجدةٍ بحَيـاً منه ، إذا ما شامَ عَسكَرَه
حيثُ الظُّبا بالهامِ عاثِرَةٌ ، والصُّبحُ مثلُ اللَّيلِ عِثْيَرُه[4]

---

1 كَفَّ الثوبَ : خاط حاشيتَه خياطة ثانية بعد الشّلِّ .

2 يعشره : يزيد عليه عشراً .

3 قدس : جبل عظيم بنجد . المتالع : ما علا من الأرض ، مفردها متلع .

4 العِثْيَر : الأثر الخفي .

يُرْدي العِدا بالضَّرْبِ أبيضُه ، ويُبيدُهُم بالطَّعْنِ أسمرُه
سِربُ الحَديثةِ مُنْذُ صِينَ به في مأمنٍ ممَّن يُنفِّرُه
إن زادَ عنها ما يُرَوِّعُها ، فالغابُ يدفعُ عنه قَسْوَرُه[1]
فَلْيَحْيَ في ظَفَرٍ وعاشَ له في نَعمَةٍ أبداً مُظفَّرُه[2]
ولَدٌ علَتْ بَركاتُ مَولِدِه سَعْداً ، وطهَّرَه مُطَهِّرُه
ضاهى أباه سماحةً وحِجًى ، وحكاه مَرآه ومَخبَرُه
أأبا شجاعٍ يا عَقيدَ ندًى ، كَرُمَتْ أُرومَتُه وعُنصرُه
اللهُ يعلمُ كيفَ أحْمَدُ ما أولَيْتَنيه ، وكيفَ أشكرُه
ونَداكَ لا تُنسى مَواعِدُه كَرَماً ، فما أحتاجُ أذكُرُه
لكنَّ إحساناً تُقدِّمُه أولى به ممّا تؤخِّرُه
ومَدَاكَ إن جادَ المَداءُ بهِ غَمْرَ الثناءِ ، نداكَ يغمُرُه[3]

173

وقال يمدح أبا إسْحَاقَ إبراهيم بن هلال الصابي ويستهدي منه بخوراً :
[من مجزوء الرمل]

يا أبا إسْحَاقَ زادَ الـ ـلهُ في حُسْنِ حُبورِكْ
وغَدا شانيك ذا هَمْـ ـمٍ طويـلٍ بِسُرورِكْ
عمَّـرَ اللهُ بِطُـلاًّ بِ النَّدى أبوابَ دُورِكْ
أشرَقَ الدَّهرُ ، وما إشـ ـراقُـه إلاَّ بِنُـورِكْ

---

1 القَسْوَر : الأسد .
2 النعمة : رغد العيش .
3 قوله : المداء : هكذا في الأصل ، ولعله مدّ المدى لاستقامة الوزن ، وهو جواز شعريّ غير مستحبّ .

وأرى الأيامَ لا تَبْـ ـخَلُ إلاَّ بنَظيرِكْ
قلتُ للحاسِدِ : صبراً ، إذ نوَى نَيلَ صَبيرِكْ[1]
أنتَ غَيْثٌ لمواليـ ـكَ ، ولَيثٌ لـمُثيرِكْ
فالوَرى في بَرْدِ آصا لِكَ ، أو حَرِّ هَجيرِكْ
لا يُنَبِّي عن مَعاليـ ـكَ الورى مثلُ خبيرِكْ
شِدْتَ عَلياكَ بتَغليـ ـسِكَ فيها وبُكورِكْ[2]
ظاهراً للحمدِ تُنبيـ ـهِ على بُعْدِ ظَهيرِكْ
كَيْفَمَا جرَّدْتَ أقلا مَكَ أغنَتْ عن ذُكورِكْ[3]
فكأنَّ الدَّهرَ قد سَطْـ ـطَرَ ما بينَ سُطورِكْ
بِدَعٌ ترتَعُ منها الـ ـعينُ في وَشْيِ حَبيرِكْ
حسْبُنا من جُودِكَ الغَمْـ ـرِ ، ومن فَيضِ بُحورِكْ
قد أتانا منه ما زا دَ على شُكْرِ شُكورِكْ
بينَ صُفْرٍ من دنانيـ ـرِكَ ، أو صُفرِ خُمورِكْ
فاشفَعِ العُرْفَ بِعَرْفٍ تَرتضيه من بَخُورِكْ
وَٱبْقَ لا أَقصرَ صوبُ الـ ـمُزْنِ عن فِيحِ قُصورِكْ

174

وقال : [من الطويل]

أبا جعفرٍ كانت يداكَ سَحائباً ، تَفيضُ على الرَّكْبِ العُفاةِ غِزارُها

---

1 الصبير : الجبل استعاره للعلى .

2 التّغليس : السير في ظلمة الليل .

3 ذكورك : سيوفك .

فما للنَّدى قد سُدَّ منك سَبيلُهُ ، وما للمَعالي عُطِّلَتْ منك دارُها
لقد قبضَتْ كَيْدَ المَكارمِ كفُّه ، وقَلَّ على رُغمِ العُفاةِ غِزارُها[1]
فأظلمَتِ الآفاقُ بعدَ محمدٍ ، فسِيَّانِ منها ليلُها ونَهارُها

175

وقال يمدح الموصل ويذكر حاله فيها : [من الوافر]

شَبابُ المَرءِ ثَوبٌ مُستعارُ ، وأيامُ الصِّبا أبداً قِصارُ
طوَى الدَّهْرُ الجديدَ من التَّصابي ، وليسَ ، لِمَا طوى الدَّهرُ ، انتشارُ
ولم نُعْطَ المُنى في القُرْبِ منه ، فكَيفَ بها ، وقد شَطَّ المَزارُ
صدودٌ في التَّقارُبِ ، واجتِنابٌ ، وشوقٌ في التَّباعُدِ وادِّكارُ
يَطولُ ، إذا تَقاصَرَتِ اللَّيالي ، ويقرُبُ ، إنْ تباعَدَتِ الدِّيارُ
لَحى اللهُ العِراقَ وساكِنيهِ ، فما للحُرِّ بينَهُمُ قَرارُ
وجادَ المَوصِلَ الغرَّاءَ غَيْثٌ يَجودُ ، وللبروقِ به انسفارُ
كما انهلَّتْ مَدامِعُ مُستَهامٍ تلهَّبُ منه في الأحشاءِ نارُ
ففي أيامِها حَسُنَ التَّصابي ؛ وفي أفيائِها خُلِعَ العِذارُ
ليالِيَ كان لي في كلِّ يومٍ إلى الحاناتِ حَجٌّ واعتمارُ
فعَنْ ذِكرِ القيامَةِ بي صُدودٌ ؛ وعن ساحِ المساجدِ بي نِفارُ
ولي خِدْنانِ همُّهما المعالي ، وشأنُهما السَّكينةُ والوَقارُ
وساقٍ تَضحَكُ الدُّنيا إليه ، إذا ضَحِكَتْ بِكَفَّيْهِ العُقارُ
يَطوفُ بها ، وقد حَمَلَتْ حَباباً ، كما حملَ السَّقيطَ الجُلَّنارُ[2]

---

1 الكيد : الحيلة ، وربما كانت هذه اللفظة محرَّفة .

2 السَّقيط : الثلج المتساقط .

كأنَّ الشَّرْبَ ينتهبونَ ناراً لها لَهَبٌ ، وليس لها شَرارُ
رأى الدهرُ اجتماعَ الشَّمْلِ مِنّا ، فشتَّتَه ، وللدَّهرِ الخِيَارُ
وبَدَّلَنـي بأخـدانِ المعـالي أُناساً فِعلُهُم شَيْنٌ وعَارُ
مَشَاجِبُ لستُ أغشاهُم ، ولا لي من الأيامِ بينَهُمُ انتصارُ[1]
هم شجرٌ من التمويهِ أكدَى ، فلا ظِلٌّ لدَيْهِ ، ولا ثِمارُ[2]
فمغبوطٌ ، وليسَ له عَشاءٌ ؛ ومَحسودٌ ، وليس له دِثارُ
ومقصورُ النَّدى قَصُرَتْ يَداه ، فلا نَفعٌ لَدَيْهِ ، ولا ضِرارُ
ومعتصِبٌ بتاجِ المُلكِ فيهِ إلى مَنْ رامَ نائلَهُ افتقارُ
أسيرٌ في يدِ الأيامِ راضٍ بما يجري به الفلَكُ المُدارُ
إذا حكَمَ العبيدُ عليه فاضَتْ ، لفَرْطِ الذُّلِّ ، أدمُعُه الغِزارُ
فما يَخْشى سَطاه ، الدهرَ ، جانٍ ؛ ولا يَرجو نَداه ، الدهرَ ، جارُ
أَأَقعُدُ بالعراقِ أسيرَ دَهْرٍ ، غريباً لا أزورُ ولا أُزارُ
وفي غَربيِّ دِجلةَ لي محلٌّ جِوارُ المَكرُماتِ له جِوارُ
وسيِّدُ مَعشَرٍ كَرُموا وسادوا ، يُجيرُ على الخُطوبِ ويُستَجارُ
يَهُزُّ على النوائبِ منه عَضباً حُساماً ، لا يُفَلُّ له غِرارُ
له من جَوهَرِ الآدابِ حَلْيٌ ، وللأسيـافِ حَلْـيٌ مُستَعـارُ
تَشبَّهَ في الفِعالِ به أُناسٌ ، وأنَّى يُشبِهُ الشَّبَهَ النُّضارُ
جلَتْ عَزَماتُه نُوَبَ اللَّيالي ، كما يجلو دُجى اللَّيلِ النَّهارُ
وشادَ المجدَ بالأفضالِ حتَّى تناهَى في العُلوِّ به الفَخارُ
فما فيه عن المعروفِ مَنعٌ ؛ ولا فيه عن الحَمْدِ آزوِرارُ

1 مشاجب ، مفردها مِشْجَب : خشبة تُعَلّق عليها الثياب ، شبّه بها الناس الخاملين .
2 أكدى : بَخُل في العطاء ؛ أَجْدَبَ .

176

وقال يهجو الخالديَّين : [من الرجز]

للخالديَّينِ جَمالُ مَنْظَرِ ، وبِزَّةٌ تَملأُ عينَ المُبصِرِ[1]
والعارُ في فِعلِهما المُشهَّرِ ، تَشابَهَا في مَنْظَرٍ ومَخبَرِ
واشترَكا إلى المماتِ في حَرِ ، يَحرُثُهُ جَدُّ فَدانِ الأصغرِ[2]
والزَّرْعُ إن تَمَّ به ، للأكبَرِ ، أقول ، إذْ هَمّا بأمرٍ مُنكَرِ
وراءَ سِترٍ لهما لم يُستَرِ ، واعتَفَرا ظَبْيَ الصَّريمِ الأعفَرِ[3]
واقتَسَما باللَّحظِ في المُعَجَّرِ ، وجَمَّشا الوَردَ بِوَرْدٍ أحمَرِ[4]
ولَعِبَتْ أيديهما في القَرقَرِ ، أيُّهما بَعْلُ الغَزالِ الأحوَرِ ؟[5]
أصاحِبُ الشَّيْبَةِ لم يُغَيَّرِ ، أم الخَضيبُ ، ذي الصِّبا المُزَوَّرِ
وكم قَبيحٍ لَهُما مُستَّرِ ، في كلِّ مَبْدى نازحٍ ، ومحضَرِ
يُسفِرُ عن ضِدِّ الصَّباحِ المُسْفِرِ ، وذاتِ وَجْهٍ كَصَفا المُشقَّرِ[6]
لو رَضَّهُ الحافِرُ لم يُؤَثِّرِ ، خُلَّةُ بَعلَينِ وخُلٍّ مُضْمَرِ[7]
يُعْجِبُها وَقْعُ خَرابِ البَرْبَرِ ، وهْيَ مُعَنّاةٌ بكلِّ أسمَرِ[8]

---

1 البزّة : الثياب . أي ليس للخالديَّين إلا جمال منظر وجمال ثياب ، وما عدا ذلك فهم عراة منه .

2 الحر : فرج المرأة . الفدان : الثوران يقرن بينهما للحرث .

3 اعتفرا : واثبا . الصَّريم : القطعة من الرمل . الأعفر : نوع من الظباء وهو أضعفها عدداً ، ولونه كلون التراب .

4 المعجّر : المعتمّ ، اللابس العمامة . جمّشا : قرصا ولاعبا .

5 القرقر : الأرض الليّنة المطمئنة ، ولعله أراد بها القرقرة ، وهي جلدة الوجه ومحاسنه .

6 صفا : حجارة . المشقر : حصن بالبحرين .

7 الخلة : الصديقة . الخل : الصديق .

8 معنّاة : متعبة ، مكلّفة ما يشقّ عليها .

أَحِينَ أَضحى شَيْبُها كالمِغْفَرِ ، وجاوَزَتْ عَصْرَ الفتاةِ المُعْصِرِ[1]

حَنَّتْ إلى كُلِّ قُمُدٍّ أَعْجَرِ ، فعَنْبَرَتْ شَيْئاً كَلَوْنِ العَنْبَرِ[2]

ولَبَّةً في لَبَبٍ مِنْ جَوْهَرِ ، وجَلَسَتْ بينَ غُثا ، وأغثَرِ[3]

فشَرِبا ، من ثَغرِها المُؤَشَّرِ ، ريقاً كريقِ النَّحْلَةِ المُزَعْفَرِ[4]

وجاذَبا مِئزَرَ بَسْلِ المِئزَرِ ، فَلَقِيا شِنِّيرَها بِقَنْبَرِ[5]

طِعانُ يومٍ ضاحكٍ مُستَبشِرِ ، لم تَعثُرِ الخيلُ بهِ في عِثْيَرِ[6]

يَنسى به المطعونُ فَرْطَ المُنكَرِ ، ولو حَكَت عِرْسَ الضَّرِيرِ الأبخَرِ[7]

وزوجَةُ ابنِ العَصَبِ المحكَّرِ ، وهي وَقُودُ النَّارِ يومَ المَحشَرِ[8]

وكيفَ للأعمى بحَظٍّ الأعوَرِ ، مَعَرَّةٌ لو فاضَ ماءُ الكَوْثَرِ ،

وانهلَّ حنَّانُ الغَمامِ المُمْطِرِ ، وبرَقَتْ لُجَّةُ بَحرٍ أخضَرِ[9]

حتى ترى ساحةَ بَرٍّ أقفَرِ على الذي هُما به لم يَطْهَرِ

إنّي على سَلْبِكُما لَمُجتَري ، وفي الذي أَطلقْتُ غيرُ مُقتِرِ[10]

---

1 المعصر : التي أدركت .

2 القمدّ : الغليظ الشديد . الأعجر : العظيم البدن ، الممتلىء جداً .

3 اللبّة : موضع القلادة من العنق . اللبب : المنحر . الغثا ، مخففة عن الغثاء : الرذل من الناس وسقطهم . الأغثر : السافل من الناس .

4 المؤشر : المحدد الأطراف .

5 البَسْل : المحرّم . الشنّير : السيء الخلق ، الكثير الشر والعيوب . قنبر بالفتح : اسم رجل ، وبالضم : فضل الريش الذي على رأس الطائر ، ولم ندرك ماذا أراد الشاعر .

6 العثير : غبار الحرب .

7 الضرير : الأعمى . الأبخر : المنتن الفم .

8 المُحَكَّر ، من حَكَرَه : أساء عشرته .

9 حنّان الغمام : رعّاده .

10 السلب : الهجاء . المقتر : البخيل .

فاستمعا حَسناءَ لو لم تُهْجَرِ ، حَلَّى بها الخَاطبُ جِيدَ المِنبَرِ

177

وقال يمدح أبا نصر ابن سنيدا كاتب أبي المرجَّى : [من الطويل]

نوالُ أبي نصرٍ ، على الدَّهرِ ، ناصرُ وَفَتْ لي به الأيامُ وهيَ غَوادِرُ

نَظَمْنا له دُرَّ الكَلامِ ، وإنَّما يُنظِّمُ في الأشعارِ ما هو ناثرُ

أَغرُّ ، إذا ما الحادثاتُ تَنكَّرَتْ تَبلَّجَ لي معروفُه ، وهو سافِرُ

وهل يتعدَّى الحادثُ النُّكرُ أمرَه ، وفي كَفِّهِ للدَّهرِ ناهٍ وآمِرُ[1]

من الرُّقشِ ، أعلاهُ سِنانٌ مذرَّبٌ ، وأسفلُه عَضبُ الغِرارَينِ باترُ[2]

ولم أرَ سيفاً يرتدي الوَشْيَ قبلَه ، وتُنثَرُ عندَ الهَزِّ منه الجَواهِرُ

فلا راكباً في ظُلمَةِ اللَّيلِ سائراً مطيَّتُه بحرٌ من الخَوفِ زَاخِرُ

ولا مُفرداً يَثني الكتائبَ بأسُهُ ، ويرتاعُ منه دارِعٌ ، وهو حاسِرُ

يُريكَ العطايا والمَنايا ، إذا جَرى ، لوامعَ في الوَشيِ الذي هو ناشرُ

ولما أتتني من يدَيْكَ صنيعةٌ ، شكرْتُك إني للصَّنائعِ شاكرُ

وأحسنُ مَنْ يُجزى على الحمدِ كاتبٌ يُسَربِلُهُ وَشيُ الفَصاحَةِ شاعرُ

يَمُتُّ إليكم بالقَرابَةِ ، إنَّنا عَشائِرُ قُربى حينَ تنأى العشائرُ

أبونا أبو اللَّفظِ البديعِ عُطارِدٌ ، تَجيشُ له بالمُعجزاتِ الخَواطِرُ

تُفرِّقُنا الأنسابُ في كلِّ مَجمَعٍ ، وتجمَعُنا الآدابُ ، وهي أواصِرُ[3]

أرى حاجتي لم يَنأَ منها أوائلٌ ، فكيفَ نأى منها عليَّ الأواخِرُ

---

1 النُّكْر : الأمر الشديد القبيح .

2 الرقش ، مفردها أرقش : المنقَّط بسواد وبياض . المذرَّب : المحدد .

3 الأواصر ، مفردها آصرة : القرابة .

وما الذَّمُّ للأيامِ ذنباً لأنّه   بأمرِكَ يجري صرفُها المتواتِرُ
ولا أظلِمُ المِقدارَ في بُعْدِ حاجَةٍ   تَمَسُّكَ ، والأقلامُ فيها المَقادِرُ

178

وقال في ترك الخضاب : [من المتقارب]

إذا الشَّيبُ باعدَ بين القلوبِ ،   فليسَ بمُجْدٍ تَداني الدِّيارِ
سكَنْتُ إلى شمسِه كارِهاً ،   وقد كنتُ من نَجمِهِ ذا نِفارِ
وزَهَّدَني عارُها في الخِضابِ ،   فجانَبْتُ زُورَ الشَّبابِ المُعارِ
وسرَّحْتُ للشَّعْرِ بالآبَنوسِ ،   فسرَّحْتُ بالعاجِ شَيبَ العِذارِ
أُلاقي الظلامَ بمثلِ الظَّلامِ ،   وألقى النهارَ بمثلِ النَّهارِ

179

وقال يصف المغزل : [من الطويل]

وأجردَ يسعى ليلَه ونهارَه ،   وفي وَسْطِهِ عَظْمٌ يُقَوِّمُ سَيْرَه
وما جارَ فيما سارَ قَدرَ قُلامَةٍ ،   ولكنَّهُ يَشقَى ويَستُرُ غيرَه

180

وقال يهجو الخالدي ويتّهمه بسرقة شعره : [من السريع]

لا بُدَّ مِنْ نفثَةِ مَصْدورِ ،   فحاذِروا صَوْلَةَ مَحذورِ[1]
قد أنْسَتِ العالَمَ غاراتُه   في الشِّعرِ غاراتِ المغاويرِ
أثكَلَني غِيدَ قَوافٍ غَدَتْ   أبهى من الغِيدِ المَعاطيرِ

---

1 المصدور : المصاب بصدره .

أطيَبَ ريحاً من نسيمِ الصَّبا ، جاءَتْ بِرَيَّا الوَرْدِ من جُورِ[1]
من بعدِ ما فَتَّحْتُ أنوارَها ، فابتسمَتْ مثلَ الأزاهيرِ
وباتَ فِكري تَعِباً بينَها يَنقُشُها نَقْشَ الدَّنانيرِ
يا سارقَ الأغفالِ ما حبَّروا من القَوافي ، والمَشاهيرِ[2]
أعطِ «قِفَا نَبْكِ» أماناً فقد باتَتْ بقلبٍ ، منك ، مَذعورِ

181

وقال يصف الليمون : [من مجزوء الرمل]

واصطبحناها على نهـ ـرٍ بِصَفوِ الماءِ يَجري[3]
ظَلَّلَتْهُ شَجَراتٌ ، عِطرُها أطيبُ عِطرِ
فَلَكٌ أنجُمُهُ اللَّيـ ـمونُ من بِيضٍ وخُضْرِ
أُكَرٌ من فِضَّةٍ قد شابَها تلويحُ تِبْرِ

182

وقال يصف السوسن : [من الرجز]

أُنظُرْ إلى السَّوسَنِ في نَباتِه ، فإنَّه نَبْتٌ عَجيبُ المَنظَرِ
كأنَّهُ مَلاعِقٌ من فِضَّةٍ ، قد خُطَّ فيها نُقَطٌ من عَنْبَرِ

1 جور : مدينة فيروزباد من أعمال فارس ، وإليها يُنسب الورد الجوري ، وهو شديد الحمرة .
2 الأغفال ، مفردها الغفل : الشاعر المجهول .
3 قوله : واصطبحناها : أي واصطبحنا الخمرة : شربناها صباحاً .

183

وقال ينتجز من صديق له تكّةً كان وعده إياها في كل عيد : [من المتقارب]

أَيا شاغلَ الشُّكرِ عن غيرِه ، بما ذاعَ في الناس من شُكرِه
ويا ناصرَ الأدبِ المُستضامِ ، إذا قعدَ النَّاسُ عن نَصْرِه
أرى خِلعةَ العيدِ قد أُغفِلَتْ ، وكانت تَجيءُ على إثْرِه
فجُدْ لي بحَمراءَ إن فَاخَرَتْ جَنى الوردِ أزرَتْ بمُحمَرِّه
وإمّـا بصفراءَ منسوبـةٍ إلى خالصِ التِّبرِ في نَجْرِه[1]
وإمّا ببيضاءَ مثلِ اللُّجَينِ ، تَزيدُ بَياضاً على حُرِّه
إذا ما أخو الكِبْرِ حَلَّى بها سراويلَه زادَ في كِبْرِه
وتَلحَقُ بالأرضِ أطرافُها ، إذا هي دارَتْ على خَصرِه
إذا ما الحسودُ رآها رأى وَميضَ الخناجرِ في نَحرِه
فأنتَ المُوحَّدُ في جُودِه ؛ وأنتَ المُؤَمَّلُ في عصرِه

184

وقال يمازح عبد الكريم المزيّن الموصلي : [من الوافر]

سُيوفُكُمُ ، بحَمدِ اللهِ ، نَفْعٌ إذا كانت سيوفُ الناسِ ضُرَّا
فَلِمْ قَصُرَت ، وأيديكُم طِوالٌ ، تُحكِّمُ في رِقابِ الناسِ طُرّا
وما لفِراخِكم تَبْيَضُّ لوناً ، فإن زَقَّتْ شَآها الزقُّ حُمرا[2]
وما لجريحِكم وِترٌ عليكم ، وكلُّ جِراحةٍ تُعتَدُّ وِترا[3]

---

1 نجره : أصله .

2 زق الطائر : رمى بسلحه . شآها : سبقها ، ولم ندرك المراد بها هنا .

3 الوتر : الثأر .

وربَّ جَريرَةٍ شنعاءَ ساقَتْ إلى مُجترِّها حَمْداً وذِكرا
أرى أفعالَكم أفعالَ عِزٍّ ، فلِمْ أنتم بِفرْطِ الذُّلِّ أحرى

185

وقال يحثّ على الشرب : [من المتقارب]

دُنُـوُّ المُدامَةِ يُدني السُّرورا ، فَصِلْ باغتباقِكَ مِنها البُكورا
فقَد نشرَ الصُّبحُ أعلامَه ، وحانَ لكاساتِها أن تَدورا
تَعَجَّبْتُ من غَفَلاتِ الوَرَى ، وتَركِهِمُ العيشَ غَضّاً نَضيرا
فطائِفَةٌ تَرتَجي جَنَّةَ الـ ـخُلودِ وأخرى تَخافُ السَّعيرا
ألا فَٱسْقِني الخمرَ مشمولةً ، تَصُبُّ على اللَّيلِ صُبحاً مُنيرا
مُوَرَّدَةَ اللَّونِ مِسكِيَّةً ، تُعِزُّ الذَّليلَ وتُغني الفَقيرا
كأنَّ العَقيـقَ بكاساتِهـا تَفُضُّ السُّقاةُ عليها العَبيرا[1]
صَريعُ النَّوائبِ مَنْ لم يكُنْ جَليداً على الهَولِ منها صَبورا
فكُنْ مُوقِناً بِذَهابِ الصِّبا ، ومُغتَنِماً منه دَهْراً قَصيرا
فإنَّ الشَّبابَ لـه مُـدَّةٌ تُفَضُّ ، فتُذهِبُ عنك السُّرورا

186

وقال في صديق له أهدى إليه نِعالاً وقوارير ماء ورد : [من الرجز]

أقررْتُ في شُكرِكَ بالتَّقصيرِ إذ زِدْتَ في البِرِّ على التَّكثيرِ
وجاءَني من سَيبِكَ الغزيرِ مَراكبٌ مُخطَفَةُ الخُصورِ[2]

---

1 تفضّ : تكسر وتنثر .
2 السَّيْب : العطاء . أراد بالمراكب : النعال .

مُسوَدَّةُ الأعجازِ والصُّدورِ سُودٌ عليها رَونَقُ الذُّكورِ
كأنَّما قُدَّتْ من الدَّيجورِ ، ومن نَفيسِ الأَدَمِ المَبشورِ[1]
كلٌّ غريبِ الحُسنِ مستنيرِ أخضرَ مثلِ الشاربِ المَطرورِ[2]
ذي سِمَةٍ مَغموسَةٍ في النُّورِ ، كصفحةِ الدينارِ ذي السُّطورِ
ومُخطَفاتٌ كالعَذارى الحُورِ ، مُشمِّراتُ القُمْصِ كالمَنثورِ[3]
كلُّ فتاةٍ نشأَتْ بجُورِ ، تختالُ في مِدرَعِها القَصيرِ[4]
حاسرةٍ عن أَرَجٍ حَسيرِ ، مثلِ نَسيمِ الزَّهَرِ ، المَمطورِ
تُبرِدُ منه غُلَلَ الصُّدورِ ، أشهى من الوَصلِ إلى المهجورِ

187

وقال في رجل عاب شعره : [من مجزوء الكامل]

قلْ لابنِ حرْبٍ قد جَنَيْـ ـتَ عليك حرباً فاصطَبِر
أنتَ الذي بسقوطِـه يُدعى أبوه أبو العِبَر
لِـمْ عِبْتَ شِعري ، وهو أو ضاحٌ تَبسَّمُ أو غُرَر[5]
أَحُرِمْتَ نَشرَ العَنبرِ الـ ـوَردِ الذي منه آنْتَشَر
أم قد مُنِعْتَ الفِكْرَ فيـ ـه كما مُنِعتَ منَ النَّظَر
إنِي لَأَرحَـمُ شاعـراً حُرِمَ البصيرةَ والبَصر

---

1 الأَدَم : الجلد .

2 المطرور ، من طَرّ شاربُه : طلع .

3 المخطفات : أراد قوارير ماء الورد . المنثور : نبات ذو زهر ذكي الرائحة .

4 المدرع : ضرب من ثياب النساء . جُور : مدينة في إيران .

5 الأوضاح : الضوء وبياض الصبح ؛ بياض القمر .

188

وقال يصف الورد : [من السريع]

لو رَحَّبَتْ كاسٌ بذي أوبةٍ ، لرحَّبَتْ بالوردِ إذ زارَها[1]
جاءَ فخِلناهُ خُدوداً بدَتْ مُضرِمَةً من خَجَلٍ نارَها
كأنما خُيِّـرَ في رَوْضَـةٍ طرائِفَ الكُسوةِ فاختارَها
وعَطَّرَ الدُّنيا فطابت به ، لا عَدِمَت دنياكَ عَطَّارَها
قد خلعَ القَطْرُ جَلابيبَه ، إلا شَظاياهـا وأزرارَهـا

189

وقال يصف يوماً بارداً : [من مجزوء الكامل]

يَومٌ خَلعتُ به عِذاري ، فعَرِيتُ من حُلَلِ الوَقارِ
وَصَبَوْتُ فيه إلى الصِّبا ، والشَّيبُ يَضحَكُ في عِذاري
مُتَلَـوِّنٌ يُبْـدي لنـا طُرَفاً بأطـرافِ النَّهارِ
فَهواؤه سَكْـبُ الرِّدا ء ، وغيمُه صافي الإزارِ[2]
وسماؤه تحبُـو الـرُّبـى بشبيهِ مكنونِ البِحارِ
تَبكي فيجمُدُ ماؤُها ، والبرقُ يَكحَلُهـا بنارِ

190

وقال يصف شمعة : [من المنسرح]

وشَمعَةٍ في يَدِ الغُلامِ حكَتْ عُنْقَ ظَليمٍ بغيرِ مِنْقارِ[3]

---

1 كاس : موضع .

2 السكب : المسكوب على الجسم .

3 الظليم : الذَّكَر من النَّعام .

تبكي ، إذا نارُ شَوقِها اضطرَمَتْ ، بِدَمْعِ تِبرٍ من الأسى جارِي
كأنّها نخلَةٌ بلا سَعَفٍ ، تَحمِلُ أترُجَّةً من النّارِ[1]

191

وقال يستهدي نبيذاً : [من البسيط]

يا مَنْ أنامِلُه كالعارضِ السَّاري ، وفِعْلُه أبداً عَارٍ من العارِ
أما ترى الثَّلجَ قد خاطَتْ أنامِلُه ثوباً يُزَرُّ على الدُّنيا بأزرارِ
نارٌ ، ولكنّها ليسَت بمُبدِيَةٍ نُوراً ، وماءٌ ولكنْ ليسَ بالجاري
والرَّاحُ قد أعوَزَتْنا في صَبيحَتِنا ، بَيْعاً ، ولو وَزنَ دينارٍ بدينارِ

192

وقال يمازح علي بن رستم الجوهري : [من البسيط]

خَيشُ ابنِ رستمَ يَحمى ، وهو ممطورُ ، أخنى الهجيرُ عليه ، فهو مهجورُ[2]
ولو يَطيبُ ، ولو عُلَّتْ شَرائِجُه بالرَّاحِ ، خالطَها مِسْكٌ وكافورُ[3]
يَرُشُّهُ ، والنُّدامى يَعْرَقُونَ به ، كأنّه لدوامِ الرَّشِّ ممطورُ
فإنْ يَكُنْ خيشُه في الحَرِّ مُلتَهِباً ، فإنَّ كانونَه في القُرِّ مقرورُ

---

1 السَّعَف : قضبان النخل المجرّدة من خُوصها . الأُتْرُجَّة : شجر من جنس الليمون تسميه العامة الكبّاد .

2 الخَيْش ، يريد مروحة الخيش : نسيج كشراع السفينة ، يُعلّقها أهل العراق في سقف البيت مبلولة بالماء . ويعملون لها حبلاً يجذبونها به ، فيهبّ منها نسيم عليل يُذْهب أذى الحَرّ .

3 الشرائج ، مفردها شريجة : جُوالق كالخُرج يُنسج من سعف النخل .

193

وقال يمدح أحمد بن إبراهيم ويسأله حاجة : [من الطويل]

وَنَى في التَّصابي بعدَما كان شَـمَّرا ، وقَصَّرَ في شأوِ الزَّمانِ ، فأقصَرا

وشابَ بلونِ الصُّبحِ ليلُ شَبابِه ، فأصبحَ شتَّى الحُلَّتَيْنِ مُشَهَّرا

ولا عادَ رَدُّ المُستَعارِ مُسلَّماً ، وَقُدِّمَ رَيعانُ الصِّبا ، وتأخَّرا

فلم يبقَ إلاّ الرَّاحُ بينَ كُؤوسِها مُذاكَرَةٌ كالرَّوْضِ جِيدَ ، فأَزهَرا[1]

أحاديثُ لو يجتازُها نَفَسُ الصَّبا تـأَرَّجَ من أنفاسِهـا ، وتعطَّرا

وساقيةٌ تَشدو فتُحسِنُ شَدوَها ، وتَبسِمُ أحياناً ، فتَحسُنُ مَنظَرا

هجرتُ النَّدامى ، إذ بلوْتُ خِلالَهم ، ونادَمْتُ كِسرى في الزُّجاجِ وقَيصَرا[2]

أُعرِّيهما طَوراً ، وطَوراً أراهُما ، يَجُرَّانِ مصقـولَ البنائـقِ أحمرا[3]

فلو لم يكونا جَوْهَرَيْنِ كِلاهُما ، نَفيسَينِ ما حَلاَّ من الكاسِ جَوهرا

وهيَّجَ من وَجدي حنينُ ابنِ قينةٍ ، إذا استَنطَقَتْه بالأناملِ زمجَرا[4]

خَفيفٍ ، إذا لاقاكَ في ذَهَبيَّةٍ ، مزنَّـرَةٍ ، أرضاكَ مَرْأىً ومَخبَرا

بَراهُ صِناعُ القَلبِ والكَفِّ كلما تَعذَّرَ مَعنـاه البديـعُ تفكَّرا

وضَمَّتْهُ رَيَّا المِرْطِ ينفُضُ جِسمُها ، على جِسْمِه مِسْكاً ذكيّاً وعَنبرا[5]

فساقَ قلوبَ الشَّرْبِ ، إذ حنَّ ، غُلَّبا ، وراقَ عيونَ البيضِ حينَ توقَّرا

سأبعَثُ حَمْدي غازياً وَفْرَ سيِّدٍ ، إذا ما غزاه الحمدُ عاد مظفَّرا

---

1 المذاكرة : الخوض في الحديث . جيد : أمطر .

2 يشير إلى ما في الكؤوس من نقوش تمثّل كسرى وقيصر .

3 البنائق ، مفردها بَنِيقة : رقعة تزاد في نحر القميص لتوسيعه .

4 ابن القينة : العود .

5 المرط : كساء يؤتَزَر به ، وقوله : ريا المرط : أي ممتلئة الجسم المؤتزر بالمرط .

كأنَّ ثَنَائي غِبَّ جَدواه مَرتَعٌ ، تبسَّمَ غِبَّ السَّارياتِ ونَوَّرا
قديمٌ على الأيَّامِ إنْ عُدَّ مَعْشَرٌ ؛ حديثُ المعالي عند عادٍ وحِمْيَرا
تسهَّلَ لي ، في أحمدَ ، الشِّعرُ طائعاً ، ولـو رُمْتُـه في غيـرِه لتعذَّرا
أطلْتُ ، وما استغرقتُ وصفَ خِلالِه ، فرحتُ مُطيلاً في الثَّناء مُقَصِّرا
أأحمدُ ! إني بينَ قومٍ تبرَّؤوا من العُرْفِ حتَّى قد حَسِبناهُ مُنكَرا
إذا نزَلوا أبصرتُ للجهلِ نادياً ؛ وإن رَحَلوا أبصرتُ للبُخلِ عسكَرا
أقولُ ، وقد عاينتُهم عَدَدَ الحَصى : عَدِمْتُكَ جيلاً ما أقلَّ وأكثَرا
كأنَّكَ فيهِم شارقٌ في دِجنَّةٍ ، إذا أغبشَتْ مُربَدَّةُ اللَّونِ أسفَرا
أتتْكَ القوافي الغُرُّ تطلُبُ حاجةً ، جزاؤُكَ فيها أن تُثابَ وتُشكَرا
غرائبُ ، لو نادَيْنَ في المَحْلِ عارضاً أجابَ ، ولو ناشدْنَ صخراً تَفجَّرا
عَدَلْتُ عن النابي الكَهامِ بِحَلْيِها ، وألبسْتُه منك الحُسامَ المُذكَّرا[1]
فلا تَرْدُدِ العِقْدَ المُفصَّلَ خائباً بصـدِّكَ عنـه والـرِّداءَ المُحبَّرا

194

وقال يهنِّىء ناصر الدولة بعيد الأضحى ويذكر شغب الأتراك : [من الوافر]

أعادَ اللهُ عيدَك بالسُّرورِ ، وفي الحالِ الجليلةِ والحُبورِ
ولازالَتْ سعودُكَ طالعاتٍ ، بما تَهواه من عَيْشٍ نَضيرِ
دفاعُ اللهِ عنك أعمُّ فضلاً ، وأحلى في القلوبِ وفي الصُّدورِ
أناصرَ دولةِ الإسلامِ صبْراً ، فإنَّ الصَّبْرَ من عَزْمِ الأمورِ
كَبا الأعداءُ إذ راموكَ جَهْلاً ، فقلْنا : للجباهِ وللثُّغورِ[2]

---

1 الكهام : السيف غير القاطع .
2 هذا دعاء عليهم ، أي : ليسقطوا للجباه وللثغور .

هبوطٌ لا يُمكِّنُ من صُعودٍ ؛ وموتٌ لا يُقرِّبُ من نُشورِ
مُنانا أن تُعَمَّرَ ألفَ عامٍ ، وتُصرَفَ عنك أحداثُ الدُّهورِ
وأن تُلقى العِدا في النَّحرِ صَرعى بحدِّ ظُبـاكَ داميـةَ النُّحورِ

195

وقال يصف عربة : [من الرجز]

أما تَرى حُسنَ بَناتِ البَرِّ ، مقيَّداتٍ في عُبابِ البحرِ
مأسورةً لولا وِثاقُ الأسرِ ، صَدرْنَ عنه خالعاتِ العُذرِ
نِـيطَ بها كلُّ خَفيفِ الخَصرِ ، سارَ ، وما يـبرَحُ قَيْدَ شِبْرِ[1]
تَئِنُّ كالمضرورِ لا مِن ضُرٍّ ، تُحصَبُ منه بندىً كالدُّرِّ
فيومُنا يومُ صَفاً وقَطرِ ، فهاتِها قبلَ نَفادِ العُمْرِ[2]
وقَبلَ مَطويٍّ بَعيدِ النَّشرِ ، داجٍ على ساكنِه مغبَرِّ[3]
يُخفي الفتى ، لولاها ماءَ الذِّكْرِ[4]

196

وقال يستدعي أبا بكر المَراغي ، ويصف غرفته بالموصل وقدراً على الريكدان : [من المتقارب]

لنا غُرفَةٌ حَسُنَتْ مَنْظَرا ، وَطَابَتْ لسكَّانِها مَخبَرا
ترى العينُ من تحتِها روضةً ؛ ومن فوقِها عارضاً مُمطِرا

---

1 قَيد شبر ، بكسر القاف أيضاً : مقدار شبر .
2 هاتها : أي هات الخمرة .
3 أراد بالمطويّ : القبر .
4 هذا الشطر ورد هكذا في الأصل ، وهو مختلّ الوزن ، غامض المعنى وربما كان فيه تحريف .

وينسابُ قُدَّامَها جَدوَلٌ ، كما ذُعِرَ الأَيْمُ أو نُفِّرا[1]
وراحٌ كأَنَّ نسيمَ الصَّبا ، تحمَّلَ من نَشْرِها العَنبرا
وعِنديَ عِلْقٌ قليلُ الخِلافِ ، ونَدْمانُ صِدْقٍ قليلو المِرا [2]
ودَهماءُ تهدِرُ هَدْرَ الفَنيقِ ، إذا ما امتطَتْ لهباً مُسعِرا[3]
تَجيشُ بأوصالِ وَحْشِيَّةٍ ، رَعَتْ زَهَراتِ الرُّبا أشهُرا[4]
كأنَّ على النَّـارِ زنجيَّـةً تُفَرِّجُ بُرْداً لها أصفَرا[5]
وذي أربعٍ لا يُطيقُ النهوضَ ، ولا يألَفُ السَّيْرَ فيمن سَرى [6]
نُحمِّلُه سَبَجاً أسوداً ، فيَجعلُـه ذَهَبـاً أحمَرا[7]
إذا قلَبَ القُرُّ كَفَّ الفتى حَمى حَرُّهُ الكفَّ أن تَخْصَرا[8]
وقد بكَرَ العبدُ من عندِنا ، يزُفُّ لك الطِّرفَ والمِمْطَرا[9]
فَشَمِّرْ ، هُديتَ إلى لذَّةٍ ، فإنَّ أخا الجدِّ من شمَّرا

197

وقال يدعوه ويصف الغرفة والخَطَّاف : [من الطويل]

لنا قَهوَةٌ في الدَّنِّ تمَّتْ شهورُها ، فرقَّتْ حَواشيها وأشرَقَ نُورُها

---

1 الأيم : الحية .
2 عِلْق : النفيس ، يريد به الصديق .
3 الدهماء : أراد بها القدر . وتهدر : تغلي . الفنيق : الفحل المكرّم .
4 وحشيَّة : أي شاة وحشيَّة .
5 تُفَرِّج : توسّع .
6 أراد بذي أربع : الريكدان أي كانون له أربع قوائم .
7 السَّبج : الخرز الأسود وأراد به قطع الفحم .
8 تَخْصَر : تَبْرُد .
9 الطِّرف : المهر . الممطر : لباس يتوقّى به المطر ، كالمشمّع في هذه الأيام .

يُحيِّيكَ بالمِسكِ الذَّكيِّ دُنوُّها   ويلقاكَ بالبِشْرِ الجميلِ بَشيرُها
وقد كتَبَتْ أيدي الرَّبيعِ صحائفاً   كأنَّ سُطورَ البَرقِ حُسناً سطورُها
فمِن رَوْضَةٍ سارٍ إلينا نسيمُها ؛   ومن مُزْنَةٍ مُرخىً علينا سُتورُها
وغرفتُنا الحسناءُ قد زادَ حُسنُها   بزائرةٍ في كلِّ عامٍ تَزورُها
بمُبيَضَّةِ الأحشاء سودٍ ظُهُورُها ،   مُزنَّرَةِ الأذنابِ حُمْرٍ نُحورُها[1]
مُرَفرِفَةٍ حولَ البيوتِ وفودُها ،   مُحَلِّقَةٍ حَولَ السُّقوفِ وكورُها
لهُنَّ لغاتٌ مُعْجِماتٌ كأنَّها   صَريرُ نعالِ السِّبتِ عالٍ صريرُها[2]
تُجاورُنا حتى تَشِبَّ صِغارُها ،   فيَلحَقُ فينا بالكَبيرِ صَغيرُها
فزُرْنا ترَى اللذَّاتِ بِيضاً وُجوهُها   مُحبَّبَـةً رَوْحاتُـهـا وبُكورُها
وبادِرْ إلى الرَّاحِ التي أنتَ خِلُّها ،   فقد قامَ ساقينا الأغَرُّ يُديرُها

198

وقال يرثي علي بن صدقة النحوي على سبيل الهجاء وقيل إن أباه كان حائكاً :
[من الطويل]

ذَكَرناهُ ، فانهلَّت مدامعُنا تَترى   مُخبِّرَةً عن كلِّ ذي كَبِدٍ حرَّى
عَهِدناكَ مَخصوصاً من البيتِ كلِّه ،   بمنزِلَةٍ في الصَّدرِ أنتَ بها أحرَى
تَظَلُّ لها رِجلاكَ في قَعرِ وَهْدَةٍ ،   إذا ما عَلَتْ إحداهُما هوَتِ الأُخرى
وفوقَك صَفراوانِ إن شئتَ غَنَّتا   كذاكِرَتَيْ فَرخَيْن شفَّهُما الذِّكرى[3]
وكم أرسلَتْ يُمنى يدَيك رسولَها ،   فما لَبِثَه حينَ صافحَتِ اليُسرى

1 أراد بمبيضّة الأحشاء : الخطاطيف ، مفردها خطّاف : وهي طيور تشبه السنونو تأتي في الربيع .
2 السبت : جلد مدبوغ بالأحمر .
3 الصفراء : الجرادة ، ولم نعلم ماذا أراد هنا بالصفراوين .

عَجِبْتُ له طِرفاً يَجُرُّ عِنانَهُ ، ولا يتشكَّى الأينَ ما بَعُدَ المَسرى
يَشُقُّ نقـيَّ المتنِ جَعْـداً كأنَّه غديرٌ تمشَّى الرِّيحُ من فوقِه حَسرى
فيا هالكاً أعرى الصديقَ بهُلْكِه ، وعَزَّ على تلكَ الأناملِ أن تعرى
إذا صَغُرَتْ يوماً رَزِيَّةُ صاحبٍ بصاحبِه كانت رَزِيَّتُـكَ الكُبرى

199

وقال يصف كانون نار : [من المتقارب]

كأنَّ تأجُّجَ كانونِنا ، تَكاثُفُ نَوْرٍ من العُصْفُرِ
وأحدثَ إخمادُه زُرْقَةً ، تَـأجُّجُ في مُدمَجٍ أحمَرِ
كَبِركَةِ جَمْرٍ على صَاجِها بقايـا تَفَـتُّـحِ لَينُـوفَرِ

200

وقال يرثي أباه : [من مجزوء الكامل]

هَلْ للمَكارمِ من مُجيرٍ ، أم هَل لأحمدَ من نَصيرِ
أنَّى ارتقَتْ هِمَمُ الرَّدَى منه إلى القَمَرِ المُنيرِ
بَعْدَ ابتسامِ شمائلٍ ، كالنَّوْرِ في الغُصْنِ النَّضيرِ
يا رِمَّةً ! أَرَجُ الثَّرى ، من طيبِها ، أَرَجُ العَبيرِ[1]
لو تستطيعُ الأرضُ ما سَمَحَتْ بها يومَ النُّشورِ
نظَرَتْ إليكَ المكرُما تُ ، فلم تَجِدْ لكَ مِنْ نَظيرِ
فغدَتْ عليك حَواسراً ، يَنظُرْنَ من طَرْفٍ حَسيرِ
فاذهَبْ على رُغمِ العِدا ، والبأسِ والحَسَبِ الخَطيرِ

---

1 الرِّمَّة : ما بَلِيَ من العظام .

فارقْتَنــي وتركْتَنـــي غَرَضاً لأحـداثِ الدُّهورِ
فَلَبِسْتُ أثوابَ الأسَى ، وخلَعْتُ أثـوابَ السُّرورِ

201

وكتب إلى صديق سأله عن حاله : [من السريع]

يُنبيكَ عن صِحَّةِ أخباري ، عُسري ، من العِشقِ ، وإيساري
وسُوقَـةٌ أفضلُهــم مُرتَـدٍ نَقْصاً ، ففخري بينَهم عاري
وكانتِ الإبرَةُ ، فيما مضَى ، صائنـةً وجهــي وأشعاري
فأصبحَ الرِّزقُ بهـا ضيِّقاً كأنَّه ، من ثُقبِها ، جاري

202

وقـال يدعـو فـوارس بن جعفر القطـان ويصـف خيشاً في داره[1] :
[من مجزوء الرمل]

خَيرُ أوقاتِك ، في اللَّذْ ـذَاتِ ، أوقاتُ البُكورِ
ليسَ يَومٌ ، إنْ تُقَصِّرْ هُ اصطباحاً ، بقَصيرِ
والظَّريفُ الحُرُّ عن إخـ ـوانِـه غيرُ صَبـورِ
ولنا راحٌ خِلالَ الشّْـ ـرْبِ ، لا راحُ العَصيرِ[2]
ذاتُ لونٍ ونسيمٍ خُلِقا من وَردِ جُورِ
وسقاةٌ ، إن سقَوا حيْـ ـيَوْا بِرَيحانِ الصُّدورِ
وعدوٌّ لك في القُرْ ـرِ صديقٌ في الهَجيرِ[3]

---

1 مروحة الخيش : تقدَّم وصفها في الصفحة 288 .
2 لعله أراد بالرَّاحِ الأولى الحديث الذي يدور بين الشاربين .
3 أراد بالعدو والصديق مروحة الخيش .

يَستعيرُ البردَ والإشـ ـراقَ من بَردِ الثُّغورِ
رَقَّ حتّى كادَ يَفنى بإشــاراتِ المُشيــرِ
فائتِنا تَلْقَ الذي تَهـ ـواه من عَيْشٍ نَضيرِ

203

وقال يصف فاضل قدح : [من المتقارب]

دعانا إلى اللَّهوِ داعي السُّرورِ ، فبِتْنا نبوحُ بما في الصُّدورِ
وطافَتْ علينا بشَمْسِ الدِّنا نِ ، في غَلَسِ اللَّيلِ شمسُ الخُدورِ
كأنَّ الكؤوسَ ، وقد كُلِّلَتْ بِفَضْلاتِهــا بأكاليـلِ نُـورِ[1]
جيوبٌ مِنَ الوَشْيِ مَزرُورَةٌ ، يلوحُ عليها بياضُ النُّحورِ

204

وقال يصف الورد : [من البسيط]

هاتِ التي هيَ يومَ البَعثِ أوزارُ ، كالنارِ في الحُسْنِ ، عُقبى شُربِها النارُ[2]
أما تَرى الوَردَ قد باح الرَّبيعُ به ، من بعدِ ما مرَّ حَوْلٌ ، وهو إضمارُ
وكانَ في خِلَعٍ خُضْرٍ ، فقد خُلِعَت ، إلا عُرىً أُغْفِلَتْ منه وأزرارُ

205

وقال يصف اللَّيْنُوفَر : [من المنسرح]

صُفْرُ مدارٍ تَضُمُّها شُرَفٌ ، مُفتَضَحٌ عندَ نَشْرِها العِطْرُ

---

1 الفَضَلات ، مفردها فَضْلة : الخمر سُمّيت بذلك لأن صميمها هو الذي بقي وفَضَل .
2 أراد بهذا البيت الخمرة وأوزارها ، أي آثامها التي عقباها نار جهنم .

تَحمِلُها خَيْزُرانَةٌ ذَبُلَتْ ، ذُبولَ صَبٍّ أذَلَّهُ الهَجْرُ
كأنها ، إذ زَهَتْ بألسِنَةٍ أنطَقَها للمُهَيمِنِ الـذِّكْرُ[1]
خَناجِرٌ من حَناجِرٍ نُزِعَتْ ، فهي على الماءِ ، من دمٍ ، حُمْرُ

206

وقال : [من البسيط]

يا رُبَّ مِقنَعةٍ حمراءَ تَلبَسُها سَوداءُ للَّيلِ من تَركيبِها قارُ[2]
تَلوحُ في العيدِ ، والأبصارُ تَرمُقُها ، كأنها فَحمَةٌ في رأسِها نارُ

207

وقال يصف القلم : [من السريع]

أخرسُ يُنبيكَ بإطراقِهِ ، عن كلِّ ما شِئتَ من الأَمرِ
يُذري ، على قُرطاسِهِ ، دمعةً ، نَـمَّت عليه عَبرةٌ تَجري
كعاشِقٍ أخفَى هواه ، وقد نَـمَّت عليه عَبرةٌ تَجري
تُبصِرُهُ ، في كلِّ أحوالِه ، عُريانَ ، يكسو الناسَ ، أو يُعري
يُرى أسيراً في دَواةٍ ، وقد أطلَقَ أقواماً من الأَسرِ

208

وقال يصف نارنجة[3] : [من الكامل]

وبديعةٍ أضحَى الجمالُ شِعارَها ، صَبَغَ الحياءُ رِداءَها وإزارَها

---

1 المُهَيْمِن : من أسماء الله تعالى .
2 المِقْنَعَة : ما تُغطي المرأة رأسها به ، وهو أصغر من القِناع .
3 النارنجة واحدة النارنج : هو ما يُسمَّى ليمون أبو صفير .

حلَّتْ نَسيمَ عِقالِها ، وتوشَّحَتْ بالأُرْجُوانِ ، وشَدَّدَتْ أزرارَها[1]
فالعينُ تَحسِرُ ، إن رأَتْ إشراقَها ؛ والنَّفسُ تَنْعَمُ ، إن بَلَتْ أخبارَها[2]
فكأنَّها ، في الكَفِّ وَجنَةُ عاشِقٍ ، عَبِثَ الحياءُ بها ، فأضرمَ نارَها
محمولَةٌ ، حملَتْ عَجاجةَ عَنبَرٍ ، فإذا سَرَى رَكْبُ النَّسيمِ أثارَها
أَمَنَتْ ، على أسرارِها ، ريحَ الصَّبا ، وَهَناً ، فضيَّعَتِ الصَّبا أسرارَها
وكأنَّما صافَحْتَ منها جَمرةً ، أَمَنَتْ يمينُكَ حَرَّها وشَرارَها
ما أَحسِبُ النَّارَنْجَ إلاّ فِتنةً ، هتَكَ الزَّمانُ لناظرٍ أستارَها
عَشِقَتْ محاسنَه العيونُ ، فلو رَنَتْ ، أبداً إليه ، لَمَا قَضَتْ أوطارَها

209

وقال يصف الورد الأبيض : [من الطويل]

ورَوْضٍ كَساهُ الغَيثُ ، إذ جادَ أرضَه ، مَجاسِدَ وَشْيٍ من بَهارٍ ومَنثورِ[3]
بهِ أبيضُ الوردِ الجَنيِّ ، كأنَّما تَبسَّمَ للناشي بمِسكٍ وكافورِ[4]
كأنَّ اصفراراً منه فوقَ ابيضاضِهِ ، بُرادةُ تِبرٍ في مَداهنِ بَلُّورِ[5]

210

وقال يصف جُندبة : [من الطويل]

وجُندُبةٍ تمشي بساقٍ كأنَّه ، على فَخِذٍ كالعُودِ ، منشارُ عرعرِ[6]

---

1 أراد بحلَّت نسيم عقالها : أرسلت ريحها الطيب .

2 حَسَرَتِ العين : ضَعُفَت وكَلَّت . بلَت : اختبرت .

3 مجاسد ، مفردها مِجْسد : قميص يلي البدن . البهار : نبت طيب الريح ، جعد ، ينبت أيام الربيع ، ورده أصفر الورق فوق أبيض ، وهو أحمر في الوسط .

4 الناشي : فاعل من نشي : شمَّ .

5 البُرَادة : ما سقط من الحديد ونحوه عند البَرْد .

6 العرعر : شجر يشبه السرو ولا ساق له ينبت في الجبال ، مفردها عرعرة .

مُكتَّبةٍ تجلو الجَناحَ كأنَّها عَروسٌ تجلَّت في عِطافٍ مُعنبَرِ[1]

211

وقال في رجل أذاع له سراً : [من البسيط]

لِسانُكَ السَّيفُ لا يَخفى له أثَرُ ، وأنتَ كالصِّلِّ لا تُبقي ولا تَذَرُ
سِرِّي لديكَ كأسرارِ الزُّجاجَةِ ، لا يَخفى على العَينِ منها الصَّفوُ والكَدَرُ
فاحذَرْ من الشِّعرِ كَسْراً لا آنْجِبَارَ له ، فللزُّجاجَةِ كَسْرٌ ليسَ يَنجَبِرُ

212

وقال يصف البراغيث : [من الرجز]

وليلةٍ مِنْ نَقَماتِ الدَّهْرِ ، قطَّعْتُها نَزْرَ الكَرى والصَّبرِ[2]
مُكَلَّمَ الصَّدْرِ جَريحَ النَّحرِ ، مُقَسَّماً بينَ أعادٍ خُزْرِ
كُمْتٍ ، إذا عايَنتَها ، وشُقْرِ ، كأنها آثارُها في الأُزرِ

213

وقال يصف الحمّام : [من البسيط]

ومَنزِلٍ يَتحامى أهلَه الخَفَرُ ، ويَفْضُلُ البَدْوَ ، في نَعمائِهِ ، الحَضَرُ[3]
فيه معَ الناسِ أشباهٌ لهم بَعُدَتْ في الزِّيِّ عنهنَّ ، إنْ لم تَبعُدِ الصُّوَرُ
فَمِنْ ذكورٍ عُراةٍ كالذُّكورِ به ، ومن إناثٍ عليها الوَشْيُ والحِبَرُ[4]

---

1 العطاف : الرداء ، الإزار .
2 النَّزْر : القليل .
3 يتحامى : يتجنَّب .
4 الذكور الثانية : السيوف .

بَدائعٌ لَطُفَتْ أفكارُ مُبْدِعِها حتّى تَفجَّرَ عن ماءٍ بها الحَجَرُ
فكلُّ ناحيةٍ من جُذْرِه صَنَمٌ ، وكلُّ ناحيةٍ من سَقْفِه قَمَرُ
صَفَتْ عن الناسِ فيه نَعْمَةٌ وُصِفَتْ ، فكلُّ صَفْوِ نَعيمٍ عندَها ، كدَرُ

214

وقال يصف كيزان الفُقّاع[1] : [من المنسرح]

لسْتُ بِنافٍ خُمارَ مخمورٍ ، إلا بصافي الشَّرابِ مَقرورِ
يطيرُ عن رأسِهِ القِناعُ ، إذا نَفَّسْتَ عنه خِناقَ مَزرورِ
رامٍ بسهمٍ كأنَّه خَصِرٌ ، وطيبِ نشرٍ ، نسيمِ كافورِ[2]
يَميلُ أعلاه ، وهو مُهتَضِبٌ ، كأنَّه صَولجانُ بَلُّورِ[3]

215

وقال يصف كانون نار : [من الطويل]

وأزهرَ وَضّاحٍ يَروقُ عيونَنا ، إذا ما رَميناه بِلَحْظِ النَّواظِرِ
له أربعٌ تأبى السُّرى ، غيرَ أنَّها تُصافِحُ وجهَ الأرضِ مثلَ الحوافرِ
يَقِلُّ جسوماً ، بعضُها من مُورَّدٍ ، وسائرُها في مثلِ صِبْغِ الدَّياجرِ
نواصِلُه أيامَ للقُرِّ سطوَةٌ ، ونهجُرُه أيامَ لَفْحِ الهَواجرِ

---

1 الكيزان ، مفردها كوز : إناء معروف . الفقاع : شراب يتّخذ من الشعير سمّي كذلك لما يعلوه من الزبد .

2 الخصر : البارد .

3 مهتضب ، من الهضبة : كل جبل منبسط خُلق من صخرة واحدة .

216

وقال يستدعي سعيداً الخالدي إلى الحمّام ويصفه : [من الكامل]

أَسعيدُ ! هل لكَ في زيارةِ مَنزِلٍ ، تُثْنِي عليه جَوانحُ الزُّوَّارِ
رَحْبٍ ، تُلاقي الجُدْرَ منه ينابعٌ ، وتَرى السَّماءَ عليه كالأقمارِ
ينضو الحَيِيُّ الوجهِ ثوبَ حيائِه فيه ، فيخطِرُ كالحُسامِ العاري
متقلِّباً في نَعمةٍ فَضفاضَةٍ جُعِلَتْ له عِوَضاً من الأَطمارِ
ما عاينَ البادونَ يوماً فضلَه ، إلا وأحفَظَهُمْ على الحُضّارِ[1]
ولربَّما استمتعْتَ فيه بنُزهَةٍ ، لولاه لم تَبرُزْ من الأستارِ
وتَرى على جُدرانِه بُهُمَ الوَغى ، يَخطِرْنَ ما بينَ القَنا الخطّارِ[2]
سُلَّتْ سيوفُهُمُ بغَيرِ بوارِقٍ وجَرَتْ جيادُهُمُ بغيرِ غُبارِ
زَحفانِ لم يَحْظَ العزيزُ برُتبَةٍ فيهم ، ولا آبَ الذّليلُ بعارِ
ومنعَّمِينَ ، عن القِتالِ بمَعزِلٍ ، لبِسوا السُّعودَ بغَفْلَةِ الأقدارِ
هذا يناوِلُه النديمُ تحيَّةً ، حسُنَت ، وذا يَحظَى بكأسِ عُقارِ
عيشٌ لهم بَعُدَتْ حقيقتُه ، وإن قَرُبَتْ محاسنُه من الأبصارِ
حتى إذا نَعِمَتْ به أجسامُنا ، وقَضَتْ به وطَراً من الأوطارِ
مِلْنا إلى حُسْنِ الصَّبوحِ وطيبِه ، إنَّ الصَّبوحَ مَطِيَّةُ الأحرارِ
وأحقُّ يَومٍ بالمُدامِ وشُربِها يومٌ حباكَ بديمَةٍ مِدرارِ

217

وقال يصف بيت رحًى شرب فيه بديار بكر : [من الرجز]

ومَنزِلٍ نَزَلْتُه ابتكارا ، مُعاقِراً في ظِلِّه العُقارا

---

1 البادون : سكان البادية . أحْفَظَ : أغْضَبَ . الحُضّار : سكان الحَضَر .

2 إشارة إلى ما في جدران الحمّام من صور .

ترى به مَعركةً جِهارا ، وقَسطَلاً من حَولها مُثَارا[1]
مَحارَتينِ انضمَّتا جِوارا ، قد مُنِعَت إحداهما القَرارا[2]
لا تَعدَمانِ لؤلؤاً صِغارا ، تُطِيرُهُ حربُهما غُبارا
في موقفٍ يَستوقِفُ الأبصارا ، يَكحُلُ من قسطَلِه الزُّوَّارا[3]
حتى يُشِيبَ منهمُ الأشفارا ، فلم نَزَلْ نأخُذُها نَهارا
محمرَّةً تُحسَبُ جُلَّنَارا ، والريحُ يُدمي وقعُها الأبشارا[4]
حَرباً ، نُرى في حربِنا الأحرارا ، حتى إذا الليلُ البهيمُ جارا
وأسبلَتْ ظُلمتُه الأستارا ، وانتثرَ الثَّلجُ بهِ انتثارا
كما أطرْتَ كُرسُفاً ، فطارا ، كانت لنا نُوراً به ونَارا[5]

218

وقال يصف نورة أحرقته[6] : [من الخفيف]

أيها المُطَّلون بعدي حَذارِ ! إنَّ بعضَ الصُّخورِ طالبُ ثارِ
رُبَّ يومٍ ظَلَلْتُ فيه وقيداً ، أتشكَّى حريقَ نَارٍ بنارِ
مِئزَرٌ كَانَ غايةَ النَّفعِ أضحَى ، وهُوَ اليومَ غايةُ الأضرارِ
وسراويلُ سُنْدُسٍ عادَ وَشْياً مُؤْلِماً جافياً على الأبشارِ[7]

---

1 القسطل : غبار الحرب .
2 المحارة : الصدفة .
3 يريد أنّ غبار التراب المتطاير ، جعل المتفرجين وكأنّ في أعينهم كُحْلاً .
4 الأبشار ، مفردها بشر : ظاهر الجلد .
5 الكُرسف : القطن .
6 النورة : أخلاط تضاف إلى الكلس من زرنيخ وغيره ويستعمل لإزالة الشعر .
7 السندس : ضرب من نسيج الحرير .

فكأنَّ الأفخاذَ تُلْذَعُ منه ، بِشَرارٍ يطيرُ إثرَ شَرارِ
أخذَتْ ثأرَها الحجارةُ مِنّي ، وسِوائي أصابَها بالثارِ

219

وقال يصف قوس البندق[1] : [من الرجز]

وفتيةٍ تعلو بها أخطارُها رواحُها للمَجدِ وابتكارُها
وما اشتهَت ، أنفسُها شِعارُها ، تَطرَّبَت لِنُزهَةٍ أقمارُها
فيمَّمَت مَوْشِيَّةً أقطارُها تعومُ في غُدرانِها أطيارُها
قد حُلِّيَتْ بزَهرِها أشجارُها ، وصُندِلَتْ بمَدِّها أنهارُها
بمُطمِعاتٍ حُصِّنَتْ ديارُها ، نِجارُ خَطيٍّ القَنا نِجارُها[2]
تُصانُ من بَهجتِها أبشارُها ، صونَ العذارى أُسبِلَت أستارُها
مُصْفَرَّةٌ ما شانَها اصفرارُها ، أحسنُ من مَنظرِها أخبارُها
تُزجي حِساناً قَبُحَتْ آثارُها ، أفْتَكُ من كِبارِها صغارُها[3]
فلستُ أدري : أيُّها خِيارُها ، تَلفَحُ مجتازَ الهواءِ نارُها
ما طارَ في آثارِها شَرارُها ، طاعتُه لفِتيَةٍ تختارُها
يَقَعْنَ فيما وَقَعَتْ أبصارُها ، حتى إذا الشمسُ خَبا استعارُها
واصفرَّ من مَغرِبِها إزارُها ، وحانَ من واردةٍ إصدارُها
حُمرٌ على أيديهِمُ بوارُها ، فصرَّعَت مَوشِيَّةً أطمارُها
في حُلَلٍ قد شُدِّدَتْ أزرارُها ، يَضحكُ في لُجَينِها نُضارُها

---

1 البندق : كل ما يرمى به من شيءٍ كروي .
2 يصف هنا الأقواس . النجار : الأصل .
3 تزجي : تسوق ، ترمي .

وفي سوادِ ليلِها نهارُها ، كروضةٍ مختلطٍ نُوَّارُها

220

وقال يصف النرجس : [من مجزوء الكامل]

هذا أوانُ ثِمارِ لَهـ ـوِكَ فَاَجْنِ بالكاسِ الثِّمارا
إنَّ الصِّغارَ صغيرةٌ ، فَاَغْشَ الكبائرَ والكِبارا
سفرَتْ لنا الدُّنيا ، وكَم ألقَت محاسِنُها الخِمارا
ورأيتُ نَرجِسَها على لَبَّاتِها حَلْياً مُعارا
إن حَلَّ حلَّ به السُّرو رُ مُخيِّماً ، أو سارَ سارا
ما كانَ قبلُ كأنَّه مَرَضُ العيونِ لها شِعارا
لكنَّه أزرَى بها فَمَرِضْنَ ذُلّاً وانكسارا

221

وقال يصف النار : [من الكامل]

يا رُبَّ نائيةٍ كأنَّ ضِرامَها ، دانٍ ، إذا شِمناه بالأبصارِ
خَفَقَتْ كما خَفقَتْ ذَوائبُ رايَةٍ حَمراءَ في لَدُنِ الذُّرى خطَّارِ[1]
تَفري من الليلِ البهيمِ سُرادِقاً ، دونَ النواظرِ مُغْدَفَ الأستارِ[2]
عَبِثَتْ بها ريحُ الصَّبا ، فكأنها كفٌّ تُشير بِيَارَقٍ وسِوارِ[3]
يا حبَّذا هيَ في سُرادِقِ ليلِنا ، والصُّبحُ يفضَحُ كامنَ النُّوَّارِ

---

1 أراد بلدن الذرى الخطّار : الرمح الذي كانوا يرفعون في أعلاه الراية .

2 مُغْدَف ، من أغدف الليلُ : أرخى سدوله .

3 اليَارَق بفتح الراء : السوار العريض ، فارسي معرّب .

وقال يصف يوماً شرب فيه في العروب بناحية الموصل ، ويصف العربة :
[من البسيط]

أَحبِبْ إليَّ بِإِلْفٍ ذِي مُساعَدَةٍ ، لا أَتَّقي الكأسَ منه بالمَعاذيرِ
يقولُ خُذْها ، وكَفُّ الصُّبحِ قد أخذَتْ في حَلِّ جَيبٍ من الظَّلماءِ مَزرورِ
وكشَّفَ البيتُ ذو الأطنابِ صفحتَه ، كأنه فوقَ صَرحٍ من قَواريرِ
بيتٌ ، إذا خلعَ الدَّيجورُ حُلَّتَه ، لم يَخلَعِ الصّبحُ عنه ثوبَ دَيجورِ
مُقَيَّدٌ في عُبابِ الماءِ يُسمِعُنا ، إذا أُطَفْنا به ، أنَّاتِ مأسورِ
كأنَّ دُهْماً تبارَتْ في السِّباقِ به ، دُهْمُ الجِيادِ تبارَتْ في المَضاميرِ
إذا جَرَيْنَ على أرضٍ مُمَسَّكَةٍ أَثرْنَ بالجَرْيِ منها نَقْعَ كافورِ
مازِلْتُ أشربُها صِرفاً ، وأمزُجُها للظّبيِ ، من فَلَقِ الأحشاءِ مَسجورِ[1]
في مجلسٍ راحَ طوعَ الرِّيحِ تُعنِتُه أنفاسُها بين تقديمٍ وتأخيرِ
له جَناحانِ يَحبُو الشَّرْبَ خَفقُهُما ، بلؤلؤٍ من حَبابِ الماءِ مَنثورِ
غناؤنا فيه ألحانُ السُّكورِ ، إذا مُلَّ الغِناءُ ، وحِنّاتُ النَّواعيرِ[2]
كأنَّما الرّيحُ من طيبِ النَّسيمِ به تَسري إلينا برَيَّا الوَرْدِ من جُورِ
حتى مضى اليومُ مُبيَضّاً شمائلُه ، وعارضَتْ شمسُه مصفرَّةَ النُّورِ

1 فلق الأحشاء : مشقوقها . المسجور : الممتلىء ، وأراد بذلك الدنّ .
2 النواعير ، مفردها ناعورة : آلة لرفع الماء قوامها دولاب كبير وقواديس مركبة على دائرة . السُّكور ، مفردها سِكْر : ما سُدّ به النهر .

223

وقال يصف الشبكة : [من الرجز]

يا رُبَّ جسمٍ كلُّه نواظرُ ، بآمُقٍ ، ليسَت لها مَحاجِرُ[1]
تسترُ عنك الشيءَ ، وهو ظاهرُ ، محبوبــةٌ خلالُهـــا الغــوادِرُ
إذا ارتدَتْها اللُّجَجُ الزَّواخِرُ ، وَضَمَّها مِثلَ المِرَاةِ مائرُ[2]
جاءت من الرِّزقِ بها جواهرُ ، صَغَائِرٌ تُومِضُ أو كبائرُ
كأنها ، إذا انتحاها الناظرُ ، مَخازِنُ الفِضَّةِ ، أو خَناجِرُ[3]

224

وقال يصف الزنابير : [من المنسرح]

ومُخطَفِ الخَصرِ بُرْدُهُ حَبِرٌ ، نَحذَرُه ، وهو خائفٌ حَذِرُ[4]
مُجنَّحٌ طارَ في مُجنَّحَةٍ ، تصعَدُ طوراً به ، وتَنحَدِرُ
كأنها ، والرِّياحُ تَنشُرُها ، غرائبُ الزَّهْرِ حينَ يَنتَثِرُ
لها حُمَاتٌ ، كأنَّها شَعَرٌ ، تَظهَــرُ مُسوَدَّةً وتَستَتِــرُ[5]
قد أُذهِبَتْ في الجبينِ غُرَّتُهُ ، إذ فُضِّضَتْ ، في جِبَاهِها ، الغُرَرُ
سِلاحُه ، الدَّهْرَ ، في مُؤَخَّرِهِ ، يَفتُكُ طَـوراً بـه ويَنتَصِرُ
كأنَّما شَطْرُ مـا يُجرِّدُهُ من بينِ فَكَّيْهِ حَيَّةٌ ذَكَرُ

---

1 الآمق : لعله من جموع مؤق العين .
2 المِراة : مخففة عن المرآة . المائر : المتحرك ويريد به البحر .
3 انتحاها : قصدها .
4 مُخْطَف : ضامر . حَبِرٌ : مُوشَّى .
5 حُمَات ، مفردها حُمَة : الإبرة التي تضرب بها العقرب ونحوها .

225

وقال يشكر صديقاً له أهدى إليه قارورة ماء ورد ويصفها : [من الطويل]

بَعَثْتَ بِها عذراءَ حاليةَ النَّحْرِ ، مشهَّرَةَ الجِلبابِ حُوريَّةَ النَّجرِ[1]

تأنَّى لها طَبٌّ بإخلاصِ طيبِها ، فأفرغ فيها رُوحَ رَيحانةِ الزَّهْرِ

وألبسَها وَشياً يَزُرُّ جيوبَه ، على النَّحْرِ منها ، والذُّيولَ على الخَصرِ

مُضمَّنةً ماءً صَفا مثلَ صفوِها ، فجاء كذَوْبِ التِّبْرِ في جامدِ الدُّرِّ

ينوبُ ، بكفِّي ، عن أبيه ، وقد مضى كما نُبْتَ عن آبائِك السادةِ الغُرِّ

وَيَشْرَكُنِي في نَشرِهِ الرِّيحُ غُدوةً ، فتجري إلى الآفاقِ طَيِّبَةَ النشرِ

فيا لكَ من بَرٍّ يخبِّرُ عن فتىً حَفِيٍّ بنا ، في كل نائبةٍ ، بَرِّ

فإنْ يَكُ حيَّاني بها فارسيَّةً ، فسوفَ أحيِّيه بمُعرِبَةِ الشُّكْرِ

وكم من يَدٍ للحُرِّ عنديَ ثَيِّبٍ ، كشفْتُ مُحيَّاها بقافيةٍ بِكْرِ

226

وقال غزلاً : [من الخفيف]

لو تدارَكْتَني بوعدٍ غَرورِ ، رَقَأَتْ عَبرَتي ، وقَلَّ زَفيري[2]

بأبي خدُّكَ الذي وقفَ الدَّمـ ـعُ عليه كالطَّلِّ في وَردِ جُورِ

فالتهابُ الحياءِ يَمزُجُ فيه حُمرةَ الأُرجوانِ بالكافورِ

عَبِقٌ ريحُه كأنَّ دموعَ الـ ـعَينِ أجرَتْ عليه ماءَ العَبيرِ

لا تَلُمْني على انتثارِ دُموعي ، حين عاينْتُ روضةَ المَنْثورِ

---

1 حورية : بيضاء . النجر : الأصل .

2 رَقَأَ الدمعُ : جفَّ وانقطع .

قَابَلْتِنِي بمثلِ خدِّكَ والثَّغـ ـرِ وأنوارِ حَلْيِكَ المُستنيرِ

227

وقال أيضاً : [من المنسرح]

لستُ أرَجِّي انحطاطَ أوزاري ، ما عَمَّرَ اللهُ أُمَّ عمَّارِ
رضِيتُ بالعارِ في المُجونِ ، وهل يُسخِطُ مثلي تتابعُ العارِ
وجارَ شَيبي عليَّ مجتهداً ، فما أرى الشَّيْبَ أهلَ إكبارِ
وشادنٍ لايزالُ يمنَحُنـي ، إذا انتشى قُبلةً بدينارِ
تُريكَ أجفانُه ونخوتُه ذُلَّ ضَعيفٍ وتيهَ جبَّارِ
فَالدِّعْصُ والغُصنُ في غَلائِلِه ، والليلُ والصبحُ فوقَ أزرارِ[1]
والنَّحرُ والخَصرُ منه قد قُسِما بينَ صَليبٍ وبينَ زُنَّارِ
دَنا من الدَنِّ حاسراً ، فجرَى منه عقيقٌ ينسَلُّ من قارِ
كشاطرٍ هَمَّ بالعدوِّ ، فما أقصرَ حتى رأى دماً جاري[2]
فَرْجي عفيفٌ عن الحَرامِ ولـ ـكنَّ لساني لسانُ عيَّارِ[3]

228

وقال يمدح الأمير الحسين بن سعيد بن حمدان ، وكان له جارٍ عليه فقطعه : [من الكامل]

آثارُ جودِكَ في الخُطوبِ تُؤَثِّرُ ، وجميلُ بِشْرِكَ بالنَّجاحِ يُبَشِّرُ

---

1 الدِّعْص : كثيب الرمل المجتمع .
2 الشاطر : المتصف بالدهاء والخباثة .
3 العَيَّار : الكثير التجول والطواف ، يخلِّي نفسه وهواها .

كانَ ابتداؤكَ شيمَةً عَدَوِيَّةً ، تُنبي عن الكَرَمِ التَّليدِ وتُخبِرُ
وصنيعةً سَمِعَ الملوكُ بِفَضلِها ، والجودُ يُسمَعُ والصَّنائعُ تُشهرُ
فعلامَ كفَّ المنعُ منك أناملي ، وَسَمَاءُ كفِّكَ بالمواهبِ تُمطِرُ
لي من نَوالِكَ كلَّ شَهرٍ عادةٌ ، مضَتِ الليالي دونَها والأشهرُ
فابسُطْ بها باعاً يطولُ إلى النَّدى ، فيَضيقُ باعُ الخَطْبِ فيه ويَقصُرُ
إن كانَ لي أملٌ سِواكَ أُعُدُّهُ ، فكفَرْتُ أنعُمَك التي لا تُكفَرُ

229

وقال : [من الوافر]

ونَدمانٍ دعَوْتُ إلى العُقارِ ، وقد فضحَ الدُّجى ضَوْءَ النَّهارِ
فقلتُ : ألا تقومُ إلى عروسٍ أَتتْ في حُلَّةٍ من جُلَّنارِ
فقامَ وفي جوارحِه فُتورٌ ، وفي أجفانِه سِنَةُ الخُمارِ
ومُقلتُه تخبِّرُ مَنْ رَآها ، بما سرَقَتْه من لونِ العُقارِ

230

وقال يصف دستنبُوية[1] : [من مجزوء الرجز]

يا حَبَّذا تحيَّةٌ ، رُحْتُ بها مسرورا
إذ جاءَني يَحمِلُها ظَبْيٌ يُباهي الحُورا
شَبَّهْتُها في كَفِّهِ ، وقد كَساها نُورا :
مَخْزَنَةً من ذَهَبٍ ، قد مُلِئَتْ كافورا

---

1 الدستنبوية : نوع من البطيخ الأصفر وقد مرَّ ذكره في صفحة 99 .

وقال يصف يوماً شرب فيه بقُطرُبُّل ويمازح رجلاً من أهل بغداد :
[من المتقارب]

قُصاراكَ في اللَّومِ أن تَقْصُرا ، وحقّيَ في الغيِّ أن أُعذَرا
ولم أنسَ يومي بِقُطرُبُّلٍ ، وليلي على القُفْصِ ، أو عُكْبَرا[1]
زمانٌ تملَّيْتُه مُقبِلاً ، وعَيشٌ تلقَّيتُهُ مُسْفِرا
وملآنُ من عَبَراتِ الكُرومِ ، كأنَّ على فَمِه عُصفُرا[2]
إذا قرَّبَته أكُفُّ السُّقاةِ مِنَ الكأسِ قهقَهَ واستعبَرا
تُروِّحُه عَذَباتُ الغَرامِ ، بريَّا النَّسيمِ ، إذا ما جرى[3]
وريمٌ ، إذا رامَ حَثَّ الكُؤو سِ ، قَطَّبَ للتِّيهِ واستكبرا
وجَرَّدَ من طَرفِهِ خَنجَراً ؛ ومن نُونِ طُرَّتِه خَنجَرا[4]
ترى وَرْدَ وَجنَتِه أحمراً ، وريحانَ شاربِه أخضرَا
شكَرنا لإدريسَ أفعالَه ، وحُقَّ لإدريسَ أن يُشكَرا[5]
عَرَفْنا به طُرُقَ المُنْكَرَاتِ ، ولولاه لم نَعرِفِ المُنكَرا
فطَوراً يُعيدُ لنا كَدَّةً ؛ وطَوراً يُعيدُ لنا شَوْذَرا[6]

1 كل ما ذكره أمكنة قرب بغداد .
2 عبرات الكروم : الخمرة .
3 تروِّحه : تنعشه .
4 النون : الطَّرَف المحدد .
5 إدريس : لعله اسم الرجل الذي يمازحه .
6 كَدّة : هكذا وردت ولعلّها محرّفة . الشَّوْذر : ثوب تلبسه المرأة والجارية إلى طرف عضدها ، والمعنى غامض .

إذا عَمَرَتْ دارُه لم أُطِلْ بُكايَ على مَنزِلٍ أقفَرا
وإن قَدَّمَت يومَه النَّائِباتُ فلستُ أُسَرُّ بمَنْ أخَّرا

232

وقال يصف الشقائق : [من مجزوء الرمل]

نَـلْ من الأيَّامِ ثارا ، وانتَصِرْ منها انتِصارا
بِشَرابٍ يُشبِهُ التُّفْـ ـفَاحَ طِيباً واحمِرارا
وشَقيقٍ جادَه الغيـ ـثُ رَواحاً وابتِكارا
مثلَ ما أترعَ ساقي الرْ رَاحِ أقداحاً صِغارا

233

وقال يهجو فارس بن اليمج وكان دعاه إلى الاعتزال : [من الطويل]

كفَرْتُ ، ولم أشكُرْ نصيحةَ فارسٍ ، وكم من نصيحٍ مثلِه حُرِمَ الشُّكرا
أراني طريقَ الاعتزالِ ، ولم يُرِد سوى أن أُسُبَّ اللّهَ ، والعالمَ الطُّهْرا
سأستأذنُ القرآنَ فيما دعوتَني إليه ، ولا أُعْصِي لِمُنْزِلِهِ أمرا

234

وقال يستهدي نبيذاً من الشمشاطي : [من المتقارب]

أبا حَسَنٍ ! إنَّ وجهَ الرَّبيعِ جميلٌ يُزانُ بحُسْنِ العُقارِ
فإنَّ الربيعَ نهارُ السُّرو رِ والرَّاحَ شمسٌ لذاك النَّهارِ
وإنك مَشرِقُها ، إن أردتَ ، وإن لم تُرِد غرَبَتْ في استتارِ
فأجْرِ إليَّ بجارِ العُقارِ ، فمن فَيْضِ كفَّيْكَ فيضُ الجِرارِ

فقد عَبَّأَ الهَمُّ لي جَيْشَه ،   وليسَ له غيرُ جيشِ الخُمارِ

235

وقال : [من الطويل]

خَليليَّ ، إنَّ الغيثَ أَوَّلُه قَطْرُ ،   ونارُ الهَوى قد صار دُخانُها جَمرُ[1]

فلا تعذُلاني إن هَوِيتُ ، فإنَّني ،   هَويتُ رجاءَ أن يُساعِدَني الدَّهرُ

فلمّا أبانَ الدهرُ لي غدرَ أهلِه ،   تولَّيتُ عنهم ، إذ تَدارَكَني الصَّبرُ

فكم من مُحِبٍّ قد تبيَّنَ عُذْرُهُ ،   فرامَ اصطباراً ، فاستقادَ له الصَّبرُ[2]

فلم يَكُ قلبي في الهَوى مثلَ قلبِه ،   فللّهِ حمدٌ دائمٌ ، وله الشُّكرُ

سأترُكُ مَنْ أهوى بما هو أهلُه ،   ولو كانَ مَنْ أهوى يُشاكِلُه البَدرُ

وأصبو إلى قولِ الذي قد عرَفتما ،   ألا سَقِّني خمراً ، وقل لي هي الخمرُ

ألا سَقِّياني من سُلافَةِ خَمرَةٍ ،   يجانبُها المَحمودُ والأبلَهُ الغَمْرُ[3]

مُصَفَّقَةً كأساً كأنَّ شُعاعَها   تَوَرُّدُ خَدٍّ حينَ يبدو به السُّكْرُ[4]

فإن كسروها بالمِزاجِ حكَتْ لنا   غلائِلَ عُشّاقٍ أضرَّ بهم هَجْرُ

فلا خَيْرَ في القُربى ، إذا ما مَلَلْتَني ،   ولا خَيْرَ في نُعمى يُقارِبُها كُفرُ

236

وقال يمدح الحسين بن سعيد بن حمدان : [من الكامل]

عَنَّتْ تُحاوِرُه بِطَرْفٍ أحورِ ،   يومَ النَّوى ، وبِوَرْدِ خَدٍّ أحمرِ

---

1 في البيت إقواء لأنه كان ينبغي له أن ينصب لفظة (جمر) لأنها خبر للفعل الناقص صار ، فتكون حركة الروي النصب لا الرفع .

2 في البيت إيطاء متمثل بتكرار لفظة القافية (الصبر) مرتين .

3 الغَمْر : الذي لم يجرِّب الأمور .

4 مُصَفَّقة ، من صفَّقَ الشرابَ : حوّله من إناء إلى إناء ليصفو .

ونِظامِ ثَغْرٍ ما تهلَّلَ وَشيُه ، إلا بكى خَجَلاً نِظامُ الجَوهَرِ
يُهدي إليكَ نسيمَه ، فكأنما شِيبَتْ جوانِبُه بمِسكٍ أذفَرِ
غُصْنٌ تعالى في كَثيبٍ أعفَرٍ ؛ ليلٌ تَداجَى في صَباحٍ مُسفِرِ
شَمسٌ يَهُبُّ على القلوبِ ، إذا بَدَتْ، عن صَحْنِ وجنَتِها ، نَسيمُ العنبَرِ
لم يجتَذِبْ طَرْفاً شَمائلُ طَرْفِه ، إلا ثَنَتْه حائـراً في المِحجَرِ
قرأَتْ عليَّ بزَفْرَةٍ ألفاظُها آياتِ شوقٍ ، في حَشاها ، مُضمَرِ
فكأنما نظرَتْ إليَّ بناظِرٍ ، وتحدَّثَتْ عن قَلبِـيَ المُستَهتَرِ
خلَعَتْ لواحِظُها على وَجَناتِها خِلَعَ الجَوانحِ بالدُّموعِ الهُمَّرِ
وتَساقَطَتْ في وَرْدِها ، فكأنَّـها طَلٌّ تَساقَطَ فَوقَ وَرْدٍ أحمَرِ
وصلَتْ ، ولا ، وقديمِ حُرقَةِ هَجرِها لا أَستَلِذُّ الوَصْلَ ما لم أُهْجَرِ
عطفَتْ عليَّ بصوبِ ماءِ وِصالِها ، عَطْفَ الحُسينِ على رَجاءِ الـمُقتِرِ
مَلِكٌ أَذَلَّ الوَفدَ جودُ يمينِه ، حتى تَغَـوَّرَ في العَلاءِ الأكبَرِ
تحكي يميناه يميني عابِدٍ ، ويقولُ : إنْ لم أُحْكِهِ لم أُعذَرِ
وكذا الفتى إن لم يُذَكِّرْ سيفَه وفِعالَه بصِلاتِهِ لم يُذكَرِ
شغلَتْ روائِحُهُ العَجاجَ ، وطيبُها ، بينَ القَنا ، عن طيبِ ريحِ المِجمَرِ[1]
لقَرينِه بينَ الصُّفوفِ سَحائبٌ مَوصولَةٌ بِسَحابِ ريحٍ صَرصَرِ[2]
يَلقى العدوَّ بسيفِه وجَبينِه ، ويقولُ : ليسَ يَكونُ ما لم يُقدَرِ
تأبى معالي مجدِهِ أن يكتسي رَعْداً لقِرْنٍ ، أو يُرى في مِغفَرِ[3]
أيُّ القلوبِ أزارَه سطَواتِه ، عن سَطوَةٍ منه ، فلم يتفَطَّرِ
أم أيُّ وَهْمٍ رامَ كُنْهَ صِفاتِه مُتَحيِّراً فيه ، فلم يَتحيَّرِ

---

1 المِجْمر : ما يوضع فيه الجمر .

2 الصرصر : الشديدة الهبوب أو البرد .

3 الرعد : التهديد .

عَجِلُ الرِّماحِ إلى الأعادي ، مِسْعَرٌ ، يأبى سِوى طَعْنِ الشُّجاعِ المِسعَرِ[1]
وإذا ارتقى دَرَجَ العُلا قالَتْ له : أُوفيتَ أقصَى المُرتَقى ، فتَصَدَّرِ
يَقِظٌ ، إذا اتَّقَدَتْ عَزائِمُ رَأيه ، أُخمَدْنَ رَأيَ النَّاكبِ المتجبِّرِ[2]
يا أيُّها الآمالُ ! أنتِ صَوائبٌ ؛ هذا الحُسينُ أبو الحُسينِ ، فأَقصِري
خُطِّي رِحالَكِ بينَ خَمْسِ يمينِه ، فلقد تقومُ مَقامَ سبعةِ أبحرِ

237

وقال : [من الطويل]

وذي غَنَجٍ يَرنو بمُقلَةِ جُؤذُرٍ ، متى يَغْدُ فيه خالعَ العُذرِ يُعذَرِ
له فَوقَ وَرْدِ الخَدِّ خالٌ كأنَّه ، إذا احمرَّ وَرْدُ الخَدِّ ، نُقطَةُ عَنبَرِ

238

وقال يصف القلم : [من مخلّع البسيط]

ذو قلَمٍ عَزَّ جانباهُ ، فذا نَعيمٌ ، وذا بَوارُ
مُثقَّفٍ ، كلُّهُ سِنانٌ ؛ ومُنصُلٍ ، كلُّهُ غِرارُ
يَفيضُ في الطِّرْسِ منه بَحرٌ ، يَمُدُّهُ السَّبعَةُ البِحارُ

1 مسعر الحرب : البطل الشديد ، كأنه يسعر نار الحرب ، أي يوقدها .
2 الناكب : المائل عن الحق .

قافية الزاي

239

وقال : [من الخفيف]

كيفَ يَخشى المِلحيُّ رِقَّةَ حالٍ   بعدَ أن فازَ من قَفاه بِكَنْزِ
ولهُ غُرفَةٌ يُؤلِّفُ فيها   بين تَيْسٍ من الرِّجالِ وعَنْزِ
صانَه عِرْضُه ، فنجّاهُ منّي ،   إنَّ عِرْضَ المِلحيِّ أمنعُ حِرْزِ
قد لَعَمري رفعتُهُ بهجائي ،   وارتفاعُ المصلوبِ ليسَ بعِزٍّ
فإذا ما وخزْتُه بسنانِ الذْ   ـذَمِّ لم يَمتَعِضْ لِشِدَّةِ وَخْزي

240

وقال يصف دولاباً : [من البسيط]

ومُستَديرٍ بلا قُطْبٍ يَدورُ بهِ ،   ولا له وَتَدٌ في الأرضِ مَركوزُ[1]
كأنَّه فَلَكٌ تَنقَضُّ أنجُمُهُ ،   إذا تصوَّبَ من كِيزانِهِ كُوزُ

241

وقال ينعت البازي : [من الرجز]

لَمَّا أَجَدَّ اللَّيلُ في انحيازِهِ ،   ولاحَ ضَوْءُ الصُّبحِ من أَعْجازِهِ
دعَوْتُ سَعْداً ، فأتى ببَازِهِ ،   تَحمِلُ يُسراهُ على قُفَّازِهِ

---

1 القطب : حديدة في الطبق الأسفل من الرحى يدور عليها الطبق الأعلى .

ضَامِنَ زادٍ جَدَّ في إحرازِه ، نَدْباً ، هوانُ الطَّيرِ في إعزازِه[1]

أَقرانُه تَنكِلُ عن بِرازِه ، يُبادِرُ الفُرصَةَ في انتهازِه[2]

كأنما راحَ إلى بَزَّازِه ، فابتزَّه المَوشِيَّ من طِرازِه[3]

فصادَ قبلَ الشَّدِّ في اجتيازِه ، خمسينَ ، حُزناهُنَّ باحتيازِه

ما أسلفَ البِرَّ ، فلَمْ يُجازِه ، ولا خلا في الوَعدِ من إنجازِه



1 نَدْباً : الخفيف السريع .

2 تَنْكِلُ : تنكُصُ وتَجبُن . يُبادر : يسرع إلى .

3 ابتزّ منه : استلبه قهراً .

قافية السين

242

وقال يصف هلال شوال : [من الوافر]

أَلا عُدْ لي بباطيَةٍ وكاسِ ، وَزَعْ همِّي بإبريقٍ وطاسِ[1]
وَذَاكِرْني بشِعْرِ أبي نُواسٍ ، على رَوْضٍ كَشِعْرِ أبي نُواسِ
وغيمٍ مُرهَفاتُ البرقِ فيه عَوارٍ ، والرِّياضُ به كَواسي
وقد سَلَّتْ جيوشُ الفِطْرِ فيه على شَهْرِ الصِّيامِ سيوفَ باسِ
ولاحَ لنا الهلالُ كشَطْرِ طَوْقٍ على لَبَّاتِ زَرْقاءِ اللِّباسِ

243

وقال يرثي أباه وأجداده وأهله : [من مجزوء الكامل]

كَرُّ الخُطوبِ على الفَوارِسْ ، وطِلابُها الصِّيدَ الأشاوِسْ[2]
والدَّهــرُ يَطــرُقُ بالفــوا دحِ أو يُصَبِّحُ بالدَّهارِسْ[3]
غــازٍ يُظَفَّــرُ بالنُّفــو سِ ، وبالذَّخيراتِ النَّفائِسْ
أردَى مَقــاوِلَ تُبَّــعٍ ، وسَطَا على أحرارِ فارِسْ[4]
غاداهُـــمُ مُتَنَمِّــراً ، فغدَتْ سُعودُهُمُ مَناحِسْ

---

1 زع همِّي : كُفَّه وامنعه . الباطية : إناء من الزجاج يُملأ من الشراب .
2 الصِّيد الأشاوس : الذين يرفعون رؤوسهم تكبراً وزهواً .
3 يَطْرُق : يأتي ليلاً . الدّهارس : الدّواهي ، مفردها دهرس .
4 المقاول : ملوك حِمير ، مفردها مقول .

وملوكَ كِنْدَةَ حَطَّ عن تلك الأَسِرَّةِ والقَرابِس[1]

مازالَ يَعمـلُ فيهِـمُ ، طَعْنَ المُصالتِ والمُخالِس[2]

فابتزَّهُمْ مُحمَرَّةَ التْـ ـتِيجَانِ ، أو شُهْبَ القَوانِس[3]

وكذاك أطفأ من أبي قابوسَ جَمرَةَ كلِّ قابِس

وأصابَ جبَّـارَ المَدا ئِنِ ، قائمَ الفئتينِ جالِس[4]

متفَيِّئاً ظِـلَّ السيـو فِ ، وتارةً ظِلَّ الفَرادِس

يَغـدو الخَميسُ أمامَـه جَمَّ الغَماغمِ والوَساوِس[5]

والنَّاسُ أغراضُ الحتـو فِ ، فمُطْلِقٌ سَهْماً وحَابِس

تَرمي القصورُ الواضحا تُ بهم إلى الغُبرِ الدَّوارِس

إني لَمِنْ قَوْمٍ مَضَوا شُمَّ المَآثـرِ والمَعاطِسْ

راعٍ يَسيرُ القومُ تحـ ـتَ لواء مَنكِبِه وَسايس

وفتىً ، إذا قِيسَ الغَما مُ بنَيْلِه ظَلَمَ المُقايِس

يُهـدى لـه دُرَّ المَحا مدِ حَشْوَ أصدافِ القَراطِس

ما نيلَ مجدُهُمُ ، وَأَنْـ ـنَى يَلمُسُ الجوزاءَ لامِس

قَصَدَتْهُمُ رُقَشُ الجوا دِثِ بينَ ناهِسَةٍ وناهِس[6]

وثَنَتْ إليهم أَوجُهَ النْـ ـنَكَبَاتِ باسلةً عَوابِسْ

---

1 القرابس ، مفردها قَرَبوس : حِنو السرج أي قسمه المُقَوَّس المرتفع قدام المقعد ومن مؤخره .

2 المصالت : المضارب بالسيوف . المخالس : المخاتل .

3 القوانس ، مفردها قونس : أعلى بيضة الحديد .

4 جبار المدائن : كسرى .

5 الغَمَاغِم : أصوات تدل على الذعر .

6 نَهَس : نَهَش .

وتنَبَّهَـتْ منهُـم لبـا قي العِزِّ والشَّرفِ القُدامِس[1]
فُجِعُوا بأحمَـدَ مُستضا مَ القِرْنِ مُختَرَمَ المُنافِس[2]
عَبِقَ الحَمائِـلِ والأَعِنْـ ـنَةِ ، والقَوائمِ والمَعاجِس[3]
ما لي أرى الرَّبْضَ اقشعَرْ رَ لِفَقْدِهِ ، فتَراهُ يَابِسْ
وارتَدَّ مُسوَدَّ النَّهـا رِ ، وكانَ مُبيَضَّ الحَنادِس[4]
وغَدَتْ تَجُرُّ بِساحَتَيْـ ـهِ ذيولَها النُّكْبُ الرَّوامِس[5]
ولقد أَراه مُفوَّفَ الـ أَبْـرَادِ مُهتَـزَّ المَغـارِس
حالي الرِّياضِ مُصقَّلَ الـ ـغُدرانِ ، رَقراقَ المَجالِس
فكأنَّـما انتثَرَتْ عليـ ـهِ عُقودُ لَبَّاتِ العَرائِس
وكأنَّما اتَّشَحَتْ رُبا ه مَجاسِدَ الغِيدِ الأَوانِس
وكأَنَّ راحـــةَ ريحِـه عَبِثَتْ ببسباسِ البَسابِس[6]
وكأنَّ يَومَ الدَّجْنِ منـ ـهُ لِغُرَّةِ المَفقودِ شامِس[7]
يا آبْنَ السَّرِيِّ سَرَى الغَما مُ إليكَ بالغُرِّ الرَّواجِس[8]
حتى يعودَ ثَراكَ غَضْـ ـضَ العُودِ مُخضَرَّ المَلابِس
ولَئِنْ رحَلْتَ عن الأَنيـ ـسِ إلى مَحَلٍّ غيرِ آنِس

---

1 القدامس : القديم .
2 يريد أباه .
3 المعاجس : مقابض القسيّ ، مفردها معجس .
4 الحنادس ، مفردها حِنْدِس : الليل الشديد الظلمة .
5 النُّكب : الرياح ، مفردها نكباء . الروامس : التي ترمس الآثار ، تغطيها بما تنشر عليها من الرمال أو التراب .
6 البسباس : الذي يبسبس بالغنم ، يدعوها قائلاً : بِس بِس . البسابس : القفار .
7 الدَّجْن : يوم كثير المطر .
8 الرواجس : الرواعد .

فالدَّهْرُ ليسَ يَفوتُ رَكـ ـضُ خُطوبِه رَكضَ الفَوارِس
أَوَ ما رأيتَ ضَراغِمَ الدْ ـدُنيا لِوَثْبَتِهِ فَرائِس ؟

244

وقال يصف قُثّاء[1] : [من المتقارب]

وَعقفاءَ مثلِ هِلالِ السَّما ولكنَّها لَبِسَتْ سُنْدُسا
عِراقيّةٍ لم يَذُبْ جِسمُها هُزالاً ، ولم تَجْسُ فيما جَسا[2]
زَبَرجَدَةٌ حَسُنَتْ مَنْظَراً ، وكافورَةٌ بَرَدَتْ مَلمَسا
على رأسِها زَهرَةٌ غَضَّةٌ ، كَنَجمِ الظّلام ، إذا عَسعَسا[3]
حَبانا بها مَغرِسٌ طَيِّبٌ ، من الأرضِ أَكرِمْ به مَغرِسا
لها أخَواتٌ لِطافُ القُدُودِ إذا ما تَبَرَّجْنَ ، خُضرُ الكُسا
مُحجَّبَةٌ عن شُموسِ النَّهارِ وبارزَةٌ لنسيمِ المَسا
تَقوَّسُ في حينِ ميلادِها ، ولم أرَ ذا صِغَرٍ قَوَّسا
يَطولُ اللسانُ بإطرائِها ، ويُصبِحُ عن ذَمِّها أخرَسا

245

وقال يعزّي صديقاً له بجارية حجّامة توفّيت له : [من الطويل]

فقدْتَ ، أبا عُمرانَ ، عِرساً شفيقةً ، لها لَوعةٌ يَدمَى عليكَ رسيسُها[4]
وكاتبةً ، أقلامُها ، حين تُنْتَضى ، حديدٌ ، وأعناقُ النِّساءِ طُروسُها

---

1 القثّاء : ما نسميه المقتى .
2 تجسو : تصلب .
3 عسعس : أظلم .
4 الرسيس : بقية الحُب وأثره .

وأبقَتْ فِراخاً حينَ أُعْدِمْنَ زقَّها ، تَصرَّمَ نُعماها وعاودَ بوسُها
فَمَنْ ذا يَقيها السُّوءَ أم مَنْ يُنَجِّها دماءَ ذواتِ الذُّلِّ أم مَنْ يَسوسُها
تَعَزَّ فإنّا للحِمامِ نُفوسُنا ، كذاكَ الغواني للحِمامِ نفوسُها

246

وقال يهجو فارس بن اليمج : [من الطويل]

عفاءٌ على اللّذّاتِ من بعدِ فارسٍ ، فقد عُطِّلَتْ منه حِسانُ المَجالِسِ
جَلا حُرَّ وَجْهٍ قد أضاءَ بثوبِه ، كأنَّ سَناها فيه شُعلَةُ قابِسِ
تُكَسَّرُ أصنافُ المَعازِفِ بَعدَها ، كما عُقِرَ الأفراسُ بعدَ الفوارِسِ
مضى حسَبُ الزَّفْنِ التَّليدِ ، وأصبحَتْ رسومُ المَلاهي كالرسومِ الدَّوارِسِ[1]
نعيمٌ رَمَته الحادثاتُ بفادِحٍ ، فزالَ ، وسَعْدٌ أردَفَتْهُ بناحِسِ
ومُختَلَسٌ من حَومَةِ اللَّهوِ لم تَنَلْ مَقاتِلَه أيدي الحِمامِ المُخالِسِ
تَسلَّبَ رَوْضُ الياسِريَّةِ بعدَه ، وكانَ جديدَ الحَلْيِ ، غَضَّ المَلابِسِ[2]
وجَنَّتْ ثِمارُ الرَّنْدِ وَرْداً ، وطالما تَصدَّعْنَ رَيّاً في رِطابٍ مَوائِسِ[3]
يُرَدِّدُ في غَرْسِ البَطالَةِ ، بعدَه ، عيوناً تَراه مُقشَعِرَّ المَغارِسِ
فما للتُّقى عارٍ به مَشهَدُ الصِّبا ، وكادَ المُنى كَيدَ العدوِّ المُنافِسِ
وما بالُ أعناقِ الكؤوسِ عَواطِلاً ، وكانَتْ به في مثلِ حَلْيِ العَرائِسِ
وما بالُ حاناتِ العِراقِ تنكَّرَتْ ، فأصبحَ منها مُوحِشاً كلُّ آنِسِ
أرى وَرْدَها ما بين مُودٍ وذابلٍ ، وريحانَها ما بين ذاوٍ ويابِسِ

---

1 الزّفن : الرقص .

2 تسلّب : لبس السلاب ، وهي ثياب المآتم السود .

3 جنّت الثمار : أخرجت زهرها . الرّند : نبات من شجر البادية طيّب الرائحة . مَوَائِس : متمايلة .

فَدَتْكَ نَفيساتُ النُّفوسِ مِنَ الرَّدَى ، ومثلُكَ يُفْدى بالنُّفوسِ النَّفائِسِ
نَسَكْتَ ، فلا ليلُ الغَبوقِ بِمُقْمِرٍ علينا ، ولا يَومُ الصَّبوحِ بِشامِسِ[1]
كأنَّكَ لم تَحْدُ الكُؤوسَ ، وقد حَدَتْ طليعَةُ ضَوْءِ الصّبحِ غيرَ الحَنادِسِ
ولم تؤنِسِ الشَّرْبَ الكِرامَ بمُخطَفٍ من الزَّنجِ حَنَّانِ الغُدُوِّ مُؤانِسِ[2]
وقد فَتَقَ الإصباحُ رتقَ جفونِهِم ، وقارعَ طيبَ الغُمْضِ قَرْعُ النَّواقِسِ
هوىً دَرَسَتْ أعلامُه فكأنما تَرامَتْ به أيدي الرِّياحِ الرَّوامِسِ
ورَبْعٌ شَكا من فُرقَةِ اللَّهوِ ما شَكَتْ رُبوعُ التَّصابي من فِراقِ الأَوانِسِ
فليسَ هَزارُ الشَّدْوِ فيه بناطِقٍ ، وليسَ قَضيبُ الرَّقصِ فيهِ بمائِسِ[3]
أأرغَبُ في اللَّذَّاتِ من بعدِ فارسٍ ، وقد رُمِيَتْ من نُسكِهِ بالدَّهارسِ
فتبّاً لها ، إذ تابَ من نَقْرِ دُفِّهِ ، ولا سُقِيَت صَوبَ الغُيوثِ الرَّواجِسِ

247

وقال يمازح رجلاً من أهل بغداد : [من المنسرح]

مَنْ ذَمَّ إدريسَ في قِيادَتِهِ ، فإنني حامِـدٌ لإدريسِ[4]
كَـلَّمَ لي عاصياً ، فكانَ له أطـوعَ مـن آدمٍ لإبليسِ
وكانَ في سرعَةِ المَجيءِ بِهِ ، آصفَ في حَمْلِ عَرشِ بَلقيسِ[5]

---

1 الغبوق ما يشرب بالعشي ، والصبوح ما يشرب في الصباح .
2 أراد بالمخطف : العود . وقوله من الزنج : أي من خشبٍ أسود ، ولعله الأبنوس .
3 الهَزار : العندليب .
4 القيادة : مهنة القوّاد الذي يقود النساء إلى الرذيلة .
5 آصف : جنّي ، حمل عرش بلقيس من بلادها إلى حيث كانت عند سليمان بن داود ، في أقل من طرفة عين .

248

وقال : [من الطويل]

مَحلُّكَ من وَصْلِ الأحبَّةِ آنسُ ، وغُصنُكَ من ماء الشَّبيبَةِ مائِسُ
تمتَّعْ من اللَّذّاتِ قبلَ نَفادِها ، وبادِرْ ، فإنّا للخُطوبِ فَرائِسُ
ألا حَبَّذا المَرْجُ العَليلُ نسيمُه ، إذا نَبَّهَتْني للصَّبُوحِ النَّواقِسُ
ومالَتْ غُصونٌ زيَّنَتْها مَناطِقٌ ، ولاحَتْ شُموسٌ تَوَّجَتْها حَنادِسُ
ودارَتْ على النُّدمانِ مِنْ خَمْرِ بابلٍ عَروسٌ حَوَتْ حُسنَ الصِّبا ، وهيَ عانِسُ
ألم ترَني أجرَرْتُ في اللَّهوِ مِقوَدي ، فأضحَكْتُ أيَّامي ، وهُنَّ عَوابِسُ
ولم أَعْبَ بالوعْدِ الذي وَعَدَ الوَرى ، فمَنْ كان يرجوه ، فإني آيسُ[1]

249

وقال : [من الوافر]

رأَتْ شيئاً يُضاحِكُها ، فصَدَّتْ ، وكان جَزاؤُهُ منها العُبوسا
وقالَتْ ، إذ رأَتْ للمِشْطِ فيه سَواداً لا يُشاكِلُهُ نَفيسا :
تَلَقَّ العاجَ منه بمِشطِ عاجٍ ، ودَعْ للآبنوسِ الآبنوسا
فإنْ أُسِيَتْ لجُرْحِ الشَّيْبِ نَفْسي ، فإنَّ الشَّيْبَ جُرْحٌ ليسَ يُوسى[2]

250

وقال يهجو رجلاً من الشام : [من السريع]

قد ترَكَتْ عِرسُ أبي جَعْفَرٍ فؤادَه في الحُبِّ مَخلُوسا[3]

---

1 أعبَ : مخففة عن أعبأ : أبالي .

2 يوسى : يعالج ، من آساه .

3 مخلوس : مسلوب .

وآثَرَتْ فيشةَ مُوسى لِمَا غادرَه من بَظْرِها المُوسَى[1]
فأطلَقَتْ فيها وفي بَعْلِها كلَّ لسانٍ كانَ مَحبوسا

251

وقال يصف ثلاثة أكلب صِيد بها ظباء : [من الطويل]

إذا ما دعونا لاحِقاً ومُعانِقاً ، وقِيدَ لدَيْنا واثِبٌ ومُخالِسُ[2]
فذلك يَومٌ جانبَ السَّعدُ سِرْبَه ، وقُوبِلَ بالنَّحْسِ الظِّباءُ الكَوانِسُ[3]
كأنَّ جُلودَ الوَحْشِ بينَ كِلابِه ، وقد دَمِيَت أجيادُها والمَعاطِسُ
مُصَندَلَةُ القُمصانِ شُقَّتْ جُيوبُها ، ورُقرِقَ فيها الزَّعْفَرانَ العَرائِسُ

252

وقال لأبي أحمد طاهر الهاشميّ بحلب ، وقد أمر بضرب رجل من حاشيته : [من البسيط]

إذا غَضِبْتَ ، فلا تَعجَلْ بسيِّئَةٍ ، فالعفوُ شأنُكُمُ يا آلَ عَبَّاسِ
وكُنْ صَفوحاً فإنَّ الصَّفْحَ مَنقَبَةٌ أذكَى من الوَرْدِ ، غِبَّ القَطْرِ ، والآسِ
فإنَّما الحمدُ منّا ، والثَّوابُ غداً لكاظمِ الغَيْظِ والعافي عن الناسِ

253

وقال[4] : [من الخفيف]

وجسومٍ إذا الرؤوسُ عَلَتْهُنْـ ـنَ أثارَتْ حلَّت قُواها الرؤوسُ

---

1 الفيشة : رأس الذكر .

2 لعل ما ذكره بعد قوله : دعونا ، أسماء الكلاب التي صاد بها .

3 الكوانس : المستترات في كِنَاسها أي بيتها .

4 بيتان مشوَّهان بالتحريف لا يفهم منهما شيء .

موتُها من نفوسِها ، وعجيبٌ   من جسومٍ بُدْنُهُنَّ النّفوسُ

254

وقال يهجو الخالديَّ الأكبر[1] وزوجتَه : [من الرجز]

أَكُلَّ يَوْمٍ تَغْتَدِي عَرُوسا   بُـؤْسًا لِعِرْسِ الخَالِدِيِّ بُوسَا

وَفَارَقَتْ مِنْ نَتْنِهِ نَاوُوسَا[2]   خَلَّتْهُ وَاعْتَاضَتْ فَتًى نَفِيسَا

وَبَدَّلَتْ مِنْ رَخَمٍ طَاوُوسَا[3]   فَصَادَفَتْ رَبْعَ هَوًى مَأْنُوسَا

وهيَ تَرَى الأَقْمَارَ والشُّمُوسَا   وَكَيْفَ تَهْوَى وَجْهَهُ العَبُوسَا



1 هو أبو بكر محمد بن هاشم الخالدي .

2 اعتاضَتْ : أخذَتْ آخرَ عِوَضاً منه . الناووس : صندوق من خشب يضع النصارى فيه جثة الميت .

3 الرَّخَم : طائر من الجوارح ، ريشه أبيض ممزوج بسواد وشُقرة .

قافية الصاد

255

وقال في الشمشاطي وقد أغار على شعره : [من الرجز]

قد أُشكَلَ الأمرُ ، فهل من فاحِصٍ ؟ حتَّامَ لا أنفَكُّ من مُقارِصٍ[1]
مُطارِدٍ شعري طِرادَ قانصٍ ، لَوى عن الدُّرِّ يمينَ الغائِصِ
وعابَ إبريزَ الخلاصِ الخالصِ ، وشاهدي بالفضلِ عَيبُ النّاقصِ

256

وقال يصف اللَّيُنوفَر : [من الطويل]

ولَيُنوفَرٌ أوراقُه الخُضْرُ تحتَه ، بِساطٌ ، إليه الأعينُ النُّجلُ شُخَّصُ
إذا غاصَ في الماءِ النَّميرِ حَسِبْتَهُ رؤوسَ إوَزٍّ في غِياضٍ تُغَوِّصُ[2]

---

1 المقارص : الذي يبادلك القرص .

2 غِياض ، مفردها غَيْضَة : مجتمع الشجر في تجمّع ماء ؛ الأجمة .

قافية الضاد

257

وقال يصف الشبكة : [من الرجز]

قد أَغتدي قبلَ وُجوبِ الفَرضِ ، والجَفْنُ قد وَدَّعَ طِيبَ الغُمْضِ
وبارقُ الأُفْقِ كَليلُ الوَمْضِ ، كأنَّه عِرْقٌ ضَعيفُ النَّبْضِ
بكلِّ وافي الطَّرَفَينِ مَحْضِ ، مُبْتَذَلِ الوَفْرِ مَصونِ العِرْضِ
قد نَصَبوا للحائنِ المُنقَضِّ ، قِدّاً يَعَضُّ السَّاقَ أيَّ عَضٍّ[1]
ضُعْفَ عُيونٍ لم تُشَنْ بِغَضٍّ ، لها مَآقٍ رَسَبَتْ في الأرضِ
طارِقُهــا في قَلَــقٍ ونَفْضِ ، يَضْرِبُ بعضَ ريشِهِ بِبَعْضِ
بينَ عُلُــوٍّ مُوبِــقٍ وخَفْضِ ، ونَهْضِ لا مُنتَفِعٍ بِنَهْضِ[2]
فكم رَمَتْ ذا بَسْطَةٍ بِقَبْضِ ، وأمسكَتْ بِكراً على مُفتَضٍّ
معاجِــلٍ سِوارَهــا بِفَــضٍّ يا لَكِ من آلــةِ رِزْقٍ غَضٍّ
تملأُ كفَّيْ رائدٍ وتُرضي

258

وقال يصف الشبكة أيضاً : [من الطويل]

ومارِقَةٍ مَرْقَ السِّهامِ تَضُمُّها ، قَرارَةُ مَسجورٍ طمَى ثم عَرمَضا[3]

---

1 الحائن : أراد الذي قرب حينه ، أي هلاكه . القد : السير من الجلد .

2 مُوبِق : مُهْلِك .

3 المسجور : النهر أو البحر الممتلىء ماء . طمى : امتلأ . عرمض : علاه العرمض ، وهو الطحلب : خضرة تعلو الماء .

بعَثْتُ لها جِسماً لِحاظُ عُيونِه ، إذا أعرَضَتْ ، حَتْفٌ لهنَّ تَعرَّضا

ترحَّلَ عن أوطانِه كلُّ مُكرَهٍ ، إذا بانَ عن أوطانِه ساعةً قضَى

وكلُّ مَليحِ القَدِّ ، إنْ نَشرَ الرَّدى عليه رِداءً ، لاحَ فيه وأوْمَضا

كأنَّ يدَ المُرتادِ ، إذ ظَفِرَتْ بِه ، مُجرَّدَةٌ منه سِناناً مُفَضَّضا

259

وقال : [من البسيط]

خُذا مِنَ العَيشِ ، فالأعمارُ فانيةٌ ، والدَّهْرُ مُنصَرِفٌ ، والعُيشُ مُنقَرِضُ

في حاملِ الكأسِ من بَدْرِ الدُّجَى خلَفٌ ؛ وفي المُدامَةِ من شَمْسِ الضُّحَى عِوَضُ

كأنَّ نَجْمَ الثُّرَيَّا كَفُّ ذي كَرَمٍ ، مَبسوطَةٌ للعَطايا ، ليسَ تَنقَبِضُ

دارَتْ علينا كؤوسُ الخَمْرِ مُترَعَةً ، وللدُّجى عارِضٌ في الجَوِّ مُعتَرِضُ

حتَّى رَأيتُ نُجومَ اللَّيلِ غائِرَةً ، كأنَّهُنَّ عيونٌ حَشْوُها رَمَضُ[1]

260

وقال في رجل أذاع له سِرّاً : [من الوافر]

ثَنَتْني عنكَ ، فاستشعرْتُ هَجراً ، خِلالٌ فيكَ لستُ لها بِراضي

وأنَّكَ كلَّما استُودِعْتَ سِرّاً أنَمُّ من النَّسيمِ على الرِّياضِ

261

وقال : [من الطويل]

ألا رُبَّ لَيلٍ بِتُّ أرعى نُجومَه ، فلم أغتَمِضْ فيه ، ولا اللَّيلُ أغمَضا

---

1 الرَّمَضُ : شدة الحر ، ويريد بها النار .

كأنَّ الثُـرَيَّا راحَةٌ تَشْبُرُ الدُّجى ، لتعلمَ طالَ اللَّيلُ لي أم تعرَّضا[1]
عَجِبْتُ لِلَيلٍ بينَ شَرْقٍ ومَغرِبٍ ، يُقاسُ بشِبرٍ ، كيفَ يُرجَى له آنْقِضا

262

وقال يصف فاضل كأس[2] : [من الطويل]

وَصَفْراءَ مِنْ مَاءِ الكُرُومِ شَرِبْتُها عَلَى وَجْهِ صَفْراء الغَلائِلِ غَضَّةِ
تَبَدَّتْ وَفَضْلُ الكَأْسِ يَلْمَعُ فَوْقَهَا كَأُتْرُجَّةٍ زِينَتْ بِإِكْلِيلِ فِضَّةِ



1 تَشْبُرُ : تقيس بالشِّبْر .

2 يريد بقايا الخمر وهي في الكأس .

قافية الطاء

263

وقال يهجو عليّ بن محمد الشمشاطي : [من الكامل]

بينَ الشُّنوفِ الحُمْرِ والأَقراطِ أجيادُ فاترةِ الجُفونِ عَوَاطي[1]

وصلَتْ بنا سُكرَ الصَّبابَةِ وانثَنَتْ ، سَكرى القُدودِ نَحائِفَ الأَوساطُ

وعَلَتْ ثِمارُ صُدورِها أجسادَها ، فحُرِمْنَ مَسَّ مَجاسِدٍ ورِياطِ

لم أَرْضَ سُقيا الدَّمْعِ ، وهو رِضىً لها ، فشَرَطْتُ سُقياها على الأَشراطِ[2]

ولقد تُسلِّفُني الجَوى ، وتُرينَه بِسَوالفِ الرَّشإِ الأَحَمِّ العاطي[3]

وحِقـاقِ عـاجٍ نُقِّطَتْ أطرافُها بالمِسْكِ لم تُنْسَبْ إلى خَرَّاطِ

ومُرَجَّلٍ لا صُبحَ في ظُلُماتِـه ، إلا حـلـمـــة الأمشـــاطِ[4]

صُقِلَـتْ سَلاسِلُـهُ وكُسِّـرَتْ بأنامـلٍ ، مثـلِ اللُّجينِ ، سِباطِ[5]

أيَّامَ للقلبِ المُفَرِّطِ في الصِّبا ، ما شاءَ من فَتْكٍ ومن إفراطِ[6]

إذ للعواذلِ غَفلَتي وتَكاسُلي ، وإلى الغَوايَةِ نَهضَتي وَنَشاطي

---

1 الشنوف ، مفردها شنف : ما علّق في أعلى الأذن من الحلي . الأقراط ، مفردها قرط : ما يعلّق في شحمة الأذن . عواطٍ : مشرئبّات الأعناق .

2 الأشراط، مفردها شرط : كل مسيل صغير .

3 قوله : وترينه بعد تسلّفني : التفات من الغائب إلى المخاطب . العاطي : الذي يعطو : يمدّ عنقه ليتناول ثمر الأراك . الأحمّ : الأسود أو الأبيض .

4 هكذا ورد في الأصل ناقصاً . المرجّل : يريد شَعْراً مسرّحاً .

5 هكذا ورد في الأصل ناقصاً . سِبَاط : ليّنة وحَسَنَة .

6 الفتك : ركوب المرء ما همّ به من الأمور ، ودعت إليه النفس . الإفراط : تجاوز الحدّ .

أختالُ بينَ جآذرٍ ومَزاهِرٍ ، وأرودُ بين دساكِرٍ وبَواطِي[1]
والرَّوْضُ قد نشرَ الحَيا أنماطَه ، فكأنَّهُنَ غَرائبُ الأنماطِ[2]
ما للزَّمانِ سطَا على أشرافِنا ، فتُخُرِّموا وعَفا عن الأَنباطِ[3]
أَعداوَةٌ لذوي العُلى أم هِمَّةٌ سَقَطَتْ فمالَ بها إلى السُّقَّاطِ
خضَعَتْ رِقابُ بَني العَداوَةِ إذ رَأَتْ آسارَها يتعد تحتَ سياطي[4]
حتى إذا نَكَصَتْ على أعقابِها دَلَفَ النَّبيطُ إليَّ من شِمْشاطِ[5]
صَدَقَ المعلِّمُ أنه من أسرَةٍ عربٍ يَسُوسُهُمُ بنو سُنباطِ[6]
آباؤكَ الأشرافُ إلا أنهم أشرافُ موشَ وشاطحٍ وخِلاطِ[7]
نَسَبٌ يُبَيِّنُ عن سُقوطِكَ نَشرُه ، كالثَّوْبِ تَنشُرُهُ عن الأسفاطِ[8]
ثَكِلَتْكَ داميَةُ القَرا مجلودَةٌ ، نَبَذَتْكَ خائِفَةً بغَيرِ قِماطِ[9]
عَجِلَتْ فلم تَحْتَطْ عليكَ من الرَّدى ، ورَجَتْ حِياطَةَ مُسلمٍ مُحتاطِ

---

1 الدَّسَاكر : بيوت يكون فيها الشراب والملاهي . البواطي : أواني الشراب ، مفردها باطية .
2 الأنماط ، مفردها نمط : ضرب من البُسط .
3 الأنباط : قوم من العجم كانوا ينزلون العراق ، ثم استعمل في أخلاط الناس . تَخَرَّمه : أهلكه واستأصله .
4 قوله : آسارها يتعد : هكذا في الأصل .
5 نكصت على أعقابها : رجعت من حيث جاءت . النّبيط : قوم من العجم كانوا ينزلون بين العراقين . شمشاط : هي سميساط ، مدينة في الأناضول .
6 سُنباط : بلد بأعمال المحلّة من مصر .
7 موش وشاطح : لم نعثر عليهما في المعاجم ، ولعلهما بمعنى خلاط ، أي خليط من الناس ، ويريد هنا أن نسبه غير عربي .
8 الأسفاط ، مفردها سفط : وعاء كالقفّة أو كالجُوالق .
9 القرا : الظهر .

جفَتِ الخلوقَ ، فليسَ يَعرِفُ جسمُها إلا خَلـوقَ مواقـعِ الأسواطِ[1]
قد كانَتِ الدُّنيا عليكَ فَسيحَةً ، فاليومَ أضحَتْ ، وهي سُمُّ خِياطِ[2]
أَسْخَطْتَني ، وجناةُ عَيشِك حُلوَةٌ ، فجنَيْتَ مُرَّ العَيْشِ من إسخاطي
وعَلِمْتَ ، إذ كلَّفْتَ نفسَك غايَتي ، أنَّ الرِّيـاحَ بعيـدةُ الأشواطِ
أَترومُني ، وعلى السِّماكِ مَحلَّتي ، شَرَفاً ، وبينَ الفرقَدَيْنِ صِراطي[3]
من بَعْدِ ما رَفَعَ الأكابرُ مَجلِسي ، فجلَسْتُ بين مُؤَمَّرٍ وَسِماطِ[4]
وغَدَتْ صوارِمُ مَنْطِقي مشهورةً بينَ العِراقِ تُهَزُّ والفُسطاطِ
وحَطَطْتُ مَنزِلَةَ العَدُوِّ بِمِقْوَلٍ كشَبَا الأَسِنَّةِ ، رافعٍ حَطّاطِ
هيهاتَ دونَ مُناكَ حَزُّ مَفاصِلٍ ، وجِراحُ أفئِدَةٍ ونَزعُ نِياطِ[5]
أغراكَ جَهلُكَ بالقَريضِ وَرَثِّهِ ، حتَّى انتحَاكَ بِمخلَبٍ عطّاطِ[6]
وقد امتحنْتَ دَعاوِياً لكَ بيَّنَتْ عن بَحْرِ تَمويهٍ بَعيدِ الشاطي
فرأيتُ عِلمَكَ من خَراً وخَراطَةٍ ، ووَجَدْتُ سَعدَكَ من فُسا وضِراطِ[7]
وغَريبَةٍ أضحَتْ لعِرْضِكَ شامةً عَلَماً كما أعلمتَ ثَوبَ قِباطي
تركَتْكَ نَزرَ القِسْطِ من طِيبِ الكَرى ، ومِنَ الهُمومِ مُوفَّرَ الأَقساطِ
لَفْظٌ تَراه عَقارِباً مبثوثةً ، ويَراهُ غيرُكَ جَوهَرَ الأَسفاطِ
فاصبِرْ لتَقطيعِ القَذالِ ومَنْ أَصُنْ عنه الحُسامَ أَدَعْهُ للمِشراطِ[8]

---

1 الخلوق : ضرب من الطيب أجزاؤه من الزعفران .
2 السم : الثقب . الخياط : الإبرة .
3 السِّماك : كوكب .
4 سِمَاط القوم : صفُّهم .
5 النياط : عروق في القلب .
6 عطّاط : غلاّب .
7 الخراطة من أخرطه الدواء : أسهله .
8 القذال : ما بين الأذنين من مؤخّر الرأس .

قُلْ للغُواةِ المُسرِعينَ لِنَصْرِهِ إسراعَ وارِدَةِ القَطا الفُـرَّاطِ[1]
سأعيدُ بسطَ القولِ في أعراضِكم والجَـوْرُ للسُّفهاءِ خيرُ بساطِ
شامُوا بَوارِقَ حَيْنِهم ، واستنبطوا مـاءَ المَنِيَّةِ أيَّمـا استِنْباطِ
حُـرَّاثُ مَزْرَعَةٍ وأحمَقُ لِحيَـةٍ ، ومُعَلِّـمٌ يُنْمـى إلى خيَّـاطِ
لو حُدَّ مُنْتَهِبُ القَريضِ تجاوَزوا في الحَدِّ ، أو قُطعوا منَ الآباطِ
كُفُّوا ! فلستُ أُعَرِّضُ الحَسَبَ الذي لا خِلْطَ فيه لـمَعْشَرٍ أخلاطِ

264

وقال يصف أترجَّة مُقَفَّعة : [من المنسرح]

انظُر إلى صُورَةٍ مُكَمَّلَةٍ ، كأنَّ منها المُدامَ قد خُلِطا
تِبريَّةَ اللَّونِ ، في محاسِنِها ، كعاشقٍ من حَبيبِه قَنَطا
كأنها كَفُّ حاسبٍ عَجِلَتْ ، فهي من الخَوْفِ تَحذَرُ الغَلَطا

265

وقال يهجو قحطان الكنديّ : [من الهزج]

ورَكْبٍ أَمـَّموا قَحطا نَ ، واللَّيلُ بِهِمْ يَسطُو
فحطُّوا رَحلَهم ، منه بوادي الجَدْبِ ، إذ حَطُّوا
وأنَّى يَفْعَلُ الخَيْرَ فتى نِصفُ اسمِه قَحطُ

---

1 الفرّاط : المتقدّم إلى الماء .

قافية العين

266

وقال يمدح أبا الفوارس سلامة بن فهد الأزديّ : [من الكامل]

إلفَ الخَيالِ أراكَ إلفاً شاسِعا ، وَصَلَ الهُجوعَ وزارَ ركباً هاجِعا
أهلاً بمُبتَسِمٍ تَغَيَّبَ آفلاً ، بَدرِ التَّمامِ ، وقدِ تجلّى طَالِعا
لَتَلَذُّ لي بينَ العَقيقِ مَضاجِعي ، مادامَ طَيفُكَ لي يَهُزُّ مَضاجعا
أَبَتِ الرَّكائِبُ أن تَعُنَّ ، وقد دَعَتْ قلباً تأبّى ثم أُصحَبَ طائِعا[1]
بأوانسٍ تَدَعُ الدُّموعَ أوانِساً ، ورَواتِعٍ تَدَعُ القلوبَ رواتعا
لم تَنْكَشِفْ عنها البَراقِعُ لوعةً ، إلا وأُلبسَهـا الحيـاءُ بَراقِعا
كتَمَتْ سُجوفُ الرَّقْمِ ذائعَ حُسْنِها ، وأَعَدْنَ مكتومَ الصَّبابَةِ ذائِعا[2]
فسَفَرْنَ عن شِيَمِ الوَدادِ بَواذِلاً مِنْ وَصْلِنا ما كُنَّ قبلُ مَوانِعا
لو رُمْنَ تَضييعَ العُهودِ ونقضَها ، لَحفَظْنَ دُرّاً في المحاجرِ ضائِعا
يغتالُنـا البَيْنُ المُفَـرِّقُ شملَنـا وتُبيحُنا الأحلامُ شَملاً جامِعا
خَلَعَ السُّرورُ بِعَرصَتَيْكَ عِذارَه ، ما اقتادَ فيك جوى الصَّبابةِ خالِعا
وسَقَتْ دموعُ الغَيْثِ رَبعَكَ ما سَقَتْ منّا لذِكْراكَ الدموعُ مَدامِعا
غَدَتِ الوفودُ بِنَظْمِ حَمْدٍ شائعٍ ، لمّا رَأَتْ كَرَمـاً وفَضْلاً شائِعا
وثَنى الرَّجاءُ إلى ابنِ فَهْدٍ عِطْفَه ، فغدا على رَبْعِ المكارمِ رابِعا
مَلِكٌ يَـمُدُّ إلى العُفاةِ أنامِلاً ، كادَتْ تَكونُ من السَّماحِ يَنابِعا
أوفَى ، فأشرقَ بينَ نَشْرٍ ساطعٍ ، قمرٌ يُعيدُ اللَّيلَ فَجْراً ساطِعا

---

1 تَعُنّ : تظهر . أُصْحَب : انقاد بعد صعوبة وامتناع .

2 الرّقم : ضرب مخطَّط من الوشي أو البرود .

متتابعُ المعروفِ يَنبُعُ في النَّدى والبأسِ أدواءٌ له وتَبايعا[1]
فإذا رآكَ البِشْرُ بَرْقاً لامِعاً ، منه ، أراكَ الجُودُ غَيْثاً هَامِعا[2]
تَنْتابُهُ نُوَبُ الخُطوبِ ، فَتَنْثَني عنه ، وهل تَثني الخطوبُ مَتالِعا[3]
حِلْمٌ يـردُّ البأسَ فيـه كأنَّه غِمْـدٌ حَوى عَضبَ المَهَزَّةِ قَاطِعا
لمّا استعَنْتُ على الزّمانِ بجُودِه ، أعطى المُنى قَسْراً ، وكان مُمانِعا
كم مَعْرَكٍ عَرَكَ القَنا أبطالَه ، فسقاهُمُ في النَّقْعِ سُمّاً ناقِعا
هَبَّتْ رِياحُكَ في ذُراهُ سَمائِماً ، وغَدَتْ سماؤُكَ تَستَهِلُّ فَجائِعا[4]
فتَرَكْتَ من حَرِّ الحديدِ مَصائِفاً فيه ، ومن فَيْضِ الدِّماءِ مَراتِعا
وغَدَوْتَ من حُبِّ الوَقائعِ باسِطاً يُمناكَ تُوقِعُ في التَّليدِ وَقائِعا
شغَلَتْكَ عن حُسْنِ السَّماعِ مَدائِحٌ حَسُنَتْ فما تَنفَكُّ تُطرِبُ سامِعا
طلَعَتْ عليك ، أبا الفوارسِ أنجُمٌ منهُنَّ ، يُخْجِلْنَ النُّجومَ طَوالِعا
زُهْرٌ ، إذا صَافَحْنَ سَمْعَ مُعانِدٍ خَفَضَ الكلامَ ، وغَضَّ طَرْفاً خاشِعا
جاءَتْكَ مثلَ بدائعِ الوَشْيِ الذي مازالَ في صَنعاءَ يُتْعِبُ صَانِعا
أو كالرَّبيعِ يُريكَ أخضَرَ يانِعاً وموَرِّدًا شَرِقاً ، وأصفرَ فاقِعا[5]

267

وقال يمدحه أيضاً ويذكر داره على دجلة : [من المنسرح]

أإنْ دَنا الشَّوقُ بعدَ ما شَسَعا ، وأَسعَدَ الدَّمعُ بعدَ ما امتَنَعا

---

1 التبايع ، مفردها تبيع : النصير .
2 هامع : منهمر .
3 متالع : ما علا من الأرض .
4 السمائم : الرياح الحارة .
5 شَرِقَ لونه : احمرّ من الخجل .

وَصَلْتَ ماءَ الشُّؤونِ من كَمَدٍ يُقَطِّعُ القلبَ حَرُّهُ قِطَعا[1]
أَبارِقٌ بالغَديرِ أذكَرَني لَمْعَ الثَّنايا العِذابِ ، إذ لَمَعا
أَمْ عارِضٌ لايَزالُ مُعْتَرِضاً يَصْدَعُ أَحشايَ كلَّما انصَدَعا
سَقياً لِسَلْعٍ ، وإن سُقيتُ به الصَّـ ـبا ، غَداةَ الوَداعِ ، والسَّلَعا[2]
ودَّعتُهُم ، والأسى يُجرِّعُني بالأجرعِ الفَرْدِ كأسَه جُرَعا[3]
ومِنْ وراءِ السُّجوفِ بَدرُ دُجىً ، يُخجِلُ بَدرَ الدُّجى ، إذا طَلَعا
أُولعَ جَفْنَيْه بي ليقتُلَني سَهْماهُما ، واقِعاً ، ومُنتَزَعا[4]
لا تُولِعا بالمَشوقِ لومَكُما ، وإنْ تمادَى غَرامُه وَلَعا
وَلّى ورَدْعُ العَبيرِ يمنحُه رَيّاهُ طيبَ العناقِ لأرتَدَعا[5]
كم عَزْمَةٍ كالشِّهابِ عُدْتُ بها مَحَتْ مَغيمَ الهُمومِ ، فانقَشَعا
وكم وَصَلْتُ الوَجيفَ مُنْتَجِعاً جَدْوى ابنِ فَهدٍ فرُحْتُ مُنتَجِعا[6]
فَيْءٌ غدا رافِعاً لأُسْرَتِهِ رايةَ مَجدٍ يَزيدُها رِفَعا
يُريكَ فِعْلاً في البِشْرِ مُبتَدَعاً منه ، ومَعنىً في الجُودِ مُختَرَعا
مازالَ يعلو رُبا الفَخارِ ، ويحـ ـتَلُّ يَفاعَ العَلاءِ مُذْ يَفَعا[7]
وَقَتْكَ من عَثرَةِ الرَّدى عُصَبٌ ، إن عَثَروا قلتَ بالسَّماحِ : لَعا[8]
عيدٌ مُعادٌ عليك مُمتِعُه ، ما لاحَ ضَوْءُ النَّهارِ ، أو مَتَعا[9]

---

1 الشؤون : عروق الدموع .

2 الصِّبا : الشوق . السَّلع : شجر مُرّ ، أراد عصيره .

3 الأجرع : رملة مستوية لا تنبت شيئاً ، ولعلَّه أراد موضعاً بعينه .

4 مُنْتَزَعاً ، من نَزَع بالسهم : رمى به .

5 الرَّدْع : أثر الطِّيب في الجسد .

6 الوجيف : ضرب من السير السريع . منتجعاً : هائثاً .

7 اليفاع : التل المشرف ؛ كل ما ارتفع من الأرض .

8 لَعَا : كلمة تُقال للعاثر دعاءٌ له ، أي أنعشك الله وأقامك من عثرتك .

9 مَتَعَ النهار : ارتفع أو بلغ غاية ارتفاعه .

ومَنـزِلٍ ، إنْ جَفَاه نازِلُـه حَنَّ اشتِياقاً إليه ، أو نَزَعا[1]
رَقيقُ ثَوبِ الهواءِ تَدفَعُه أمواجُ بَحْرٍ يَموجُ مُندَفِعا
جانَبَهُ القُرُّ والهَجيرُ ، فقَد طابَ مَصِيفاً ، وطابَ مُرتَبَعا
وصافَحَتْ ماءَه الصَّبا ، فغَدا مُنخَفِضاً ، تارَةً ، ومُرتَفِعا
واتَّجَهَت فيه كلُّ كاشِفَةٍ وَجْهاً بِثَوْبِ الظَّلامِ مُدَّرِعا
تَحمِلُ في السَّيرِ إخوةً ، فإذا حانَ مَدى السَّيرِ أصبحوا شِيَعا
فنازِلاتٌ تَهوي على عَجَلٍ ، تَهاوِيَ الطَّيْرِ أُشعِرَتْ جَزَعا
وصاعِداتٌ تَسيرُ في مَهَلٍ ، كالخَيْلِ أبقى بها السُّرى ظَلَعا[2]
يَقودُها كلُّ قائدٍ تَعِبٍ ، كأنَّه راكِعٌ ، وما رَكَعا
فكلُّ حُسْنٍ تَراه مُفْتَرِقاً فيه ، إذا جِئْتَه ومُبتَدَعا
بَدائِـعٌ لا يَـزالُ مُبدِعُهـا ، يُظْهِرُ لي من صَنيعِهِ بِدَعا
تَـمَلَّ أيامَكَ التي حَسُنَتْ ، فَهْيَ تُضاهي الأعيادَ والجُمَعا
وخِلعَةٍ من ثَنايَ دَبَّجَها الـ ـفِكْرُ ، ففاقَتْ بِحُسنِها الخِلَعا
وقَرَّبَ الحِذقُ لَفْظَها ، فغَدا من قُربِهِ مُطمِعاً ومُمتَنِعا

268

وقال يهجو فارس بن اليمج ، وقيل إنه كان في حداثته رقّاصاً ببغداد ، منزله في المخَرَّم ، ثم تأدَّبَ بعد ذلك ، وكان دعا السريّ إلى الاعتزال ، فأبى عليه ، فعاداه لذلك ، ويصف زفنه : [من الوافر]

يُرَوِّعُ هَجرُها قلباً مَرُوعا ، صَديعُ الشَّيْبِ يملؤه صُدُوعا

---

1 نزع : أشرف على الموت .

2 الظَّلَع : العرج .

أَرَتْها الأَربعونَ هَشيمَ رَوْضٍ ، وقبلَ الأربعينَ رَأَتْ رَبيعا
هَزيعُ شَبيبَةٍ ، طَلَعَتْ عليه كواكِبُه ، فرصَّعَتِ الهَزيعا[1]
ألا ، فاعجَبْ لِما صَنَعَ الغَواني ، فقد أَفسَدْنَ بالغَدْرِ الصَّنيعا
كَفَرْنَ بذلك الصَّنمِ المُفَدَّى ، وكُنَّ له سُجوداً أو رُكوعا
يَرَيْنَ بُعادَه قُربَ الأماني ، وضِيقَ عِناقِه العيشَ الوَسيعا
ليالِيَ يُخجِلُ الرَّيحانَ ريحاً ، إذا اتَّشَحَتْهُ غانيةٌ ضَجيعا
أأبناءَ الطَّريقِ دَعُوا طريقاً ، سبقْتُ ذَوي السِّباقِ به جَميعا
فلستُ مُجاوِراً إلا جَواداً ؛ ولستُ مُقارِعاً ، إلا قَريعا[2]
أنامُ على قوارِصِكُم وعندي قوارِصُ تسلُبُ المُقَلَ الهُجوعا
أهُزُّ بها على قَوْمٍ سُيوفاً ، وأجعلُها على قَوْمٍ دُروعا
إذا سارَتْ مُشنِّعَةً عليكم ، فرُدُّوا ذلك الخَبَرَ الشَّنيعا
أَزَفَّانَ المُخرَّمِ ! إنَّ شِعْري بحُرِّ الشِّعْرِ أحرَى أن يَشيعا[3]
تركْتَ الدُّفَّ تَنقُرُهُ اكتساباً ، ومِلْتَ عليَّ تَنقُرُني وُلوعا
إذا الشَّيخُ الخَليعُ هفَا اغتراراً ، تَيمَّمَ بالأذى الصِّلَّ الخَليعا
سيَذهَلُ عن فُنونِ الرَّقْصِ هَمّاً ، إذا رَقَّصْتُ منه حَشاً مَرُوعا
ويَفضَخُ نابَه سَجَحاتُ نابيَ ، إذا استُودِعْنَ سِرَّ فتىً أُذيعا[4]
لقد خلَعَتْ بتوبتِكَ المَلاهي ثيابَ الكِبْرِ ، واكتسَتِ الخُشوعا
تركْتَ بها المَعازِفَ ضائِعاتٍ ، وعَزَّ على المَعازِفِ أن تَضيعا
فقد نُتِفَتْ لِحاكَ بها ، ولاقَت صُنوجُكَ ، بعدَها ، خَطْباً فَظيعا[5]

---

1 الهزيع : الطائفة من الليل ، استعاره للشَّعر الأسود كما استعار الكواكب للشيب .

2 القريع : السيِّد .

3 الزفَّان : الرَّقَّاص .

4 يفضخ : يشقّ . سجحات ، من سَجَحَ له بكلام : عَرَّض له به .

5 الصُّنوج : آلات طرب .

وكيفَ نَسَكْتَ بعدَ مَقالِ قَوْمٍ ، إذا نَسَكَ المُخَنَّثُ ماتَ جُوعا
وكنتَ ، إذا الزِّقاقُ رَأَتْكَ تَشدُو ، بألحانِ الغَرِيضِ بَكَتْ نَجيعا
أما تشتاقُ من عَرَصاتِ غُمَّى مَغاني الجاشريَّةِ والرُّبُوعا[1]
فقد نَبَشَتْ شآبيبُ الغَوادي عليهِنَّ النمارِقَ والقُطوعا[2]
هَجَرْتَ الهُجْرَ إلا نَظْمَ شِعْرٍ ، بَهَرْتَ بسِحْرِهِ السِّحْرَ البَديعا[3]
وَعِفْتَ العارَ ، إلا عَيْرَ أُنْسٍ تَخُرُّ له ، إذا أُدلى صَريعا
يَزورُكَ والدُّجى سِتْرٌ عليه ، فيرقَعُ منكَ مأبوناً رَقيعا[4]
أفارسُ ، هل تَكونُ غداً شَفيعي ، إذا أنا فيكَ عادَيْتُ الشَّفيعا
دَعَوْتَ إلى الضَّلالِ دُعاءَ غاوٍ ، فلم يكنِ السَّميعُ له سَميعا
أأرغَبُ عن وَدادِ أبي تُرابٍ وقد شَحَنَ التَّرائبَ والضُّلوعا
وأُعْرِضُ بعدَ وَخْطِ الشَّيْبِ عنه ، وقد أحببْتُه طِفْلاً رَضيعا
أَقِلُّوا قَبلَ غِشْيانِ القَوافي ، بذكرِكُمُ المحافلَ والجُموعا
نصَحْتُ لكم ، فلا تَرِدوا المَنايا ، ولا تَستَمْطِروا السَّمَّ النَّقيعا
إذا لم تَتْبَعوا أبداً رَشادي ، فلستُ لغَيِّكُم أبداً تَبيعا
ألا مُتَجَرِّدٌ للهِ نَدْبٌ يُقَرِّبُ منكُمُ الحَيْنَ الشَّنيعا
فَيَخْضِبُ من دمائِكُمُ العوالي ، ويَنقَعُ من صديدِكُمُ الجُزوعا
أُحاكِمُكُمْ إلى السَّبعِ المَثاني ، وتلكَ الشَّمسُ أَغشَتكُمْ طُلوعا[5]
فقَدْ حَفِظَتْ صَحائِفُهُنَّ حقّاً ، ولستُ لِما احتفَظْنَ به مُضِيعا

1 غمّى والجاشريّة : موضعان .
2 القطوع : بُسُط وطنافس ؛ ضروب من الثياب الموشّاة .
3 الهُجر : الكلام القبيح .
4 المأبون : المصاب بالأبنة : العيب القبيح .
5 السبع المثاني : هي من القرآن ، إما سورة الفاتحة وإما السور السبع الأولى .

269

وقال في أبي الفوارس سلامة بن فهد ، وقد أهدى إليه قدحاً فسقط من يده وانكسر : [من المنسرح]

يا مَنْ لَدَيْهِ العَفافُ والوَرَعُ ، وشيمتاه العَلاءُ والرِّفَعُ
كأسُكَ قد فُرِّقَتْ مَفاصِلُه بين النَّدامى ، فليسَ تَجتَمِعُ
كأنَّما الشَّمْسُ بينَهم سَقَطَتْ ، فجِسمُها في أكُفِّهِم قِطَعُ
لو لم أكُنْ واثقاً بمُشبِهِه منك ، لكادَ الفُؤادُ يَنْصَدِعُ
فجُدْ به بِدْعَةً ، فعِنْدي من جُودِكَ أشياءُ كلُّها بِدَعُ

270

وقال يمدح المهلبي الوزير ويصف السفينة : [من الطويل]

أتكتُمُ أسرارَ الهَوى أم تُذيعُها ، وتَحفَظُها بعدَ النَّوى أم تُضيعُها
مَهاةٌ ، ولكنْ للفِراقِ لِقاؤُها ؛ وشَمْسٌ ، ولكن للغُروبِ طُلوعُها
تَعُنُّ لنا في مُشرِقاتٍ وُجوهُها إذا هي عنَّت مُظلِماتٍ فروعُها
تُصانِعُ عن أجيادِها بأكُفِّها ، فيحسُنُ عندَ المُستهامِ صَنيعُها[1]
ولمَّا تَبادَلْنا العِناقَ ، وأعنَقَتْ دُموعي مَمزوجاً بهنَّ دُموعُها[2]
شَكَوْتُ الذي تَشكُو إليَّ ، كأنَّما تُجِنُّ ضُلوعي ما تُجِنُّ ضُلوعُها
سَلامٌ على الأيامِ تبيَضُّ بينَها صَنائِعُ ، مُسوَدُّ العِذارِ شَفيعُها
تَلَفَّتُّ بعدَ الأربعينَ ، وأسرَعَت عِجالاً ، فلم يَربَعْ عليَّ رَبيعُها

---

1 تُصانع : تُداري .

2 أعنقت : سارت سيراً واسعاً .

وتاجرةٍ بالخَمْرِ تُؤثِرُ صَوْنَها ... عَنِ البَيعِ ، أو تَلقى الغِنى فتَبيعُها
تُسيلُ فَمَ الزِقِّ الرَّوِيِّ ، كأنَّه ... جِراحَةُ زِنْجيٍّ يَسيلُ نَجيعُها
إذا زارَها وَفْدُ الرِّضاعِ تبرَّعَتْ ... بعَذْراءَ لا يَهوى الفِطامَ رضيعُها
فلا طيبَ إلاّ أن يَفوحَ نَسيمُها ؛ ... ولا فجرَ إلا أن يَلوحَ صَديعُها[1]
أَقَمْنا لَدَيْها في رياضٍ أنيقةٍ ، ... نَمارِقُها مَوشِيَّةٌ ، وقُطوعُها
نَروعُ بأسيافِ المُدامِ هُمومَنا ، ... كأنَّا بأَسيافِ الوزيرِ نَروعُها
هُوَ المُزْنَةُ الغَرَّاءُ طَبَّقَ صَوبُها ، ... إذا المُزنَةُ الغَرَّاءُ غَبَّ لُمُوعُها
طَلوبٌ لغاياتِ الكِرامِ ، لَحوقُها ، ... رَكوبٌ لأعلامِ النِّجادِ طَلوعُها
إذا متَعَتْ أخلاقُه الغُرُّ خَيَّلَتْ ... لعَيْنَيْكَ أنَّ الشَّمسَ راجٍ مُتوعُها[2]
وأزهرَ يَنقادُ الزَّمانُ لأمرِهِ ، ... وتأمُرُهُ زُهْرُ العُلى ، فيُطيعُها[3]
وَقورُ السَّجايا في النَّدِيِّ ، رَكينُها ، ... شَرودُ العَطايا في المُحولِ ، خَليعُها[4]
إذا سجَدَتْ في الطِّرْسِ أقلامُه اغتَدى ... سُجودُ العِدا جَمّاً لَهُ ، ورُكوعُها
تُرَوِّعُها أسيافُه ، فتَشيمُها ... بِدامِيَةِ الأجفانِ نزرٍ هُجوعُها
وكيفَ على هزِّ السُّيوفِ بَقاؤُها ... إذا كانَ مُهتَزُّ اليَراعِ يَروعُها
أَيا سائلي عن شِيمَةِ الحَسَنِ استَمِعْ ... مَحاسِنَ من نَظْمِ الثَّناءِ أُذيعُها
إذا عَدَّ من آلِ المُهَلَّبِ أسرةً ، ... مَعاقِلُها أسيافُها ودُروعُها
رَأَيتَ العُلا مُنثالَةً من شِعابِها ... عليه ، ومَجموعاً إليه جميعُها
هُمامٌ وَقى الأَعداءَ من سَطَواتِهِ ... تَباعُدُها من سُخطِهِ ، فتروعُها
فَعُدَّتُهُ أسيافُهُ ورِماحُهُ ، ... وعُدَّتُها إذعانُها وخُضوعُها

---

1 الصديع : الصبحُ لانصداعه .

2 متوعها : طلوعها .

3 الأزهر : المشرق الوجه .

4 الركين : الوقور الرزين الثابت .

أَعَلَّ صُدورَ السُّمْرِ ، وهو حبيبُها ، وحَلَّى شِفارَ البِيضِ ، وهوَ ضَجيعُها
وقد عَلِمَتْ أموالُهُ حينَ سامَها حِفاظَ المَعالي أنَّه سَيُضيعُها
ومَعرَكَةٍ يَسْوَدُّ للنَّقعِ أُفقُها ، وتَحمَرُّ من فَيْضِ الدِّماءِ رُبوعُها
إذا ازدَحَمَتْ فيها السيوفُ حَسِبتَها يَنابيعَ ماءٍ ضاقَ عنها وسيعُها
قَسَمْتَ حُمَيَّا الموتِ بينَ حُماتِها ، فراحَ سَواءً جَلْدُها وجَزوعُها
وكم خُطَّةٍ حاولتَها ، فاستَطَعْتَها بِسَيْفِكَ ، والأيَّامُ لا تَستَطيعُها
إليكَ أُطَرْنا من ديارِ رَبيعَةٍ نَعائِمَ في أرضِ العِراقِ وُقوعُها
رَكائبَ تَحدوها الشَّمالُ ، كأنَّها قِلاعٌ ، إذا أُوْفَتْ عليها قُلوعُها
تَمادى بها السَّيرُ الحَثيثُ ، فلم تَجُلْ لِبُعْدِ المَدى أغراضُها ونُسوعُها[1]
يزيدُ سَوادُ اللَّيلِ صِبغَ سَوادِها ، ولا يَتَجلَّى في الصَّباحِ هَزيعُها
فيذهَبُ منها في سَريعٍ ذَهابُها ، ويَرجِعُ منها في بَطيءٍ رُجوعُها
تَمُدُّ على الأمواجِ باعاً كأنَّه يُعانِقُها في مَدِّهِ ويَبوعُها[2]
أُشيعُ عَطاياكَ ، التي لو سترتُها لَقامَ الغِنى عنِّي خَطيباً يُشيعُها
وأَصدَعُ بالحُسنى ، التي طارَ ذِكرُها، وأكبادُ قَوْمٍ تَستَطيرُ صدوعُها
لقد أُولِعَتْ منكَ المَكارِمُ بامرىءٍ حَبيبٍ إليه إلفُها وولوعُها
فمَورِدُها عَذْبُ المياهِ نَميرُها ومَرْبَعُها سَهْلُ الرِّياضِ مَريعُها[3]
قَوافٍ ، إذا كانت دُروعُ مَعاشرٍ ، فأنتم حِلَى أجيادِها ودروعُها
تَراءَتْ مَنيعاتٍ ، فلمّا دعوتُها لمجدِكُمُ أعطى القِيادَ مَنيعُها
ومازالَ رَيحانُ المديحِ وصُبْحُه ، يُضيءُ قُلوباً منكمُ ويَضوعُها

---

1 النُّسوع ، مفردها نِسْع : سير أو حبل طويل عريض تُشَدّ به الرِّحال .
2 يبوعها : يمدّ باعه عليها ، يقيسها بباعه .
3 مَرِيع : خصيب .

271

وقال يمدح الغضنفر ابن ناصر الدولة : [من الطويل]

أَمِنْ رُقبَةٍ عافَ السَّلامَ مُودِّعا ، وردَّ جُموحَ الدَّمعِ حينَ تَسرَّعا
وصَدَّ عَنِ البِيضِ الحِسانِ ، وقد بَدَت ، فأَبدَتْ لعَينيهِ المَحاسِنَ أجمَعا
بَرَزْنَ ، فمِن بَدْرٍ تَقَنَّعَ بالدُّجَى ، يغـازِلُ ليثـاً بالحديـدِ مُقَنَّعا
ومِنْ غُصُنٍ رَطْبٍ تأَزَّرَ بالنَّقا ، إذا هَزَّ عِطْفَيْهِ القِناعُ تَزَعْزَعا[1]
مَزَجْنَ له عَذْبَ الهَوى بمَرارَةٍ ، يُجَرَّعُ مِنْ مَكروهِها ما تَجرَّعا
إذا ما الهَوى يوماً تَصَدَّعَ شَمله ، فأَخْلِقْ بِشَمْلِ الصَّبرِ أن يتصَدَّعا
عَدَتْني مِنْ زَوْرٍ ، إذا زارَ عاشقاً أَعادَ المُنى مرأىً ، وقد كانَ مَسمَعا
يُداري عُذوبَةَ الحُلِيِّ ، وقد عَلا تَـرَنُّـمُه ، والمِسكَ حينَ تَضَوَّعا[2]
ويَبذُلُ لي في النَّومِ ما لو طَلَبْتُه على يَقْظَـةٍ منـي ومنـه تمنَّعا
هَلِ الدَّهْرُ مُلْـقٍ من مَخالب شجاعـاً على أَلاّ مشيِّعـا[3]
صبوراً على الأحداثِ يعشَقُ عُدْمَه وإقلالَـه ، كيـلا يَـذِلَّ ويَخْضَعا
ومُرتَدِعٍ رامي البريءِ بِتُهْمَةٍ ، فقد سارَ فيها في الأنامِ وأَوضَعا[4]
أَرَبَّ القَوافي الغُرِّ يُرقَى بمثلِها ، لقد فَرَّ أفعَى يَنفُثُ السُّمَّ مُنقَعا
وكيفَ ، وقد شَعْشَعْتُ كلَّ غريبةٍ منَ القَوْلِ تُزري بالرَّحيقِ مُشَعشَعا
وأَجرَيْتُ من عَذْبِ الكَلامِ مَوارِداً ، تروحُ وتَغْدو للبَرِيَّةِ مَشرَعا[5]

---

1 النَّقا : القطعة من الرمل المحدودبة .

2 صدر البيت مختلّ الوزن .

3 هذا البيت ناقص .

4 أوضع : أسرع في سيره .

5 مشرع : مورد الماء .

وبرَّزْتُ سَبقاً في غَرائبِه الأُلى ... يُقَصِّرُ عنها سابقُ القَوْمِ إن سعَى
فهَلْ سامِعٌ منّي الأميرُ بَراءَةً ، ... أقومُ بها بين السِّماطَيْنِ مُسمِعا[1]
ثناءً ، إذا عايَنْتَ عِقدَ نِظامِه ... توهَّمْتَه للجَوهـرِ التِّبرِ مَجمَعا
فَتىً ساورَ العَلياءَ قبلَ فِطامِه ، ... وراعَ العِدا من قَبلِ أن يَترَعْرَعا
جَوادٌ ، إذا أدَّى الفريضةَ جُودُه ، ... تَنَفَّلَ من حَبِّ النَّدى ، فتطَوَّعا[2]
نُقابِلُ منه الشَّمسَ في قُربِ ضَوْئِها ، ... وإنْ بَعُدَتْ في صَفحَةِ الجوِّ مَطلَعا
ونسألُ منه بارِعاً في سَماحَةٍ ، ... فإنْ نحنُ أغفَلْنا السؤالَ تبرَّعا
إذا أبدَعَ المُدَّاحُ أبدَعَ عُرْفُه ، ... فكانَ بما يُسْدي من العُرْفِ أبدَعا
وإنْ لَجَّ في إضرارِهِ الدَّهْرُ أصبحَتْ ... خَلائِقُـهُ فيهـا أضَـرَّ وأنفعا
مكارِمُ وَضَّاحٍ ، إذا ما تذرَّعَتْ ... ملوكُ الوَرَى في المَكرُماتِ تَذَرَّعا
له راحةٌ ما قيسَ بالغَيْثِ صَوبُها ، ... لَدى المَحْلِ ، إلاَّ كانَ أندى وأوسَعا
تَرى طَمَعَ العافينَ يَحتاجُ وَفرَه ، ... وليسَتْ ترى أعداؤه فيه مَطمَعا
صَنائعُ مَشهورِ الصَّنائعِ يَبتَدي ... طِباعاً ، إذا المَسْؤُولُ يوماً تصنَّعا
إذا ما مضى صَدْرُ النَّهارِ بسَيلِه ، ... تولَّى ، وأبقى ، آخرَ اللَّيلِ ، مَربَعا
شمائلُ أبهى من حِلَى الرَّوْضِ مَنْظَراً ، ... وأحسَنُ من فِعْلِ السَّحائبِ مَرتَعا
أبا تغلبٍ ! لازِلْتَ للقِرْنِ غالباً ، ... إذا ارتدَّ للرَّوْعِ الكَمِيُّ مُرَوَّعا
تُنازِلُه بالسَّيفِ غيرَ مُخادِعٍ ، ... فتُـورِدُه منـه وَريـداً وأخدَعا[3]
أعِدْ دارِساً من رَسْمِ بِرِّكَ واضحاً ، ... فقد وَضَحَ العُذْرُ انكشافاً وأقنعا
فلي فيكَ من حُسْنِ الثَّناءِ ذَريعَةٌ ، ... تُمَكِّنُ عندي للصَّنيعَةِ مَوْضِعا
وثانيةٌ ، إنَّ ابنَ عمِّكَ شافعي ، ... ولو ناشدَ الغَيْثَ استهَلَّ ، فأسرَعا

---

1 السِّماط من القوم : صفُّهم .

2 نفَّل : أعطاه زيادة على حصته .

3 الوريد : عرق في العنق . الأخدع : عرق في صفحة العنق وهما أخدعان خفيا وبطنا .

272

وقال : [من المتقارب]

أبا جَعفَرٍ لِـمَ تَنْسَى الصَّنيعا ، وقد كُنتَ تُحْسِنُ فِيَّ الصَّنيعا
أَراكَ تَناسَيْتَ عَهْدي القديمَ ، فضاعَ ، وما حقُّهُ أن يَضيعا
فلا نازحُ الوُدِّ يُدْني الدُّنُوَّ ، ولا غائِبُ الشَّرِّ يَنوي الرُّجوعا
فلولا الحَياءُ أَراكَ العِتابُ بديعاً من النَّظمِ يَتلو بَديعا
مَلُومٌ ، ويخضَعُ بعدَ المَلامِ ، فيلذَعُ لَوْماً ، ويأسو خُضُوعا[1]

273

وقال يصف المحبرة والقلم : [من الكامل]

ولقد مَرَرْتُ على المحدِّثِ مَرَّةً ، وإذا بحَضرَتِـه ظِباءٌ رُتَّعُ
وإذا ظِباءُ الأُنْسِ تَكتُبُ كُلَّ ما يُملي ، وتُثبِتُ ما يَقولُ وتَسمَعُ
يَتجاذَبونَ الحِبرَ من مَلمومَةٍ بَيضاءَ ، تَحْمِلُها عَلائِقُ أَربَعُ
من خالِصِ البَلُّورِ غُيِّرَ لَونُه ، فكأنَّه سَبَجٌ يَلوحُ ويَلمَعُ
إنْ نَكَّسُوها لم تَسَلْ ، فَمليكُها فيما حَوَتْهُ عاجلاً لا يَطْمَعُ
ومتَى أَمالوها لِرَشْفِ رُضابِها ، أَدَّاهُ فُوها ، وهي لا تَتَمنَّعُ
فكأنَّه قَلبـي يَضَنُّ بسِرِّهِ أبداً ، ويَكتُمُ كُلَّ ما يُستَودَعُ
رِجـلاهُ رَأسٌ عِندَها ، لكنَّه يُلْفَى وبَـرْءُ حَفَاهُ ساعةَ يُقطَعُ
وكأنَّهُ ، والحِبرُ يَخضِبُ رَأسَه ، شَيخٌ لِوَصْلِ خَريدَةٍ يَتَصَنَّعُ[2]

---

1 يأسو : يداوي .

2 الخريدة : البِكْر لم تُمَسّ قط .

لِـمَ لا أُلاحِظُهُ بِعَيْنِ جَلالَةٍ ، وبه إلى اللهِ الصَّحائِفُ تُرفَعُ

274

وقال يصف دفتراً : [من المتقارب]

وأَدهَمَ يُسْفِرُ عَنْ ضِدِّهِ كما سَفَرَ اللَّيلُ ، إذ وَدَّعا
بعثْتُ إليكَ به أخرَساً ، يُناجي العُيونَ بما استُودِعا
صَمُوتٌ ، إذا زُرَّ جِلبابُهُ ، أريبٌ ، فإنْ حَلَّهُ أمتَعا
تَخَيَّرَ أَنوارَه جَامِعٌ ، يَروحُ ويَغدو لها مَجمَعا
ورَوضتَه غَيْثُ أقلامِهِ ، وقد كانَ من قَبلِهِ بَلْقَعا[1]
تُلاقي النُّفوسُ سُروراً به ، وتَلقَى الهُمومُ به مَصرَعا
فلا تَعْدِلَـنَّ بِـهِ نُزهَةً فقد حازَ ما تَبْتَغِي أَجمَعا

275

وقال يمدح سيف الدولة : [من الطويل]

عُذِلتُ ، وهَلْ عَذْلُ المُتيَّمِ نافِعُه ، وأُسمِعْتُ لو أصغَى إلى اللَّومِ سامِعُه
تَعـرَّقَه الصَّبْرُ الجَميلُ ، وفي الحَشا رَسيسُ هَوىً تَنْهَلُّ عنه مَدامِعُه[2]
وهَلْ لمُحِبٍّ طاوَعَ الشَّوْقَ دَمعُه ، على بُعْدِ مَنْ يَهواهُ ، صَبْرٌ يُطاوِعُه
وَقَفْنا نَذودُ الدَّمْعَ ، والدَّمْعُ سَافحٌ ، وعُجْنا نُحيِّي الرَّبعَ ، والشَّوْقُ رابِعُه
فأَلبَسَني جِزعاه حُلَّةَ جازِعٍ ، وجَرَّعَني ماءَ الغَرامِ أَجارِعُه[3]

---

1 البَلْقَع : الأرض القفْر . روّضَ المطرُ الأرضَ : صيَّرها كالرَّوض .
2 تعرَّقَه : أخذ ما عليه من اللَّحم .
3 الجزع : محلة القوم . الأجارع ، مفردها أجرع : رملة لا تنبت شيئاً .

أعاتبُ طَرْفي أن يُفيضَ دُموعَه ، وإنْ جَرَّ قلبي أن تُذاعَ وَدائِعُه
ولستُ أُضيعُ الحَزمَ في فَيْضِ عَبرَةٍ ، لِفَقْدِ شَبابٍ ليسَ يُوجَدُ ضائِعُه
وكم في عَدِيٍّ من كُهولٍ وفِتيَةٍ كِرامٍ ، لهم كَهْلُ السَّماحِ ويافعُه
جَزَيناهُمُ حَمْداً لحُسْنِ صَنيعِهِم ، وكلُّ امرئٍ يُجْزَى بما هو صانِعُه
إذا المجدُ أمسى في المُلوكِ مُفَرَّقاً ، فَفِي تَغلبٍ يُمسي ويُصبحُ جامعُه
وإن كانَ عبدُ الله شادَ لها العُلا ، فإنَّ عَلِيّاً ، في الذي شادَ ، تابعُه
فتىً شَرَعَ المجدَ المُؤَثَّلَ ، فالعُلا مآربُــه ، والمكرُمــاتُ شَرائِعُه
فلا جودَ إلاّ ما تُفيدُ يمينُه ؛ ولا مجدَ إلاّ ما تَشيدُ وقائِعُه
إذا وَعدَ السَّرّاءَ أَنجَزَ وعدَه ، وإن أوعَدَ الضَّرّاءَ ، فالعَفوُ مانِعُه
يَحِنُّ إلى وِرْدِ المَنِيَّةِ حاسِراً ، إذا حانَ عن وِرْدِ المَنيَّةِ دَارِعُه[1]
هُوَ الدَّهْرُ يَجري في البَرِيَّةِ بأسُه ، ببُؤسى ، وتَجري بالسُّعودِ صَنائِعُه
رمَى اللهُ أرضَ الرُّومِ منه بقاسمٍ يَروعُ العِدا قبلَ الكَريهَةِ رائِعُه
يَعودُ إلى الرُّمحِ الرُّدَينيِّ ماؤُه ، ويُورِقُ إن ضُمَّتْ عليه أصابِعُه[2]
ولـمَّا تراءَى للعدوِّ مُصَمِّماً ، تراءَتْ له تحتَ العَجاجِ مَصارِعُه
فآبَ سَليبَ الغُمْضِ تَحسِبُ أنَّه من الرُّعْبِ صَبٌّ قد أُقِضَّتْ مَضاجِعُه
وإن عَفَتِ الأقدارُ عنه ، فقَد عَفَتْ مَصايفُه منه ، وَأَقْوَتْ مرابِعُه[3]
لِيَهْنِ الأميرَ التَّغلبيَّ قُدومُــه ، وفَتحٌ توالَتْ بالسُّعودِ طوالِعُه
نَشَرْتُ له في كلِّ شَرْقٍ ومَغْرِبٍ ثَناءً تُرَوِّي السَّامِعين بَدائِعُه
فأيُّ لَبيبٍ ليسَ يَسِمُ قلبُه سُروراً ، إذا أُصغَتْ إليه مَسامِعُه
مَلَكْتَ زِمامَ الدَّهْرِ في كلِّ حالَةٍ ، فليسَ يَضُرُّ الدَّهرُ مَنْ أنتَ نافِعُه

---

1 حان : هلك .

2 الرُّدَيْنيّ : الرمح نسبة إلى رُدَيْنة ، وهي امرأة اشتُهرت بتقويم الرماح .

3 أَقْوَتِ الدارُ : خَلَتْ من ساكنيها .

وأومَضَ لي من جُودِ كَفِّكَ لامِعٌ ، وما الغَيْثُ إلا حيثُ يُومِضُ لامِعُه
فأغنيتَني بالجُودِ عن كلِّ مُمْسِكٍ أكافِحُـه عن جُـودِهِ وأُقارِعُـه

276

وقال يصف المِجْمَر والنار : [من الطويل]

ومَبنِيَّةٍ من خَيْزُرانٍ مُفَضَّضٍ ، يُقَدِّمُها خِشْفٌ من الإنْسِ أروَعُ[1]
لها قُبَّةٌ كالحَيَّتَيْنِ صَبيلَةٌ ، وَوَجْهٌ بتجذيفِ الشَّوانينِ يَلمَعُ[2]
عَجَاجَتُها دَكْناءُ في كلِّ مَجلِسٍ ، وياقوتُها الجَمرُ الذي يَتَضَوَّعُ
إذا استُودِعَتْ سِرّاً أذاعَتْ بسِرِّها ، تُشتِّتُ أنفاساً بها العَيْشُ يُجمَعُ

277

وقال يصف الحمّام : [من الطويل]

ولمّا اصطَبَحْنا ، والخُمارُ يَصُدُّنا عن الكأسِ عُجْنا ، والغَلائِلُ تُنزَعُ
إلى وُسْعِ حَمَّامٍ ، كأنَّ سَماءَهُ عَقيقٌ بِجَاماتِ اللُّجَينِ مُرَصَّعُ
وفي الصَّدْرِ قَيْناتٌ وشُرْبُ مُدامَةٍ ، يَلَذُّ بها مَرأىً ، وما ثمَّ مَسمَعُ
على سَبَجٍ من أَرْضِهِ ، وجُيوشُه قِيامٌ على أرجائِها ، وهي خُشَّعُ
قَضَيْنا بهِ عندَ الصَّباحِ لُبانَةً ، وعُجْنا إليها والعَواتقُ هُجَّعُ[3]

278

وقال يصف قلماً : [من الطويل]

له قَلَمٌ تجري النجومُ بجَريِه ، يُطيعُ له حَتْمُ القَضاءِ ويَسمَعُ

---

1 الخشف : ولد الغزال . الأروع : من يعجبك بحسنه أو شجاعته .

2 في هذا البيت تحريف يبهم معناه .

3 العواتق : الجواري .

يُديرُ سُعوداً ، أو نُحوساً ، وإنَّه   منَ الفَلَكِ الدَّوّارِ في الجَوِّ أسرَعُ
إذا ما امتطى منه ثلاثَ أناملٍ   بَدا ساجِداً من تَحتِها ، وهي رُكَّعُ

279

وقال : [من الخفيف]

أيُّها السَّيِّدُ الذي راحتاهُ ،   مُزنَـةٌ ما لِصَوْبِهـا إقلاعُ
عَجِبَ النّاسُ كيفَ ضِعْتُ ، ومثلي   بِفِنـاءِ الأميـرِ ليسَ يُضاعُ
قُلْتُ ، إذ أعوَزَ الشَّفيعُ وأَعْيا الـ   إذنُ فيما أرومُ والاستماعُ
هذهِ جَنَّةُ الخُلودِ ، وما لي   من حَميمٍ ، ولا شَفيعٍ يُطاعُ

280

وقال : [من الطويل]

بِنَفْسِيَ مَنْ رَدَّ التَّحِيَّةَ ضاحِكاً ،   فَجَدَّد بَعْدَ اليَأْسِ في الوَصْلِ مَطمَعي
إذا ما بَدا أبدى الغَرامُ سرائري   وأظهرَ للعُذّالِ ما بينَ أضلُعي
وحالَتْ دموعُ العينِ بيني وبينَه ،   كأنَّ دموعَ العَينِ تَعشَقُهُ معي

281

وقال : [من الكامل]

أهلاً به من عارِضٍ تَرَكَ الدُّجَى ،   بِبَياضِ مُزْنَتِهِ غُراباً أبقَعا[1]
نَثَرَتْ يَدُ الأرياحِ لُؤلُؤَ ثَلْجِه ،   فبَدا بأجيادِ الغُصونِ مُرَصَّعا
وكأنَّما عَبَثَتْ لوامِعُ بَرْقِه ،   بِسَحابِهِ ، فرَمَتْ به فتَقَطَّعا

---

1 الأبقع : الذي اختلف لونه ؛ الذي فيه سواد وبياض .

وكان السري الرفَّاء جاراً لأبي الحسن علي بن عيسى الرمّاني بسوق العطش ، وكان كثيراً ما يجتاز بالرماني ، وهو جالس على باب داره ، فيستجلسه ويحادثه ، يستدعيه إلى أن يقول بالاعتزال ، وكان السري يَتَشَيَّع ، فلما طال ذلك عليه أنشد : [من الطويل]

أُقَارِعُ أَعْدَاءَ النَّبِيِّ وَآلِهِ ... قِرَاعاً يَفُلُّ البَيْضَ عِنْدَ قِرَاعِهِ
وَأَعْلَمُ كُلَّ العِلْمِ أَنَّ وَلِيَّهُمْ ... سَيُجْزَى غَدَاةَ البَعْثِ صَاعاً بِصَاعِهِ
فَلازَالَ مَنْ وَالاهُمُ في عُلُوِّهِ ... وَلازَالَ مَنْ عَادَاهُمُ في اتِّضَاعِهِ
وَمُعْتَزِلِيٌّ رَامَ عَزْلَ وِلايَتِي ... عَنِ الشَّرَفِ العَالي بِهِمْ وارتِفَاعِهِ
فَمَا طَاوَعَتْنِي النَّفْسُ في أَنْ أُطِيعَهُ ... وَلاَ آذَنَ القُرْآنُ لي في اتِّبَاعِهِ
طُبِعْتُ عَلَى حُبِّ الوَصِيِّ وَلَمْ يَكُنْ ... لِيُنْقَلَ مَطْبُوعُ الهَوَى عن طِبَاعِهِ



قافية الفاء

283

وقال يصف صيد السمك : [من الطويل]

ومَحجوبَةٍ بالماءِ عَنْ كُلِّ ناظِرٍ ، ولكنَّها من حُجبِها تُتَخَطَّفُ
أَخَذْنا عَليهِنَّ السَّبيلَ بأَعيُنٍ رَواصِدَ ، إلا أنَّها ليسَ تُطرَفُ
فجاءَتْ به شتَّى النِّجارِ ، ولم تَزَلْ تُجَمِّعُ من أشتاتِها وتُؤَلِّفُ
تُصافِحُها بيضُ المُتونِ كأنَّها خَناجِرُ في أيمانِنا تَتَعَطَّفُ[1]

284

وقال يمدح أبا الفوارس سلامة بن فهد ويستهدي منه نبيذاً وشبوطاً[2] : [من الرجز]

عِنْديَ ضَيْفٌ لم يَزَلْ مُضيفا ، مُقَدَّماً في مَجدِهِ شَريفا
زارَ لِيَحيا نَعمةً وريفا ، والصُّبحُ قد قابلَنا مُنيفا
ورَفَعَتْ ظلماؤه السُّجوفا ، والكأسُ قد سارَتْ بنا الوَجيفا
حتَّى توارَتْ شمسُها كُسوفا ، فأهْـدِ لي خَلوقَها المَدوفا[3]
مُدَرَّعـاً بلُّـورَه المَشوفـا ، مثلَ العُروسِ ادَّرَعَتْ شُفُوفا
تَحوي منَ السُّكرِ به صُنوفا ، وكَبِّرِ الظَّرْفَ تَكُنْ ظَريفا

---

1 تَتَعَطَّفُ : تميل وتنحني .

2 الشبوط : نوع من السمك .

3 المدوف : المخلوط .

والطُفْ ، فمازِلْتَ بنا لَطيفا ، في سابحٍ تَحسَبُه مَعلوفا[1]
كان لِقَعْرِ لُجَّةٍ حَليفا ، لاقى ، وقد فارقَه ، الحُتوفا
خَطْفَةُ صيَّادٍ غدا مَخطوفا ، ومَنْ يَكُنْ يَعرِفُه مَعروفا
صَبٌّ إلى السُّكْرِ به مَشغُوفا ، ترى الذي حاولتَه خَفيفا

285

وقال يمدحه ويهنئه بعيد الفطر : [من البسيط]

تَزْدادُ مَنْعاً ، إذا ما رُمْتُ إسعَافا ، وتُعلِنُ الظُّلمَ ، إنْ حاولتُ إنصافَا
غُصْنٌ يُحمِّلُني عِبءَ الهَوى ، فمَتى ضَعُفْتُ عنه حبَتْني منه أضعافا
ماذا عليها ، وقد خَفَّتْ رَكائِبُها ، لو كان يأمَنُ منها الصَّبُّ ما خَافا
بل ما على السِّرْبِ ، إذ فاجاكَ ، لو عَطَفَتْ ظِباؤُه لك أجياداً وأعطافا
أقبَلْنَ يَكْسِرْنَ أجفاناً مُفتَّرَةً إلى الصَّبابَةِ ، أو يَمدُدْنَ أطرافا
تُثنَى مُثقَّلَةٌ منهـا مُخَفَّفَةٌ ، كأنَّما قُسِمَتْ قُضْباً وأخفافا[2]
وربَّما عَنَّ ديباجُ الخُدودِ لنا ، وقد كَساه وَشيكُ البَيْنِ أفْوافا
وأومَضَتْ من خِلالِ السِّجْفِ بارِقَةٌ ، أطاعَها مَطَرُ الأجفانِ تَذرافا
أيَّامَ يَحسُدُ عِطْفَيْهِ الحُسامُ ، إذا ما هَزَّهُ ، وثَنى عِطْفَيْه إرهافَا
حيًّا الكَئيبَ ونادى الشَّوقَ من كَثَبٍ ، فلم يُطِقْ لغُروبِ الدَّمْعِ إيقافا
وما خَفا البَرقُ إلا عادَ يُذكِرُه من الثَّنِيَّـةِ أجزاعـاً وأخيافا[3]

---

1 معلوفٌ : كناية عن الدابة ، ويريد تشبيه سمك الشبوط الكبير بالدابة .

2 القضب ، مفردها قضيب : السيف القاطع . الأخفاف ، مفردها خفّ : هو للبعير كالحافر لغيره ، وما يلبس بالرجل ، والمعنى المراد من ذلك غامض .

3 خفا البرق : لمع . الأجزاع ، مفردها جزع : محلة القوم . الأخياف ، مفردها خيف : كل هبوط وارتفاع في سفح الجبل وما ارتفع عن مسيل الماء .

أَلِيَّةٌ بالكَرى المَجفُوِّ تُبعِدُه عنَّا الرَّكائِبُ إرقالاً وإيجافا[1]
لقَد أُبحتُ شَريفَ القَولِ ذا حَسَبٍ ، في الأزدِ مُوفٍ على العَلياءِ إشرافا
إلى ابنِ فَهْدٍ زَفَفْنا كلَّ آنسَةٍ عذراءَ ، تُتحِفُهُ بالحَمْدِ إتحافا
جاءَتْه لا تتقاضى عندَه عِدَةً ؛ أنَّى ، وقد أخذَتْ جَدواه أسلافا
أَلِفْـنَ منه فِنـاءً ما حَلَلْنَ به إلاّ وَجَدْنَ جِنانَ العَيْشِ ألفافا[2]
أَغَرُّ يَكشِفُ عنَّا كلَّ نائبَةٍ ، كالصُّبحِ مازالَ للظَّلمـاءِ كَشَّافا
يَجري إلى الجُودِ ، يومَ الجُودِ مُبْتَسِماً إذا البَخيلُ غـدا للبُخلِ وَقَّافا
سامٍ ، إذا القومُ راموا نَيْلَ سُؤْدُدِهِ ، عَلا سُمُوّاً ، فحَطَّ القومَ إسفافا
إنْ خالفُوا المجدَ لم يَعْدِلْ مُخالفَةً ، أو أخلَفُوا الوَعْدَ لم يُتْبِعْهُ إخلافا
دعا السَّماحَ شَقيقاً منه حينَ دَعا من المُلوكِ أَخِلاَّءً وأَحلافا
نَزورُ منه وِساعَ الجُودِ نُوسِعُه حَمْداً ، ويُوسِعُنا بِرّاً وألطافا
يَفُلُّ عنَّا سِهامَ الخَطْبِ مُقتَدِراً ، حتَّى يُعيدَ سِهامَ الخَطْبِ أَهدافا
مَنْ ذا يُفاخِرُهُ إنْ عَـدَّ ، مُفْتَخِراً ، من سِرٍّ يَعْرُبَ أمجاداً وأشرافا
عُلاً تَطيبُ بريَّاها مدائِحُنا ، كالمِسْكِ تأخُذُ منه الرِّيحُ أَعرافا
وشيمَةٌ ، إن رأَيْنا الجودَ مُقتَصِداً فيمَنْ سواه ، أَرَتْنا الجُودَ إسرافا
وعَزمَةٌ لاتَزالُ ، الدَّهرَ ، نَجدَتَه ، تَهُزُّ منها على الأَعداءِ أسيافا
إن وَفَّرَ السَّيفَ يومَ الرَّوْعِ ، تالِدُه أعـادَ تَوفيرَه بالبَـذْلِ إتلافا
بَيْنا تَراهُ عَطوفاً في مَكارِمِه ، حتى تَراه على الأَقرانِ عَطَّافا
يَمشي بِضَوْءِ الظُّبا في كلِّ مُعتَرَكٍ ، مُدَّتْ عليه سُجوفُ النَّقْعِ أَسْدافا
أبا الفوارسِ ! لازالَتْ مَدائِحُنا تَعتَدُّنـا لـكَ زُوَّاراً وأَضيافا

---

1 الأليّة : القسَم . الإرقال والإيجاف : ضربان من العدو السريع .

2 الألفاف ، مفردها لف : البستان المجتمع الشجر الملتفّ النبات .

ما فوَّقَ الدَّهرُ لي سَهْماً جَزِعْتُ له ، إلاّ وَجَدتُكَ لي دِرْعاً وتِجفافا[1]
جَاءَتْكَ مَعنىً وألفاظاً مُدَبَّجَةً ، كأنَّهـــا دُرَرٌ شَقَّقْـــنَ أصدافا
وافَتْ تُهَنِّيكَ بالأجرِ الجزيلِ على شَهْرِ الصِّيامِ ، وبالعيدِ الذي وافى

286

وقال يدعو صديقاً له : [من الطويل]

لنا رَوْضَةٌ في الدَّارِ صِيغَ لِزَهْرِها قَلائِدُ من حَلْيِ النَّدى وشُنوفُ
يُطيفُ بنا منها ، إذا ما تنفَّسَتْ ، نَسيمٌ كعَقْلِ الخالِدِيِّ ضَعيفُ
ونَدمانِ صدقٍ نَثْرُهُ ونظامُه ربيعٌ إذا فاوضتَه ، وخَريفُ
وماءٍ حكى أشعارَ حَمْدٍ ببَردِه ، ولكنَّه مَحياً ، وتلكَ حُتوفُ
وقد رَقَّ ثَوبُ الغيمِ ، حتَّى كأنما تُنَشَّرُ دُونَ الأُفْقِ منه سُجوفُ
فزُرْ مَجلِساً قد فَضَّلَ اللهُ أهلَه ، وشَرَّفَهُمْ ، إنَّ الأديبَ شَريفُ
ولا تَعْدُ أفعالَ الشريفِ ، فإنه زمانٌ رقيـــقُ الحُلَّتَيْنِ ظَريـــفُ

287

وقال يمدح أبا تغلب وينتجز منه رسماً كان له عليه : [من الكامل]

هذي المَعارِفُ منهمُ فتَعَرَّفا ، وَقِفا لعلَّ الرَّكْبَ أن يتوقَّفا
إنْ تَجفُها دِيَمُ السَّحابِ فما جَفا أطلالَها دمعٌ يُرَقْرِقُه الجَفا
ولَئِنْ شَكَتْ حَيْفَ الزَّمانِ لقَد مَشى بالبَيْنِ في حافاتِهـــا مُتَحَيِّفا
عُقِلَتْ رِكابُ سُرورِنا في ظِلِّها ، ولكَمْ سَرى فيه السُّرورُ ، فأوْجَفا[2]
أيَّامَ ، إنْ وَعَدَ الحبيبُ مُتَيَّماً وصلاً ، ، وَفَى ، وإذا تَوَعَّدَ أخلَفا

---

1 التِّجفاف : درع يلبسه الانسان والفرس للوقاية .

2 الإيجاف : الإسراع .

ومُهَفْهَفٍ ، كالشَّمسِ سالَمَ نورُه ظُلَمَ الدُّجى أو كالقضيبِ تَعَطُّفا
يُهدي لعاشِقِه الحُتوفَ ، فإن بدا أنسَتْهُ سالِفَتاهُ ما قد أسلَفا
وكأنما أبدى لنا بمُدامِه وجَمالِه صاعَ العزيزِ ويوسُفا[1]
فعَلامَ تَقرِفُني الوُشاةُ ، وإنما نازَعْتُه صَهباءَ كَرْمٍ قَرقَفا[2]
واللَّيلُ قد ضَعُفَتْ قُوى ظَلمائِه ، فالنَّجمُ فيه يُديرُ لَحْظاً مُدْنَفا[3]
حتَّى تَكَشَّفَ صُبحُه ، فحسِبتُه ، لضِيائِهِ ، خُلُقَ الأميرِ تكشَّفا
مَلِكٌ ، خلائِقُهُ الزَّمانُ ، وصَرْفُه ، فبِفِعْلِه جارَ الزَّمانُ وأنصَفا
إنْ قَطَّبَ البُخَلاءُ أسفرَ وجهُه ، أو أسرَفُوا في المَنْعِ جارَ ، فأسرَفا[4]
مُتَبرِّعٌ بنَوالِه ، جارٍ على كَرَمِ الطِّباعِ ، إذا اللَّئيمُ تكلَّفا
ومُشَتِّتٌ شَمْلَ اللُّهى بأناملٍ جمعَتْ له شَمْلَ العُلى ، فتألَّفا
لولا نَوالُ يَدِ الغَضَنْفَرِ أصبحَتْ عَرَصاتُ هذا المجدِ قاعاً صَفْصَفا
لَحَظَ الوَلِيَّ فعاد منه مُؤَمَّلاً ، ورمى العَدُوَّ ، فراحَ منه مُخَوَّفا
شِيَمٌ أرَقُّ من النَّسيمِ ، وربَّما عَصَفَتْ جَنائِبُها ، فعادَتْ حَرجَفا[5]
كم مَوقِفٍ لم يَلْقَ فيه كُماتُه ، إلاّ على أجسامِ قَوْمٍ ، مَوقِفا
ضَنْكٍ ، إذا جلَتِ السُّيوفُ قَناتَه رَفَعَتْ حوافِرُهُ ظَلاماً مُغْدِفا[6]
أقدمْتَ فيه تهُزُّ أسمرَ ذابلاً لَدْناً لأرواحِ العِدا مُتَخَطِّفا
فإذا تأوَّدَ صَدْرُه من طَعْنَةٍ نَجلاءَ عادَ بغيرِها فتثقَّفا

1 يشير إلى ما ورد في الكتاب عن صاع عزيز مصر ويوسف بن يعقوب .
2 تقرفني : تعيبني . القرقف : الخمرة التي تقرقف شاربها أي ترعده .
3 مُدْنَف : مريض .
4 يريد أنه يجور على ماله فيسرف في بذله .
5 الحرجف : الرِّيح الباردة الشديدة الهبوب .
6 المُغْدِف : المظلم .

فاسلَمْ لكلِّ فَضيلَةٍ معروفَةٍ ، لولاكَ طالَ على الوَرى أن تُعرَفا
والبَسْ غَرائبَ مَدْحَةٍ دبَّجتُها ، فكأنّما دَبَّجْتُ منها مِطرَفا[1]
من كلِّ بيتٍ لو تَجَسَّمَ لَفظُه لرأيتَه وَشْياً عليكَ مُفوَّفا
ولَئِن تَوقَّفَ جُودُ كَفِّكَ مُعْرِضاً عنّي ، فلم يَكُ قبلَها متوقِّفا
خُلِّفْتُ في حَظِّي لدَيْكَ ، وإنَّني لأُحِبُّ شُكري أن يُرى مُتَخلِّفا

288

وقال يصف طبيباً ويذكر حذقه وبراعته : [من الكامل]

هَلْ للعَليلِ سوى ابنِ قُرَّةَ شَافي ، بعدَ الإلهِ ، وهل له من كافي
أحيا لنا عِلمَ الفَلاسِفَةِ الذي أودَى ، وأوضَحَ رَسمَ طُبٍّ عافي
فكأنَّه عيسى بنُ مريمَ ناطقاً ، يَهَبُ الحياةَ بأيسَرِ الأوصافِ
مَثَلَتْ له قارورَتي ، فرأى بها ما اكتَنَّ بينَ جَوانِحي وشِغافي[2]
يبدو له الدّاءُ الخَفِيُّ كَما بدا للعَيْنِ رَضْراضُ الغديرِ الصافي[3]

289

وقال يمدح أبا الحسن علي بن محمد الشمشاطي[4] ويعيبه على انحرافه عنه إلى الخالديين وتفضيله إياهما ويحذّره منهما : [من الطويل]

قضَى بوقوفِ الرَّكْبِ حَقَّ المواقِفِ ، فروَّى صَداها بالدُّموعِ الذَّوارِفِ[5]

---

1 المِطْرَف : رداء من خزّ ذو أعلام .

2 قوله : قارورتي ، لعله أراد القارورة التي يوضع فيها البول لأجل تحليله وفحصه .

3 الرضراض : ما صغر ودقّ من الحصى .

4 الشمشاطي : شاعر من شمشاط في أرمينية ، اتصل ببني حمدان وعلّم أبناء ناصر الدولة ، وكان نديماً لهم .

5 الصدى : العطش .

رسومٌ كأنَّ الطَّرْفَ يَقرأُ ، كلَّما تأمَّلَها ، آيَ الهَوى من صَحائفِ
أباري بها دَمْعَ الحَيا ، وهو ذَارِفٌ ، وأخلُفُه في رَبْعِها غيرَ ذارِفِ
وأَعْرِفُها لولا الذي فَعَلَ البِلَى ، وأُنْكِرُها لولا نَسيمُ المَعارِفِ
سقاكَ الهَوى صوبَ الدموعِ مُلاطِفاً ، وأيُّ هوًى يَلقاكَ غيرَ مُلاطِفِ
فلم تُنسِنِي الأيَّامُ فيك ، وقد دَجَت سَوالفَ أيامٍ مَضَتْ كالسَّوالفِ
وأخضرَ من وَشْيِ الحَدائقِ مُعْلَمٍ ، تَجُرُّ عليه السُّحْبُ وَشْيَ المَطارِفِ
إذا آنصاتَ في قَرْنٍ من الشَّمْسِ ضاحكٍ ، تَمايلَ في دَمْعٍ من المُزْنِ واكفِ[1]
ولابِسَةٍ في كأسِها ثوبَ آمنٍ ، جلاها علينا الماءُ في ثَوبِ خائفِ
إذا رَعَفَتْ منها الأباريقُ خَيَّلَتْ لأَعيُنِنا سِربَ الظِّباءِ الرَّواعفِ[2]
تمسَّكْتُ بالإنجيلِ لمَّا أباحَها وخالفْتُ فيها نصَّ ما في المَصاحفِ
أُرَدِّدُ لَحْظَ العَيْنِ بينَ شَمامسٍ مُصَوَّرَةٍ في كأسِها وأساقفِ
فمِنْ بَيْنِ عارٍ لم يَنَلْ من ثيابِها ، ومُلتَحِفٍ منها بحُمْرِ المَلاحفِ
أَأَطْلُبُ إسعافَ الزَّمانِ ، وقد ثَنى إلى العاجزِ المأفونِ عَطْفَ مُساعفِ[3]
وآمُلُ أن يَجلو لذي اللُّبِّ بعدَما تَرَشَّفَهُ ذو الجَهْلِ حُلْوَ المَراشفِ
إذا لم يكن للنَّقْصِ يوماً بمُنْكِرٍ ، فما هو للفَضْلِ المُبينِ بعَارِفِ
سأمنَحُ حَلْيَ الشِّعْرِ صائغَ حَلْيِه ، وإن لم يَصُغْهُ لارتيادِ العَوارفِ
ثناءٌ ، كأفوافِ الرِّياضِ يَشوبُه عتابٌ ، كأنفاسِ الرِّياحِ الضَّعائفِ
تَرقرَقَ ماءُ الطَّبعِ في وَجَناتِه ، تَرَقْرُقَ إفرِنْدِ السّيوفِ الرَّهائفِ
أبا حسَنٍ ! إنَّ المَكارِمَ جَمَّةٌ ، وأحسنُها إنصافُ خِلٍّ مُناصِفِ
تناسَيْتَ وُدِّي من قديمٍ وحادِثٍ ، وأغفَلْتَ شُكْري من تَليدٍ وطارفِ

---

1 إنْصَاتَ : ظَهَر وأقبل . الواكف : المطر المنهلّ .

2 رَعَفَتْ : سال منها الشراب .

3 المأفون : ضعيف الرأي .

وأهملتَني ، حتَّى تحيَّفَني العِدا ، وكم ذُدْتَ عنّي الحَيْفَ من كلِّ حائفِ[1]
عصائبُ رَقَّ السِّترُ بيني وبينَهم ، فمن ساترٍ ما في الضَّميرِ وكاشِفِ
يَدِبُّونَ في لَيْلِ النِّفاقِ كأنَّهم عَقارِبُ دَبَّتْ في دُجًى مُتكاثِفِ
إذا نَسَمَتْ ريحُ الصديقِ عليهِمُ ، أَهَبُّوا عليها كلَّ نَكْباءَ عَاصِفِ[2]
وما نَقَمُوا إلا مَقالَةَ مُعْلِنٍ ، بأنَّ أبا السِّبْطَينِ خَيْرُ الخَلائفِ[3]
إذا شِئْتَ أن تُهدي لِغِلٍّ صدورِهِمْ ، فأَغْضِبْهُمُ يَبْدو كُمونُ الكتائفِ[4]
أَلستَ تَراهم ، إنْ رأَوا لك نِعمةً ، يَفيضونَ غَيْظاً من صدورٍ لواهفِ
تَرى أَوجُهاً تَصفَرُّ حِقْداً ، كأنَّما يُدافُ على أَبشارِها ، وَرْسُ رائفِ[5]
وخُزْرَ عُيونٍ لم تكنْ لَحَظاتُها ، لتصدُرَ إلا عن قُلوبٍ رَواجفِ
أَلَم تَرَني أقصرتُ غيرَ مُقَصِّرٍ ، وأَعرَضْتُ عن أعراضِهِمْ غيرَ خائفِ
وكيفَ يَبيعُ الحُرُّ عِرْضَ ابنِ حُرَّةٍ بأعراضِ أبناءِ الإماءِ المَقارفِ
أَغَرَّكَ منهم ذو لسانٍ مُلاطِفٍ ، وقلبٍ ، لإفراطِ الغليلِ ، مُسايفِ[6]
فأعطيتَهم مَدْحاً كزاهِرَةِ الرُّبا ، ووُدّاً كإيماضِ البروقِ الخَواطفِ
وكنتَ جديراً أن تَحُثَّ إليهِمُ ، قَواصِفَ لَفْظٍ كالرُّعودِ القَواصِفِ
وتَسلَمَ عن أعراضِهِمْ بشوارِدٍ مسوَّمَةٍ ، تُوهي صَفاةَ المُقارِفِ[7]

---

1 الحائف : الظالم الجائر .

2 النكباء : الريح .

3 أبو السبطين : هو الإمام علي بن أبي طالب .

4 الكتائف ، مفردها كتيفة : الحقد . اضطر الشاعر إلى إثبات الواو في الفعل (يبدو) ليقيم الوزن ، والوجه أن تُحذف .

5 يُدَاف : يُخْلط ؛ يُذَوَّب في جلد وجوههم . الوَرْس : نبات كالسمسم أصفر يُصْبَغ به ويُتَّخَذ منه الزعفران . الرائف : مكان مُخْصِب .

6 الإفراط : مجاوزة الحد . المسايف : المضارب بالسيوف . وقوله : قلب مسايف : غامض المعنى .

7 قوله : وتسلم : هكذا في الأصل ولعلها : وتثلم من أعراضهم : أي تكسر حافاتها .

فليسَ يكونُ المرءُ سِلْمَ صَديقِهِ ، إذا لم يكنْ حربَ العدوِّ المُخالفِ

290

وقال : [من الهزج]

فؤادي بك مَشغوفُ ، ودَمعي فيك مذروفُ
وفي وعدِكَ إن جُدْتَ به مَطْلٌ وتَسويفُ
أأنسى مَوقِفَ البَيْنِ ، ووَجْدي فيكَ مَوقوفُ
وقد شيَّعَني طَرْفٌ بماءِ الشَّوقِ مَطروفُ
وجادَتْ حَدَقٌ نُجْلٌ ، ومادَتْ قُضُبٌ هِيفُ
وجالَتْ حُمْرَةُ الخَدِّ ، كما جالَ التَّطاريفُ[1]
فَعِقْدُ الدَّمْعِ مَحلولٌ ، وعِقْدُ الثَّغْرِ مَرصُوفُ
وفي الدَّمْعِ لِمَنْ حُمِّـ ـلَ ثِقْلَ البَيْنِ تَخفيفُ
ورَوْضٍ فيه تَدبيجٌ منَ النَّوْرِ وتَفويفُ
أَلِفْنا طيبَ مَثواهِ ، وطيبُ العَيْشِ مألوفُ
وَصَرْفُ الدَّهْرِ عنَّا بـ أبي العبَّاسِ مَصروفُ
فتىً بالجُودِ مَشغُوفٌ ، وبالمعروفِ معروفُ
خِلالٌ لصَلاحِ الدهـ ـرِ في أفيائِها رِيفُ
فيومَ الجُودِ بَسَّامٌ ؛ ويومَ الرَّوْعِ غِطْريفُ[2]
له في الوَفْرِ تَشتيتٌ ؛ وفي العَلياءِ تأليفُ
ندىً لو كانَ من بَحرٍ لأمسى ، وهوَ مَنزوفُ

---

1 التطاريف ، أراد بها طَوارف القرائح : مستظرفات الخواطر ومستحدثاتها .
2 غِطْريف : سيد متكبّر .

291

وقال يدعو صديقاً له ويصف غديراً وصيد السمك : [من الرجز]

صَبٌّ بِغِرَّاتِ الصِّبا مُكَلَّفُ ، مُنسَحِبٌ مِئْزَرُه والمُطْرَفُ[1]
يُرغِمُ مَنْ يَلْحى ومَنْ يُعَنِّفُ ، تَشوقُه حتَّى يَكادَ يَتْلَفُ
خَدٌّ أَسيلٌ ، وقَوامٌ أَهيَفُ ، فصاحِباهُ فِتْيَةٌ وقَرقَفُ[2]
وعُدَّتاه سابِحٌ ومُرهَفُ ، هاجَ هَواه الدَّيرُ والمُستَشرَفُ
وروضُه المُدَبَّجُ المُفَوَّفُ ، تُرْبٌ صَحيحٌ ، وهواءٌ مُدْنَفُ[3]
للعَيْنِ فيه ، أيَّ وَجهٍ تُصْرَفُ ، بِساطُ منثورٍ نَداه يَنطِفُ[4]
له من الآسِ الجَنيِّ رَفْرَفُ ، وجَدْوَلٌ لُجَّتُهُ لا تُنْزَفُ
تَصقُلُ مَتنَيْهِ الرِّياحُ العُصَّفُ ، حيتانُه دانيةٌ تَلَقَّفُ
فماؤُهُ مُرَوَّقٌ مُنَطَّفُ ، مِثلَ السَّرابِ افترَّ عنه النَّفنَفُ[5]
فهي على ساحاتِهِ تُرَفْرِفُ ، كلٌّ بِسَهْمِ حَتفِهِ مُستَهْدَفُ
أَلحفتُهُنَّ ، والحِمامُ أَلحَفُ ، شَبَّهتُه بالدِّرْعِ حينَ تُرصَفُ[6]
بها عُيونٌ لَحظُهُنَّ أَوْطَفُ ، يَطرِفُها الماءُ ، وليسَتْ تُطرَفُ[7]

1 الغُرّات بضم العين ، مفردها غُرّة : أول الشيء ، وبكسر العين ، مفردها غِرّة : الغفلة .
المُطْرَف : رداء من خزّ ذو أعلام .
2 القرقف : الخمر .
3 مُدْنف : ثقيل .
4 ينطف : يسيل .
5 النفنف : الهواء .
6 أَلْحَفَه : أصابه ، ويريد أنه اصطاد السمك .
7 أوطف ، من وَطِفَ : كَثُرَ شعر عينيه ، ويريد أنها تنظر من خلال رموشها الطويلة .

ثمَّ تَلاها قَصَبٌ مُجوَّفُ ، مثلَ القَنا ثَقَّفَهُ المُثقِّفُ
وكلُّ عقفاءَ إليه تُوصَفُ ، مثلَ الهلالِ ، وهي منه أنحَفُ
من صِفتَيْها الرِّفْقُ والتَّعجرُفُ ، فلم تَزَلْ تُرسَلُ ثم تُخطَفُ
ونحنُ من أشتاتِها نؤلِّفُ ، كأنها خَناجِرٌ تَعَطَّفُ
أحلَّ لي عذابَهُنَّ المُصحَفُ ، وليس عن صَرْفِ الحِمامِ مصرَفُ

292

وقال يهجو أبا العباس النامي[1] ويذكر أن أباه كان جزّاراً بحلب : [من الوافر]

تَلافَ السَّهمَ أُثبِتَ في الشَّغافِ ، وهل يُنْجيكَ من تَلَفٍ تَلافي
تُذَكِّرُني العَفافَ ، وليس هذا ، أوانَ العَفْوِ عنك ، ولا العَفافِ
وقد برقَ الهجاءُ بقاصِفاتٍ ، تَهُمُّ لها قَناتُكَ بانقِصافِ
فرشْتُ لك البسيطةَ منه جَمراً ، يَضُرُّ بذي الحِذاءِ ، وأنتَ حافي
وكيفَ تنالُ عارفتي وعفوي ، ولم تَمْحُ اعترافَكَ باعترافِ[2]
أرى الجَزَّارَ هيَّجَني ووَلَّى ، وكاشَفَني وأسرعَ في انكشافي
ورقَّعَ شِعرَه بعيونِ شِعري ، فشابَ الشَّهدَ بالسُّمِّ الزُّعافِ
لقد شَقِيَتْ بمِديَتِكَ الأضاحي ، كما شَقِيَتْ بغارَتِكَ القَوافي
توعَّرَ نَهْجُها بك ، وهو سَهلٌ ، وَكُدِّرَ وِرْدُها بك ، وهو صافي
فتكْتَ بها مثقَّفَةَ النَّواحي على فِكْرٍ أسَدَّ من الثِّقافِ[3]
لها أَرَجُ السَّوالفِ حينَ تُجلَى على الأَسماعِ ، أو أَرَجُ السُّلافِ
جمَعْنَ الحُسْنَيَينِ ، فمِن رِياحٍ مُعَنْبَرَةٍ ، وأرواحٍ خِفافِ

---

1 النامي : هو أحمد بن محمد المصيصي ، شاعر رقيق من شعراء سيف الدولة .
2 العارفة : المعروف والعطية .
3 الثِّقاف : آلة تُقوَّم بها الرماح .

وما عَدِمَتْ مُغيراً منكَ يَرمي رقيقَ طباعِها بطباعِ جَافي
كأنَّ مَحاسِنَ الأشعارِ شَرْعٌ تُحَبِّبُهُ ، فجاءَ على الخِلافِ
مَعانٍ تُستَعارُ من الدَّياجي ، وألفاظٌ تُقَدُّ من الأثافي
كأنَّكَ قاطفٌ منها ثِماراً سُبِقْتَ إليه إبَّانَ القِطافِ
وشَرُّ الشِّعْرِ ما أدَّاهُ فِكْرٌ تَعَثَّرَ بينَ كَدٍّ واعتسافِ
لقد شَكَتِ القَصائِدُ منك ضَيماً ، فهل حامٍ يَقيها الضَّيمَ كافي
جَرَيْتَ ، وطِرْفُها السبَّاقُ جارٍ ، وضِقْتَ وباعُها المتدُّ وافي
وتزعُمُ أنَّكَ المشهورُ فَضْلاً ، فَلِمْ تَخفَى ، وبَرقُ الحَيْنِ خافي[1]
تَفاوَتْنا ، وهل تَخفَى القُدامى على لَحْظِ العُيونِ مِنَ الخَوافي[2]
وفَضْلُ الهامِ من بُغْضِ الذُّنابى ، وعِزُّ التَّاجِ من ذُلِّ الخِصافِ[3]
رُميتَ منَ الهجاءِ بذي غِمارٍ ، إذا ما فاضَ غَرَّقَ ذا النِّطافِ
وضاقَ بكَ الفضاءُ الرَّحْبُ لمَّا ، عَطَفْتُ عليك فَضفاضَ العِطافِ
ولستُ أُسيءُ مُبتَدِئاً ، ولكنْ أجازي بالإساءَةِ أو أكافي
سأَشفي الشِّعْرَ منك بِنَظْمِ شِعْرٍ ، تَبيتُ لـه على مثلِ الأثافي
وأُبعِدُ بالمَوَدَّةِ منك جُهدي ، فَقِفْ لي بالمَوَدَّةِ خَلفَ قافِ

293

وقال يمدح أبا العباس أحمد بن نصر بن أُبـيّ : [من الكامل]

أَمُعَنِّفي ! إنْ زِدْتَ في التَّعْنيفِ ، فارْدُدْ سَوابِقَ دَمْعِيَ المَذروفِ

---

1 البرق الخافي : اللامع .

2 الخوافي : ريشات من الجناح إذا ضم الطائر جناحيه خَفِيَتْ . القوادم : ريشات في مقدَّم الجناح وهي كبار الريش .

3 الهام : الرأس ، مفردها هامة . ذنابى الطائر : ذنبه . الخصاف ، مفردها خصفة : قفة تعمل من الخوص للتمر ؛ قطعة يخصف بها النعل .

سَلَّتْ على قَلبي ظُبا أسيافِها ، يَومَ النَّوى مُقَلُ الظِّباءِ الهِيفِ
وأَعَدْنَ بَرْقَ الشَّوقِ يُومِضُ في الحَشا، بِوَميضِ بَرْقٍ من خِلالِ سُجوفِ
ورجَوْتُ أن أَحيا بِرَدِّ تَحيَّةٍ ، فحَيِيتُ من أجفانِها بحُتوفِ
أَقمارُ تَمٍّ في سَوادِ حَنادِسٍ ، وغُصونُ بانٍ في رِقاقِ شُفوفِ
لازالَ صَوْبُ المُزْنِ صَبّاً آلِفاً ، يَنهَلُّ في ربعِ الصِّبا المألوفِ
وَطَنٌ عَهِدْتُ الدَّهْرَ غيرَ مُخالفٍ في ظِلِّهِ ، والحَيَّ غيرَ خُلوفِ[1]
وَدَّعتُهُم شَغَفاً بهم ، وجَهِلْتُ ما يَجني الوَداعُ على الفَتى المَشغوفِ
فعرَفْتُ يَومَ البَيْنِ مَنْهَجَه ، كما عَرَفَ ابنُ نَصرٍ مَنهجَ المَعروفِ
مَلِكٌ ، رَجَوْتُ نَوالَه ، فوجدتُه كَثَباً على الرَّاجينَ غيرَ قَذيفِ[2]
ولجأتُ من دَهْري إليه ، فكان لي رُكناً على الحِدْثانِ غيرَ ضَعيفِ[3]
وسَرَيتُ في لَيلِ الخُطوبِ بِوَجْهِه ، فحَمَدْتُ إشراقَ الهِلالِ المُوفي
سبَقَ الأميرُ إلى السَّماحِ ، فأَتبعَتْ كَفَّاه جُوداً سابقاً برديفِ
واحتالَ في نَظمِ الثَّناءِ ، ونَثرِه ، في مُشرِقاتِ قَلائِدٍ وشُنوفِ
شمسُ النَّدى يَسمُو ، بعَزمٍ لو بَدا ، للشَّمسِ يوماً آذَنَتْ بكُسوفِ
وثَقيلُ حِلمٍ منه أصبحَ كامِناً ، في حَدِّ مَصقولِ الذُّبابِ خَفيفِ
سادَتْ بنو حَمدانَ مَجْداً لم يَزَلْ يُثْنى بحَـدِّ أَسِنَّـةٍ وسُيوفِ
وصلوا التَّليدَ بطارِفٍ ، فغَدا لهُم ، حَبلا فخارٍ تالدٍ وطَريفِ
وحَوى أبو العبَّاسِ كلَّ فَضيلَةٍ ، تَرَكَتْ شَريفَ القَومِ غيرَ شَريفِ
حَنِقٌ على الأموالِ غيرُ مُبَخَّلٍ ، قاسٍ على الأعداءِ غيرُ رَؤوفِ
مُدَّتْ إليَّ يَدُ الخُطوبِ فكفَّها عنّي بِكَفٍّ للنَّوالِ ألـوفِ

---

1 خُلُوف : متغير .

2 الكثب : القريب . القذيف : البعيد .

3 حِدْثان الدهر : نوائبه .

وأَحلَّني جَدواه ذُروَةَ شاهِقٍ   مُتَمَنِّعٍ صَعْبِ المَرامِ مُنيفِ
لم تَـرْمِنِي الأيامُ فيه بِنَظرَةٍ ،   إلا آثنَتَيْنَ بناظِرٍ مَطروفِ

294

وقال : [من الكامل]

عافَ الوقوفَ على المحلِّ العافي ،   وأقامَ إلفَ مَوَدَّةِ الأُلاَّفِ
صَبٌّ يُواصِلُ ، للصَّبابَـةِ ، قاطعاً   ويُلِمُّ من ألمِ الغَــرامِ بِحَافي
ظَامٍ إلى الوَجَناتِ يُورِدُهُ الرَّدَى ،   وَرْدٌ بها يُجنى ، بغيرِ قِطافِ
ويَزيدُهُ ضُعْفُ الخُصورِ ، إذا انثَنَتْ   للوَجْدِ ، أَضعافاً على أضعافِ
أيــامَ يَعْطِفُــه ، على لَذَّاتِــه ،   خَنِثُ الشَّمائلِ مائسُ الأعْطافِ
والشَّرْبُ قد صبّوا الصَّباحَ على الدُّجى   ما بينَ ضَوْءِ سوالفٍ وسُلافِ
والبدرُ يَظهرُ في السَّحابِ ، كأنَّه   عَذراءُ تنظُرُ من وَراءِ سِجافِ
والرّاحُ قد حملَتْ لها ريحُ الصَّبا   نَفَحاتِ مِسْكٍ بالعَبيرِ مُدافِ
وتناهَبَتْ كاساتُها ظُلَمَ الدُّجى   نَهْبَ العُفاةِ نَدى أبي العَطَّافِ
حَكَمٌ على الأيَّامِ يحكُمُ في العِدا   والمالِ حُكمَ مُجانِبِ الإنصافِ
فَمحلُّه خَضِرُ الجَنابِ من النَّدى   عَذْبُ المَوارِدِ آمِــنُ الأكنافِ
حالي الثَّرى يجري النَّسيمُ ، إذا جرَى   صُبْحاً ، بأنفاسٍ عليه ضِعافِ
قطعَ الوفودُ به المسيرَ ، وطالَـما   وَصَلوا الذَّميلَ إليه بالإيجافِ[1]
عرَفوا الأميرَ مُواصِلاً معروفَه   بخلائِقٍ مِسكِيَّةِ الأعرافِ
وكَسَوه من بِدَعِ القريضِ مدائحاً   موشيّــةً كبدائــعِ الأفــوافِ
أعطى ، فقَصَّرَ في العَطاءِ بحاتمٍ ،   وسَطا فأخمَلَ سطوةَ الجحَّافِ[2]

1 الذَّميل : السير الليّن .
2 الجحّاف : بطل من الأبطال المشهورين .

في مَعْرَكٍ طافَ الرَّدى بِكُماتِه ، عندَ اختلافِ الطَّعْنِ أيَّ طَوافِ
فإذا السَّنابِكُ أنشأَتْ ليلاً به ، ثَقَبَ الصَّباحَ له سَنا الأسيافِ
من أسرةٍ أُسِرَتْ لها صِيدَ العُلى وَقَفاتُ أَصْيَدَ في الرَّدى وَقَّافِ
جعلُوا السُّيوفَ لكلِّ خَطْبٍ مَعْقِلاً ؛ إنَّ السُّيوفَ معاقلُ الأَشرافِ
وكَساهُمُ صَفوُ النَّجاةِ خَلائِقاً أصفى من الماءِ الزُّلالِ الصَّافي
فلهُم عَزائِمُ ما امتضَيْنَ صَوارِماً ، إلا جَلَيْنَ بها دُجَى الأَسيافِ
ومَحلُّ عِزٍّ شاملٍ ما احتلَّه باغٍ كَساه البغيُ ثَوبَ خِلافِ[1]
إلّا رأى الرّاياتِ تَخفُقُ حولَه ، ورأى الوَشيجَ مُخضَّبَ الأَطرافِ[2]

295

وقال : [من الخفيف]

قد عَقَلْتُ اللِّسانَ دونَك ، والخا ئِنُ مَنْ سُلِّطَتْ عليه القَوافي
وأرى الوَعْدَ منك في كلِّ يومٍ ثَمَراً ، غيرَ مُؤْذِنٍ بقِطافِ
فتَنَبَّهْ ، فأنتَ ما بينَ شَهْدٍ من لِساني وبينَ سُمٍّ ذُعافِ

296

وقال يستهدي من سَلامة بن فهد نبيذاً : [من المتقارب]

ألا يا آبنَ فَهْدٍ وُقيتَ الرَّدَى ، فأنتَ الجَوادُ الأديبُ الشَّريفُ
صَرَفْنا الأَعِنَّةَ نَحوَ المُدامِ ، وما للزَّمانِ علينا صُروفُ
فغابَتْ كواكبُ لَذّاتِنا ، وأَعجلَ شَمسَ المُدامِ الكُسوفُ

---

1 خِلاَف ، من أخلف الثوب : أصلحه .

2 الوشيج : قصب الرماح .

فَجُدْ بالتي عندَها للسُّرورِ ، حياةٌ ، ولِلهَمِّ فيها حُتوفُ
فما جادَ بالرَّاحِ إلاّ الجَوادُ ، وما كَبَّرَ الظَّرْفَ إلا الظَّريفُ

297

وقال يمدح أبا العطاف جبراً : [من الكامل]

رَفِقَ الزَّمانُ بنا ، وكانَ عَنيفا ، وغَدا لنا بعدَ القِراعِ حَليفا
ودَنَتْ ظِلالُ المَكرُماتِ ، وذُلِّلَتْ أثمارُهــا للطَّالبــينَ قُطوفا
أهلاً بـمَنْ رَعَتِ المدائحُ رَوضَه ، فعَرَفْــنَ في أيامِه المَعروفا
وحَنَته رأفتُــه على زُوَّارِهِ ، فأراهُمُ خَلَقَ النَّوائـبِ رِيفا
قَدِمَتْ بمَقدَمِه المكارِمُ ، فاغتَدَتْ خُضْراً ، تَرُفُّ على العُفاةِ رَفيفا
وزَهَتْ بِلادُ الحِصنِ بالقَمَرِ الذي أهدى إلى القَمرِ المُنيرِ كُسوفا
نَظَمَ الأَميرُ لها قَلائِدَ سُؤدُدٍ ، أشرَفْنَ في لَبَّـاتِها ، وشُنُوفا
وغَدا الفُراتُ لبَيْتِه مُتَضائِلاً ، لا يَستبِينُ ضُؤُولَةً ونُحوفا
فلو استطاعَ إليه قَصداً لانكَفى ، حتى يُرَى عن قَصْدِه مَصروفا
لولا أبو العطَّافِ لم تَلْقَ النَّدى غَضّاً ، ولم يَكُنِ الزَّمانُ عَطوفا
مَلِكٌ ، يراه عدوُّهُ مُتجَنِّباً ؛ ويراه طالبُ رِفْدِهِ مألُوفا
مُغْضٍ ، وليسَ لِحاظُه إن بَثَّها إلا حيــاةً غَضَّــةً وحُتوفا
وأَغَرَّ يأنَفُ أن يَصُدَّ عَنِ الوَغى حتَّى يُذِلَّ مَعاطِساً وأُنوفا
وفتىً إذا شُغِفَ الملوكُ بحِفْظِهم أضحَى بِخَفْضِ عدوِّهِ مَشغوفا
سائِلْ بِصَوْلَتِه ابنَ مَزروعٍ وقد وَلَّى يَشُقُّ من العَجاجِ سُجُوفا
وأَرَتْهُ خيفَةُ سَيفِه وسِنانِه لِينَ المِهــادِ أسِنَّةً وسُيوفا
أوفَى عليه مُقارِعاً ، حتى إذا أعطى القِيادَ أجارَه مَلهوفا
طوَّقْتَه بالمَنِّ ، حينَ مَلَكْتَه ، طَوْقاً ثَقيلاً في الرِّقابِ خَفيفا

والدَّيلَميُّ هَفَتْ به أُمنِيَّةٌ ؛ غَرَرٌ يُفيدُ اللَّوْمَ والتَّعنيفا
وافاك كالمحتالِ يَختُلُ صَيْدَه ، فأثارَ منكَ الأَصْيَدَ الغِطْريفا
وأحقُّ مَنْ يُضحي فريسةَ ضَيْغَمٍ مَنْ راحَ مُقتَحِماً عليه عَريفا[1]
قَيَّدْتَ لَحْظَ جُفونِه ، فأَرَيْتَه رأدَ الضُّحى ليلاً عليه كَثيفا
وتَرَكْتَه ما إن يُعايِنُ إلفَهُ إلا خَيالاً في المَنامِ مُطيفا
وكذاكَ مَنْ شُبَّتْ بأَرْضِكَ نارُهُ ، أضحَى بنارِكَ طرفُه مَطروفا
لا تُعْدَ منك ربيعةُ الفَرَسِ التي عَمَرَتْ جَنابَكَ مَربعاً ومَصيفا[2]
أَحلَلْتَها للجُودِ رَوْضاً مُعْشِباً ، سَهْلاً ، وطَوْداً للفَخارِ مُنيفا
فاسلَمْ ، فكم شيَّدْتَ من أُكرومَةٍ ، وهَدَمْتَ تالِدَ ثَروَةٍ وطَريفا
وتَمَلَّها غَرَّاءَ لستَ بمُلْبِسٍ أفوافَهـا إلاّ أَغَـرَّ شَريفا
رَقَّت ورَقَّ كَلامُها ، فكأنَّما ، جَلَبَتْ رَبيعَ مَحاسنٍ وخَريفا
وكأنَّ لابِسَها يُعايِنُ جَوهراً من لَفْظِها أو يَستَشِفُّ شُفوفا
لو صَافَحَتْ سَمْعَ ابنِ أَوْسٍ لم يَقُلْ : أطلالُهُم سَلَبَتْ دماها الهِيفا[3]

298

وقال في رجل تعصَّب على أبي تمام : [من البسيط]

شِعْرُ ابنِ أَوْسٍ رِياضٌ جَمَّةُ الطُّرَفُ ، فنحنُ منه مَدى الأيامِ في تُحَفِ
لَكِنْ كَرِهْناه لمَّا سار في طُرُقٍ ، من فيكَ مكروهَةِ الأنفاسِ والنُّطَفِ
والشِّعرُ كالرِّيح إنْ مَرَّتْ على زَهَرٍ طابَتْ ، وتَخبُثُ إنْ مَرَّتْ على الجِيَفِ

---

1 العريف : العارف بأمر الشيء .

2 لا تعد : لا تترك .

3 ابن أوس : أبو تمام الشاعر العباسيّ المشهور . الهيف : العِطَاش .

299

وقال : [من الكامل]

قَمَرٌ تَفَرَّدَ بالمَحاسِنِ كلِّها ، فإليه يُنسَبُ كلُّ حُسْنٍ يُوصَفُ
فَجَبِينُهُ صُبْحٌ ، وطُرَّتُه دُجًى ، وقَوامُه غُصْنٌ رَطيبٌ أهيَفُ
للهِ ذاك الوجهُ كيفَ تألَّفَتْ فيه بدائعُ لم تكنْ تَتألَّفُ
وَرْدٌ يُعَصْفِرُهُ الحَياءُ ، ونَرْجِسٌ يُغْضي ، إذا طالَ العِتابُ ، ويُطْرَفُ

300

وقال : [من الطويل]

ألا سَقِّني الصَّهباءَ صِرْفاً ، فإنَّني لِمَنْ لامَ فيها ما حَيِيتُ مُخالِفُ
ألسْتَ ترى وَشْيَ الرِّياضِ كأنَّما تُنَشَّرُ في أرجائِهِنَّ المَطارِفُ
ومَشمولَةً شَجَّ السُّقاةُ كُؤوسَها ، فأشرقَ وَجْهُ الصُّبحِ ، واللَّيلُ عاكِفُ
ولاحَ على الكاساتِ فاضِلُها ، كما تَلوحُ على حُمْرِ الخُدُودِ السَّوالِفُ[1]

301

وقال : [من الخفيف]

يا ٱبْنَ حَسَّانَ ، والأنامُ ضُروبٌ ، حينَ تَتلو أخبارَهم ، ، وصُنوفُ
غَرَّني منك ناظِرٌ يُكثِرُ الإط ـراقَ سَمتاً ، وشارِبٌ مَحفوفُ[2]
وَتكَشَّفْتَ ، فالعَوارُ الذي ما زِلْتَ تُخفيهِ ظاهِرٌ مَكشوفُ
مُولَعٌ بالقُطوبِ يُظْهِرُ سُخْطاً ، ورِضاه ، إذا استشاطَ ، طَفيفُ

---

1 فاضل الكأس : الخمرة .

2 سمتاً : أي ملازماً له . محفوف ، من حَفَّ الشارب : أخذ منه .

كنتُ أُبقي على العَذولِ ، وما أد ري بأنَّ العَذولَ طُرّاً لَفيفُ[1]

302

وقال في الطَّرَد : [من الرجز]

رُبَّ مُنيفٍ في ذُرى مُنيفِ ، أَركانُـه مُرهَفَـةُ السُّيوفِ
تَخفِقُ تَحتَ عارِضٍ كَثيفِ ، كهَودَجٍ مُمَسَّكِ السُّجوفِ
لِفتيَةٍ على الهَوى عُكوفِ ، قد بَكَـروا للقَنَصِ المألوفِ
بحالِكِ الجِلبابِ والنَّصيفِ ، أوضاحُه من درعِه الرَّصيفِ[2]
فَرْدٌ ، تخيَّرناهُ مِنْ أُلوفِ ، مؤيَّـدٌ بِعَسكَـرِ الحُتوفِ
يَكشِرُ عن خَناجِرٍ صُفوفِ ، تَضمَنُ للصَّحْبِ قِرَى الضُّيوفِ
تَـراه قبـلَ شَـدِّه العَنيفِ مُخَضَّبَ الظُّفْرِ من الغُضروفِ[3]
عِناقُـه للحائـنِ الملهـوفِ عِناقَ لا بَرٍّ ولا عَطوفِ[4]
آنسَ في مَطمورَةِ الحُتوفِ مَوشِيَّةً ، كالبُرْدِ ذي التَّفويفِ
تَضْحَكُ عن دمْعِ الحَيا المَذروفِ ، سِرْبَ مهاً كاللّؤلؤ المَشوفِ[5]
أسلمَها المَشتى إلى المَصيفِ ، فرتَعَتْ في نِعَمِ الخَريفِ
فشامَها بِمُقْلَتَي غِطريفِ ، وامتدَّ كالصَّعْدَةِ في التَّثقيفِ[6]
وانصبَّ للحَينِ انصبابَ مُوفِي ، فشكَّ بين النَّحْرِ والشُّرسوفِ

---

1 اللفيف : الصديق والجمهور الخليط .

2 حالك الجلباب والنّصيف : أراد كلباً أسوَد . أوضاحه ، مفردها وضح : وهو الغرّة ، والتحجيل في القوائم . الرصيف : المحكم ، أراد به جلده .

3 الغضروف : كل عظم رخص كمارن الأنف .

4 الحائن : الذي حان هلاكه .

5 المَشُوف : المُزيَّن المصقول .

6 الصّعدة : القناة المستوية .

مثلَ سِنانِ القَيْنِ ذي التأنيفِ ؛ طِرادَ لا وانٍ ولا ضَعيفِ
وأخْذَ جبَّارٍ بها عَسُوفِ ، وراحَ قد جَلَّ عن التَّعنيفِ
في يومِ قَرٍّ جادعِ الأُنوفِ ، يَنْقَضُّ مثلَ الكُرسُفِ النَّديفِ[1]
أو مثلَ كافُورَتِه السَّفوفِ عن أُذُنَيْهِ وعَـنِ الصَّليفِ[2]
مِثلَ انفصامِ العِقْدِ والشُّنوفِ ، فنحنُ من عَطائِه في ريفِ
ونَعمَـةٍ دانيـةِ الرَّفيـفِ ، بينَ قَديدِ اللَّحمِ والصَّفيفِ[3]
نِعمَةُ رَحْمَانٍ بنا رَؤوفِ

303

وقال لأبي بكر المراغي : [من الوافر]

أبا بكرٍ أَسأْتَ الظَّنَّ فيمَن سَجِيَّتُه التَّمَنُّعُ والخِلافُ
وخِفْتَ عليه في الخَلَواتِ مني ، ولم تَكُ بيننَا حالٌ تُخافُ
جَفَوْتُ من الصِّبا ما ليسَ يُجفى ، وعِفْتُ من الهَوى ما لا يُعافُ
فلو أني هَمَمْتُ بِقُبحِ فِعْلٍ لدَى الإغفاءِ أيقَظَني العَفافُ

304

وقال يدعو صديقاً له : [من الوافر]

هَوَاءٌ كَالهَوَى حُسْنَاً وَظَرْفَا وَخَيْشٌ لَيْسَ يُتْرَكُ أَنْ يَجِفَّا
وَفِتْيَـانٌ كِـرَامٌ بَاكَـرُوه وَنَجْمُ صَبَاحِهِمْ يَبْدُو وَيَخْفَى
فَإِنْ بَادَرْتَهُمْ جَعَلُوكَ بَدْراً وَإِنْ خَالَفْتَهُمْ جَعَلُوكَ خَلْفَا

---

1 الكرسف النديف : القطن المندوف شبَّه به الثلج المتساقط .
2 السّفوف ، من سَفَّ الطائر : مرَّ على وجه الأرض . الصّليف : صفحة العنق .
3 الصّفيف : اللحم المشوي .

قافية القاف

305

وقال يمدح الأمير سيف الدولة علي بن عبد الله بن حمدان ويذكر بعض غزواته ويهنئه بعيد النحر بحلب : [من الكامل]

أنّى يعودُ من الصَّبابةِ مُفْرِقا ، ولِقاؤُهُم للبَيْنِ غـادَرَهُ لَقَا[1]
لم تَعتَرِضْ غِزلانُهُم يَومَ النَّقا إلا لكي يُخجِلْنَ غِزلانَ النَّقا
رَفَعُوا القِبابَ ، وفُرِّقَتْ أظعانُهم ، فِرَقاً ، أَمـرْنَ الصَّبرَ أن يتفرَّقَا
ووراءَهُم دَمعٌ ، إذا أوطأتُه ، يَوْمَ النَّوى ، عُنْقَ التَّجلُّدِ أعنَقا[2]
هُنَّ الحَيا حَرَمَ الغَميمَ غمامُه ، وسَرَتْ بَوارِقُه يَجُدْنَ الأبرَقا[3]
لم يَغْنَ من تلكَ المَحاسنِ مَنْزِلٌ ، إلا تَقاضاه الفِـراقُ ، فأملَقا
تَرْقا الدُّموعُ ، ولي على آثارهم دَمْعٌ رَقاه العاذلون فما رَقا[4]
لا أَحسِبُ الأَجفانَ يَلقَى بَعْضُها بَعْضاً ، إذا كانَ الفِراقُ المُلتَقى
أَشقيقَةَ الجِزْعَيْنِ ! أيـَّةُ لَوْعَةٍ عُجْنا عليكِ ، غَداةَ عُجْنا الأينقا
منحَتْكِ أنفاسُ الصَّبا ما استُودِعَتْ ، وسَقاكِ رَقراقُ الحَيا ما رَوَّقا
أَيشوقُني طَرَبُ الشَّبابِ ، وإنَّما شَغَفُ الهِلالِ بحيثُ تمَّ وأشرَقا
والعُودُ ليسَ يُعَدُّ تِرْباً مَوْطِناً إلاّ إذا ما اهتَزَّ فيه وأَوْرَقا

---

1 المفرق : الناقةُ من المرض . اللقا : الشيء الملقى ، المطروح .

2 أعْنَقَ : طال .

3 الغميم : النبات . يجُدن : يمطرن . الأبرق : أرض غليظة فيها حجارة ورمل وطين .

4 رقا ، مخففة عن رقأ الدمع : انقطع . رقاه العاذلون : استعملوا له الرقية وهي ضرب من السحر المزعوم .

ولقَد وَصَلْتُ إلى الجَوادِ مُغَرِّباً من بعدِ ما خُضْتُ اللِّئامَ مُشَرِّقا[1]

وزَجَرْتُ أمثالَ الأَهِلَّةِ بل ترى أجرامَهُـنَّ من الأَهِلَّـةِ أمحَقا[2]

وخَلَعْتُ جِلبابَ الظَّلامِ مُمَسَّكاً ، ولَبِسْتُ جِلبابَ الصَّباحِ مُخَلَّقا[3]

فالآنَ ناضَلْتُ الخُطوبَ بصائبٍ يُصْمي ، وكم ناضلتُهُنَّ بأفوَقا[4]

ورأيتُ سيفَ الدولةِ السيفَ الذي يَزدادُ في ظُلَمِ الكَريهَةِ رَوْنَقا

أوفى ، فكان مُحَلِّقاً ، ومضى فكا نَ مُزَلِّقاً ، وسَطا فكانَ مُحرِّقا

مُتَبَسِّمٌ يَنْـهَلُّ في استهلالِه ماءُ الحياةِ ، فإن تَلَهَّبَ أصعَقا

نالَتْ يَداهُ أقاصيَ المجدِ الذي بَسَطَ الحَسودُ إليهْ باعاً ضَيِّقا

أَعَدُوَّه ! هل للسِّماكِ جريرَةٌ في أنْ دنَوْتَ من الحضيضِ وحلَّقا

أم هل لمُمْتلِئِ اليَدَيْنِ منَ العُلا ذَنْبٌ ، إذا ما كنتَ منها مُملِقا

صَبْراً ، فلستَ تنالُ أدنَى سَعْيِه ، إلاَّ إذا نِلْتَ الصَّبيرَ المُبرِقا[5]

عَذُبَتْ بِصَفْوِ المَكرُماتِ صِفاتُه ، فأتى خليقاً بالمكارمِ أخلَقا

في جمرةِ الحَسَبِ التي لا تُصطَلى ، وذُؤابَةِ الشَّرَفِ التي لا تُرتَقى

يدنو إلى الأملِ البعيـدِ بهمَّةٍ تغتالُ أبعدَ مِـن مَداه وأسحَقا

فحَذارِ من لَحْظِ الشُّجاعِ ، إذا رَنا ؛ وحَذارِ من عَزَماتِه إن أطرَقا

ركَزَ الرِّماحَ على الثُّغورِ ، فأصبحَت سُوراً على تلك الفِجاجِ وخَندَقا

مستيقظاً لـو رُنِّقَـتْ أجفانُـه عن مَشربِ الأيامِ عادَ مُرَنَّقا[6]

---

1 الجواد : الكريم .

2 أمْحَقَ القمر : دخل في آخره .

3 مخلّقاً : مطليّاً بالخلوق ، نوع من الطيب .

4 يُصمي : يصيب فيقتل . الأفوق : السهم .

5 الصبير : مقدّم القوم في أمورهم . المُبْرِق : الذي يتوعّد .

6 رنّقت أجفانه :غشيها النوم .مرنّقاً : مكدَّراً .

لم يَسْرِ عارِضُه إلى أعدائِه ، إلا ليُمطِرَهم دَماً متدفّقا
حَرَقَتْ سَراياه الدُّروبَ ، كأنَّها بحرٌ تَدافَعَ مَوجُه ، فتخرَّقا
حتّى أباحَ حريمَهم ، لا ظالماً ، وحَنَا على أبكارِهِمْ لا مُشفِقا
رفعَ القَنا عن حِملِ هامِ ملوكِهم ، فغَدا وراحَ على الخَليجِ مفلِّقا
في كلِّ أُفقٍ منه سَهْمُ مَنِيَّةٍ يَرنُو إلى كَبِدِ العدوِّ مُفوَّقا
خيلٌ ، تُمَزِّقُ كلَّ يَوْمٍ مأزِقاً ، وظُباً تُفَلِّقُ كُلَّ يومٍ فَيلَقا
إسْعَدْ بعيدِك والقَ ما تَهوى به ، ولْيَلْقَ مَنْ عاداكَ خَطْباً مُوبِقا[1]
نَحرٌ نَحَرتَ البُدْنَ فيه مُسَدَّداً ، وفَتَكْتَ بالأعداءِ فيه مُوفَّقا
دَمَيانِ ما تاقَ الشُّجاعُ إليهما ، إلا إذا خَلَطَ الشَّجاعَةَ بالتُّقى
حَمَّلْتَني نِعَماً شَرُفْتُ بحَملِها ، فإذا نَطقْتُ بها نطقْتُ مُصَدَّقا
لا تَفْصِمُ الأيامُ طوقي ، إنني أصبحتُ بالإحسانِ منكَ مُطوَّقا

306

وقال يمدحه : [من الكامل]

أمَّا الخيالُ ، فما يَغُبُّ طُروقا ، يَدنو بوصلِكَ شائقاً ومَشُوقا[2]
وافى ، فحقَّقَ لي الوَفاءَ ، ولم يَزَلْ خِدْنُ الصَّبابَةِ بالوفاءِ حَقيقا
ومضى ، وقد منعَ الجُفونَ خُفوقَها قَلبٌ لذكرِكَ لا يَقَرُّ خُفُوقا
هل عهْدُنا بِلِوَى الشَّقيقَةِ راجعٌ ، فيعودَ لي فيه الوِصالُ شَقيقا
أيامَ وَصلُكَ في الصَّبابَةِ مَجْهلاً لا يَعرِفُ السُّلوانُ فيه طريقا
أهْوَى أنيقَ الحُسْنِ مُقتَبِلَ الصِّبا ، وأزُورُ مُخضَرَّ الجَنابِ أنيقا

1 مُوبِق : مُهْلِك .
2 الطُّروق : الإتيان ليلاً .

راحَ الغَمامُ به صَفيقاً ثوبُه ، وغدا به ثوبُ النَّسيمِ رَقيقا[1]
هِيَ غَدرَةٌ للدَّهرِ غادَرَتِ الهَوى ، بعدَ الوفاءِ ، مكدَّراً مَطروقا
لا ألحَظُ الأيامَ لَحظَةَ وامقٍ ، حتّى يُعيدَ زَمانَنا المَوموقا[2]
ورَكائبٌ يَخرُجْنَ مِنْ غَلَسِ الدُّجى مثلَ السِّهامِ مَرَقْـنَ منه مُروقا
والفجرُ مَصقولُ الرِّداءِ كأنَّه جلبابُ خَوْدٍ أشبَعَتْهُ خَلُوقا[3]
أَغمامَةٌ بالشَّامِ شِمْنَ بُروقَها ، أم شِمْنَ من بِشْرِ الأميرِ بُروقا ؟
مَلِكٌ تُسَهِّلُ بالسَّماحِ يمينُه حَزناً ، وتُوسِعُ بالصَّوارِمِ ضِيقا[4]
يَلقى النَّدى برقيقِ وَجْهٍ مُسفِرٍ ، فإذا التَقَى الجمعانِ عادَ صَفِيقا
رَحْبُ المنازِلِ ما أقامَ ، فإن سرَى في جَحْفَلٍ تَرَكَ الفَضاءَ مَضِيقا
ما انفَكَّ يَطلُعُ بالحُتوفِ على العِدا صُبْـحًا ، ويَطْرُقُ بالحِمامِ طُروقا
فإذا جرى للمجدِ نالَ صَبوحَه سَبقاً ونالَ الناسُ منه غَبُوقا
وإذا طمى بحرُ الكَريهَةِ خاضَه ، فأماتَ مَنْ عاداه فيه غَريقا
مَهْلاً عُداةَ الدِّينِ ! إنَّ لخَصمِكُم خُلقاً بإرغامِ العدوِّ خَلِيقا
أنذرتُكُم حامي الحَقيقَةِ لا يَرى إلا لِمُرْهَفَةِ السُّيوفِ حُقوقا
سَدَّتْ عَزائِمُه الثُّغورَ ، وحالفَتْ آراؤه التَّسديـدَ والتَّوفيقا
ورمَى بِلادَ الرُّومِ بالعَزْمِ الذي مازالَ صُبحاً في الظَّلامِ فَتِيقا
رَزَحَتْ مخائِلُ بأسِهِ في عارضٍ مُتألِّقٍ يَغْشى العُيونَ بَريقا
جيشٌ ، إذا لاقَى العدُوُّ صُدورَه لم تَلْقَ للأعجازِ منه لُحُوقا
حُجِبَتْ له شَمْسُ النَّهارِ ، وأشرَقَتْ شَمْسُ الحديدِ بجانِبَيْهِ شُروقا

---

1 ثوب صفيق : كثيفٌ نسجه .

2 الموموق : المحبوب .

3 الخَوْد : المرأة الشابة .

4 الحَزْن : ما غَلُظَ من الأرض ، وقلّما يكون إلا مرتفعاً .

أخلى معاقِلَهم وحازَ نِهابَهُم ، قَسْراً ، وفرَّقَ جَمْعَهُمْ تَفريقا
فتضرَّجَتْ تلك البِطاحُ به دَماً ، وتضرَّمَتْ تلك الفِجاجُ حَريقا
وثَنى الجِيادَ يَشُقُّ جَيْبَ عَجاجِها ، ومضَى السُّيوفَ فينثني مَشقوقا
والدَّهْرُ مُبتَسِمٌ يروقُ كأنَّما أبدى بطَلْعَتِهِ الثَّنايا الرُّوقا[1]
فَتْحٌ جَليلُ القَدْرِ زِيدَ به الهُدى ، بِرّاً ، كما زِيدَ الضَّلالُ عُقُوقا
أَعَلِيُّ ! كم نِعَمٍ مَنَحتَ جَليلَةٍ ، مَنَحَتْكَ مَعنىً في الثَّناء دَقيقا
ونَدىً رفَعْتَ به لِحَيَّيْ تَغْلِبٍ شَرَفاً أنافَ ، فعانَقَ العَيُّوقا[2]
فاسلَم لمَكْرُمَةٍ شَغَلَتْ بحُبِّها ، قلباً بحُبِّ المكرُماتِ عَلُوقا
وتَمَلَّ مدحي ، إنه رَيحانَةٌ نَفَحَتْ ، فباشَرَها اللَّبيبُ طَليقا
شَعْشَعْتُ منه اللَّفْظَ ثم نَظَمْتُه ، فكأنَّما شعشعتُ منه رَحيقَا
قد كان غُفْلاً قبلَ جُودِكَ ، فَاغْتَدَى عَلَماً بجُودِكَ في الوَرى مَرْمُوقا

307

وقال يصف شمعة : [من الرجز]

أَعدَدْتَ للَّيلِ ، إذا اللَّيلُ غَسَقْ ، وقَيَّدَ الألحاظَ من دونِ الطُّرُقْ
أغصانَ تِبْرٍ عُرِّيَتْ عن الوَرَقْ ، ثِمارُها مثلُ مَصابيحِ الأُفُقْ
يُغْني النَّدامى ضَوؤُها عن الفَلَقْ ، شِفاؤُها إن مَرِضَتْ ضَرْبُ العُنُق[3]

308

وقال يتشوَّق الموصل ونواحيها ، وهو مقيم بحلب : [من الكامل]

أَمحلَّ صبوتِنا ، دعاءُ مُشوَّقٍ يرتاحُ منك إلى الهَوى المَوموقِ

---

1 الرّوق ، مفردها أروق : الحسن الذي يعجب الناظر إليه .

2 العيّوق : نجم في السماء .

3 الفَلَقْ : الصبح . وأراد بضرب العنق أنه كلما ضَعُف نورها ، قُطع رأس ذبالتها فتحيا .

هل أطرُقَنَّ ، العُمْرَ ، بينَ عِصابَةٍ ، سلكوا إلى اللّذاتِ كلَّ طريقِ
أَم هل أرى القصرَ المُنيفَ مُعَمَّماً بِرِداءِ غَيْمٍ كالرِّداءِ رَقيقِ
وقَلاليَ الدَّيرِ التي لولا النَّوى لم أرمِها بِقِلًى ، ولا بِعُقُوقِ[1]
محمرَّةَ الجُدرانِ يَنفَحُ طِيبُهـا ، فكأنَّهـا مَبْنِيَّـةٌ بخَلـوقِ
ومحلَّ خاشِعَةِ القُلوبِ تَفَرَّدُوا بالذِّكْرِ بينَ فُروقِه وفُروقِ
أَغشاهُ بينَ مُنافِقٍ متجمِّـلٍ ، ومُناضِلٍ عن كُفْرِهِ زِنْديقِ
وأَغَنَّ تَحسِبُ جِيدَه إبريقَه ، ما قامَ يَسفَحُ عَبْرَةَ الإبريقِ
يتنازَعونَ على الرَّحيقِ غَرائِباً يَحْسِبْنَ زاهرةً كؤوسَ رَحيقِ
صدَرَتْ عنِ الأفكارِ ، وهي كأنها رَقراقُ صادرةٍ عن الرَّاووقِ
دَهرٌ ترَفَّقَ بي فُواقاً صَرفُه ، وسَطا عليَّ ، فكانَ غيرَ رَفيقِ
فمتى أزورُ قِبابَ مُشرِفَةِ الذُّرى ، فأرودَ بينَ النَّسرِ والعَيُّوقِ[2]
وأرى الصَّوامعَ في غوارِبِ أُكْمِها ، مِثلَ الهوادِجِ في غَوارِبِ نُوقِ
حُمراً تَلوحُ خِلالَها بِيضٌ كما فَصَّلْتَ بالكافورِ سِمْطَ عَقيقِ[3]
كَلِفٌ تَذَكَّرَ قبلَ ناهيةِ النُّهى ظِلَّيْنِ : ظِلَّ هوىً ، وظلَّ حَديقِ[4]
فتفرَّقَتْ عَبَراتُه في خَدِّه ، إذ لا مُجيرَ له من التَّفريقِ

309

وقال يرثي غلاماً من بني شيبان صُلب بالموصل وكان بينهما معرفة :
[من مجزوء الكامل]

نَفْسي فِداؤُكَ هادياً ، تُهدَى بها عُصَبُ الرِّفاقِ

1 قَلال الدير : الصوامع .
2 النَّسر والعيوق : نجمان .
3 السِّمْط : الخيط مادام الخرز أو اللؤلؤ منتظماً فيه .
4 حديق : يريد حديقة .

كالبدرِ يُحسَبُ في التَّمَا م ، وقد تَرَفَّعَ بالمَحاقِ
أوفى على طُرُقٍ أقا مَ فَليسَ يُؤذَنُ بانطِلاقِ
مُتوشِّحاً فيه دمــاً ، كَحمائلِ البِيْضِ الرِّقاقِ
ومضارِعُ الجَوْزاءِ ليـ ـلاً في عُلوٍّ واتِّساقِ
فكأنَّـــه وكأنَّهـــا إلفانِ هَمَّـــا باعتِناقِ

310

وقال يدعو صديقاً له ويصف غرفته المشرفة على الصحراء ويصف الخطّاف وبناءه فيها : [من الطويل]

ألستَ تَرى رَكبَ الغَمامِ يُساقُ ، وأدمُعَه بينَ الرِّياضِ تُراقُ ؟
وقد رَقَّ جِلبابُ النَّسيمِ على النَّدى ، ولكنْ جلابيبُ الغُيومِ صِفاقُ
وعندي منَ الرَّيحانِ نوعٌ تُحبُّهُ ، وكأسٌ كرَقراقِ الخَلوقِ دِهاقُ[1]
وذو أدبٍ جلَّت صَنائعُ كَفِّه ، ولكن معاني الشِّعرِ فيه دِقاقُ
لنا أبــداً من نَثرِهِ ونظامِــه بَدائعُ حَلْيٍ ما لَهُنَّ حِقاقُ
وَأَغْيَـدُ مُهتَزٌّ على صَحْنِ خَدِّهِ غَلائِلُ من صِبْغِ الحَياءِ رِقاقُ
أحاطَتْ عيونُ العاشقينَ بِخَصْرِه ، فهُنَّ له ، دُونَ النِّطاقِ نِطاقُ
وقد نُظِمَ المنثورُ ، فهو قلائِدٌ علينا ، وعِقدٌ مُذْهَبٌ وخِناقُ
وغُرفَتُنا بينَ السَّحائبِ تلتقي ، لهُنَّ عليهـــا ، كِلَّةٌ ورِواقُ[2]
تَقَسَّمَ زُوّارٌ منَ الهِنْدِ سقفَها ، خِفافٌ على قَلبِ النَّديمِ رِشاقُ[3]
أَعاجِمُ تلتَذُّ الخِصامَ كأنَّها ، كَواعِبُ زَنْجٍ راعَهُنَّ طَلاقُ

1 الدّهاق : الملأى .
2 الكِلَّة : غشاء رقيق يُخاط كالبيت يتوقّى به من البعوض .
3 أراد بزوّار الهند : الخطاطيف .

أَنِسْنَ بنا أُنْسَ الإماءِ تحبَّبتْ ، وَشيمَتُها غـدرٌ بنـا وإباقُ
مُواصِلَةٌ ، والوردُ في شَجَراتِهِ ؛ مفارِقَةٌ إن حـانَ منـه فِراقُ
فَزُرْ فِتيَةً بَرْدُ الشَّرابِ لَدَيْهِمُ حَميمٌ ، إذا فارَقْتَهُم وغَسَاقُ[1]
إذا اشتهرَتْ بالحُسْنِ أخلاقُ صاحبٍ ، فليسَ ، لمخلوقٍ جَفاهُ خَلاقُ[2]

311

وقال يعاتب سلامة بن فهد ويمدحه : [من السريع]

لم يُشْفَ بالدَّمْعِ عَليلُ الفِراقْ ، إذ شَيَّعَ الظَّعْنَ بِدَمْعٍ مُراقْ
سِيقَتْ لِوَشْكِ البَيْنِ أظعانُهُم ، والنَّفْسُ من بينِهِمُ في السِّياقْ[3]
صَبابَةٌ ضاقَ بها صَدْرُه ؛ وأَدمُعٌ ضاقَتْ بهِنَّ المَآقْ
أما اشتفى الواشونَ من عاشِقٍ يَلقَى منَ البَيْنِ الذي أنتَ لاقْ
رَمَتْهُ باللَّحْظِ عيونُ العِدا ، من قبلِ أن يَحْظَى بطيبِ العِناقْ
فجالَ ماءُ الشَّوقِ في جَفْنِه ، واحتَبَسَت أنفاسُه في التَّراقْ
وزائِـرٍ أسعَفَني بالـمُنى ، زُوراً ، وقد هَوَّمَ حادي الرِّفاقْ[4]
أَعَلَّني شَوْقاً إلى حُسْنِه ، إذ زارَ في النَّوْمِ عَليلَ اشتياقْ
للهِ ما أَوْثَقَ عَهْدَ الهَوى منه ، وما أضعَفَ عِقْدَ النِّطاقْ
يَنْشُرُ لي ذِكْراه نَشْرَ الصَّبا ، وبارِقٌ لاحَ بأعلى البُراقْ[5]
في عارِضٍ أذهَبَ أعلامَه بالبَرْقِ ، حتى خِلْتَهُ في احتِراقْ

1 الحميم : الحار . الغساق : المنتن .
2 الخَلاَق : النصيب الوافر من الخير والخلق الكريم .
3 السياق : نزاع الموت .
4 هوَّم : هزَّ رأسه من النعاس .
5 البراق : بلدة بحلب .

لو أنصَفَ الأعداءُ لم يَصرِموا ، لمَّا تقضَّى الودُّ ، حبلَ النِّفاقْ
كأنَّني بالشِّعرِ ألقاهُمُ بمثلِ وَقْعِ المُرهَفاتِ الرِّقاقْ
في وَقْعَةٍ ليسَ لها كاشفٌ ؛ وصَيْحَةٍ ليسَ لها من فَواقْ[1]
جَرى ابنُ فَهْدٍ سابقاً ، في العُلى أكفاءه ، والسَّبْقُ حَظُّ العِتاقْ
فعاشَ في عَيْشٍ منيعِ الحِمى ، منتشرِ الظِّلِّ فَسيحِ الرِّواقْ
وإنْ جَفا عَبْداً له واصلاً مُعتَلِقاً بالوُدِّ أيَّ اعتِلاق
لا يترجَّى فَكَّ رقٍّ ، ولا يُخْشى عليه مُوبِقاتُ الإباق
وكم أردتُ الهجرَ لكنَّني وجدتُه مُرّاً كريهَ المَذاق
عرابدُ عندَك أُرْمَى بها ، بينَ صَبوحٍ دائمٍ واغتباق[2]
وتهمةٌ في الشِّعْرِ من جاهلٍ ، مازالَ فيه عاجزاً عن لَحاق
لقد أتاحَ الدَّهرُ لي شَقوَةً ، إذ خَصَّني منك بهذا الشِّقاق
وكلُّ أخلاقِكَ مَرضِيَّةٌ ، فما لِخُلٍّ ذَمُّها من خَلاَقْ[3]

312

وقال يصف عربة : [من المتقارب]

وَزِنْجِيَّةٍ عُرِفَتْ بالإباقِ ، فليسَ لها راحَةٌ من وِثاقِ
إذا اضطربَ الماءُ من حَولِها ، رَأَيْتَ الجبالَ بها في تَلاَقي
يَثُورُ بها قَسطَلٌ أبيضٌ على القَوْمِ غيرُ كَثيفِ الرِّواقِ
فأبناؤها المُرْدُ شِيبُ الرُّؤوسِ ، وأبناؤها السُّودُ بِيضُ التَّراقي

---

1 الفواق : أراد ليس لها ما يرجح عليها .
2 العرابد : السيّء من الكلام الذي يصدر عن سوء الخلق .
3 الخَلاَق : النصيب الوافر من الخير .

رَكِبْنا إليها ، غَداةَ الصَّبوحِ ، مَطايا تُحَثُّ كَدُهْمِ العِتاقِ
وَظِلْنا نُميتُ لَدَيْها الزِّقاقَ ، ونُحيـي السُّرورَ بمَوْتِ الزِّقاقِ

313

وقال يصف دَيناً كان عليه بكتاب ، ويذكر غريماً له يؤذيه بمطالبته وعسفه : [من الطويل]

عَذيري من الدَّيْنِ الذي راحَ عِبؤُه على كلِّ قَلبٍ لا على، كلِّ عاتقِ
ومُرتَقِبٍ لي ، غُدوَةً وعَشِيَّةً ، يُسائِلُ عنّي ، وهو لي غيرُ وامقِ
ومطويَّـــةٍ كالسابريَّـةِ أُدْرِجَتْ على فُقَرٍ مثلِ الجِبالِ الشَّواهقِ[1]
فباطِنُها كالبُرْدِ نُمنِمَ وَشيُه ، وظاهِرُها كالآلِ بين السَّمالقِ[2]
ورُبَّ فتىً يَلْقَى السُّيوفَ بوَجْهِه ، ويَعْجَزُ عن لُقيا سيوفِ الوثائقِ
أَلَنْتُ لهم لَفْظي ، ولو كنتُ آمِناً شَهادَةَ خُرْسٍ بالحُقوقِ نَواطِقِ
لَلاقَتْ حقوقُ القَوْمِ حِلفَةَ باطلٍ ، كما لاقَتِ الشَّجراءُ إحدى الصَّواعِقِ

314

وقال يصف صيد الشبكة وصيد الطير بالشرك : [من مجزوء الرجز]

وطَيِّبِ النَّشرِ عَبِقْ بِرَيِّقِ الغَيْثِ شَرِقْ
تَناجَتِ المُزْنُ لـه بالرَّعْدِ في غَيْرِ صَعَقْ
وغُنِـــيَ البرقُ بـــه ، فكلّما عُقَّ ودَقْ[3]

---

1 أراد بالمطوية : كتاب الدين . السابريّة : ضرب من الثياب الرقيقة .

2 السمالق ، مفردها السملق : القاع الصفصف .

3 عقّ ، من عقّت الريح المزن : استدرّته . وَدَقَ : أَمْطَرَ .

وانتَثَرَتْ غُدْرانُــــه ، في رَوْضَةٍ نَثْرَ الوَرَقْ
يَشُقُّـهُ ذو قَلَـــقٍ ، مثلُ حَشا الصَّبِّ القَلِقْ
يَنْسَلُّ بينَ وَشْيِـــهِ مثلَ الحُسامِ المُؤْتَلِقْ
إذا جَلا الغَيمُ له عن حاجبِ الشَّمسِ بَرَقْ
باشَرَ صحبي بَرْدَه ، قبلَ تَباشيرِ الفَلَقْ
نطرُقُ من حِيتانِهِ صَيدَ حِجابٍ ما طُرِقْ
فَصَافَحَتْ صفحتُـه ، كلَّ جَديدٍ كالخَلَقْ
يَبعَثُ منه جسَداً ، أعضاؤُه طُرّاً حَدَقْ
يُريكَ دِرْعاً جُعِلَتْ لجَوْشَنِ المـاء طُرُقْ
إذا نَجا من غَرَقٍ ، رُدَّ ، فعادَ في غرَقْ
آخِذٌ ما عَـــنَّ لـه ، وضامنٌ ما قد أَبَقْ
فمـا تَنِـــي بينَهُمُ جَواهِرُ الرِّزْقِ نسَقْ
مجنَّحـــاتٌ لَبِسَـتْ غَرائِبَ الوَشْيِ اليَقَقْ[1]
كأنَّمـــا أَعيُنُهــــا فُصوصُ ياقوتٍ زُرُقْ
وربَّـما مِلْنا على الطْـطَيرِ ، وقد وافَتْ حِزَقْ[2]
كلُّ غَريبٍ نُقِشَتْ حُلَّتُه نَقْشَ السَّرَقْ[3]
نَنصُبُ في الأَرضِ لها عِقالَ حَتفٍ كالوَهَقْ[4]
خَفِـيَّةً أوتـــادُه ، ظاهِـرَةً منه الحلَقْ
يَكادُ يَخفى شَخصُه . ضُؤُولَةً ، إذا رَمَقْ

---

1 اليَقَق : الشديدة البياض .

2 حزق : جماعات .

3 السرق : الحرير المُوَشَّى .

4 الوهق : حبل في طرفه أنشوطة يطرح في عنق الدابة حتى تؤخذ .

حُفَّ بـرزْقٍ ربَّما ، أردى الذي منه رُزِقْ
فالطَّيرُ من حُرٍّ ، دُجىً ، مَلَكَــةٌ ومُستَــرَقّ[1]
وحائـرٍ يَفْـري السكا كينَ ، إذا قيلَ عَلِقْ[2]
وذي سكونٍ قد قضى ، وخافـقٍ فيـه رمَـقْ
كذلك الأرزاقُ من صَفْـوٍ حميـدٍ ورنَقْ

315

وقال يمدح سيف الدولة : [من الكامل]

كَشَفَ الصَّباحُ قِناعَهُ فتألَّقا ، وسَطا على اللَّيلِ البَهيمِ ، فأشرَقا
وعَلا فنُشِّرَ بالصَّباحِ مُوَشَّحٌ بالوَشْيِ تُوِّجَ بالعَقيقِ وطُوِّقا
مُرْخٍ فُضولَ التَّاجِ في لَبَّاتِــه ، ومُشَمِّرٌ وَشْيـاً عليـه مُنَمَّقا
فاشرَبْ ، على طيبِ الزَّمانِ وحُسْنِه ، كأساً تَزيدُكَ لوعةً وتَشوُّقا
يُضْحي السرورُ بها مَليكاً مُطلَقاً ، والهَمُّ في يَدِهـا أسيراً مُوثَقا
أهدَتْ إليك المِسْكَ من أنفاسِها ، طُرُقاً تَروقُ الطَّرْفَ حُسْناً رَيِّقا[3]
وحَدائِقٍ ضَرَبَتْ ضُروبُ جَمالِها سوراً عليك من اللَّذاذَةِ مُحدِقا
ومُدامَةٍ رَقَّتْ ، فخِلْتُ حَبابَها دَمْعاً على وَرْدِ الخُدودِ تَرَقرَقا
ورَقيقِ ألحاظِ الجُفونِ ، إذا رَنا ، منعَ الجَـوَى في القلبِ أن يترَفَّقا
وأغَرَّ يُكبِرُه النَّديمُ جَلالةً ، حتَّى يَغُضَّ له الجفونَ ويُطرِقا
مَلِكٌ إذا لاحَتْ مَحاسِنُ وَجْهِه في الغربِ خِلْنا الغربَ منه مَشرِقا
أعليٌّ آثَرْتَ العُلى ، فتجمَّعَتْ ، وأَهَنْتَ مالَكَ بالنَّدى فتفَرَّقا

---

1 الحر : الصقر والبازيّ . ملكة : مملوك .

2 الحائر : المتحيّر . يفري : يقطع . علق : أي علق بالشرك .

3 رَيِّقُ كل شيء : أفضله .

فاخضِبْ يمينَكَ بالمُدامِ ، فطالَما خَضَبَتْ أنامِلُها السِّنانَ الأَزْرَقا
وَكِلِ الهُمومَ إلى الحَسودِ ، فحسبُه أن يَقطَعَ اللَّيلَ التَّمامَ تأرُّقا
فَضْلُ الفتى يُغري الحسودَ بِسَبِّه ، فالعُودُ لولا طيبُه ما أُحْرِقا

316

وقال : [من البسيط]

يا ليلةً جَمَعَتْنا بعدَ مُفتَرَقٍ ، فبتُّ من صُبْحِها ، حتَّى بدا ، فَرِقا
لمَّا خَلَوتُ ، بمن أهوى ، بها قَصُرَت، فكادَ يَسبُقُ منها فجرُها الشَّفَقا

317

وقال : [من الكامل]

إني عَشِقْتُ مِنَ السَّعادَةِ مُسْعِدا ، واصَلتُهُ ، فغدا مشوقاً شائقا
فإذا دَنا جعلَ الزِّيارَةَ شأنَه ؛ وإذا نأى بعثَ الخَيالَ الطَّارِقا
عاتبتُه يوماً ، وفي وَجَناتِه وَرْدٌ ، فصار من الحَياءِ شَقائِقا

318

وقال : [من المنسرح]

أهلاً وسهلاً بِطارِقٍ طَرَقا ، أحببتُ فيه السُّهادَ والأَرَقا
زارَ على غَفْلَةِ الرَّقيبِ ، ويُمـ ـناهُ تُداري وِشاحَه القَلِقا
فِبتُّ منه مُعانِقاً صَنَماً يَنفَحُ مِسكاً وعنبراً عَبِقا
لو شئتُ أنشأتُ من ذَوائِبِه ليلاً ، ومن نُورِ وجهِهِ فَلَقا

319

وقال : [من المتقارب]

تَشاغَلَ عنّي بطِيبِ الكَرى ، وقَلبي أسيرٌ به مُوثَقُ
فلا ماءُ عينيَ من حُرقَةٍ يَغيضُ ، ولا نومُها يَطرُقُ
كأنَّ الصَّباحَ أسيرٌ نأى ، فليسَ يُفَكُّ ، ولا يُطلَقُ

320

وقال يمدح أبا الفوارس سلامة بن فهد : [من الخفيف]

أَلِبَرْقٍ سَرَى بأَعلى البُراقِ ، باتَ رَهْــنَ الحَنينِ والأَشواقِ
أَم لِطَيْفٍ أعلَّه الشَّوقُ حتَّى زارَ تحتَ الدُّجى عَليلَ اشتياقِ
مُغْرَمٌ بالدُّنُوِّ ، بعدَ التَّنائي ، والتَّلاقي من بعدِ وَشْكِ الفِراقِ
عَرِّجُوا فالكَثيبُ مَغنى الغَواني ، وقِفُوا ، فهو مَوْقِفُ العشَّاقِ
دِمَــنٌ لاتَزالُ تَذكُــرُ عَهْداً مِــنْ وَفِيٍّ بالعَهْــدِ والميثــاقِ
قَمَرٌ رَقَّ للمُحِبِّ ، فجادَتْ مُقلتــاه بواكــفٍ رَقــراقِ[1]
جارَ حكمُ النَّوى عليه ، ولكن لم يَجُزْ في سَناه حُكْمُ المَحاقِ[2]
عَذُبَت لوعةُ الصَّبابَةِ فيهِ ، فأَرَتْنــا السُّلُــوَّ مُــرَّ المَذاقِ
كَلِفٌ ضاقَ في الجَوانحِ مَثْوا هُ ، ودَمْعٌ تَضيقُ عنه المآقي
وفِراقٌ جَنى عليَّ انتكاسَ الـ ـحُبِّ من بعدِ راحَةِ الأَفراقِ[3]
لِيَ منه صَبابَةٌ في اتِّئادٍ ، ليسَ تَنْأى ، وعَبْرَةٌ في استِباقِ

---

1 الواكف : المطر المنهلّ .

2 المَحاق : آخر الشهر القمري .

3 الأفراق ، مفردها فرق : الفزع .

كم فَلاةٍ فَلَّتْ شَباها المَهارى ... بِرِفاقٍ تُهوي أمامَ رِفاقِ[1]

وكأنَّ الظَّلماءَ قُدَّ دُجَاها ... من سَوادِ القُلوبِ والأحداقِ

يا ٱبْنَ فَهْدٍ ، وأنتَ مُنْتَجَعُ الرَّكْـ ... ـبِ ، وغَيْثُ الوُفودِ والطُّرَّاقِ

قدْ لعمري جَرَيْتَ في حَلْبَةِ المَجْـ ... ـدِ ، فَحُزْتَ السِّباقَ عندَ السِّباقِ

بِغُدُوٍّ من العُلى ورَواحٍ ، ... واصطِباحٍ منَ النَّدى واغْتِباقِ

وسَجايا فَلَّتْ شَبا الدَّهْرِ بأساً ، ... وعَطايا كُفِّلْنَ بالأرْزاقِ

كَرَمٌ جَدَّدَ السَّماحَ ، وقد هَمْـ ... ـمَ جديدُ السَّماحِ بالإخلاقِ

بِرَحيبِ الفِناءِ ، يَرهَبُه الدَّهْـ ... ـرُ ، ولا يَتَّقي الخُطوبَ بِوَاقي

وعَريقٍ في الأزْدِ يُمْسي ويُضحي ... باسقَ الفَرْعِ طَيِّبَ الأعْراقِ

تَخْضِبُ الكَفَّ بالمُدامِ ، وطَوْراً ... تَخْضِبُ الكَفَّ من دَمٍ مُهْراقِ

أنفقَتْ عَزْمَه التَّجارِبُ ، حتَّى ... تَرَكَتْهُ مُهَذَّبَ الأخْلاقِ

قدْ لَعَمْري زُفَّتْ إليك من المَد ... حِ عَذارى على عُلاك بَوَاقي

مِنْ وَلِيٍّ يَسيرُ في طُرُقِ الوُدْ ... ـدِ ، ولا يَهْتَدي لِطُرْقِ النِّفاقِ

فإذا ما امتَحَنْتَه في القَوافي ... صاغَ حَلْياً يَفوقُ حَلْيَ الحِقاقِ

عَطَّرَتْهُ عُلاكَ حتَّى لَخِلْنا ... أنَّ فيه نَسيمَ مِسْكٍ فِتاقِ[2]

وأرى الدُّرَّ ليسَ يَحسُنُ إلاّ ... في حِسانِ النُّحورِ والأعناقِ

لستُ مِمَّنْ يُغِيرُ جَهْلاً على الشِّعْـ ... ـرِ ، وَيُرْبي في الأخْذِ والإنْفاقِ

بِنظامٍ واهي القُوى مُستَحيلٍ ... لم يَرُضْهُ رياضَةَ الحُذَّاقِ

وإذا ما حَباكَ منه عَروساً ... باعَها بعدَ عرسِها بِطَلاقِ

---

1 الشبا ، مفردها شباة : حدّ كل شيء . المهارى : إبلٌ قيل إنه لا يُعْدَلُ بها شيء في سرعة جريانها . تهوي : تسرع .

2 الفتاق : أن تفتق المسك بالعنبر وطيب الرائحة .

وقال يمدح أبا العشائر : [من الكامل]

لَيسَ التجلُّدُ شِيمَةَ العُشَّاقِ ، إلا إذا شِيبَ الهَوى بنِفاقِ
عُدْ بالمُدامِ على سَليمِ زَمانِه ؛ إنَّ المُدامَ له من الدِّرياقِ[1]
بكراً أضافَ إلى مَحاسِنِ خَلقِها قَرعُ المِزاجِ مَحاسِنَ الأَخلاقِ
وأعوذُ من شَرْقِ البلادِ بِغَرْبِها ، فأؤوبُ من وَصَبٍ إلى إخفاقِ[2]
مثلَ الهِلالِ أَغَذَّ شَهْراً كامِلاً ، فرَماه آخرُ شَهْرِه بمَحاقِ[3]
سَفَرٌ ، رَجَوْتُ به النِّهايةَ في الغِنَى ، فبلغتُ منه نِهايةَ الإِملاقِ
ولكَمْ طَلَعْتُ على الشآمِ ، فنفَّسَتْ شِيَمُ الأميرِ التغلبيِّ خِناقي
جَدَّدْتَ أخلاقَ المَكارِمِ بعدَما أشفَتْ خَلائِقُها على الإِخلاقِ
وفَعَلْتَ في نُوَبِ الحَوادِثِ مثلَ ما فَعَلَتْ ظُباكَ بمَعْشَرٍ مُزَّاقِ[4]
وملَكْتَ بالمِنَنِ الرِّقابَ ، وإنَّما مِنَنُ المُلُوكِ جَوامِعُ الأَعناقِ
المجدُ ، ما سَلِمَتْ خِلالُكَ ، سالِمٌ ، والجُودُ ، ما بَقِيَتْ يَمينُكَ ، باقِي
علَّمْتَني النَّظرَ المديدَ إلى العُلى ، من بَعْدِ ما أَلِفَ العِدا إطراقي
فكأنَّما أسطو لشَزْرِ لواحظي بِظُباً على كَيْدِ العَدُوِّ رِقاقِ
فَلأَجلِبَنَّ إليكَ كلَّ غَريبَةٍ تُضْحى الكِرامُ لها من العُشَّاقِ

---

1 الدِّرْياق : لغةٌ في التِّرياق .

2 الوَصَب : المرض ونحول الجسم .

3 أَغَذَّ في السير : أسرع . المَحاق : آخر الشهر القمري .

4 المزَّاق : الطاعنون بالأعراض .

322

وقال : [من المتقارب]

وريـمٍ رَمَتْنـي ألحاظُـه ، فَبِـتُّ أسيراً لهـا مُوثَقا[1]
كأنَّ الشَّقائِقَ والياسَمينَ على خَدِّهِ ، خَجَلاً ، شُقِّقا
وقالوا : بمُقلَتِه زُرْقَـةٌ ، تَشِينُ ، فَظَلَّ لها مُطْرِقا
وهل يَقطَعُ السَّيفُ يومَ الوَغَى ، إذا لم يكنْ متنُه أزرَقا

323

وقال يعبث بأبي بكر الخالدي بعد أن اتهمه بقبول الفالوذج رِشوةً[2] :
[من الطويل]

إذا شِئْتَ أن تَجتاحَ حَقّاً بباطِلٍ ، وتُغْرِقَ خَصْماً كانَ غيرَ غَريقِ
فَسائِلْ أبا بَكْرٍ تَجِدْ منه سَالِكاً ، إلى ظُلُماتِ الظُّلمِ ، كلَّ طَريقِ
ولاطِفْهُ بالشَّهْدِ المُخَلَّقِ وَجهُه ، وإن كانَ بالألطافِ غيرَ خَليقِ[3]
بأَحْمَرَ مُبْيَضٍّ الزُّجَاجِ كَأَنَّـهُ رِدَاءُ عَرُوسٍ مُشْرَبٌ بِخَلُوقِ
لَهُ فِي الحَشَا بَرْدُ الوِصَالِ وَطِيبِهِ وَإِنْ كَانَ يَلْقَاهُ بِلَوْنِ حَرِيقِ
كَأَنَّ بَيَاضَ اللَّوْزِ فِي جَنَبَاتِهِ كَوَاكِبُ لاَحَتْ فِي سَمَاءِ عَقِيقِ

324

وقال وقد حلف على رجل : [من البسيط]

حلَفْتُ عنكَ يَميناً غيرَ صادِقَةٍ ، ولَستَ خُلّاً لِمَنْ أوفَى ، ولا صَدَقا

---

1 الريم : الظبي الخالص البياض .
2 الفالوذج : نوع من الحلويات يكون شفافاً كالزجاج ، وقد يوضع فيه اللوز أو الفستق .
3 الألطاف : الهدايا . المُخَلَّق : المُطَيَّب بالزعفران .

كأنّـها ، حينَ فَلَّ الحقُّ باطِلَها ، قِطَعٌ من اللَّيلِ غَطَّى سِجْفَه الفَلَقا
حديدَةٌ في نَواحي السَّمْعِ يَحسِبُها مُوسَى الصَّناعِ ، إذا أمضيتَه حلَقا[1]
فإنْ قَرَفْتُ يميناً بعدَها أبداً ، فلا وُقِيتُ صُروفَ الدَّهْرِ والغَرَقا[2]

325

وقال بديهاً بحضرة سيف الدولة وقد حضر الخالديّان فقال له سيف الدولة : اهج الخالديّ الأكبر[3] ، وانسبه إلى أنه كان يبيع دواء الفأر ، وقد سميته قُنافاً فاذكر اسمه أيضاً . فقال : [من البسيط]

يَكْفيكَ أنَّ قُنافاً راعَه غَضَبي ، قبلَ الهِجاءِ ، فلاقى الحَينَ من فَرَقِ[4]
لو أنَّ قَمْلَ قُنافٍ ثَلَّةٌ رَتَعَتْ ليلاً من النَّقْعِ يَمحو غُرَّةَ الفَلَقِ
يا قاتلَ الفأرِ حتَّى ما يُحِسُّهُمُ أهلُ المنازِلِ في صُبْحٍ ولا غَسَقِ
قد كانَ لي وَطَرٌ في الشِّعْرِ أَخْلَقَهُ ما جالَ في أُذُني من شِعرِكَ الخَلَقِ[5]
ليسَ القَريضُ دَواً للفأرِ تَحمِلُه ، من الشَّوارِعِ والأسواقِ في طَبَقِ
سَرَقْتَ شِعْري وكُردوسٌ أَخوكَ فقَد شُهِرْتُما عندَ كلِّ الناسِ بالسَّرَقِ

326

وقال يمدح رجلاً مزيِّناً من أهل الموصل : [من السريع]

للهِ حَسَّانٌ فتىً مُعْرِقاً ، في حِذْقِه ، وابنُ فتىً مُعْرِقِ

---

1 الصَّناع : الحاذق .
2 قَرَف : كذب .
3 هو أبو بكر محمد بن هاشم الخالدي .
4 القناف : الكبير الأنف .
5 أَخلَقَ الشيء : صَيَّره بالياً .

يَفتُكُ بالمَرْءِ شَفيقاً به أَعْجِبْ به من فاتكٍ مُشْفِقِ
لهُ حُسامٌ مُطلَقٌ حَدُّه ، يَدْمى ، وطَوْراً ليسَ بالمُطلَقِ
إذا كسا الوجهَ به رَونَقًا ، عادَ إلى سِنٍّ له ضَيِّقِ

327

وقال يصف الراووق[1] : [من الرجز]

لا راحَ ما لم يَصْفُها الرّاووقُ ، رَحْبُ الذَّرى ينحَطُّ فيه الضَّيِّقُ[2]
سَماءُ لاذٍ قَطرُها رَحيقُ ، تألَّقَتْ من مُزنِـهِ البُروقُ[3]
يَسقيكَ من سَحابِه الإبريقُ ماءَ عَقيقٍ ، لو جرى العَقيقُ
راحٌ ، تولَّى سبكَها التَّعتيقُ ، عَتَّقَها ، من عُمْرٍ ، الزُّرنوقُ[4]
حتَّى إذا ألهبَها التَّصفيقُ صِحْنا إلى جيرانِنا الحَريقُ[5]

328

وقال يصف النيران والكوانين : [من السريع]

حَمراءُ لم تَكذِبْ ولم تَصدُقِ ، لها لِسانٌ قَطُّ لم يَنْطِقِ
يَفرُقُهـا العالِـمُ ، لكنَّها قَطُّ من العالِمِ لم تَفرَقِ[6]
يُزْهِرُ في ذي أربعٍ مُقْعَدٌ ، كالشَّمْسِ ، إذ تُزْهِرُ في المشرِقِ

---

1 الراووق : المصفاة يروّق بها الخمر .

2 يصفها : يأخذ صفوها . الذّرى : النواحي .

3 اللاذ ، مفردها لاذة : ثوب حرير أحمر .

4 الزّرنوق : دير على جبل مطلّ على دجلة بالجزيرة .

5 التصفيق ، من صفَّق الشرابَ : حوّله من إناء إلى إناء ليصفو .

6 يفرقها : يفصلها . تفرق : تخاف .

329

وقال يعاتب أبا الفوارس سلامة بن فهد وقد سأله حاجة ، وقد تأخَّرت عنه :

[من المنسرح]

أيُّ قَوافٍ يَعِزُّ مُونِقُها ،   فيَسترِقُّ القُلـوبَ رَيِّقُهـا[1]

مصونَـةٌ ، والخُطوبُ تَبذُلُها ،   أحسَنُهـا صَنعَـةً وأرشَقُها

وكانَ جُودُ الكِرامِ يُنْبِتُها ،   فصارَ مَنْعُ اللِّئامِ يُحْرِقُها

سِيروا إلى المَجدِ قبلَ سائرَةٍ   أطلقَ منها السِّبا ، وأطلَقَها[2]

إن أكسُكُمْ من مدائحي جُنَناً ،   فإنَّ لي أسهُماً تُمَزِّقُها[3]

شَوارِداً في البِلادِ ما افترَقَتْ ،   إلاّ رَأَيـتَ اللَّبيـبَ يَفرُقُها

أمَّا ابنُ فَهْدٍ ، فقَد وَرَدْتُ له   مَـوارِداً لم يكـنْ يُرَنِّقُها[4]

صَنائِعٌ تُنْشىء المحامدَ كالْـ   أنْوَارِ راحَ الحَيـاءُ يَفتقُها

فسَائِلاهُ ، الغَداةَ كيفَ سَلا   عَنِ القَـوافي ، وكان يَعْشَقُها

فكلَّمـا عارَضَتْـه سافِـرَةً   أعرضَ عنها ، وكان يَرمُقُها

غَرائِبٌ سامَها الجَفاءَ ، وما   زالَ جَفاءُ الكَريمِ يُقْلِقُها

ولستُ أحبو بها سِواه ، ولا   أُذْيِـلُ ديباجَهـا وأُخلِقُها

فسوفَ أستشعرُ الجميلَ مِنَ الصْـ   ـصَبْرِ عسى اللهُ منه يَرزُقُها

---

1 رَيِّقُها : أفضلها .

2 السِّبا ، مخففة عن السِّباء : الأسر .

3 جُنناً ، مفردها جُنّة : الستر .

4 يُرَنِّقُ الماءَ : يُكَدِّرُه .

330

وقال يمدح الأمير أبا الهيجاء حرب بن سعيد : [من الطويل]

طوَى الشَّوقَ ، لولا بارقٌ يَتألَّقُ ، وطيفٌ بأسبابِ الكَرى يَتَعلَّقُ
وأملَقَهُ وَشْكُ الفِراقِ ، فَدَمعُه طريدُ هوىً في صَفْحَةِ الخَدِّ يَعلَقُ
وَقَفْنا وتَذرافُ الدُّموعِ خَليقَةٌ ، طُبِعْنا عليها ، والعَزاءُ تَخَلُّقُ[1]
ولمّا اعتنقْنا خِلْتُ أنَّ قلوبَنا تَنَاجَى بأفعالِ النَّوى ، وهي تَخفِقُ
هي الدّارُ لم يُخْلِ الغَمامُ ولا الهَوى مَعالِمَهـا من عَبْـرَةٍ تَترَقْرَقُ
لوى عُنُقي عنها المَشيبُ ، وقد أُرى جَنيبَ الصِّبا فيها أخُبُّ وأُعنِقُ[2]
أقولُ ، وقد راقَ العيونَ بَهاؤُها : سَقَتْكَ السَّحابُ الغُرُّ مما تُرَوِّقُ
فلا عَيشَ إلاّ ما أفادَ بها الصِّبا ؛ ولا وَجْدَ إلا ما أفادَ التَّفَرُّقُ
ومَوْسُومَـةٍ كاساتُهـا بِفَـوارِسٍ من الفُرْسِ تَطْفُو في المُدامِ وتَغرَقُ[3]
أُقبِّلُ منهم كلَّ شاكٍ سِلاحَه ، وفي يدِه سَهْمٌ إليَّ مُفَوَّقُ[4]
كأنَّ الحَبابَ المُستديرَ قِلادَةٌ عليه ، وتَوريدُ المُدامَةِ يَلْمَقُ[5]
أَحِنُّ إليهـا ، والظَّلامُ مُمَسَّكٌ ، وأصدُفُ عنها ، والصَّباحُ مُخَلَّقُ[6]
ولو لم أكنْ جارَ الأميرِ لكانَ لي أديمٌ بِظُفْـرِ النَّائبـاتِ مُمَزَّقُ
بِجُودِ أبي الهَيْجاءِ أُلبِسْتُ نِعْـمَةً مُجدَّدَةً تَضْفو عليَّ وتُشرِقُ

---

1 التخلّق : تكلّف الإنسان ما ليس من خلقه .
2 الخبب والعنق : ضربان من السير السريع .
3 أراد بالموسومة كاساتها : الخمرة . والكاسات الموسومة هي المصوّرة عليها صورٌ .
4 يقبّله : أي حينما يشرب بالكأس تقع الصورة على شفتيه فكأنه يقبّل صاحبها . المفوّق : المسدّد .
5 اليلمق : القباء وهو كالغنباز .
6 أُصْدُفُ : أنصرف .

قطعْتُ لها في الأرضِ عُقْلَ مدائحٍ تُغَـرِّبُ في أقطارِهـا وتُشَرِّقُ[1]
فَلا هُوَ مَسبوقاً إلى غايَةِ النَّدى ؛ ولا أنا في شَأْوِ المَحامِـدِ أُسبَقُ
غَمامٌ ، متى تَخْفِقْ لساريهِ رايَةٌ على الأرضِ ، لا يُقلِعْ وفي الأرضِ مَخفَقُ
رَفيقٌ إذا الجاني استجارَ بِعَفْوِه ، ولكنَّـــه بالقِـــرْنِ لا يَتَرَفَّـقُ
حَوَتْ تَغْلِبٌ سَيفاً به ، وحَوى بها كَسمراءَ يُمضيهـا سِنـانٌ مُذَلَّقُ[2]
وَيَوْمٍ كأنَّ الشَّمْسَ فيه مَريضَةٌ مُرَنَّقَـةٌ ألحاظُهـا حينَ تَرمُـقُ[3]
إذا اسودَّ فيه النَّقْعُ ، أو مَضَتِ الظُّبا ، فغُودِرَ من إيماضِها ، وهو أبلَقُ[4]
كأنَّ عِتاقَ الخَيْلِ تَنقُصُ ما التَقَتْ بقُطرَيهِ أو تَزدادُ حينَ تَفرَّقُ
تَوَرَّدْتَه ، والحِلمُ تحتَ رِواقِه ، أسيرُ الحِفاظِ المُرِّ ، والجَهْلُ مُطلَقُ
فَجَلَّيْتَ مِنْ ظَلمائِه ، وهو حالِكٌ ، ووَسَّعْتَ من أَرْجائِهِ ، وهو ضَيِّقُ
بِضَرْبٍ كَشَقٍّ الأَتْحَميِّ تَرى له جُيوبَ العَذارى في الخُدودِ تُمزَّقُ[5]
وطَوَّقْتَ قَوْماً في الرِّقابِ صَنائِعاً ، كأنَّهُمُ منها الحَمامُ المُطَوَّقُ
غَرَسْتَ بها غَرْساً يُحَيِّيكَ زَهرُه ، ويُدنيكَ من أثمارِه ، وهو مُونِقُ
أتتْكَ ، وقد أعْدَتْ خلالُكَ لفظَها خِلالاً ، ففيه من خِلالِكَ رَوْنَقُ[6]
مَعانٍ ، كأنفاسِ الرِّياحِ بِسَحْرَةٍ ، تَمُـرُّ بِنَـوَّارِ الرِّيـاضِ فتَعبَقُ
يُقَصِّرُ عنها خاطِبٌ ، وهو مِصقَعٌ ؛ ويَعجَزُ عنها شاعِرٌ وهو مُفلِقُ[7]

---

1 العقل ، مفردها عقال : الحبل يُشدّ به البعير في وسط ذراعه .

2 مُذَلَّق : مُحَدَّد الطَّرَف .

3 مرنَّقة : منكسرة الطَّرْف .

4 أبلق : كان في لونه سواد وبياض .

5 الأتحميّ : ضرب من البرود المُخَطَّطة بالأصفر .

6 أَعْدَى : جاوز .

7 مِصْقَع : بليغ . مُفْلِق : مُبْدِع .

وقال لأبي إسحاق إبراهيم بن هلال الكاتب ، ووافاه كتاب الخالديين أنهما منحدران إلى بغداد في سرعة ، يحذّره منهما ، ويذكر غاراتهما على شعره ببغداد وما فعلا : [من الخفيف]

قد أُظَلَّتْكَ ، يا أبا إسحاقِ ، غــارَةُ اللَّفظِ والمعاني الدِّقاقِ
وأتاكَ الهُمامُ ذو النَّظَرِ الشَّزْ رِ إليها ، والصِّلُّ ذو الإطراقِ
قَطرَةٌ ، لو تَجفُّ ، من قُطرُبيٍّ ، دَرَسَتْ بعدَها رُسومُ الشِّقاقِ[1]
فاتَّخِذْ مَعْقِلاً لشِعْرِكَ يَحْميـ ـه مُروقَ الخوارِجِ المُرَّاقِ
قبلَ رَقْرَاقَةِ الحديدِ يُريقُ السْـ ـسُمَّ في صَفْوِ مائِهِ الرَّقراقِ
كنتُ مِنْ ثَرْوَةِ القَريضِ ، مُحَلَّى فتحلَّيْـتُ منــــه بالإمــلاقِ
أيُّها الجَفْنُ ! غيرَ دَمْعِكَ هذا ، إنَّ ثُكْلَ الحبيبِ غيرُ الفراقِ
أغداةُ الكُلابِ أَوْدَتْ بِشِعْري ، فمَضَى ، أو عشيَّةُ التَّحلاقِ[2]
غارَةٌ ، لم تكُنْ بِسُمْرِ العَوالي ، حينَ شُنَّتْ ولا السُّيوفِ الرِّقاقِ
جالَ فُرسانُها عَليَّ جُلوساً ، لا أَقَلَّتْهُمُ ظُهـورُ العِتاقِ
فُجِعَتْ أنفُسُ الملوكِ ، أبا الهَيْـ ـجاءِ ، حَرباً بأنفسِ الأَعْلاقِ
بِقَوافٍ مثلِ الرِّياضِ تَمَشَّتْ بينَ أنوارِها مياهُ السَّواقي
ومَعانٍ فَتَّقْتَهُنَّ ، فأَصبحْـ ـنَ لِمِسْكِ الكَلامِ مثلَ الفِتاقِ
بِدَعٌ كالسُّيوفِ أُرْهِفْنَ حُسْناً ، وسَقاهُنَّ رَوْنَقَ الطَّبْعِ ساقي
مُشرِقاتٌ ، تُريكَ ، لَفْظاً ومَعْنىً ، حُمرةَ الحَلْيِ في بياضِ التَّراقي

---

1 القطربي : نسبة إلى القطرب : دويبةٌ ، ذكر الغيلان ، الذئب ، الصغير من الكلاب . . . الخ . ولا ندري ماذا أراد الشاعر بها هنا .

2 الكُلاب وتحلاق اللحم : يومان من أيام العرب .

يا لَها غارةً تُفَرِّقُ في الحَو مَةِ بين الحَمامِ والأطواقِ

تَسِمُ الفارِسَ المُقَدَّمَ بالعا رِ ، وبعضُ الإقدامِ عارٌ باقي

لو رَأَيْتَ القَريضَ يَرعُدُ منها بينَ ذاكَ الإرْعادِ والإبراقِ

وقلوبَ الكلامِ تَخفِقُ رُعْباً تَحتَ ثِنْيَيْ لِوائِها الخَفّاقِ

وسُيوفَ الضَّلالِ تَفتُكُ فيها بِعَذارى الطُّروسِ والأوراقِ

والوجوهَ الرِّقاقَ داميةَ الأَبْـ ـشارِ في مَعْرَكِ الوُجوهِ الصِّفاقِ

لَتَنَفَّسْتَ رَحْمَةً لِلْخُدُودِ الـ ـحُمْرِ منهنَّ ، والقُدودِ الرِّشاقِ

والرِّياضَ التي ألحَّ عليها كاذبُ الوَبْلِ صادِقُ الإحْراقِ

والنُّجومَ التي تَظَلُّ نجومُ الـ ـجَوِّ حُسَّادَها على الإشراقِ

بعدَ ما لُحْنَ في سَماءِ المعالي ، طُلَّعاً ، وانتَشَرْنَ في الآفاقِ

وتَخيَّرْتَ حَلْيَهُنَّ ، فلم تعـ ـدُ خِيارَ النُّحورِ والأعناقِ

وقطَعْتَ الشَّبابَ فيه إلى أن هَمَّ بُرْدُ الشَّبابِ بالإخلاقِ

فهيَ مِثلُ المُدامِ بينَ صَفاءٍ وبهـاءٍ ونَفْحَـةٍ ومَـذاقِ

مَنْطِقٌ يُخْجِلُ الرَّبيعَ ، إذا حَلْـ ـلَ عليه السَّحابُ عِقْدَ النِّطاقِ

عربيٌّ ، روائحُ الشِّيحِ والقَيـ ـصومِ منه والشَّثِّ والطُّبَّاقِ[1]

سائلٌ من شِعابِ وَجْرَةَ ، ثاوٍ بينَ أجزاعِها وبين البُراقِ

فهوَ ما شِئتَ من هَديرِ قُرومٍ ؛ وهو ما شِئتَ من حَنينِ نِياقِ

يا هلالَ الآدابِ ، يا ٱبْنَ هلالٍ ، صَرَفَ اللهُ عنكَ صَرْفَ المَحاقِ

أنتَ مَنْ تَسهُلُ المعالي عليه ، وهي في مَعْشَرٍ صِعابِ المَراقي

سِلْعَةٌ ، ما لِمَنْ يحاولُ حِرْزٌ ، حَيَّةٌ ، ما لِمَنْ يُساوِرُ راقي

---

1 الشّيح : نبات أنواعه كثيرة كلها طيّب الرائحة . القيصوم : نبت مرّ دخانه يطرد الهوام ، وله منافع طبيّة . الشثّ : شجر ثمره كالتفاح الصغير طيّب الرّيح مرّ الطّعم . الطُّباق : شجر منابته جبال مكة نافع للسموم شرباً مضاداً ، وله منافع أخرى طبيّة .

سَوفَ أُهْدي إليك من خَدَمِ المَجْـ ـدِ إماءً تعافُ قُبحَ الإباقِ
كلَّ مَطبوعَةٍ على اسمِك ، بادٍ وَسْمُها في الجِباهِ والآماقِ
صادِقاتِ الوَدادِ تَصدُقُ فيها ألسُنُ الحَمْدِ وافياتِ الصِّداقِ
إنني ، والعِدا على الدَّهْرِ شَرْبٌ نتَساقَى الرَّدَى بكأسٍ دِهاقِ[1]
لو تَلاقَتْ دِماؤنا في مَقامٍ لَتَفرَّقْنَ عنه بعدَ التَّلاقي
وهي أوتارُنا القديمةُ لا تُخـ ـرِجُ أوتارَنـا من الأفـواقِ
ليسَ فيها إلا ضِرابُ الهَوادي ، وطِعانُ النُّحورِ والأحداقِ[2]
أو تَرى غيرَ ما رَأيتَ ، فإني صافِحٌ عن مُمَوِّهٍ مِخراقِ
زَوَّرَ الشِّعْرَ والشَّبابَ ، فأَضْحى خَلَقَ الوَجْهِ مُظْلِمَ الأَخْلاقِ
كادَني مُغرِقاً ، ورُبَّ غريقٍ خاضَ للكَيْدِ لُجَّةَ الإغْراقِ
وإذا كاشَفَ العدوُّ ، فأبدَى الـ ـغِمْرَ ، أو دَبَّ في ظَلامِ النِّفاقِ[3]
فأَنا الغَيْظُ في صُدورِ الأعادي ، وشَجاها المُقيمُ في الأَحلاقِ[4]

332

وقال يستهدي من صديق له نبيذاً في وقت كثير البرد والثلج : [من الطويل]

فـؤادُ عليٍّ بالسَّماحِ عَلـوقُ وبِشْرُ عليٍّ بالسَّماحِ يَروقُ
فمَنْ كانَ أضحَى للمَكارِمِ صاحِباً ، فأَنتَ لها يا ابْنَ الحُسَيْنِ شَقيقُ
طَرَقْتُكَ مُمتاحاً ، وليسَ لِطَارِقٍ يَرومُكَ من وَقْعِ الضَّرِيبِ طَريقُ[5]

---

1 دِهَاق : ممتلئة .
2 الهوادي : الأعناق .
3 الغمر : الحقد .
4 الشجا : ما اعترض في الحلق من عظم ونحوه .
5 ممتاحاً : مستسقياً . الضريب : الصقيع ؛ الثلج .

جَنوبٌ تَحُثُّ المُزْنَ حَثّاً وشَمْأَلٌ يُعَبِّسُ منه الوجهُ ، وهو طَليقُ
وحَرُّ حريقٍ ألبسَ الأَرْضَ ثوبَه ، يُخافُ على الأَقدامِ منه حَريقُ
تُثيرُ الصَّبا في الجَوِّ منه عَجاجَةً كما انتشَرَ الكافورُ ، وهو سَحيقُ[1]
فقد هجرَ الخُلُّ الوَصولُ خَليلَه ، ولم يَحْظَ فيه بالصَّديقِ صَديقُ
وعادَ خَفيفُ الفَرْضِ ، وهو مُنَفَّلٌ عليَّ ، ورَقَّ الدِّينُ ، وهو صَفيقُ
وما انفلَّ حَدُّ القُرِّ إلا بِقَهْوَةٍ تَرَقْرَقُ في كاساتِها فَتَرُوقُ
إذا لَبِسَتْ أثوابَها ، فعَقيقَةٌ ؛ وإن نَشَرَتْ أنفاسَها فَخَلوقُ
تَدورُ علينا كأسُها في غَلائِلٍ رِقاقٍ ، تَرُدُّ العَيْشَ ، وهو رَقيقُ
وإنّي خَليقٌ من نَداكَ بنَيْلِها ؛ وأنتَ بما أُولِيتُ منكَ خَليقُ

333

وقال يذكر منصرفه من بعض البساتين بالموصل إلى منزل صديق له في ليلة شديدة المطر والريح والرعد ويصف كانون نار : [من المتقارب]

طَرَقْنا أبا عامرٍ مَوْهِناً ، ومازالَ يَحْظى به الطَّارِقُ
وقد سفَرَ الأُفقُ عن شِدَّةٍ ، لسانُ السَّماءِ بها ناطِقُ
وأَومَضَ بَرقٌ كما أومَضَتْ يَدُ البِكْرِ زَيَّنَها البارِقُ[2]
وهَبَّتْ جَليدِيَّةٌ قَرَّةٌ ، رَذاذاً ، وأَسلَمُها دائِقُ[3]
تَرى أُزُرَ القومِ في مَرِّها شَوارِدَ ليسَ لها عائِقُ
إذا استدبَرَتْ وانياً في السُّرى رأيناه ، وهو بها سابقُ
فلمَّا تَهلَّلَ من وجهِهِ هِلالٌ ومن بِشْرِهِ بارِقُ

---

1 سحيق : مسحوق ؛ مدقوق .
2 البارق : المزيّن .
3 الدائق : الأحمق ، ولعلّه أراد أن أخف هذه الريح الجليدية هي ريح هوجاء .

أَحَطْنا لَدَيْهِ بذي أربعٍ   من الصُّفْرِ أبدَعَهُ حاذِقُ
كأنَّ ذؤابتَه ، إذ عَلَتْ ،   لواءٌ على جَمْرَةٍ خافقُ
يُخَيِّلُ لي حَرُّ أنفاسِه   وصُفرَتُه أنَّه عاشقُ

334

وقال يصف ضيق دار نزلها ببغداد : [من البسيط]

لي منزلٌ كَوِجارِ الضَّبِّ أَنزِلُه ،   ضَنْكٌ ، تَقارَبَ قُطراهُ ، فقد ضاقَا
أراه قَالَبَ جسمي حينَ أَدخلُه ،   فما أَمُدُّ به رجلاً ، ولا سَاقا
فلستُ أعتَدُّه رِزْقاً أُسَرُّ به ،   وهل تُعَدُّ سُجونُ الناسِ أَرزاقا
أُناشِدُ الغَيْثَ أن يَجتازَه أبداً ،   ولامعَ البَرْقِ أن يَغْشاه إحراقا

335

وقال يمدح صديقاً له ويصف داره وما فيها من نخل وبركة وغلمان وستور ونقشها : [من الخفيف]

عِشْ مدَى الدَّهْرِ ، يا أبا إسحاقِ ،   ووَقاكَ الخطوبَ ، ما عشتَ ، واقي
فلقَد أطلقَتْ يَمينُكَ جُوداً ،   كانَ من قبلُ مُوثَقاً بوِثاقِ
إنَّ داراً تَضُمُّ أخلاقَكَ الغُرَّ   لَدارُ الجِنانِ غيرَ اختلاقِ
مَنزِلٌ كالرَّبيعِ حَلَّتْ عليه   حالياتُ السَّحابِ عِقْدَ النِّطاقِ
يُمْتِعُ الطَّرْفَ من طَرائِفِ حُسْنٍ ،   يَتَجافى بها عن الإطراقِ
بينَ ساجٍ كأنَّه ذائبُ التِّبْـ   ـرِ على مِثْلِ ذائبِ الأوراقِ[1]
وعَذارَى كأنَّهُنَّ مِنَ الحُسـ   ـنِ ، عَذارَى سَفَرْنَ للعُشّاقِ

---

1 السَّاج : شجر هندي .

تَتلاقَى رؤوسُها لِتَدانٍ ، وتَناءَى جُسومُها لافتراقِ

حَلِيَتْ من ثِمارِها ، فتراءَتْ حالياتِ النُّحورِ والأَعْناقِ

تَخْرُقُ المُزْنَ والتُّرابَ إلى الما ء بتلكَ الفُروعِ والأعراقِ

فَلِماءِ البُحورِ ، إذ رَسَخَتْ فيـ ـهِ ، وماءِ الغَمامِ فيه تَلاَقي

كيفَ قابَلَتها أَرَتْكَ رِياضاً وسَماءً مُخْضَرَّةَ الآفاقِ

يَنثُرُ الرِّيحُ حَلْيَها ، فتراه ، نَهْبَ أيدي العُفاةِ والطُّرَّاقِ

بِدَعٌ ، لو تحقَّقَتْ ببَقاءٍ ، كُنَّ أَولى من الحِلَى بالحِقاقِ

وإذا كانَتِ الجواهِرُ للزِّيـ ـنَةِ كانَتْ جَواهِرَ الأرزاقِ

فكأنَّ الطَّلْعَ النَّضيدَ جُفونٌ ، يَتَصَدَّعْنَ عن سُيوفٍ رِقاقِ[1]

صَنَعَتْ فوقَها التماثيلَ أيدٍ عاجِزاتٌ عن صَنعَةِ الخَلاَّقِ

مِنْ وُجوهٍ مثلِ البدورِ صِباحٍ ، وقُدودٍ مثلِ الغُصونِ رِشاقِ

أَلْبَسَتْها مَحاسِنَ الخَلْقِ لَمَّا عَجِزَتْ عن مَحاسِنِ الأخلاقِ

فإذا ما الرِّياحُ حرَّكْنَ منها خَيَّلَتْ أنَّ خَيْلَها في استباقِ

وتَراءَتْ أُسودُها واثِباتٍ مُبْدِياتٍ خَناجِرَ الأشداقِ

يَغْتَدي بينَها الفُهودُ على الغِز لانِ ، خُزْرَ العُيونِ سُودَ المآقي

حَيوانٌ بلا حَياةٍ ، فمنه حائِدٌ عن مَنِيَّةٍ ومُلاقي

وقِيانٌ مَنَعْنَ أسماعَنا الحظْـ ـظَ وَوَفَّرْنَه على الأَحْداقِ

ورِياضٌ لم يُنْشِ زَهرَتَها التُّر بُ ، ولم يَسْقِها منَ الغَيْثِ سَاقِي

فتَمَلَّ السُّرورَ ، ما عِشْتَ فيه ، باصطباحٍ من لَذَّةٍ واغتباقِ

وثَناءٍ زُفَّـتْ إليكَ عَـذارا هُ ، فليسَت مَروعةً بِطَلاقِ

---

1 الطّلع : ما يبدو من الثمرة أول خروجها . النَّضيد : مضموم بعضه إلى بعض .

336

وقال يمدح أبا الفوارس سلامة بن فهد ويعاتبه بحلب : [من الوافر]

أَذُمُّ إليكَ عاديةَ الفِراقِ ، وأَحْمَدُ سائحَ الدَّمعِ المُراقِ
أَمِنْتُ الكاشِحينَ فَـأَسْلَمَتْهُ لذِكْراكَ الشُّؤُونُ إلى المآقي
ولم أملِكْ غَراماً في اتِّئادٍ ، يؤرِّقُني ، ودَمعاً في استباقِ
وكيفَ أَرُدُّ أنفاساً حِراراً ، لو ارتَدَّتْ لأَحْرَقَتِ التَّراقي
أَرومُ دُنُوَّ كاذبَةِ التَّداني من العُشّاقِ صادِقَةِ الفِراقِ
أَلَـمَّ خَيالُها ، والعِيسُ حَسْرى ، مَرافِقُهـــا وسائــدُ للرِّفاقِ
فبِتْنا ، والعُقودُ لها انبتاتٌ ، على الأعناقِ من ضيقِ العِناقِ
وراحٍ يَستَحِثُّ بها ضَريبٌ على راحٍ يُخَيَّلُ في احتراقِ[1]
سَلَبْناها الزِّقاقَ ، ونحنُ أَولَى بما تحوي الزِّقاقُ من الزِّقاقِ
بمتَّسِقٍ ، كأَنَّ الشَّمْسَ تجلو علينا منه حَلْياً في اتِّساقِ
له أَرَجٌ يُحَيِّي السِّرْبَ وَهْناً بأنفــاسٍ مُطَيَّبَـــةٍ رِقـــاقِ
وأغصانٌ تَقولُ ، إذا تَثَنَّتْ : أَخَمْراً ما سَقَتْهُنَّ السَّواقي
هَلِ الأَيّامُ مُطْلِقَةٌ وِثاقــي ، فأَرحلَ أم مُنَفِّسَةٌ خِناقي
وهَل بالشّامِ لي وَجْهُ ارتيادٍ ، أُقيمُ عليه ، أَم وَجهُ انطلاقِ
عَلِقْتُ ، فما وَهَتْ كَفِّي ، ولكنْ وَهَى عن قَبْضِها حَبْلُ اعتلاقي
وأكثَرُ ما أقولُ : سقَى ابنَ فَهْدٍ حياً كَنَداه مُنْحَلَّ النِّطاقِ
رَماني بامتهانٍ فَلَّ غَربــي ، وأطمَعَ كلَّ وَغْدٍ في لَحاقي
وأَسرفَ في الوَدادِ على التَّنائي ، فحينَ دَنَوْتُ أسرفَ في الشِّقاقِ

---

1 الضريب : الثلج .

وسِرْتُ فكُنتُ بَدْرَ التَّمِّ أوفى   بِه طولُ المَسيرِ على المَحاقِ
ولي منه إذا ما الكأسُ دارَتْ ،   عَرابِدُ لا يَقي منهنَّ وَاقِي
تُساوِرُني ، فألقاها برِفْقٍ ،   كما يَلْقى فَحيحَ الرُّقْشِ رَاقِي[1]
تُصِمُّ صَدايَ عن نَغَمِ المَثاني ،   وتُشرِقُني بما في كَفِّ سَاقِي
ستُبْعِدُني اللّواتي قَرَّبَتْني ،   وإن لم تَطْفُ نائِرَةٌ أساقي[2]
وتَجذِبُني ، إذا ما الشّامُ ضاقَتْ   عَليَّ رِحابُه ، رَحَبُ العِراقِ
على أنّي أُفارِقُ عن وَدادٍ   مُقيمٍ في حِمى الأحشاءِ باقي
وأَذْكُرُ حَبلَكَ الثَّبْتَ الأَواخي   عليَّ ، وَوُدَّكَ العَذْبَ المَذاقِ[3]
وأبقى غَيْرَ مُسْتَبْقٍ دُموعاً   تَفيضُ ، ولا تَغيضُ على الإباقِ
وكم عَبْدٍ تَذَكَّرَ فِعْلَ مَولىً ،   فحَنَّ إلى سَجاياه الرِّقاقِ
سلامُ اللهِ منك على جَوادٍ ،   إذا جارى حوى قَصَبَ السِّباقِ
سَما للمَجْدِ مُبْيَضَّ الأيادي ،   فَسيحَ الظِّلِّ مُمتَدَّ الرِّواقِ
فلم تَبْعُدْ عليه له أقاصٍ ،   ولم تَصعُبْ عليه له مَراقي
وَقَفْتُ عليه وُدّاً مُستَكِنّاً   تَمَكَّنَ في الشِّغافِ وفي الصِّفاقِ[4]
وشُكْراً ما حدا الأَظعانَ حادٍ ،   وما أخذَ الطَّريقُ من الطِّراقِ[5]
وحَسْبي ، من مُباشَرَةِ الأماني ،   صَبوحي من لِقائِكَ ، واغتِباقي

1 الرّقش ، مفردها رقشاء : الحيّة . الفحيح : صوت الحيّة .
2 النائرة : الفتنة . أساقي ، من ساقى : سقى كل واحد صاحبه .
3 الأواخي ، مفردها أُخيَّة : حبل يُدفن في الأرض مَثنيّاً ، فيبرز منه شبه حلقة تُشَد فيها الدابة .
4 الصِّفاق : الجلد .
5 الطّراق : جلد النعل .

337

وقال يتشوّق الموصل ونواحيها وهو غائب عنها : [من الكامل]

يا دارَ يُوسُفَ ! لا عَدَتْكِ تَحيَّةٌ   للمُزْنِ ، بينَ رَواعِدٍ وبَوارِقِ

غَرّاءُ ضَاحِكَةٌ إليكِ ثُغورُها ،   ضَحِكَ الحبيبِ إلى المُحِبِّ الوامقِ

سَقْياً لتلكَ مَنازِلاً مَعْمورَةً   من بين مطروقِ الفِناء وطَارقِ

حُمْرَ القَواعدِ والقِبابِ ، كأنّما   أُشْرِبْنَ رَقْراقَ الخَلوقِ الرّائقِ

يَلقاكَ من نُوّارِها وغُيومِها   ما بينَ دُكْنٍ مَطارفٍ ونمارقِ[1]

والهَيْكَلُ المُبيَضُّ يَلمَعُ وَسْطَها   كالأُقحُوانَةِ في بِساطِ شَقائقِ

كم دُمْيَةٍ خَرساءَ فيه ، ودُمْيَةٍ   فَضَلَتْ عليها باللِّسانِ النّاطقِ[2]

من كُلِّ أَهْيَفَ تَاجُهُ من شَعرِه ،   فكأنّما هو شارِقٌ من غاسقِ

ومُهَفهَفٍ لو كنتُ أَملِكُ أمرَه ،   بدَّلْتُ سُحْمَ مُسوحِه بقَراطِقِ[3]

كم قد رَمَقْتُ به المُنى ، فغَشِيتُها   ما بين مَرموقِ الجَمالِ ورامقِ

ومُعَذَّلٍ أخذَ الصِّبا بيمينِهِ ،   فجَرى به جَرْيَ الجَموحِ السابقِ

وَرَقَدْتُ عن غِزلانِه وذِئابِهِ ،   ما بينَ مَسروقِ الوِصالِ وسارقِ

أيامَ كنتُ ، إذا ادلَهَمَّ ظَلامُه ،   أهدَى إليه من الخَيالِ الطّارقِ

عَصراً لَبِستُ ظِلالَه ، وكأنَّه   في ظُلمَةِ الأيّامِ غُرَّةُ شَارِقِ

---

1 الدكن ، مفردها أدكن : الذي لونه إلى السواد . المطارف ، مفردها مطرف : رداء من خزّ ذو أعلام . النمارق ، مفردها نُمرُق ونُمرُقة : الوسادة الصغيرة .

2 الدمية الأولى : الصورة . الثانية : المرأة المشبَّهة بالدمية لجمالها .

3 المُسُوح ، مفردها مِسْح : ما يلبسه الرهبان والراهبات . القراطق ، مفردها قرطق : ضرب من الملابس .

وقال يمدح أحمد بن سليمان بن فهد : [من الخفيف]

وَجَدَ الحبُّ لي فُؤاداً عَلُوقا ، فأَفيقا ، فلستُ منه مُفيقا
وَقَفَتْنا النَّوى ، على الكُرْهِ منَّا ، مَوقِفاً ضَمَّ شائقاً ومَشُوقا
حالَ وَرْدُ الخُدودِ فيه ، فأَضحى النْـ ـنَرجِسُ الغَضُّ في الدُّموعِ غَريقا
لَوعَةٌ أفرَطَتْ فعادَتْ حَريقاً ، وحَنينٌ أربَى ، فعادَ شَهيقا
وخَليقٍ بلَوْعَةِ الحبِّ صَبٍّ لم يكنْ بالعَزاءِ فيه خَليقا
فأراه في مَسلَكِ الحبِّ رَحْباً ، وأراه في مَسلَكِ الصَّبرِ ضيقا
بأبي أنتَ ، لا عَدِمْتُ الهَوى فيـ ـكَ ، عَنيفاً في بَطْشِهِ ، أو رَفيقا
لستُ أنسى اهتِزازَ عِطْفِكَ لمَّا هَزَّ منك العِناقُ غُصْناً رَشيقا
كلُّ بِرٍّ يَشوبُه كَدَرُ المَطْـ ـلِ حَقيقٌ بأن يكونَ عُقُوقا
وإذا المَنُّ جاءَ بالمَنِّ فالمَر زوقُ منه مَنْ لم يكنْ مَرزُوقا
لو أراقَت دمي صُروفُ اللَّيالي لم تَجدْني لماءِ وَجْهي مُريقا
قَد وَجَدْنا لأَحمدَ بنِ سُليْما نَ يداً ثَرَّةً ووجهاً طَليقا
وسجايا رَقَّتْ نَسيماً فراحَت تُخْجِلُ الرَّاحَ والنَّسيمَ الرَّقيقا
مُفرَدٌ في السَّماحِ أضحى فَريقاً في معاليهِ ، والأنامُ فَريقا
كلَّ يَومٍ يُريكَ فِعْلاً جَليلاً في ابتذالِ اللُّهى ومَعنىً دَقيقا[1]
قد جَرى نَيْلُه ، فكانَ غَماماً ، ومَضى عَزمُه ، فكانَ حَريقا
وأضاءَتْ فيه مَخايلُ بِشْرٍ كُنَّ للغَيْثِ ، من نَداه ، بُروقا
جَمَعَتْ شَمْلَ مَجدِه نَفَحاتٌ فَرَّقَتْ شَملَ مـالِـه تَفريقا

---

1 اللُّهى ، مفردها لهية : العطيّة .

فأعادَت وِرْدَ المَطالبِ عَذْباً ؛ وأعادَتْ رَوْضَ العَطايا أنيقا
فإذا الطَّارِقُ انتحَاه رأى من كلٍّ وَجْهٍ ، إلى نَداه ، طَريقا
عاقَ مَنْ يَرتَجي لَحاقَكَ عَجْزٌ عن معالٍ تُجاوِزُ العَيُّوقا
وانثَنى الحَاسِدونَ عن سابقٍ منـ ـكَ إلى المَجدِ أن يُرى مَسبوقا
وأفاقَ العَذولُ عن أَرْيَحيٍّ ليسَ من نَشوةِ النَّدى مُستَفيقا
خُلُقٌ طابَ في المَشاهدِ حتّى عَطَّلَ المِسكَ نَشرُه والخَلوقا
بِعَريقٍ في الأزدِ طابَ أُصولاً في صَعيدِ العُلى وطابَ طُروقا
وعَتيقِ النِّجارِ ماضٍ ، وهل يَمـ ـضي شَبا السَّيفِ أو يكونَ عَتيقا[1]
نَسَبٌ أُلبِسَتْ بهِ الشَّمسُ نُوراً ، أو أُعِيرَ الصَّباحُ منه شُروقا
فنَظَمْنا منَ الثَّناءِ عُقوداً ، يُخْجِلُ الدُّرَّ نَظمُها ، والعَقيقا
بينَ أَثنائِها بَدائعُ تَحكي بِدَعَ الرَّوْضِ نُمِّقَتْ تَنْميقا
ومَعانٍ لو جُلْنَ في أُذْنِ العا شقِ أنساه حُسنُها المَعشُوقا
فاصطنِعْ مادِحاً يُحَقِّقُ في مد حِكَ ، إذ كنتَ بالمديحِ حَقيقا[2]
وَابْقَ في نَعمَةٍ تَسوءُ عَدُوّاً كامِـنَ الحِقْـدِ أو تَسُرُّ صَديقا

339

وقال يصف صياد السمك وصيده بالشبكة : [من الرجز]

وباكِـرٍ لِغَيْرِه ما يُـرْزَقُ مُثْرٍ به طَوْراً وَطَوْراً مُخْفِقُ
يغدو ، وجِلبابُ الظَّلامِ أَوْرَقُ ، والأُفقُ لا جَوْنٌ ولا مُخَلَّقُ[3]

---

1 أو : معناها : إلا أن .

2 حقيق : جدير وخليق .

3 الجَوْن : الأسود ، وقد يكون الأبيض . مُخَلَّق : فيه غيوم ، من الخَلِق : السحاب فيه أثر المطر . الأورق : الذي لونه لون الرماد .

يُهَلهِلُ الصَّنعةَ ، وهو مُوثَقٌ ، يلحَقُ في الماءِ التي لا تُلْحَقُ
ويَرْمُقُ الشَّخْصَ الذي لا يُرمَقُ ، وهل يفوتُ لَحظُهُ أو يُسبَقُ
وكُلُّه نَواظِرٌ لا تُطْرِقُ ، حتى إذا نَمَّ عليه الفَلَقُ
وضَمَّهُ صافي الجِمامِ أزرَقُ ، أحشاؤه من غيرِ رَيْبٍ تَبرُقُ
تَمرُقُ ، والحَيْنُ عليها مُطْبِقُ ، أحداقُه سُورٌ عليها مُحدِقُ
جاءَ بأمثالِ المُدى تَألَّقُ ، ومثلِ أنصافِ السُّيوفِ تَبرُقُ

340

وقال يصف كانون نار : [من السريع]

تَرى به الجَمْرَ ، إذا ما صَفا يُشرِقُ مِثلَ الذَّهَبِ المُشرِقِ
جَمرَتُه تُشرِقُ من عَبْرَتي ، وحَرُّه من قلبيَ المُقْلِقِ
إذا بَدا نَحوَكَ شبَّهْتَهُ بقَهْوَةٍ في قَدَحٍ أزرَقِ

341

وقال : [من المتقارب]

أَيا مَنْ رَأَى البدرَ بدرَ السَّماءِ يَروحُ ويَغْدُو إلى سُوقِه
إذا مَزَّقَ الثَّوبَ مِقراضُه ، تمــزَّقَ قلبــي كتَمزيقِــه[1]
وأطيبُ من رَوْحِ ريحِ الجِنانِ خُطوطٌ تَرَوَّيْنَ من ريقِه[2]

---

1 المقراض : ما يُقطع به الثوب كالمقص .

2 الرَّوح : نسيم الريح ، الرحمة .

قافية الكاف

342

وقال : [من الطويل]

وَمُعْتَدِلٍ يسعَى إليَّ بكأسِه ، وقَد كادَ ضَوْءُ الصُّبحِ باللَّيلِ يَفتِكُ
وقد حَجَبَ الغَيْمُ السَّماءَ ، كأنَّما يُزَرُّ عليها منه ثَوْبٌ مُمَسَّكُ
ظَلَلْنا نَبُثُّ الوَجْدَ ، والكأسُ دائِرٌ ، ونَهتِكُ أستارَ الهَوى ، فتَهَتَّكُ
فَمَجلِسُنا في الماءِ يَهوي ويَرتقي ، وإبريقُنا في الكأسِ يَبكي ويَضْحَكُ

343

وقال يمدح سيف الدولة وقد أخذ شربة من دواء : [من الكامل]

عُقْبَى دَوائِكَ صِحَّةٌ تَغْشاكا ، وسَلامَةٌ تُشْجي قُلوبَ عِداكا
وسَحابُ عافِيَةٍ يَعُمُّكَ وَبْلُها ، سَعَةً ، كما عَمَّ العُفاةَ نَداكا
داوَيْتَ جِسْماً طالَما داوَى الهُدى ، تحتَ العَجاجِ ، وأمرَضَ الإشراكا
وأخذْتَ كأسَكَ ، والشِّفاءُ قَرِينُها ، فلَوِ استَطاعَ تَحيَّةً حيَّاكا
أَتَرى الذي داواكَ يَعْلَمُ أنَّهُ داوى الغَمامَ الجَوْدَ ، إذ داواكا
اللهُ حاطَ بِكَ الثُّغورَ وأهلَها ، ورَآكَ واقيةَ الهُــدى فَوَقاكا
فخَرَجْتَ من غَمَّائِه مُتوَقِّداً طَلْقاً بِحَلْيِ الحَادِثاتِ سَناكا[1]
أَنَّى يُصَفِّيكَ الدواءُ وشُرْبُه ، وتَوَرُّدُ الغَمَراتِ قد صَفَّاكا[2]

---

1 ليلة غمَّاء : مظلمةٌ طامسٌ هلالها .

2 الغَمَرات : الشدائد .

ومتَى شَكَتْ أعضاءُ جسْمِكَ عِلَّةً ، فدواؤُهُنَّ قِراعُـك الفتّاكا
يا سيفَ دينِ اللهِ ما استحيا الحَيا ، إلاّ ، إذا جَاراكَ ، أو ناواكا[1]
لازلتَ لابسَ نعمةٍ فَضفاضَةٍ يَهْتَزُّ لا كِبْراً بها عِطْفاكا
واللهُ يُوليكَ السَّلامَةَ نِعْمَةً ، ويُجيبُ فيكَ دُعاءَ مَنْ والاكا

344

وقال يصف الثريا : [من المنسرح]

وفتيَةٍ دارَتِ السُّعودُ بِهِم ، فدارَ للرَّاحِ بينَهم فَلَكُ
بِتْنا ، وضَوْءُ الكؤوسِ يَهتِكُ بالـ إشْراقِ سِترَ الدُّجى ، فينهَتِكُ
نَرى الثُّرَيَّا ، والبَدْرُ في قَرَنٍ ، كما يُحَيَّا بِنَرْجِسٍ مَلِكُ[2]

345

وقال يمدح الأمير أبا المرجَّى جابر بن ناصر الدولة وقد رمدَتْ عينه : [من الخفيف]

قُضُبُ الهِنْدِ والقَنا أخدانُك ، والمقاديرُ في العِدا أعوانُكْ
والمعالي رياضُ طَرْفِكَ ، والحمـ ـدُ ، إذا راقَ زَهرُه ، رَيحانُك
ضَحِكَ المجدُ في زَمانِكَ ، عِلْماً أنْ سَيُوطِيه ما أَحبَّ زمانُك[3]
أيُّها ذا الأميرُ ما رَمِدَتْ عيـ ـناكَ ، حاشا لها ، ولا أجفانُك
بل حَكَتْ فِعْلَك الكَريمَ لِيُضحي شأنُها في العُلى سواءً وشانُك

---

1 ناواك ، مخففة عن ناوأك : قاومك وعاداك .

2 قَرَن : الاقتران .

3 سيوطيه : مخففة عن سيوطئه : يجعله يطأ .

فهي تَحمَرُّ مثلَ سَيفِكَ في الرَّوْ   عِ ، وتَصْفُو كما صَفا إحسانُك

346

وقال : [من الطويل]

رضا المُتَجنِّي غايةٌ ليسَ تُدرَكُ ،   وفي كلِّ وَجهٍ للتجرُّمِ مَسلَكُ
إذا صاحبٌ عني تَولَّى تَركتُه   على طبعِه في العُذرِ ، فالعُذرُ أملَكُ
وَصَلتُك لمّا كنتَ فيَّ مُوَحَّداً ،   وَعَزَّيْتُ فيك القلبَ إذ أنتَ مُشرِكُ



قافية اللام

347

وقال يمدح سيف الدولة ويهنئه بالبرء من علة كان وجدها ويطلب منه مركوباً : [من الكامل]

تَأبَى الصَّبابةُ أن تُصيخَ لعاذلٍ ، أو أن تَكُفَّ غُروبَ دمعٍ هاملِ[1]

عرَفَ المنازلَ باللِّوىَ فبكَى دماً ؛ إنَّ الهَوى فيه اختلافُ مَنازلِ

ومتَى رأى آثارَ حَيٍّ نازحٍ ، حَيَّا ، وقالَ : سُقِيتَ أَوبةَ راحلِ

لاَ يستفيقُ كأنَّ نَفثةَ نابلٍ بَكَرَت عليه ، أو سُلافَةَ بابلِ[2]

وسَبِيلُه أن يَستَبِلَّ ، وقَد رأى شَملَ الشَّبابِ طَريدَ شَيبٍ زَائلِ[3]

لَقِيَ العَواذلُ عاطلاً من حِلمِه ، فصَدَدنِ عن حَالِي المفارِقِ عَاطِلِ

حُيِّيتَ مِن طللٍ أجابَ دُثورُه ، يومَ العَقيق ، سؤالَ دَمعٍ سائلِ

نَحفَى ونَنْزِلُ ، وهو أعظمُ حُرْمةً من أن يُذَالَ براكبٍ أو ناعلِ[4]

ما كانَ أعذَب مُجتناه ، وأهلُه بينَ العُذَيبِ وبينَ رِقَّةِ عاقلِ

ومُرادُنا ما بينَ أبيضَ صارمٍ يَهتزُّ منه ، وبينَ أسمرَ ذَابلِ

أَسَلاسلَ البَرقِ الذي لحظَ الثَّرى ، وَهَناً ، فوشَّحَ رَوضَه بسَلاسلِ

---

1 هامل ، من هَمَلَتْ عينه : فاضتْ دموعاً .

2 النفثة : أراد بها السِّحْر . النابل : الحاذق بما يعمله . سلافة بابل : خمرة بابل ، وكانت بابل مشهورة بخمرها .

3 يَسْتَبِلُّ : يبرأ .

4 الناعل : رجل ذو نعل . يُذَالُ : يُهَانُ .

أذكَرتَنا النَّشَواتِ في ظِلِّ الصِّبا ، والعيشَ في سِنَةِ الزمانِ الغافلِ[1]
أيَّامَ أستُرُ صَبوتي من كاشحٍ عَمداً ، وأسرِقُ لذَّتي من عاذلِ
هل يُبلِغَنَّ اللَّحظُ ، إن واصلتُه ، مَن ليسَ تَبْلُغُهُ تَحيَّةُ واصلِ
أُكْنِي عن البلدِ البعيدِ بغيرِه ، وأردُّ عنه عِنانَ قلبٍ مائلِ
وأودُّ لو فَعَلَ الحيا بِسهولِهِ وحُزونِه فعلَ الأميرِ بآملِ
الواهبُ الغِيدَ الكواعبَ تغتدِي مَشفوعةً ، لُعفاتِه ، بصواهلِ
والباذلُ النَّفسَ النفيسةَ للقنا ، كَرَماً تجاوزَ فيه حَدَّ الباذلِ
إعناقُ عبدِ اللهِ في طُرُقِ العُلى ، والنَّحلُ تُعْنِقُ فَضلَه في الباطلِ[2]
حَمَلَ المغارمَ والحمائلَ بعدَه ، والمجدُ حَمْلُ مغارمٍ وحمايلِ
فالدهرُ يمسَحُ منه غُرَّةَ سابقٍ ، لاقاه أوَّلَ سَابقِينَ أوائلِ
لمّا أبلَّ تباشَرت آمالُنا ، بُشرَى العِطاشِ رأينَ صَفو مَناهلِ
أو كالتِّلاعِ الحُوِّ آنسَ نَورُها إيماضَ طَلٍّ للسَّحابِ وَوابلِ[3]
من بعدِ ما فاضَت عيونُ قبائلٍ حُزناً عليه ، وغاضَ صَبرُ قَبائلِ
بَرءٌ تدارَكَنا ، ونحنُ ، من الجوى ، غَرقى ، فأوطأنا رِقابَ السَّاحِلِ
وافَى ، فكانَ السَّعدُ أوَّلَ طالعٍ بطُلوعِه ، والنَّحسُ آخِرَ آفِلِ
أهُمامَ وائلَ أنتَ أولُ سيِّدٍ تُثْنى بُسؤدُدِه خَناصرُ وائلِ
والسيفُ سيفُ اللهِ لم تُعرَفْ له في مُلتَقى الأبطالِ ضربةُ باطلِ
والرمحُ أسرفَ جائراً في جائرٍ طَعناً ، ونكَّبَ عادلاً عن عادِلِ
والسهمُ لا يَلقاه عندَ مُروقِه ، في الرَّوعِ ، إلا مُتَّقٍ بمَقاتلِ

---

1 السنة : الوسَن ، النوم .

2 عجز هذا البيت غامض وربما كان فيه تحريف . الإعناق : ضرب من السير الواسع الفسيح .

3 التِّلاع : ما علا من الأرض أو ما سَفُل منها .

لاَ يَفرَغُ الأعداءُ منك ، فإنّهم بإزاء شُغلٍ ، في قِراعِك ، شاغِلِ
نظَرتْ مَعاقلُهم إليك ، فلم يكُن ، لمّا دلَفتَ إليهمُ ، بمَعاقِلِ
ألحقتَ شاهقَها المُنيفَ بأرضِها ، فكأنّما صَبَّحْتَها بزَلازِلِ
كم سطوةٍ لك أخملَت من نابهٍ ، وصنيعةٍ لك نبَّهت من خامِلِ
أُبْرِئتُ ، إذ جاورتُ ربعَك نازلاً ، فكأنّني جارُ الرَّبيعِ النازِلِ
وسُقِيتُ من جَدواك خمسَ سَحائبٍ جادَت عليَّ بهنَّ خمسُ أنامِلِ
فتواصلَت مِدَحي إليك ، كأنّها أفوافُ وَشْيِ اليُمْنَةِ المتواصِلِ
أنا فارسٌ فيما أقولُ مُحقّقٌ ، فاسمَع مَقالَةَ فارسٍ من راجِلِ
وَلرُبَّ تعريضٍ لَدَيك نجاحُه جاءته تصريحُ الغَمامِ الهاطِلِ[1]
ومتى أنلْتَ على القَريضِ فإنّني ربُّ القريضِ ، وأنتَ ربُّ النائِلِ

348

وقال يمدحه ويذكر بعض وقائعه بخرشنة العليا : [من البسيط]

هِيَ الصَّوارمُ والخطِّيّةُ الذُّبُلُ ، والحربُ كاشرةٌ ، أنيابُها عُصُلُ[2]
واللَّيثُ أصحَرَ حتى لا حُصونَ له ، ولا معاقلَ الا البِيضُ والأَسلُ[3]
والرُّومُ تَبذُلُ ما رامَت أسِنّتُه ؛ وهَل لها ، بالمنايا أقبلتْ ، قِبَلُ
منه الكتائبُ والرَّاياتُ مُوفِيةٌ على الخليج ، ومنه الكُتْبُ والرُّسُلُ
للهِ سيفٌ تمنّى السيفُ شيمتَه ، ودولةٌ حَسَدَتها فَخْرَها الدُّوَلُ
وعاشقٌ خُيَلاءَ الخيلِ ، مُبتَذِلٌ نَفساً تُصانُ المعالي حينَ تُبتَذَلُ

1 قوله جاءته : هكذا في الأصل .
2 العصل ، مفردها أعصل : المعوج في صلابة .
3 أصحر : خرج إلى الصحراء .

أشَمُّ تُبدي الحصونُ الشُّمُّ طاعتَه ، ... خوفاً ، وَيسلَمُ من فيها ويَرتَحِلُ
تَشُوقُه ، ورِماحُ الخَطِّ مُشرَعةٌ ، ... نُجْلُ الجراحِ بها ، لا الأَعيُنُ النُّجُلُ
كأنَّه ، وهَجيرُ الرَّوعِ يَلفَحُه ، ... نَشْوانُ مدَّ عليه ظِلَّه الأُصُلُ
بدَا ، فأبدَى لِمَنْ عَادَاه صَفحتَه ، ... كالنَّصل ليسَت تُواري مَتنَه الخِلَلُ[1]
إقدامُ ذي نُذُرٍ ، بالسَّيفِ مُعتصِمٍ ، ... ما شانَ إقدامَه كيدٌ ولا حِيَلُ[2]
جِبالُ أعدائِه بَرٌّ يَسيحُ به ، ... وَبرُّه ، لامتِناعٍ ، عندَهم جَبَلُ
فالصَّافناتُ حَشاياه ، وإن قَلِقَت ، ... والسَّابغاتُ ، وإن أوهَت ، له حُلَلُ[3]
قادَ الجيادَ ، له من وَطئِها صَخَبٌ ... على الصُّخورِ ، ومن أرهاجِها ظُلَلُ[4]
يَوْمٌ خَرشَنةَ العُليا ، فيَصبَحُها ... بالخَيلِ تَصهَلُ ، والراياتِ تَرتجلُ[5]
وحَكَّمَ السيفَ فيها عادلاً ، فَغدَت ، ... وأهلُها جَزَرٌ للسيفِ أو نَفَلُ[6]
مُحمرَّةً مِن دماءِ القومِ مُشعَلةً ، ... سِيَّانِ فيها المنايا الحمرُ والشُّعَلُ
وحَاذَرَته سَمَنْدُو ، إثْمَ مَا وَأَلَت ، ... إنّ الذي رابَها بالسيف لا يَئِلُ[7]
عذراءُ ما وَطِيءَ الإسلامُ تُربَتَها ، ... ولا استباحَ حِماها سيفُه الفُضُلُ
ثَنّى العزيزُ إليها ليثَ مَلحَمةٍ ... يَسري العزيزُ بمَسراه ، فيَنتقِلُ
لولا قِراعُك لم يَهوِ الصليبُ ، ولم ... يَعْلُ الأَذانُ بها ما أطَّتِ الإبلُ[8]
لما تَمزَّقَتِ الأغمادُ عن شُعَلٍ ، ... تمزَّقَت عن سَنا أقمارِها الكِلَلُ

---

1 الخلل ، مفردها خِلّة : جفن السيف المغشى بالأدم .
2 النذر ، مفردها نذير : المنذر بالأمر .
3 الصافنات : الخيول . السابغات : الدروع . أوهَتْ : أضعفَتْ ، أتعبَتْ .
4 الأرهاج ، مفردها رهج : الغبار . الظلل ، مفردها ظلة : المظلّة .
5 صبحه : جاءه صباحاً . ترتجل : ترتفع .
6 الجَزرَ : كل شيء مباح للذبح . النَّفَل : الغنائم .
7 وأل : لجأ ، طلب النجاة . سمندو : قلعة ببلاد الروم .
8 أطَّت الإبل : حَنَّت .

أكرِمْ بسيفِك فيها صائلاً غَزِلاً ، يَفري الشُّؤونَ ، وتفري غَربَه المُقَلُ[1]
بجيشُ يشرَبُ صَدرُ السَّمهريِّ دماً ، من الشَّغافِ ويُروى الفارسُ البَطَلُ[2]
ثم انثنيتَ بَخيلِ الله مُعلَمةً ، سُمْرُ الرمـاحِ تَثَنّى ثم تَعتَدِلُ
تَرُفُّ مُجلِبةَ الأقطارِ مُسفِرةً تكادُ مَا لَحَظَتها الشمسُ تَشتعِلُ[3]
مَدَّت على السَّهلِ والأوعارِ قَسطَلَها، حتى تَحَيَّر فيه الرَّألُ والوَعَلُ[4]
بَحرٌ من الجيشِ مَسجورٌ غَواربُه ، كأنّما البَحرُ في تيّارِهِ وَشَلُ[5]
حتّى طَلَعْتَ على طَرسوسَ مُبتَسِماً كما تبسَّمَ فيها العارضُ الهَطِلُ
وَجُدْتَ جُودَ طِباعٍ غيرَ مُحتفِلٍ يُقصِّرُ الغيثُ عنه ، وهو مُحتَفِلُ
حتّى إذا ضَحِكَت تلك الرُّبا وطَمَت تلك الوِهادُ ، وراقَت بينَها الحِلَلُ[6]
دَعَتْ يمينُكَ بالمَصِيصةَ الجَفَلى ، حتّى غَدا المُحْلُ عنها وهو مُنْجفِلُ[7]
سقَاهمُ البَحرُ ريّاً مِن أنامِلِه ، فليسَ فيهِم على جَيحانَ مُتَّكِلُ[8]
وأصبحَ الشأمُ ، لو يَسطِيعُ مُرتَحَلاً ، لألْحقَتْه بسيفِ الدولةِ الرِّحَلُ
أتاكَ حتّى استرقَّ الحمدُ نائلَه ، وزاد حتّى اطمأنَّ الخائِفُ الوَجِلُ
وجَدَّ عاذلُه ، إذ جَدَّ في كَرمٍ ، فكان أضيَعَ شيءٍ عِندَه العَذَلُ
هو الغَمامُ ، فهل يُثنَى صَواعقُه ، أم هل تُسَدُّ على شُؤبوبِه السُّبُلُ
مُستسلِمٌ لبني الآمالِ تالدُه ، فليسَ يَعدوه من آمالِهم أمَلُ

---

1 الغَزِل : المتغزِّل بالنساء ؛ الضعيف في السعي .
2 الشغاف : حجاب القلب .
3 ترف : تلمع . مجلبة : متوعدة بالشرّ .
4 الرأل : ولد النعام . الوعل : تيس الجبل .
5 مسجور : مملوء . غواربه : أعالي موجه . الوَشَل : الماء القليل .
6 الحلل : المنازل ، مفردها حلة .
7 المصيصة : بلد بالشام . الجفلى : دعوة الناس إلى الطعام دعوة عامّة .
8 جيحان : نهر بين الشام والروم .

مُصغٍ إلى الحمدِ ماينفكُّ يُطرِبُه مَعنىً تُكَدِّرُه الأفكارُ ، أو مَثَلُ

يُصافِحُ الرُّوحَ مِن نَشرَيهما أرَجٌ ، كالريحِ صافَحَها الحوذانُ والنَّفَلُ[1]

حسْبُ الأراقمِ إذ أنتُم ذوائبُها ، وهيَ الذَّوائبُ في الأَحسابِ والقِلَلُ

هم زَيَّنُوا أُخرَياتِ الدَّهرِ مَكرُمةً ، وقَبلُ زِينَتْ بهم أيامُه الأُوَلُ

349

وقال يمدحه أيضاً : [من الوافر]

أهجراً كانَ صَدُّك أم مَلاَلا ، وبِرّاً كَان وصلُك أم خَيالا

أكانَ فِراقُك المُشجِي زِيالاً ، فآمُلُ منك عَطفاً أم زَوالا[2]

إذا ذُكِرَ العقِيقُ لنا نَثَرنا عَقِيقَ الدّمعِ سَحّاً وانهمالا[3]

طُلولٌ كلمَّا حاوَلْن سَقياً سَقَتها العَينُ أدمُعَها سِجالا

تَحِنُّ جِمالُنا صُوراً إليها ، فأحسِبها تَرى مِنها جَمالا[4]

ونَسألُ مِن مَعالِمِها مُحِيلاً ، فنطلُبُ من إجابتِه مَحالا[5]

وكَم خَرَقَ الصِّبا بذوي التَّصابي إلى خُرسٍ ا لحُجولِ بها الحِجالا[6]

وأطلَقَ من عيونٍ في وجوهٍ ، تروحُ لَعقل مُبصِرِها عِقالا

ومعتدلٍ ، إذا أمضَى القَضايا رأيتَ الحُسن عدلاً واعتدَالا

---

1 الحوذان : نبات طيب الطعم زهره أحمر في أصله صفرة . النفل : نبت من أحرار البقول زهره أصفر طيب الرائحة .

2 الزيال : المفارقة والمباينة . الزوال : الهلاك ، والتحوُّل ، والذهاب .

3 العقيق : اسم لمواضع كثيرة عند العرب . العقيق الثاني : خرز أحمر شبه به الدمع .

4 صوراً : مائلات بأعناقهن .

5 المحيل : الذي مرت عليه أحوال ، أي سنون ، فتغير .

6 الحجول ، مفردها حجل : الخلخال . الحجال ، مفردها حجلة : ستر يضرب للعروس .

يميلُ على الظَّلامِ بكأسِ راحٍ ، إذا زَحَمت ظلامَ الليلِ مَالا

إذا نظمَ المِزاجُ لها وِشاحاً تعرَّضَ في مجاسدِها ، وجَالا

أُرُدُّ كؤوسَها بيضاً خِفافاً ، وقد صافحْتُها حُمراً ثِقالا

وسَفرٍ يحسَبون البَرَّ سَفراً يُصافحُهم إذا ما السيرُ طَالا[1]

إذا أَنِسُوا بِطَيَّاتِ القَوافي ، بسيفِ الدولةِ ابتدَرت عِجالا

يقودُهُمُ إليه ضِياءُ بِشرٍ ، كأنَّ ضِياءَه بَرْقٌ تَلالا

وعَرْفُ شَمائلٍ كالمِسكِ يَثني أزمَّتَهم يميناً ، أوِ شِمالا

أغرُّ ، إذا الحيا لم يُحْيِ أرضاً رأيتَ نَوالَه يُحيي الرِّجالا

وأغلبُ لا تُغالبُه الليالي ، إذا صالَتْ حوادثُها ، وَصَالا

يُذِيلُ تِلادَه ، فيصونُ عِرضاً ، أبَتْ غُرُّ المكارمِ أن يُزالا[2]

ويجعلُ بِشرَه يَذِرُ الأعادي ، فيبعَثُه جَنوباً ، أو شَمالا

ولم يُنذِرهُمُ مِقَةً ، ولكنْ ترفَّعَ أن يصيبَهمُ اغتِيَالا[3]

يُواصلُهم ، وما اشتاقَت إليه نفوسُهُمُ ولا سألوا الوِصالا

بأرعنَ لا تَرى البيداءُ فيه ، إذا ما سَدَّ خَلّتَها اختِلَالا

يَسُدُّ الجوَّ قسطلُه غُباراً ، ويُطفي الشمسَ رونقُه صِقالا

بأُسْدٍ لا تَحِيدُ عن المَنايا ، إذا اعتقلَت قَنا الخطِّ اعتِقالا

إذا رَكَزَته كانَ لها عَريناً ؛ وإن حَمَلَته كان له ظِلالا

وخيلٍ كالوُعولِ ، إذا تراءَت ، رأيتَ قُرونَها السُّمْرَ الطِّوالا

لها كَرٌّ مَحا الأوضاحَ منها ، وخاطَ من العَجاجِ لها جِلالا[4]

---

1 السفر بفتح السين : المسافرون ، وبكسرها : الكتاب .

2 يُذِيل تلاده : يبتذله بالإنفاق ، والتِّلاد : المال القديم .

3 مِقَةً : حبّاً .

4 الجِلال ، مفردها جُلّ : ثوب .

وخَوضُ دمٍ ، إذا جفَّت أعالي قَوائِمِها ، أتاحَ لها بَلالا
لَبِسنَ على الحُجولِ به حُجولاً ، وزِدنَ على النِّعالِ به نِعالا
وذابلةٍ كأنَّ الزَّهرَ غَضًا على أطرافِهِنَّ ، أو الذُّبالا
لها في كلِّ سالفةٍ ونَحرٍ عِثارُ تَعمُّدٍ لن يُستَقالا
فمِن مُبدٍ بِهِزَّتِه انتِشاءً ، ومن مُبدٍ بخَطرتِه اختِيالا
وأزرقَ كالشِّهابِ ، إذا حَناه دِراكُ الطَّعنِ غادَرَه هِلالا
رأيتُ عُلا بني حَمدانَ طالَت ، فآلت بَرَّةً أن لَن تُنالا[1]
ملوكٌ لا يَمَلُّون العَطايا ، ولا يأبَون في الرَّوعِ النِّزالا
فَسَيلُ جَحافلٍ يُفني الأعادي ؛ وسيلُ مَواهبٍ يُغني السُّؤّالا
أُولئِك مَعشرٌ عَلِقَت يميني بحبلِهِـمُ ، فألقَيتُ الحِبالا
إذا راحُوا بمعركةٍ خُصوماً ، سمعتُ لبيضِهِم فيها جِدالا
فإن عدُّوا الأكابرَ من عَدِيٍّ ، حَسِبتُهُمُ يعُدُّون الجِبالا
مَدَحناهم فلم نُدرِك بمدحٍ مآثِرَهم ، ولم نَترُك مَقالا

350

وقال يرثي غلاماً من بني شيبان صُلب بالموصل وكانت بينهما معرفة :
[من الطويل]

أبدْرَ دُجىً غالَته إحدى الغَوائلِ ، فأصبحَ مفقوداً ، وليسَ بآفلِ[2]
أَتَته المنايا ، وهو أعزلُ حاسِرٌ ، خَفيُّ غِرارِ السَّيفِ بادي المقاتلِ
غلامٌ ، إذا عاينْتَ عاتقَ ثَوبِه ، رأيتَ عليه شاهداً لِلحَمائلِ

1 آلت : أقسمت . برة : صادقة .
2 غالَته : أهلكَته .

يُمسِّحُ بالمِسكِ الذَّكيِّ مُرَجَّلاً ، يَرُفُّ على المتنين مِثلَ السَّلاسلِ[1]
سواءٌ عليه في السَّوابغِ ، حُرَّةً ، ثَنى عِطفَه ، أم في رِقاق الغَلائِـــلِ[2]
وَعزَّ على العَلياءِ أن حِيلَ بينَه وبينَ ظُبَـا أسيافِـه والعَواملِ
وعُرِّيَ من بُردَيه بالسيفِ مُنتضىً ، فلمْ يَعْرَ مِنْ بُرْدَيْ عَفافٍ ونائلِ
فأحبِب به من راكبٍ غيرِ سائرٍ ، مقيمٍ ، ولكنْ زِيُّه زِيُّ راجلِ
يُعنبِرُ أنفاسَ الرِّياحِ بشِلوِهِ ، فَتَعبَقُ من أنفاسِ تلك الشَّمائلِ
هو القدَرُ المحتومُ ، والسيفُ لم يكُن ليُخضَبَ إلا من دماءِ الأفاضلِ
أحلَّكَ من أعلى الهواءِ مَحَلَّةً ، نأتْ بك عن ضَنْكِ الثَّرى والجنادلِ
وليسَ بعارٍ ما عَراك ، وإنَّما حَماك اتِّساعُ الصَّدرِ ضِيقَ المنازلِ

351

وقال يدعو بعض أصدقائه : [من الطويل]

مِنَ الحَزمِ أن تَلقَى الهَوى ، وهو مُقبِلُ ، وكيفَ تَرى عدلَ الزمانِ فَتعدِلُ
وعُلَّ بماءِ الوَردِ خَيشٌ كأنَّه ، على جُدْرِهِ ، ثَوبُ العَروسِ المُصَندَلُ[3]
وَيومي به يومٌ أغرُّ ، فإن تَزُرِ نَعِمتَ به ، وهو الأغرُّ المُحَجَّلُ[4]

352

وقال يمدح أبا الحسن أحمد بن إبراهيم بن فهد ويصف السحاب : [من مجزوء الكامل]

جاءت مُوَلَّعَةَ الكَواهِلِ ، تختالُ صادقةَ المخائِلِ

---

1 المُرَجَّل : يريد شعره المسرَّح .
2 السوابغ : الدروع الطويلة . حرة : كريمة .
3 الخيش : مرَّ ذكر مروحة الخيش في صفحة 228 .
4 المحجَّل : المشهور .

كَحْلاءِ حاليةٌ بكَت ، حتّى انثَنتْ مَرهاءَ عاطل[1]
حِمَّاءِ ، يَحسُبُ برقُها السْـ ـسَاري ، مفضّضةُ الحَمائِل[2]
يَلقَى الخَمائِلَ من سَنا ه بمثلِ نُـوَّارِ الخمائِل
فَيَـدُ الجَنـوبِ تَـلُـفُّهـا لـفَّ الجَحافلِ بالجحافِل
والرَّعـدُ يَسلُقُهـا بألـ ـسِنةٍ كألسنةِ العواذِل
وَيحُثُّهـا حَـثَّ الحُـدا ةِ شَواردَ الكُومِ العَقَائِل[3]
والبَـرقُ يُومِـضُ بينَهـا إيمـاضَ حاليـةِ الأَنامِل
حتَّى إذا اشتمَلت بها الـ آفاقُ ضاحكةَ الشَّمائِل
طَارت عَقائِقُهـا على آثـار أَدْمُعِها الهَوامل[4]
فالجَوُّ مِنها في لظًى ، والأرضُ منها في مَناهِل
والنَّورُ في حَلْيَين مُشـ ـتَبهين من طلٍّ ووَابل
يلقاكَ مُختَلِفُ القَلا ئِدِ بينَ مُؤتلِفِ الغَلائِل
بِدَعٌ كأطرافِ الدَّما لجِ والأساورِ والخَلاخِل
ما بين ألحانِ الحَما م ، وبين ألحانِ الجَداول
أَغشاهُ طوعَ أكارِمِ الـ ـخُلاَّنِ لا طَوعَ الحَلائِل
نشوانُ كالغُصنِ انْثَنى ما بينَ أَغصانٍ مَوائِل
سَبْطُ الأَنامـلِ ماسحاً بالمِسكِ جَعداً كالسَّلاسِل
يسعَى إليَّ بخَمرِ با بلَ ماهرٌ في سِحر بابِل
صفراءَ تَحسَبُ أنها تَنقَدُّ من شَمسِ الأصائل

---

1 المرهاء : التي فسدت بواطن أجفانها لترك الكحل . العاطل ضد الحالية .

2 الحماء : السوداء . يحسب : يكرم ، يشرُف ، وربما كانت هذه اللفظة محرّفة .

3 الكوم : القطعة من الإبل . العقائل ، مفردها عقيلة : كريمة الإبل .

4 العقائق ، مفردها عقيقة : ما يبدو من البرق الذي يومض خلال السحابة .

قَرعَتْ سليلةَ كَرْمِها بسليلةِ الغُرِّ الهَواطل

فكأنَّها ذَوبُ النُّضا رِ يَشوبُه ذَوبُ الوَذائِل[1]

وكأنَّ نَشْرَ كُؤوسِها شُكري لأحمدَ في المَحافِل

مَلِكٌ خَلائقُه إلى معروفِه أدنى الوَسائِل

مُحمرُّ أيامِ الوغَى ، مُبْيَضُّ أيامِ الفَضائِل

يُحيي بحُسْنِ فِعالِه أفعالَ والدِه الحُلاحِل[2]

كالوَردِ زالَ ، وماؤُه عَبِقُ الرَّوائحِ غيرُ زائِل

بَعثَ النَّدى في الخَافِقَيْـ ـنِ مُسائِلاً عن كلِّ سائِل

وأقامَ مشهورَ المَكا نِ ، غريبَ مشهورِ الفَضائل

كالبدرِ شارفَ تَمَّه ، فأضاءَ في شُرَفِ المَنازِل

يختالُ في ظِلِّ العُلى ، ويَرودُ في ظِلِّ المَناهِل

شِيَمٌ على عَليائِه في الأزدِ ، واضحةُ الدَّلائِل

وأواخِرٌ شَهِدَت لَه بمناقبِ السَّلَفِ الأَوائِل

ويدٌ كَصَوْبِ المُزنِ يَغـ ـمُرُ سَجلُها سَجلَ المُساجِل[3]

ومهنَّدٌ ، كلُّ الضَّرا ئبِ عندَ هَزَّتِهِ مَفاصِل

فكأنَّ قُربَك سَقيُهُ ، إذا تألَّقَ بالمَقاتِل[4]

يا خيرَ مأمولٍ تُنا خُ بعقْوَتَيه رِكابُ آمِل

أفنيْتَ شهرَ الصَّومِ مقـ ـبولَ الفَرائضِ والنَّوافِل

فتَلَقَّ فِطرَك مُطْلِعاً سعْداً يَسُرُّكَ غيرَ آفِل

---

1 الوذائل ، مفردها وذيلة : السبيكة من الفضة .

2 الحُلاحِل : السيد في عشيرته .

3 السَّجْل : العطاء . المُسَاجِل : المباري والمفاخر .

4 هذا البيت غامض المعنى .

والشِّعرُ نُزهــةُ قاطـنٍ حَطَّ الرِّحالَ وزادُ راحِلِ
فاشرَبْ على رَيحانِـــه ، إذ راحَ غَضّاً غيرَ ذابِلِ
واعلَـــمْ بـأنَّ بَدِيعَــه لُـــبُّ الألِبّاءِ الأفاضِلِ

353

وقال يصف الطرد بقوس البندق : [من الرجز]

وضاحكِ الرَّوضِ مُحلَّى المَنزِلِ سَبْطِ هُبوبِ الرِّيحِ جَعْدِ المَنهلِ
مُوشّحٍ بالنَّـورِ أو مُكَلَّـلِ ، مفروجةٍ حُلَّتُه عَن جَدولِ
أقبلَ قد غَصَّ بمدٍّ مُقبِلِ ، والطيرُ تنقضُّ عليه من عَلِ
تَساقُطَ الوَشْيِ على المُصَندلِ ، صَبَّحْتُه ، والصُّبحُ سامي الجحفلِ
كأنّـما الشَّرقُ به في حَيْهَلِ ، بفِتيـــةٍ مثلِ النُّجومِ المُـثَّلِ[1]
كلُّ مُعَمٍّ في السَّماحِ مُخْوَلِ ، يهتزُّ للمَجدِ اهتزازَ المُنصُلِ
كأنّـه رَيحانةٌ لم تَذبُلِ ، وشُقَقٌ تَروقُ عينَ المُجتلي
منسوبةٌ إلى الرِّماحِ الذُّبَّلِ ، قد صُبِغَت صِبْغَ الحريقِ المُشعلِ
وصائباتٌ لم تَحِد عن مَقتَلِ ، تقابلُ الخَطْبَ خِفافَ المَحفِلِ
كأنَّـها مخروطةٌ من جَندَلِ ، إن يُقنَصِ الطَّيـــرُ بها لا يَعدِلِ
أو تُدعَ منها الصَّاعداتُ تَنزِلِ ، فهنّ من هاوٍ ومِن مُجَدَّلِ
ومن خَضِيبٍ بدمٍ مُرَمَّلِ ، مُدَثَّـــرِ الحُلَّـةِ أو مُهَـلَّـلِ[2]
في يَلمقٍ مُزَرَّرٍ لم يُحلَلِ ، بينَ الخُزامَى الغَضِّ وَالقَرَنْفُلِ
وبينَ أكوابِ الرَّحيقِ السَّلسَلِ ، وفتيةٍ عن الخَنا بمَعزِلِ
عليهِمُ سِيما الطِّرازِ الأوَّلِ

---

1 حَيْهَل : كلمة يستحث بها ويدعى ، والأصل تشديد الياء . المُثَّلُ : البارزةُ .
2 مرمَّل ، من رمَّلَ بالدم : لَطَّخ . مُهلَّل : متقوِّس .

وقال يدعو أبا بكر المراغي ويصف له كتباً عنده وبستاناً في داره وشطرنجاً ونرداً وأنواع الأنبذة والساقي ترغيباً في المجيء إليه : [من الكامل]

عندي ، إذا ما الروضُ أصبحَ ذابلا ، تُحَفٌ أغضُّ من الرِّياضِ شمائِلا
خُرسٌ تُحدِّثُ آخراً عن أوَّلٍ ، بعجائبٍ سلَفتْ ، ولسْنَ أوائِلا
سُقِيَتْ بأطرافِ اليَراعِ ظُهورُها ، وبطونُها طَلّاً أجمَّ ووابِلا
تلقاكَ في حُمرِ الثِّيابِ وسُودِها ، فَتَخالُهُنَّ عرائساً وثَواكِلا
وتُريكَ ما قَد فاتَ من دَهرٍ مضَى ، حتى تَراه بعينِ فِكرِك ماثِلا
وإذا خلوتَ بهنَّ ظَمآنَ الحَشا مَنَحتكَ من صَوبِ العُقولِ مَناهِلا
ولَها إذا حُلَّت نِتاجُ غرائبٍ يَمكُثْنَ ما زُرَّت بهِنَّ حَوامِلا
يَلبَسنَ أرديةَ الأديمِ كأنَّما رَقْرَقتَ فيهِن الخَلوقَ السَّائِلا
فإذا مدَدتَ لها يمينَكَ فاتحاً ، عَبِقَت يمينُكَ راحةً وأنامِلا
نشَرت حدائقُها على أمثالِها حُللاً مدبَّجةً وحَلْياً كَامِلا
روضٌ تُزَخرِفُه العقولُ ورَوضةٌ باتَت تُزَخرِفُها الغُيوثُ هَواطِلا
وكَتِيبَتا زَنْجٍ ورومٍ أُذْكِتَا حَرباً يَسُلُّ بها الذَّكاءُ مَناصِلا[1]
في مَعْرَكٍ قَسَمَ النِّزالُ بِقاعَه ، بينُ الكُماةِ المُعلَمِين ، مَنازِلا
لم يَسفَحا فيهِ دماً ، وكأنَّما رَشَحا الدِّماءَ أعالياً وأسافِلا
يُبدي لعينِك ، كلَّما عاينتَه ، قِرنَين جَالاَ : مُقدِماً وَمُخاتِلا
فكأنَّ ذا صاحٍ يَسيرُ مُقَوَّماً ؛ وكأنَّ ذا نَشْوَانُ يَخطِرُ مائِلا
أعجِبْ بِها حرباً تُثِيرُ ، إذا التظَت ، فَضلَ الرِّجال ، ولا تُثِيرُ قساطِلا

---

1 يصف هنا الشطرنج بحربٍ ، سلاحُ اللاعبون فيها ذكاؤهم . المناصل : السيوف .

ومُحكَّمانِ على النُفوسِ ، وربَّما لم يَحكُما فيهِنَّ حُكماً عادِلا[1]

أخَوَانِ قد وَسَما على مَتْنَيْهِما سِمةً تَحُثُّ على البَليدِ غَوائِلا

يلقاهما المسعودُ سَعداً طالعاً ، ويراهما المَنحوسُ سعداً آفِلا

فإذا هما اصطحَبا على كَفِّ الفَتى ضَرَّاه ، أو مَنحَاه نَفعاً عاجلاً

وصُنوفُ أنبِذَةٍ ، إذا عاينتَها ، عاينتَ أفراحَ النُفوسِ كَوامِلا

مثلُ العَرائسِ ما اجتُلِينَ رَوائحاً ، إلاّ آختَلَفْنَ قَلائِداً وغلائِلا

وأغنُّ قَدَّحَ عارضاهُ فلاَوَذَا ، واخضَرَّ شاربُه ، فسار مقابِلا[2]

من مَعشرٍ صِيغَت حُلى أجسامِهِم خُضراً ، إذا الأجسامُ كنَّ عَواطِلا

مُبيضَّ أيامِ العُقوبةِ صابراً ، مُحمرَّ أيامِ الشَّطارةِ صائلا

يتذاكرُ الفِتيانُ كيفَ يُحرِّموا ، فمضَوا قتيلاً لا يُعابُ وَقاتِلا[3]

ولقَد تأمَّلتُ الشَّطارةَ قَبلَه ، فَوَجَدْتُها حقّاً يُسمَّى باطِلا

فابكُرْ أبا بَكرٍ فقد بَكَرَ الهَوىَ طَلْقاً لَدَيَّ وكان جَهْماً بَاسِلا

وأجِبْ الى شُربِ الشَّمولِ ، فإنّها تُهدي بقُربِك لي سُروراً شامِلا[4]

وكفاكَ بي خُلّاً تَسُرُّ خِلالُه ؛ وكفَى بمثلِك مُسعِداً ومُواصِلا

355

وقال يمدح سيف الدولة ويذكر بعض غزواته : [من الطويل]

كَمَلْنَ فأطلَعْنَ البُدورَ كَوامِلا ، ومِلْـن فأبدَيـن الغصونَ مَوائِلا

---

1 يصف هنا النرد وأداتيه الصغيرتين اللتين ترميهما الكف .

2 قدّح : لعله من القدّاح وهو نور النبات قبل أن يتفتح ، فيكون المراد أن عارضيه في أول نبتهما . لاوذا : امتنعا ، وخادعا .

3 قوله : كيف يحرموا : هكذا في الأصل ، والوجه يحرمون . وفي كل حال ، فالمعنى غير واضح .

4 الشّمول : الخمر .

غدَون لنا بالوَصل أُنساً نَواضِراً ، وكنَّ مِن الهِجران وَحشاً خَواذِلا
يُحرِّكن أعطافَ العَليلِ صَبابةً ، إذا حرَّكَتْ أعطافُهنّ الغَلائِلا
نَوَين نوىً لَم يَنوِ نَقضَ عُهودِنا فغادَرن أنواعَ الدُّموعِ هَوامِلا
وقَفْنا لتوديعِ الأحبَّةِ مَوقِفاً ، يطولُ علينا أَن نَرى منه طَائِلا
وسلَّت ظُبا أسيافِها مُقَلَ الظِّبا ، فلستَ تَرى إلا قتيلاً وقاتِلا
وأغيَدَ مُهتزِّ القَوامِ كأنّما يَهُزُّ قَضيباً حين يَهتزُّ مائِلا
حَباني بطَيفٍ كان عارفةَ الهَوى ، فعرَّفني شُغلاً عن النَّومِ شاغِلا
فإنْ لا أَرَ الإلفَ الذي كان آلِفاً هوايَ ، ولا الشَّملَ الذي كان شامِلا
فكمْ ليلةٍ شمَّرتُ للرَّاح رائحاً ، وبتُّ لغِزلانِ الصَّريمِ مُغازِلا[1]
وَحلَّيتُ كأسي والسماءُ بِحَلْيِها ، فما عُطِّلَت حتَّى بدا الأفقُ عاطِلا
هيَ البيدُ عاداتُ الرِّكاب يَبيدُها ، إذا وَصلَت فيها الضُّحى والأَصائِلا
الى مَعْقِلِ الجُودِ الذي جُعِلَتْ له صُدورُ العوالي والسيوفُ مَعاقِلا
تَبسَّمَ برقُ الجوِّ فاختالَ لامِعاً ، وحلَّ عُقودَ الغَيثِ فارفَضَّ هامِلا[2]
فقُلت : عليٌّ منك أعلَى صَنائعاً ، إذا ما رجَوناه ، وأَرجَى مَخائِلا
ربيعٌ تولَّى عن ديارِ ربيعةٍ ، وقد ألبسَ النَّورَ الرُّبا والخمائِلا
فخيَّمَ في أوطانِ بَكرِ بنِ وائلٍ ، يقابِلُ بالنَّعماءِ بَكراً ووائِلا
فكُنتَ سِناناً ، حينَ شَمَّرْتَ ، ماضياً ؛ وكانت عَدِيٌّ كلُّها لك عامِلا[3]
فأوحشْتَ رَبعاً منهُمُ كانَ آنساً ؛ وخلَّيتَ فَجّاً منهُمُ كان آهِلا
وأجرَيتَ بالتَّلِّ الدِّماءَ فلو جرَت به الخَيْلُ حولاً ما أَثَرنَ القَساطِلا
لقد أَمِنَ الأيَّامَ من كانَ خائفاً ونالَ عُرى الآمالِ من كان آمِلا

---

1 الصريم : موضع في بلاد العرب معروف بكثرة غزلانه .
2 ارْفَضَّ المطر : سال .
3 عامل الرمح : صدره الذي يلي سنانه .

بمُشتمِلٍ بالعَدلِ سُلَّت سيوفُه على الدَّهرِ ، حتى عادَ في الحُكمِ عادِلا
تَحرَّجَ أن يَظْمَا القَنا ، فأعادَه ، برُغمِ الأعادي قانِئَ اللَّونِ ناهِلا
إذا حاولَ الأقرانُ في الرَّوعِ خَتلَه ، أبرَّ عليهم مُقدِماً لا مُخاتِلا[1]
فلَو نَطقَ الدهرُ الذي ليسَ ناطقاً تَنصَّلَ ، إذ هَزَّت يداه المَناصِلا
سأشكُرُ إنعامَ الأمير وفضلَه ، فقد ألبساني أنْعُماً وفَضائِلا
غدوتُ وآمالي الظِّماءُ تقودُني إلى جُودِ كفَّيهِ ، فعادَت نواهِلا
وحلَّيتُ أبكارَ القصائدِ باسمِه ، ولولاه أضحَت ثَيِّباتٍ عَواطِلا

356

وقال يصف الديك والحمام ، ويهجو ابن العصب الملحي : [من البسيط]

إذا المَجَرَّةُ مالَت بعدَ تعديلِ ، وجاذَبَ الليلُ حبلاً غيرَ مَوصولِ
وهبَّ ذُو الرَّعَثَاتِ الحُمر مُنتشياً ، فارتاعَ من صَارمٍ للصُّبحِ مَسلولِ[2]
لمَّا رآه يَضُمُّ الليلَ أُكبَرُهُ ، فعادَ منه بتكبيرٍ وتهليلِ
فقامَ من رَهطِهِ الأشرافِ في لُمَّةٍ كأنَّها رَهطُ عَمروٍ ، أو شَراحيلِ[3]
أَرْبَتْ على الفُرس في التيجانِ وانتَسَبت للهندِ أكرِمْ بذاك الجيلِ من جيلِ
مُشَمِّراتٍ فُضولَ الوَشْيِ مُرخِيَةٍ فَضْلَ الشُّنوفِ عليها والأكاليلِ[4]
تَخطُو على قُضُبِ العِقيانِ مُدمَجةً ، لم تَدْنَ من قِصَرٍ مُزرٍ ولا طُولِ[5]
إذا النَّدَى بلَّ من ديباجِها سَحَراً مشَينَ في زَهَرٍ ريَّانَ مَطْلُولِ[6]

---

1 أبرّ عليهم : فاقهم ، غلبهم .
2 ذو الرعثات : الديك ، والرَّعْثة : عثنونه ، أي لحيته .
3 لعله أراد عمراً بن سفيان الكلابي ، وشراحيل بن سفيان ، وحديثهما مع دريد بن الصِّمّة وأخيه عبد الله في الأغاني . لُمَّة : رفقة .
4 الشُّنوف : ما عُلِّق في الأُذن أو أعلاها من الحَلْي .
5 العِقْيان : الذهب الخالص .
6 مطلول : أصابه الندى .

بيتٌ تَرى الحُسنَ مبذولاً به ، فإذا عدَاه كان مَصُوناً غيرَ مبذولِ
فمشِّ طرفَك فيما شئتَ من كفَـــلٍ راب ، وخَصرٍ كخُوطِ البانِ مَجدولِ
وفي جُسومٍ كخَيطِ العاج ماثلةٍ ، تُغْنِي النواظرَ عن حُسنِ التَّماثيلِ
وفي الخُدودِ التي جاءت مُذَهَّبةً فعُدن في أُرجُوانٍ منه مَصقولِ
وربَّما عاينَتْ عيناك فيه فتًى ، وَرْدَ الغِلالةِ مُخْضَرَّ السَّراويلِ
مُكَلَّلاتٌ أعالي جُدرهِ بدُمًى ، فإن خَلا ، فهو منها جِدُّ مأهولِ
اذا دخلناه زِدنا من محاسنِه ، وطيبِه في نعيمٍ غيرِ مملولِ
وإن خرَجنا خلَعنا فَضلَ نِعمتِه على المَناشفِ منـا والمناديـلِ
حتى إذا أُنعِمَت أجسامُنا ، وغدَت تُثني عليه بفَضلٍ غيرِ مَجهولِ
مِلنا إلى غُرفةِ المِلْحِيِّ إنَّ بها ، ظبياً من الأُنسِ مبذولَ الخَلاخيـلِ
نزورُه وبقايا الليلِ تَستُرُنا ، فنَهتدي بخليعٍ فيه ضِلِّيلِ
يُرضي النديمَ ، ويُرضَى عن مُرُوءتِه ، إذا أتاه بمشروبٍ ومأكولِ
وإن رآه رقيقُ الوجهِ قال : أَرِقْ كأسَ الحياءِ بضَمٍّ أو بِتَقْبِيلِ
فزرتُ ، إذ زرتُه قِنديلَ بيعتِه ، فالزيتُ ينشُرُ أضواءَ القَناديلِ
وابسُط يمينَك في تَخمِيشِ كِدَّتِهْ وفي قَفاه ، فما سمحٌ بمغلولِ[1]
وإن تَنفَّس ، فاحذَرْ منه صاعقةً تُردي الجليسَ ، وكُنْ منه على ميلِ

357

وقال يمدح أحمد بن يحيى بن رويم : [من الوافر]

مَلامُك في الهَوى أذكَى غَليلي ، وأُضرمَ لوعةَ الكَمَدِ الدَّخِيلِ[2]

1 الكدة : الأرض الغليظة ، ولعلّه استعارَها للجسم .

2 الدخيل : الداخل في أعماق البدن .

أرى جَزَعي لبينِهمُ جميلاً ، فكيفَ أعوذُ بالصَّبرِ الجميلِ
نوًى خلَعت عِذارَ الدَّمعِ حتَّى لَقامَ بعُذرِنا عندَ العَذولِ
فراقٌ ما يُفتِّرُ مِن فريقٍ يُطِلُّ دَمي ودَمعي في الطُّلولِ[1]
وهَل يَخلُو الفُؤادُ من التَّصابي ، إذا خَلَتِ الدِّيارُ مِنَ الخَليلِ
أعادَ لنا هَجيرَ الهَجرِ ظُلماً ، وكنَّا للتَّواصُــلِ في أَصيلِ
وجالَ الطَّرفُ في عِطْفَيْ قضيبٍ يُؤَرِّقُــهُ وسَالِفَتَــيْ خَذُولِ[2]
تَضِنُّ بِجُلَّنارِ الخَدِّ خَوفاً ، وتَبذُلُ نَرجِسَ الطَّرفِ الكَحيلِ
وكَم أهدَت إلى الأحشاءِ لمّا تَهادَت في الغَلائلِ من غَليلِ
أغارُ ، إذا أذاعَ خَفِيَّ وَجدي وأرَّقَنــي سنا بَــرقٍ كَليلِ
وحلَّ عُقودَ دمعي في محلٍّ ، كأنَّ نُحولَ مَعلَمِه نُحولي[3]
كأنَّ يدَ الرّبابِ حلَت رُباه من النُّوَّارِ في وَشيٍ صَقيلِ[4]
إذا ابتسمَ الشقائقُ فيه صبحاً تأوَّد من نسيمِ صِباً عليلِ
يُذكِّرني انحدارُ الطَّلِّ فيه مَسيلَ الدمعِ في الخَدِّ الأَسيلِ
عَلامَ أَصُدُّ عن حَظٍّ جَزيلٍ ، وأَقنَعُ بالقليلِ مِنَ القليلِ
وقد أَحيا السَّماحَ لنا ابنُ يَحْيَى ، ونَوَّهَ باسمِـه بَعـدَ الخُمولِ
فتىً يَثْني الثَّناءَ إليه مَجدٌ ، يُقابِــلُ آمليــهِ بالقَبــولِ
ونَشَّرَ من شمائلِ أَرْيَحيٍّ ، كما جرَتِ الشِّمالُ على الشَّمولِ
بَلَوْناهُ أَجَلَّ الأزدِ قَدْراً ، وأسطاها على الحَدَثِ الجَليلِ
ولـمَّا طابَ أصلاً طابَ فَرعاً وطِيبُ الفَرعِ من طِيبِ الأصولِ

1 أَطَلَّ : أهدر .
2 الخذول : الظبية تخلّفت عن صواحبها وانفردت ، أو أقامت على ولدها .
3 معلم الشيء : معهده .
4 حلت رباه : أي أعطته ما حليت به . الرباب : السحاب الأبيض .

فإنْ يَفْخَرْ على الأَكفاءِ يَوماً ، فلِلغُرَرِ الفَخارُ على الحُجولِ[1]
وَصَلْتُ به الرَّجاءَ ، فوَاصَلَتْني سَجِيَّةُ ماجِدٍ بَرٍّ وَصُولِ
فَمِنْ رَوْضٍ حَمَدتُ به مُرادي ؛ ومن ظِلٍّ شَكَرْتُ به مَقيلي
مَحَلٌّ تَرتَعُ الآمالُ فيه مدى الأيَّامِ في ظِلٍّ ظَليلِ
وللخَطِّيِّ فيه طُولُ خَطْوٍ ، يُقَصِّرُ مُدَّةَ العُمْرِ الطَّويلِ
مَلَكْتَ ، أبا الحُسينِ ، جَزيلَ شُكْري ، بما أُولَيْتَ من نَيْلٍ جَزيلِ
أَطلْتَ على الزَّمانِ يَدَيَّ حتَّى سطَوْتُ عليه سَطوةَ مُستطيلِ[2]
وكم صاحَبْتُ من أملٍ مُحالٍ ، فأوقَفَني على طَلَلٍ مُحيلِ[3]
أُؤَمِّلُ مَعْشراً جَهِلُوا المَعالي ، فضَلُّوا ، وَهْيَ واضِحَةُ السَّبيلِ
فأيُّهُمُ انكفَتْ هِمَمي إليه ، رَأَتْ قُفْلاً ، فَجَدَّتْ في القُفُولِ[4]
أَجودُ على الجَوادِ بِحُرِّ مَدْحي وأَبخَلُ بالثَّناءِ على البَخيلِ
وآبى أن يُرى حَلْيُ امتداحي على النَّابي الكَهامِ من النُّصولِ[5]
أَتتْكَ يَجُولُ ماءُ الطَّبعِ فيها ، مَجالَ الماءِ في السَّيفِ الصَّقيلِ
قَوافٍ ، إن ثَنَتْ للمَرءِ عِطْفاً ثَنى الأَعطافَ في بُرْدٍ جَميلِ
فلا تَحْفِلْ بِلَفْظٍ مُستَعارٍ تُغَبُّ به ، ومَعنى مُستَحيلِ

358

وقال يمدح أبا تغلب الغضنفر ابن ناصر الدولة : [من المنسرح]

لا يَعرِفُ العَدْلَ ، وهو مُعتَدِلُ ، فمِثلُهُ في فِعالِهِ مَثَلُ

---

1 الغرر ، مفردها غرّة : وهي من كل شيء أوله ومعظمه وطلعته ، ومن الرجل وجهه .
2 المستطيل : المتفضّل والمُنْعِم .
3 المحال : الباطل . المُحيل : الذي مرّت عليه أحوال أي سنون .
4 انكفت مخففة عن انكفأت : مالت . القُفُول : الرجوع والانصراف .
5 الكهام : السيف الكليل ، الذي لا يقطع . النُّصول : جمع نصل .

أسكَرَني سُكْرُ مُقلَتَيْهِ ، فما دامَ ثُمالي ، فإنني ثَمِلُ
مَهْلاً ، فَحُبِّيهِ ضِلَّةٌ عَرَضَتْ ، يَضَلُّ فيه المَلامُ والعَذَلُ
لم يَنشُرِ الهجرُ لي هَواجِرَه ، حتّى انطوى من وِصالِهِ الأُصُلُ[1]
وَدَّعَني باكياً ، وقد ضَحِكَتْ للبَيْنِ عنه السُّجوفُ والكِلَلُ
واشتَعَلَتْ نارُ خَدِّه خَجَلاً ، فَخِلتُها في القُلوبِ تَشتَعِلُ
ثمَّ انثَنى للعِناقِ ، فامتزَجَت سَحائبُ الدَّمْعِ ، وَهْيَ تَنْهَمِلُ
أَذُمُّ فيها النَّوى وأَحمَدُها لِوَقْفَةٍ تَلتقي بها المُقَلُ
وقَبلُ ما قَبَّلَتْ مَحاسِنُه وَجْهي وَوَجْهُ السُّرورِ مُقتَبِلُ
واللَّيلُ داجٍ كأنَّ نُقبَتَهُ سِترٌ على الخافِقَيْنِ مُنسَدِلُ[2]
حتَّى بدا الفَجرُ في مُوَرَّدَةٍ ، كأنَّه من جَمالِهِ خَجِلُ
سِرْنا ، فلم يَثْنِ عَزمَنا مَلَلٌ ، عَنِ السُّرى ، إذ حَدا بنا الأَمَلُ
وضَمَّنا مَعْقَلُ النَّدى ، فَثَوَتْ ركابُنا والرَّجا لها عُقُلُ
حلَّتْ فِناءَ الأميرِ ، فاشتملَتْ ظِلّاً من العُرفِ ، ليسَ يَنتَقِلُ
أجارَها نائلُ الغَضَنْفَرِ مِنْ جَورِ زَمانٍ ، سِهامُهُ شُعَلُ
أغرُّ ما في أَناتِه عَجَلٌ يُخشَى ، ولا في عِداتِه مَهَلُ
صاعِقَةٌ رَعدُ بأسِها قَصِفٌ ، وعَارِضٌ صَوْبُ مُزْنِه هَطِلُ[3]
وَفْرُ الأعادي لسيفِه نَفَلٌ ، وهو لطُلَّابِ رِفْدِهِ نَفَلُ[4]
يَكتَنُّ في حِلمِه سَطاهُ كما يَكتَنُّ في الغِمْدِ مُرْهَفٌ قَصِلُ[5]

---

1 الأصُل ، مفردها أُصيل : الوقت بين العصر والمغرب .

2 النُّقبة : ثوب كالإزار يشدّ كما تشدّ السراويل .

3 قَصِفٌ : شديد الصوت .

4 النفل : الغنيمة .

5 قَصِلٌ : قاطعٌ .

أقولُ ، إذ جرَّدَ الحُسامَ لمَنْ ناواه : أَقْصِرْ ! لأُمِّكَ الهَبَلُ[1]
أما رَأَيْتَ الحَياةَ تُقطَعُ في هزَّتِهِ ، والحِمامُ يَتَّصِلُ
له بتَشييدِ مَجْدِهِ شُغُلٌ ، وللقَوافي بذكْرِهِ شُغُلُ
فَهْوَ لَها واصِلٌ ، إذا قَطَعُوا ؛ وهو بها عارِفٌ إذا جَهِلوا
أحيَتْ أياديهِ مَجدَ تَغلبِهِ ، حتّى لَعادَتْ أيّامُهُ الأُوَلُ
هُناكَ ! إنَّ السُّرورَ مُقتَبِلٌ بالفِطْرِ ، والهَمَّ عنكَ مُرتَحِلُ
فاشرَبْ على الوَرْدِ قبلَ فُرقَتِه ، فالوردُ من شأنِ سَيْرِهِ العَجَلُ
حاليةً كالحَبابِ تَحمِلُها حاليةٌ من جَمالِها عُطُلُ
فالعَيْشُ غَضٌّ ، نَسيمُه أرِجٌ ، والدَّهْرُ غِرٌّ ، رداؤُهُ جَذِلُ
والرَّوْضُ قد راضَه الغَمامُ فقد فَتَّحَ نُوَّارَه النَّدى الخَضِلُ
جاءَتك مثلَ العَروسِ سافِرَةً ، ذِكرُكَ فيها الحُلِيُّ والحُلَلُ
يَغُضُّ عنها العَذولُ ناظِرَه ، وحَشْوُ أحشائِهِ بِها غُلَلُ
غَرائبٌ تُطرِبُ اللَّبيبَ ، كما تُطْرِبُهُ المُسمِعاتُ والغَزَلُ
تَبذُلُ من دُرِّها وبَهْجَتِها ما ليسَ إلا لَدَيْكَ يُبتَذَلُ

359

وقال يهجو ابن العصب الملحيّ الشاعر : [من مجزوء الرمل]

جَنَحَ المِلحِيُّ للسِّلْـ ـمِ ، ووافى يَستَقيلُ
بعد أن جَلَّلَهُ خَطْـ ـبٌ من الشِّعْرِ جَليلُ
غُرَرٌ يَنتَسِبُ الصُّبْـ ـحُ إليها والحُجُول
نُقِشَتْ نَقْشَ الدَّنانيـ ـرِ ، فمرآها جَميلُ
ولَها عندَ ذَوي الأَفْـ ـهامِ بِشْرٌ وقَبُولُ

---

1 الهَبَل : الثكل .

هي داءٌ ، في شراسيـ ـفِكَ ، ثاوٍ وغَليلُ[1]
وسيوفٌ لكَ مِنْها ، حينَ تَهتَزُّ ، نُكولُ
قُلْتُ للشِّعْرِ : أَقِلْهُ ! إنه شَيْخٌ جَهولُ
قال لي : ليسَ إلى ما رامَه ، الدَّهرَ ، سَبيلُ
قد وَهَى سِتْرٌ رَقيقٌ ، وقضى وِدٌّ عَليلُ
قَصُرَتْ أيامُنا البيـ ـضُ ، وفي يَوْمِكَ طُولُ
دَعوَةٌ ، يَنتَسِبُ القَحْـ ـطُ إليها ، والمُحولُ
ليسَ إلا العَطَشُ القا تِلُ ، والماءُ الثَّقيلُ
مَجْلِسٌ فيه لأربا بِ الخَنا قالٌ وقِيلُ
وضِراطٌ مثلُ ما آنْشَقْـ ـقَ الدَّليقيُّ الصَّقيلُ[2]
وإذا اختالَ خلالَ الشْـ ـشَرْبِ عَذْراءُ شَمولُ
لَعِبَتْ أيدٍ ، لها أَقْـ ـفِيَةُ القَوْمِ طُبولُ
لستُ من شَكلِكَ ، والنا سُ ضُروبٌ وشُكولُ
أنتَ للحاكَةِ ، حتَّى يُصْدِرَ الوِرْدَ خَليلُ
فاقطَعِ الرُّسْلَ ، فقد أَز رى بنا منك الرَّسولُ

360

وقال يدعو صديقاً له ويصف الدنَّ والريحان والثلج والمزمَّلة والخَيْش : [من الطويل]

لَنا مَجلِسٌ ، لو لم تَغِبْ عنه كاملٌ ، وجامعَةٌ شَمْلَ السُّرورِ شَمولُ

---

1 الشراسيف ، مفردها شرسوف : طرف الضلع المشرف على البطن .

2 الدليقي : لعله أراد به السيف الدلوق : السلس الخروج من غير سلّ ؛ يدل على ذلك قوله : الصقيل . وكيف كان الأمر فالمعنى مبهم .

رَبيبَةُ عُمْرِ الزَّعفرانِ ، ذَكِيَّةٌ ، شَمائِلُهـا للزَّعْفـرانِ شُكُولُ[1]
تَضَمَّنَها في بيتِ عُزْرَةَ قائمٌ على فَردِ رِجْلٍ فيه ليسَ يَميلُ[2]
يُحَدَّرُ في الأكنانِ حيّاً مُسنَّداً ، ويُصْلَبُ في الجُدْرانِ ، وهوَ قَتيلُ[3]
بأخضَرَ ، تبدو منه للعينِ لُجَّةٌ ، تَلاقَتْ دَبورٌ فوقَها وقَبولُ[4]
تَبَيَّضَ بالكافورِ لا أنَّ نَشْرَه يَقِلُّ ، ولكنَّ السَّماحَ جَميلُ
وأبيضَ صافٍ خَلَّصَتْه من القَذى شَمالٌ جلَتْ مَتْنَيْهِ ، فهو صَقيلُ[5]
يَرُدُّ على الصَّهباءِ بَرْدَ فُؤادِها ، إذا زارَها منه أخٌ وخَليلُ
كأنَّ حَصى الياقوتِ نَهْبُ أكُفِّنا ، يَذوبُ عليها تارةً ويَسيلُ
ومحبوسَةُ الأنفاسِ مَجروحَةُ الحَشا ، يُخَفِّفُ عنها الصَّبُّ ، وهو ثَقيلُ[6]
كأنَّ شَمالاً صافَحَتْ صَفْوَ مائِها ، وليسَ إليه للشَّمـالِ سَبيلُ
ترى أسمحَ الفِتيانِ يَطلُبُ نَيْلَها ، على أنَّه طَلْـقُ اليدَيْنِ مُنِيلُ
إذا لم يَكُنْ للماءِ ظِلٌّ يَكُنُّه ، فَسِربالُها ظِـلٌّ عليـه ظَليلُ
وقد حَجَبَ الجُدرانَ عن كلِّ ناظِرٍ منَ الرَّيْطِ مَبلولٌ صَباه بَليلُ[7]
حِجابٌ من الكَتّانِ رَقَّ هَواؤه ، كأنَّ هَجيرَ اليَومِ فيه أصيلُ
يُرَشُّ بماءِ الوَرْدِ ، حتى ترى له دُموعاً على ما اخضلَّ منه تجولُ
فإنْ أنتَ لم تُدْرِكْ ثِقاتَكَ عاجلاً ، طلعْتَ عليهم والعُقولُ أُفولُ

---

1 الشُّكُول : المثل والنظير .

2 عزرة : اسم رجل . وأراد بالقائم على فرد رجل : دنّ الخمر .

3 الأكنان : سِتْر الشيء ووقاؤه .

4 الدَّبور : الرّيح الغربية . القبول : ريح الصَّبا ، أي الريح الشرقية . وأراد بالأخضر : الريحان .

5 الأبيض الصافي : الثلج .

6 أراد بمحبوسة الأنفاس : المزمَّلة ، وهي جرة أو خابية يبرد فيها الماء .

7 الرَّيْط ، مفردها رَيْطَة : الملاءة إذا كانت قطعة واحدة ونسجاً واحداً ، وأراد هنا مروحة الخيش وقد مرَّ وصفها في الصفحة 228 .

وقال يهجو رجلاً من أهل الموصل ضريراً ، هو أبو الحسين فيروز ، وما هو ابن حمزة وإنما كَنّى عن اسمه : [من الطويل]

لقد سَوَّدَتْ عِرْسُ ابنِ حَمزَةَ وَجهَهُ ، وكان مُضيئاً وَجهُهُ في المَحافِلِ

وما حيلَةُ الأعمى القبيحِ ، إذا التوَتْ عليه حِسانُ الآنساتِ العَقائِلِ

وكان خبيثاً ، قبلَ ذاكَ ، مُخاتِلاً ، فأَنسَتْهُ أفعالَ الخَبيثِ المُخاتِلِ

أرادَتْ قَضاءَ الحَقِّ يَوْماً بِزَورِها ، ومأرَبَ حَقٍّ شِيبَ منها بباطِلِ[1]

فسارَتْ على قَصْدِ السَّبيلِ ، هُنيهَةً ، ومالَتْ إلى غُصْنٍ من البانِ مائلِ

فَمَرَّ لها يَوْمٌ على النَّهْرِ صالحٌ ، غَريبٌ من الأيامِ ، حلوُ الشَّمائِلِ[2]

يُعاطي النَّدامى طَرفُها سِحْرَ بابلٍ ، وتأخُذُ من أَيديهِمُ خَمْرَ بابلِ[3]

إلى أن قَضَتْ حَقَّ الرِّجالِ وضَيَّعَتْ بباطِلِها ، حقَّ النِّساءِ الثَّواكلِ

وعادَتْ بِوَرْدٍ ذابلِ الوَرْدِ حائلٍ بِعَضٍّ الثَّنايا لا بِعَضِّ الأنامِلِ[4]

فلم تَدْنُ من شَقِّ الجيوبِ ولم تَغِضْ ، مَعَ الشَّربِ أسرابُ الدُّموعِ الهَوَامِلِ[5]

ولو صدَقَتْ لم تُلْقَ ثَكْلى تَسلَّبت مِنَ الحُزْنِ في حُمْرِ الحِلَى والغَلائلِ[6]

---

1 زورها : زائرها . المأرب : الحاجة . شيب : خلط .

2 الشمائل : الطباع ، مفردها شميلة .

3 كانت بابل موصوفة بسحرها وخمرها ، وهي مدينة قديمة واقعة على الفرات قرب الحلة .

4 حائل ، من حال لونه : تغيّر .

5 شق الجيب عند النساء : دلالة على الحزن . تغض : من غاض الماء : نضب ، غار . الأسراب ، مفردها سرب : الماء السائل .

6 تسلّبت المرأة : ألبست لباس الحزن . الحلى ، مفردها حلية : الزينة . الغلائل ، مفردها غلالة : شعار يلبس تحت الثوب ، أو تحت الدرع .

وقال يهجو الخالدي وابن العصب الملحي الشاعر : [من الطويل]

إلامَ يَرومُ الحَاسِدونَ نِضالي ، وأَيمانُهُم في الرَّمْيِ دونَ شِمالي[1]

أنا الصَّارِمُ المَشهورُ كادَني العِدا ، بإفكٍ هَوَتْ أركانُه ، ومُحالِ[2]

فما ثَلَمَ الأَعْداءُ حَدَّ مَضاربي ، ولا شَربَ الحُسَّادُ ماءَ صِقالي[3]

إذا هَبَطَتْ أَنسابُ قَوْمٍ ، فموطِني ذُرى نَسَبٍ بينَ التَّتابُعِ عالي[4]

ونَاهيكَ مِنْ أيْدٍ تَصولُ وأَلسُنٍ تَقـولُ وأرمـاحٍ تُهـزُّ طِوالِ

شَقَقْتُ قَذَالَ الخَالديِّ بِمَنْطِقٍ ، يَشُقُّ من الأَعْداءِ كلَّ قَذالِ[5]

وناضَلَني المِلْحيُّ عنه ، فَأَصْبَحَتْ جَوارِحُـهُ مَجروحَـةً بِنبالي

وما لِعَليٍّ ، بائعِ المِلحِ بالنَّوى ، إذا نِلْتُ أمَّ الخالديِّ وما لي[6].

وهلاَّ أتاني ، إذ هَفَا مُتَنَصِّلاً وقد عايَنتْ عَيناهُ حَدَّ نِصالي[7]

وقد كان يُخلي بَيتَهُ لمآربٍ ، إذا زارَ إلفٌ أو حَبا بوِصالِ[8]

---

1 يروم : يبغي . نضالي : الرماية بالنبال .

2 المشهور : المسلول من غمده . كادَني : حاربني ، أرادني بسوء . الإفك : الكذب . المحال : غير الممكن .

3 ثلمه : كسره من حافّته . وأراد بالمضارب : السيف . الصقال ، من صقل الشيء : جلاه ، وكشف صدأه .

4 بين التتابع : أي بين تتابع الأنساب ، مجيء بعضها في إثر بعض .

5 القذال : ما بين الأذنين من مؤخر الرأس .

6 النوى ، مفردها نواة : التمر .

7 هفا : أسرع . متنصّلاً : متبرئاً من الذنب .

8 حبا : أعطى الشيء بلا جزاء .

على أنه يُكريه يَوماً بخمسَةٍ مُوَجَّهَةٍ ، بيضِ الوُجوهِ ، ثِقالِ[1]
بَخِلْتُ بذكْرِ اللهِ مِنْ كلِّ جانِبٍ فهنّ ، بذكرِ اللهِ ، غيرُ خوالي
رَوافعُ أبصارٍ خُفِضْنَ مَذَلَّةً ، وطولُ يمينٍ قَصَّرَت ، وشِمالِ
تُحِبُّ ، ولَكِنْ نَفْعُها لمُحِبِّها ، غَداةَ نَوىً منها ، ووَشْكِ زِيالِ
فَإنْ شِئْتَ أن تَحظى بِوَصْلِ غَزالَةٍ مُهَفْهَفَةِ الكَشْحَيْنِ ، أو بِغَزالِ[2]
فقَدِّمْ له الجَدْيَ الرَّضيعَ ، وثَنِّه بعَذْراءَ مِنْ ماءِ الكُرومِ زُلالِ
ولا تَلْقَهُ ، إلا بِخَيْرِ وَسيلَةٍ ، يَلوحُ على وَجْهَيْهِ خَيْرُ مَقالِ
بباز ، إذا أرسلتَهُ صادَ كلَّ ما تَرومُ بهِ أو نالَ كلَّ مَنالِ
سيَحْمِلُهُ جَرْيٌ على ظَهْرِ جامحٍ ، يَؤولُ بما في الظَّهْرِ شَرَّ مآلِ[3]
ويَعْلَمُ أنَّ السِّلْمَ كانَ سَلامَةً لَدَيْهِ ، وظِلّاً آذِناً بزَوالِ

363

وقال يمدح سيف الدولة ويذكر فتحاً كان له في بعض غزواته إلى خرشنة :
[من البسيط]

أَجَل ! هُوَ الفَتْحُ لا فَتْحٌ يُشاكِلُه ، أفادَ عاجِلُـه عِـزّاً وآجِلُه[4]
تَفَتَّحَتْ فيه أبوابُ السَّماءِ على أَغَرَّ ، مِفتاحُ بابِ البِشرِ نائِلُه[5]
أشاحَ للحَرْبِ لا كُتُبٌ ، ولا رُسُلٌ ، إلا الوَشيجَ الذي تَدْمى عَوامِلُه[6]

1 يكريه : يؤجره . موجّهة : إما أراد خمسة أثواب ذات وجهين ، أو خمسة من النقود ذات وجهين .
2 مهفهفة : ضامرة . الكشح : الخاصرة .
3 جامح : أي فرس جامح ، مستعص . يؤول ، من آل : رجع .
4 يشاكله : يماثله .
5 الأغرّ : الكريم الأفعال وأراد به سيف الدولة .
6 أشاح : جدّ وجهد . الوشيج : شجر الرماح . العوامل ، مفردها عامل : صدر الرمح .

وأَضحَكَ الثَّغْرَ إلاّ أنَّ مَبسِمَه ، إذا تَبَسَّمَ مَسْروراً ، مَناصِلُه
غَزْوٌ ، إذا العامُ أبقَى منه باقيةً ، أتاه يُزْجي لحَتْفِ الثَّغْرِ قَابِلُه[1]
بكاهلِ المَلْكِ سيفِ الدَّولَةِ اطَّأَدَتْ قَواعِدُ الدِّينِ ، واشتدَّتْ كَواهِلُه[2]
من الرِّماحِ ، وإن طالَتْ مَخاصِرُه ، كما الدُّروعُ ، وإن أُوْهَتْ غَلائِلُه
مُظَفَّرُ الغَزوِ لم تُحْرَمْ صَوارِمُه ما أمَّلَتْه ، ولم تُخفِقْ عَواسِلُه[3]
أمضَى منَ القَدَرِ المَحتومِ صارِمُه ، إلى النُّفوسِ ، وأمضى منه حامِلُه
مُجَرِّدُ العَزْمِ في طاغٍ يُقارِعُه ، عن حُرْمَةِ الدِّينِ ، أو باغٍ يُناضِلُه[4]
حُصُونُ خَرْشَنَةَ العُليا فَرائِضُه ، إذا غَزا ، وضَواحيها نَوافِلُه[5]
فليسَ يَنفَكُّ من عَيْشٍ يُقاطِعُه ، في طاعَةِ اللهِ ، أو سَيْرٍ يُواصِلُه
زارَ البحيرةَ بَحْرٌ من كَتائبِه ، تُخْفي سواحِلَها القُصْوى سَواحِلُه[6]
كالسَّيلِ تَحفِزُ أُولاهُ أَواخِرُه ، حتى أسالَ دُروبَ الرُّومِ سائِلُه
تَضايَقُ الأَرْضُ ما سارَتْ جَحافِلُه ، وتَمْرَضُ الشَّمْسُ ما ثارَتْ قَساطِلُه[7]
ظَلَّتْ أَواخِرُه يَنْهَضْنَ من حَلَبٍ ، وقد أطافَتْ بشِمْشاطٍ أوائِلُه[8]

---

1 القابل : اسم للعام الذي بعد العام الحاضر .
2 اطَّأدت : ثبتت .
3 عواسله ، مفردها عاسل : الرمح يهتزّ ليناً .
4 الطاغي : المجاوز حدّه والمسرف في المعاصي والظلم . يقارعه : يضاربه بالسيف . الباغي : الظالم والمعتدي والعاصي على الله والناس . يناضله : يراميه بالسهام .
5 الفرائض ، مفردها فريضة : ما فرض في السائمة من الصدقة والحصة المفروضة . النوافل ، مفردها نافلة : الغنيمة والعطيّة وما تفعله مما لا يجب . يقول : إن حصون خرشنة مفروض عليه أخذها ، وإن أخذ الضواحي من النوافل .
6 في قوله البحيرة إشارة إلى مكان في خرشنة العليا .
7 قوله : تمرض الشمس : أي يضعف نورها .
8 شمشاط : مدينة في أرمينية .

تَحِنُّ فيه الكُماةُ المُعْلِمونَ إلى   وِرْدِ الحُتوفِ ، إذا حَنَّتْ صَواهِلُه[1]
إذا رمى بلداً منه بجائِحَةٍ   خَرَّتْ أعاليه ، وارتَجَّتْ أسافِلُه
حتى تؤدّي الحُصونُ الشُّمُّ ساكِنَها   خَوْفاً ، وتُسلِمَ مَنْ فيها مَعاقِلُه
أعداءه ! إنْ تَفوتوا اليومَ عُدَّتَه ،   تَغُلُّكُم في الغَدِ الأَدْنى غَوائِلُه
لا يُوسِعُ الأَسَدَ الضِرغامَ خَطرَتَه ،   مَخايِلُ الأُسْدِ قد تَبَّتْ حَبائِلُه
عُودُوا به ، واستقيلوه الحقيقةَ مِنْ   ضَرْبٍ يَقُدُّ مُتونَ البِيضِ باطِلُه
فكَمْ خَليجِ دَمٍ أجرَتْ أَسِنَّتُه ؛   وكم خَليجِ نَدٍ أجرَتْ أَنامِلُه[2]
مَنْ ذا يُساجِلُه منكم ، إذا انبَعَثَتْ   سِجالُ كَفَّيْهِ أَمْ مَنْ ذا يُطاوِلُه
كَمْ وَقْفَةٍ لكَ في أدنى ديارِهِمُ ،   أَخَذْتَ بالسَّيفِ منها ما تُحاوِلُه
غَضِبْتَ للدِّينِ حتّى عادَ كَوكَبُه   طَلْقاً يُضيءُ على الآفاقِ آفِلُه
بِكُلِّ يومٍ ، إذا استُلَّتْ صَوارِمُه   عادَتْ ضُحاه ، وقد جاءَتْ أَصائِلُه
تركْتَ فَجَّ العِدا ، لمَّا نَزَلْتَ بهِ ،   وَحْشاً مَغانيهِ ، مَهجوراً مَنازِلُه
مُسوَدَّةً ، من لَظىً حامٍ ، مَلاعِبُه ،   مُحمَرَّةً ، من دَمٍ جارٍ ، جَداوِلُه
تَحِنُّ شَوْقاً إلى الأَسْرى أرامِلُه ،   إذا بَكَيْنَ ، على القَتْلى ، ثَواكِلُه[3]
قَسَمْتَ فَيْئَهُمُ في فَيْءِ دارِهِمُ ،   حُوّاً عَواتِقُه ، حُوراً عَقائِلُه[4]
وَحْشاً من السَّبي آنَسْتَ الكُماةَ به   سِيَّانِ في الحُسْنِ حالِيهِ وعاطِلُه[5]

---

1 المعلمون ، مفردها المعلم : الفارس الذي يجعل لنفسه علامة الشجعان في الحرب .

2 نَدٍ : كريم .

3 قوله : بكين على القتلى ثواكله : جعل الثواكل بدلاً من فاعل بكى العائد إلى النساء .

4 الفيء الأولى : الغنيمة . الثانية : ما كان شمساً فنسخه الظل . الحواء : التي في شفتيها سمرة . العواتق ، مفردها عاتق : الجارية أول ما أدركت والتي لم تتزوَّج . العقائل ، مفردها عقيلة : الكريمة المخدّرة .

5 الوحش : المستوحش غير المستأنس .

فكَمْ شُجاعٍ شَرَى للهِ مُهْجَتَه ، فأكرَهَ الرُّمْحَ حتَّى احمرَّ عامِلُه[1]
غَدا يُنازِلُ لَيْثاً ، أو يُقارِعُه ، وراحَ يَحْوي غَزالاً ، أو يُغازِلُه
بَذَلْتَ ما جادَتِ البِيضُ الرِّقاقُ به ، فأنتَ سالِبُه ، قَسْراً ، وباذِلُه
أما القريضُ ، فقد عادَتْ هَوامِلُه مَرعِيَّةً ، وجرَتْ سَكْباً هَوامِلُه
رأى عَليَّ بنَ عبدِ اللهِ قِبْلَتَهُ ، فراحَ يَهْوي إليه ، أو يُقابِلُه
كالحَلْيِ صادَفَ جِيداً شَكْلَ جَوْهَرِهِ، فصَدَّ عن كلِّ جِيدٍ لا يُشاكِلُه

364

وقال يرثي بني فهد ويذكر أيامهم : [من الرمل]

نَحنُ للأيَّامِ غُنْمٌ ونَفَلْ ، تَرحَلُ الأحداثُ عنَّا أوْ تَحُلّْ[2]
نَقبَلُ الضَّيْمَ مِنَ الدَّهْرِ ، وهَلْ للَّذي نأباهُ بالدَّهْرِ قِبَلْ
وإذا ما زَلَّتِ النَّعْلُ بنا ، فمِنَ الأيَّامِ لا منَّا الزَّلَلْ
نُوَبٌ ، قُلْنا ، لِعادٍ قبلَنا ، إنَّ مِن ذاتِ العِمادِ المُرتَحَلْ
فانثَنَوا عن ذلك الشُّربِ الذي صار عَلّاً لسِواهُم ونَهَلْ
بعدَما غَصَّتْ بأسيافِهِمُ كُثُبُ السَّهْلِ وأوعارُ الجَبَلْ[3]
ورمَتْ طَسْماً ، فقُلْ في غَرَضٍ تتحدَّاهُ يداها بِشُغَلْ
وأظَلَّتْ صاحبَ الحَضْرِ ، فما بَرِحَتْ حتى غدا تحتَ الأَظَلّْ[4]
وأرى الأملاكَ من أُسرَتِنا قَصَدَتْ مُلْكَهُمُ حتّى اضمَحَلّ
أَلبَسَتْ قَوماً سِواهُم حَلْيَهُم ، ثم بَزَّتْهُ ، فراحُوا بالعَطَلْ[5]

---

1 شرى : باع .
2 النَّفَل : الغنيمة .
3 الكُثُب ، مفردها كَثيب : التل من الرمل .
4 صاحب الحضر : هو الساطيرون بن أسطيرون الجرمقي باني مدينة الحضر بإزاء تكريت . وأراد بالأظَلّ : التراب الذي يظلّل جسم الميت .
5 بَزّ : سَلَب . العَطَل : بدون حُلِيّ .

فكأنَّ الدَّهرَ لم يَجْمَعْ لَهُمْ رَغَدَ العَيْشِ وإرغامَ الدُّوَلْ

فاسأَلِ الحِيرَةَ عن جَبَّارِها ، حينَ يَوماه حياةٌ وأَجَلْ[1]

يَرتَدي ظِلَّ السَّدِيرَيْنِ ، فإنْ شَبَّتِ الحربُ ارتدى ظِلَّ الأَسَلْ[2]

والمَنايا الحُمْرُ في ساحَتِه ، ماثلاتٌ بين وَمْضٍ وزَجَلْ[3]

وسَلِ الإيوانَ عن أَربابِه ، كيفَ جَدَّتْ لَهُمُ تلكَ الرِّحَلْ

نَقَلَتْهُم عن فَضاءٍ واسعٍ ، يَسرَحُ الطَّرْفُ به حتى يَمَلّ

وجِنانٍ ذُلِّلَتْ أثمارُها بينَ أمواهٍ نَميراتٍ وظِلّ

نحنُ أغراضُ خُطوبٍ ، إن رَمَتْ حَيَّرَتْ في دِقَّةِ الرَّمْيِ ثُعَلْ[4]

وإذا ما اختلفَتْ أَسهُمُها ، فأَصابَتْ بَطَلَ القومِ بِطَلْ

يا بني فَهْدٍ ! هو الدهرُ الذي نالَ من عِزِّكُمُ ما لم يَنَلْ

أَشرَقَتْ أيَّامُكُمْ ثمَّ دَجَتْ ، وسجَى ظِلُّكُمُ ثم انتقَلْ

نَقَضَ الدَّهْرُ بكم أَوتارَه من ملوكٍ ذَلَّلُوا الدَّهْرَ ، فذَلّ

أين أَيديكُم ، إذا الخَطْبُ عَرَا ، وأَياديكم ، إذا الجَدْبُ شَمَلْ

وَدَّعَتْ دُنياكُمُ بَهجَتَها ، واستوَى الأربابُ فيها والخَوَلْ[5]

ولو آنَّ العِزَّ أثوَى دَهْرَه ، في قَبيلٍ لَثَوى فيكم وحَلّ[6]

وعَسى الأيَّامُ تَرتاحُ لكُمْ ، فيَعودَ الهَمُّ بِالعَوْدِ جَذِلْ

---

1 أراد بجبار الحيرة : النعمان بن منذر أبا قابوس ؛ ويوماه : يوم البؤس ويوم النعيم وحديثهما مشهور .

2 أراد بالسديرين قصري النعمان : الخورنق والسدير ، وسماهما السديرين على التغليب .

3 الزَّجَل : الصوت والضجيج .

4 ثعل : قبيلة عربية اشتهرت بحسن الرماية .

5 الخَوَل : العبيد والإماء وغيرهم من الحاشية .

6 القَبيل : الجماعة .

فلَكَمْ مُشْفٍ على الحَتْفِ نَجا ، ومَريضٍ قد رَأيناه أبلّ
هل أرى أيدِيَكُمْ مبسوطةً ، بينَ حالَيْنِ : سَماحٍ وقُبَلْ
والعَطايا الغُرُّ تَنْهَلُّ على آملي جُودِكُمُ أو تَستَهِلّ
بعدَما وَدَّعتُها مُقْلِعَةً ، مِثْلَما وَدَّعَ ذو الشَّيْبِ الغزَلْ
وهَلِ النَّاسُ الأَخيرونَ إذا جَرَتِ الأقدارُ إلاّ كالأُوَلْ
وضَحَت آثارُهُمْ ثم عفَتْ ، وبدا سَعدُهُمُ ثمَّ أفَلْ

365

وقال يذكر قوماً صُلِبُوا في وقت شديد الحَرّ فلما ضُربت رقابهم جاء عليهم مطر في ذلك الوقت ، وكان يعرف منهم رجلاً ، فقال فيه وفيهم : [من الطويل]

أَلا حَيٍّ مَفقودَ الشَّمائلِ ماثلا ، غَدَا هاجِرَ الدنيا ، وإن كان واصِلا
أقامَ ، وقد جَدَّتْ به رِحْلَةُ الرَّدى ، فأضحى مُقيماً في ذُرى الجِذْعِ راحِلا
أبا الفضلِ ! غالَتْكَ الخطوبُ ، ولم يكنْ ليَعدَمَ ذو الأفضالِ منها الغَوائِلا
فأصبحْتَ مَسْلوبَ القَميصِ ، وطالَما حَمَلْتَ على قُمْصِ الحَديدِ الحَمائِلا[1]
وحولَكَ من بَكْرِ بنِ وائِلَ فِتْيَةٌ ، إذا عُدَّ أهلُ الفَضْلِ كانوا الأَوائِلا
أصابَهُمُ رَيْبُ الزَّمانِ ، وإنَّما أصابَ من العَليا سَناماً وكاهِلا
كأنَّهُمُ في اللَّيلِ رَكْبٌ تَحَيَّرُوا ، فَجَدُّوا من السَّيْرِ الحَثيثِ الحَبائِلا[2]
تَلَقَّاهُمُ حَرُّ الهَجيرِ برَأفَةٍ ، تُخَيِّلُ أوقاتَ الهَجيرِ أَصائِلا
وأضحى الحَيا ، في غَيْرِ حينِ أوانِه ، رَذاذاً على تلكَ الجُسومِ ووَابِلا
كأنَّ السَّماءَ استَعْبَرَتْ لِمَصابِهِم ، فما مَلَكَتْ فيه الدُّموعَ الهَوامِلا

1 الحمائل ، مفردها : حمالة : علاقة السيف .
2 جدّوا : قطعوا .

366

وقال يهجو أحدَ الخالديَّيْن ويتهمه بادِّعاء كثير من شعره : [من الكامل]

يا سارِقَ الشُّعَراءِ ما نَظَمُوهُ من دُرٍّ كَزَاهِرَةِ النُّجومِ مُفَصَّلِ
إن كانَ شِعْري في إسارِكَ مُوثَقاً ما بينَ مَغلولٍ وبينَ مُكبَّلِ
لو كُنتَ لا تُعْطي الأمانَ مَدائحي ، من وَثْبَةٍ ، أو غارَةٍ لا تَنْجَلي
فخَفِ الإلَهَ ، وما أظُنُّكَ خائِفاً أن تَدَّعي سُوَرَ الكِتابِ المُنزَلِ
فالناسُ مِنْكَ مُحَيَّرونَ تَخوُّفاً أن تَمْتَحِي سُنَنَ النَّبيِّ المُرسَلِ[1]
يا خالديُّ ، وكلُّ خِزْيِكَ خالدٌ ، لا يَنْقَضي للناظـرِ المُتأمِّلِ
مازِلْتَ إنْ عُدَّ الفَضائِلُ خامِلاً ، لكنَّ نَقصَكَ ظاهِرٌ لم يَخمُلِ

367

وقال يعتذر إلى أبي إسحاق إبراهيم بن هلال الصابي من قرضه إياه في القصيدة البائية التي أولها : [من البسيط]

تحية الغيث مُنْهَلاً سحائبه

وقد مضت في موضعها ، لأنه عظم عليه أمرها واشتد وقال : ليس هذا عتاباً ولكنه عربدة : [من الكامل]

تَأْبى المنازِلُ أن تُجيبَ مُسائِلا ، حالَت ، ولستُ عن الصَّبابةِ حائِلا
خَلَقَت مَدامِعُنا النَّدى في رَبعِها ، فتناثَـرَت طَلّاً عليه ووابِلا
أذْكَرَنَا زَمَنَ الشَّبابِ مُدَبَّجاً ، والدهرَ غِرّاً ، والحبيبَ مُواصِلا
أيامَ يَجمعُ للجَمالِ مَحافلاً ، ملءَ العُيونِ ، وللغَرامِ مَحافِلا

---

1 تمتحي : تقتلع الشيء من أصله .

حَرَكاتِ أغصانٍ يُمَيِّلُها الصَّبا   هِيفاً فتَتبعُها القلوبُ مَوائِلا[1]
وفوارغَ الأحشاءِ من بَرحِ الصِّبا ،   يُضْحِي الفَراغُ بهنَّ شُغلاً شاغِلا[2]
رَدَّ الهوَى العُذريُّ فيك رِداءَه   وسُقِيتَ أوبةَ من تَرَحَّلَ عاجِلا
قَصُرَت تَحيَّاتُ الوَداعِ فلم أنَل   إلا مصافحةَ الكَواعِبِ نائِلا
وصلٌ من الأطرافِ لو وُصِلَت به   عُرْفَ السَّوالفِ كان عُرفاً كامِلا
إن كانَ مكذوباً عليه ، فلمْ دعَا   عبدَ السَّلامِ ولم يُحذِّف واصِلا

368

وقال في أبي الحسن علي بن صدقة النحوي بعد موته ينسبه إلى الحياكة . وقال السري حدّثه أبو إسحاق إبراهيم الكاتب أن هذه القصيدة اللامية وأخرى رائية في معناها قد تقدمت في حرف الراء ادعاهما الخالديان فأخذ كل واحد منهما واحدة وسافرا بهما إليه . قال : قلت : الكلام واحد والمعاني قريبة بعضها من بعض وكأنها من كلام رجل واحد : [من المتقارب]

خُطوبٌ تَجورُ ، ولا تَعدُلُ ،   وليسَ لنا دونَها مَوئِلُ
فَلا نحنُ نَغفُلُ عن ذَمِّها ،   ولا هيَ عن ضَيمِنا تَغفُلُ
أَبا الحَسَنِ اختَرَمَتك المنونُ ،   وكانت بمثِلك لا تَحفِلُ
وكيفَ تَخَطَّت إليك الورَى ،   وأنتَ حَضِيضُهمُ الأسفَلُ
تذكَّرتُ إذ أنتَ سِترٌ لَنا ،   وإذ نحنُ حِصنُك والمعقَلُ
وإذ لكَ من قَصَبٍ أسهُمٌ   طِوالٌ ، ومن خَشَبٍ مُنصُلُ
وإذ أنتَ في القُرِّ لا تَصطلي ،   نَشاطاً وفي الحَرِّ لا تَفشَلُ

---

1 الهِيف ، مفردها أهيف : ضامر البطن دقيق الخصر .

2 الصِّبا : الشوق .

تُباكِرُ مُطَّرَداً مَتنُه ، نقيّاً كما اضطربَ الجَدولُ
ومِن فوقِ رأسِك غِرِّيدةٌ صَدُوحٌ كما صَدَحَ البُلبُلُ
ويُمناك تَبْعَثُ في سُرْعةٍ رَسولاً بيُسراك يُستقبَلُ
ورِجلاك تَصعَدُ إحداهما فَوَاقاً ، وإحداهما تنزِلُ
كأنَّكَ لم تَطوِ مَنشورةً ، على أرضِ بَيتِك تُستعملُ
ولم ترثِ للشَّيخِ لمَّا مضَى يَراعاً تُناطُ بهِ الأحبُلُ
ومرهفةٍ حدُّها في الوغَى كَهَامٌ ، وحامِلُها أعزَلُ
تُهانُ إذا صِينَ أَشباهُها ، فلَيسَت تُصانُ ولا تُصقَلُ
فطالَ النَّديمُ ولو يَستطِيعُ بكَى الوَردُ والدَّنُّ والمِبذَلُ[1]
وكُنتَ تُشاهِدُه فاعلاً ، غَداةَ الصَّبوحِ كما يَفعَلُ
أقولُ وَنَعْشُكَ فَوقَ الرِّقابِ : بمِثلِك يَحتَفِلُ المَحْفِلُ
تَمَلَّ الجديدَ الذي شِئتَه ، فمازِلتَ في خَلَقٍ تَرفُلُ
وجادَت ثَراكَ ، على بُخلِ من يَحِلُّ به ، ديمةٌ تَهطِلُ
فإنَّك مِن معشرٍ فضلُهم قديمٌ ، وإيمانُهم أوَّلُ
لَهم بالصناعةِ ، لا بِالصَّنِيـعِ سِترٌ على غيرِهِم مُسبَلُ

369

وقال يمدح أبا المظفر حمدان بن ناصر الدولة ويهنئه بزواجِه : [من الكامل]

سَعدٌ حُبيتَ بِهِ ، وجَدٌّ مُقبِلُ ، وسعادةٌ تَصفو عليك وتكمُلُ
ومسرَّةٌ قُرِنَت بشملٍ جامعٍ ، فَسَمَت جَنوبُ رياحِهِ والشَّمأَلُ
ظَفِرَت يداك أبا المظفر ، بالتي كانَ الزمانُ بها يَضَنُّ ويَبخَلُ

---

1 المِبْذَل : الثوب .

جاءتك ، وهيَ عَقيلةُ الصَّدَفِ التي ، أضحَى لها من لُجِّ بَحرٍ مَعقَلُ[1]
زُفَّ العَفافُ إلى العَفافِ ، ولم يكُن شرفُ الفَضِيلةِ فائتاً من يَفضُلُ
كَرَمٌ تَشعَّبَ سَيلُه ثم التقَى ، إذ لم يكن عن مُلتقاها مَعدِلُ
وبناتُ عمٍّ المرءِ خيرُ نسائِه ، إنَّ الكريمَ إلى الكريمةِ أَمْيَلُ
فالمجدُ عِندَهما ضَحوكٌ مُسفِرٌ ، والنسلُ بينَهما مُعِمٌّ مُخوِلُ
فرعانِ ضَمَّهما الظِّلالُ المُرتضَى ، في العِزِّ ، والشرَفُ الرفيعُ الأطولُ
يا غُــرَّةَ الأُمَراءِ إنَّ زمانَنــا ما عِشتَ في الدُّنيا أَغَرُّ مُحجَّلُ
أنتَ الحيَا الجَوْدُ الذي آفاقُه تَنهلُّ بالمعروفِ ، أو تَتَهَلَّلُ[2]
عَلِمَت ربيعةُ أنَّكَ العَلَمُ الذي يَهدي إلى سُنَنِ النَّدى من يَجهَلُ
الكوكبُ الفَرْدُ الذي يُسرَى به ، والليلُ مُعتكِرُ الجوانبِ أَلْيَلُ
والمُبتَني الشرفَ الذي لا يَنثني ، الحاملُ العِبءَ الذي لا يُحمَلُ
إن حلَّ فهو من الجلالةِ مَحفِلٌ ؛ أو سار ، فهو من الشَّهامةِ جَحفَلُ
يُلحَى على البُخلِ الرجالُ ، وإنّما يُلحَى على كَرَمِ الفِعالِ ويُعذَلُ
والجورَ يَكرهُ غيرَ أنَّ يمينَه أبداً تجورُ على اللُّهى فتُقَبَّلُ
لمَّا ذكَرتُ الحادثاتِ بذِكره ، جاءَت إليَّ صُروفُها تَتنصَّلُ
هُنِّئتَ ما أُعطيتَه من نِعمةٍ غَرَّاءَ تَحسُنُ في العُقولِ وتَجمُلُ
فكأنَّني بك بين نسلٍ طاهرٍ تَردي أمامَك في الحديدِ وتَرفُلُ
كالبدرِ حفَّته كواكبُ أُفقِه ، والليثِ تَخطِرُ في حِماه الأشبُلُ
ما جَمَّلَتكَ مدائحي لكنَّها أضحَت بذِكرِكَ في الورَى تَتجمَّلُ
عادَت بمدحِك مَعلَماً ، ولقد تُرى من قبلِه ، وكأنَّما هي مَجهَلُ

---

1 أراد بعقيلة الصدفة : اللؤلؤة .

2 الحيا : المطر . الجود : الغزير .

أنتَ الحُسامُ فِرِندُهُ في مَتنِه ... مُتردِّدٌ ويـدُ المدائـحِ صَيقَلُ
فاسلَم لكلِّ فضيلةٍ تَعلو بها ... ما ليس يعلوه السِّماكُ الأَعزَلُ
متجنباً خَطَلَ الكلامِ كأنّـما ... بُعِثَ البـعيثُ له وعاشَ الأخطَلُ[1]
فكأنَّه سيفٌ بِكَفِّك مُنتضًى ، ... وكأنَّه عِقدٌ عليك مُفصَّلُ

370

وقـال يمدح باروخاً التركي[2] وقد فصد ويتنجزه رسماً كان له عليه :
[من البسيط]

حِمى الأَميرِ أمانُ الخائفِ الوَجِلِ ، ... وراحتاه حياةُ السَّهلِ والجَبلِ
هُوَ الجـوادُ الذي لولا مكارِمُه ... لم يُعرَفِ الجُودُ في الدنيا ولم يُنَلِ
يا أوسعَ الناسِ صَدراً يومَ مَلحَمةٍ ، ... وأضربَ الناسِ فيها هامةَ البَطلِ
فُصِدتَ ، والسعدُ في أعلى مطالِعه ، ... مُقابلٌ منك سَعداً غيرَ مُنتقِلِ
يدُ السَّماحِ جَرى منها سَحَابُ دمٍ ، ... وكم لها من سَحابٍ في النَّدى خَضِلِ
مُورَّدُ السَّيلِ يُضحي من تَنسُّمِه ، ... لطيبِه عن جَنِيِّ الوَردِ في شُغُلِ
كأنَّما خاضَتِ الريحُ العبيرَ به ، ... أو صَافَحت زَهَرَ الحَوذانِ والنَّفَلِ[3]
فإن يكُن نالَ منكَ الفَصدُ ما عَجِزت ... عنه الكُماةُ بحدِّ البِيضِ والأَسَلِ
فما على كَفِّك الآسي بِمِبضَعِه ... أنحَى ، ولكنّه أنحَى على الأَملِ[4]
وإن يكُن مسَّها من جرحِه أَلَمٌ ، ... فطالما أَلِمَت من كَثرةِ القُبَلِ
لا تكذِبنَّ ، فلو جاز الفِداءُ لها ... من الحديدِ فدَاها الناسُ بالمُقلِ

---

1 الأخطل والبعيث : شاعران من العصر الأموي مشهوران .

2 هو أحد موالي ناصر الدولة الحمداني .

3 الحوذان والنفل : ضربان من النبات طيّبا الرائحة .

4 الآسي : الطبيب .

ما بالُ رسميَ من جَدْوى يَديك عَفا ، فصارَ أوضحَ منه دارسُ الطَّلَلِ
لقد تجاوزْتَ بي وقتي ، وأيُّ حياً في غيرِ إبَّانِه يَشفي من الغَلَلِ
وقد تَمَهَّلْتَ شَهراً بعدَه كَمَلاً ، وإنَّما خُلِقَ الانسانُ من عَجَلِ[1]

371

وقال يداعب : [من السريع]

أصبحتَ فَرداً ، يا أبا جَعفرٍ ، لا سَلَفٌ دانٍ ، ولا نَسلُ
فأنتَ كالكَمأةِ مَجنِيَّةً ، ليسَ لها فَرعٌ ولا أصلُ

372

وقال يصف الشمعة : [من مجزوء الرجز]

مَفتولةٌ مجدولةٌ ، تحكي لنا قَدَّ الأَسَل
كأنَّها عُمرُ الفَتى ، والنارُ فيها كالأَجَل

373

وقال للشمشاطي وقد ادَّعى شعره : [من الطويل]

رمى اللهُ رِئبالَ القَريضِ بِرِئبالِ ، ومغتالَ ما حبَّرتُ منه بِمُغتالِ[2]
حجَبتُ عن الأَسماعِ منه بَقيَّةً مقيَّدةً عن كلِّ حَلٍّ وتَرحالِ
وأطبقتُ إشفاقاً عليه حِقاقَه ، فصارَ ، وما أرخَصتُ من حَلْيِه ، غالي
وحذَّرني أن يُستباحَ حريمُه ، تذكُّرُ بيتٍ يَقطعُ الأرضَ جوَّالِ

---

1 الكَمَل : الكامل .

2 الرئبال : الأسد ، والذئب .

أَلاَ يَحبِسُ الشيخُ الغَيورُ بَناتِه ، مخافةَ جِنِّيٍّ الشمائلِ بطَّالِ

374

وقال يهجو رجلاً بخيلاً : [من الكامل]

لي من عُبَيدِ اللهِ خُلٌّ ما أَرى في جاهِهِ طَمَعاً ، ولا في مالِه
كَم جاهلٍ بالأمرِ حاولَ نَيلَه ، فرأى مَنالَ النَّجمِ دونَ مَنالِه
قد قلتُ للضَّيفِ المُقِيم بدارِه ، لمّا شكَا ، لك أُسوةٌ بِعيالِه
دارٌ عَدِمتُ الخيرَ يَقظاناً بها ، فَرقدتُ كي أحظَى بطَيفِ خيالِه

375

وقال : [من الخفيف]

هل سبيلٌ إلى تقاصُرِ ليلٍ ، غابَ عني الحُسينُ فيه فَطَالا
وصَلَتْني به طوارقُ هَمٍّ ، أَعدَمَتني من السرورِ مَنالا
بنديمٍ يواصلُ الصَّمتَ لاَ يسـ ـأَلُ عنَّا ، ولا يُجيبُ سؤالا
فكأني مُنادِمٌ منه ، لولا حركاتٌ من جِسْمِه ، تِمثالا

376

وقال يصف الثلج : [من الوافر]

أَفِقْ من سَكرةِ الأمَلِ المُحالِ ؛ ومِن ديباجةِ العَرَضِ المُزالِ
ولا تَجزَعْ لِمَيلِ الدهرِ ، إني أُؤمِّلُ أن يعودَ إلى اعتدالِ
سكَنْتُ إلى الرحيلِ وكيفَ أُثوي بأرضٍ لم تكُن مَلقَى رِحالِ
أُلِمُّ برَبعِها حَذِراً ، فألقَى مُلِمَّ الشَّيبِ في لِمَمِ الجِبالِ

تلألأتِ الرُّبى لمَّا علاَهَا ، كأنَّ على الرُّبى أثوابُ آلِ
كأنَّ ذُرَى الغُصونِ ، لَبِسنَ منه حِلَى الكافورِ ، ربَّـاتُ الحِجالِ
تجولُ العينُ فيه ، وهو فيها كشُهْبِ الخَيلِ ، رُحنَ بلا جِلالِ
وأُسدٍ من أُسودِ الراحِ تَسطُو شَمائلُهـا على أُسدِ الشَّمالِ
وساقٍ كالهِلالِ يُديرُ شمساً على النَّدمانِ في مِثلِ الهِلالِ
يُخَطُّ له بمِسكٍ صَولجانٌ فتَلهَبُ ، فوقَ وجنتهِ بخالِ[1]
ترَى الأقداحَ من بِيضٍ خِفافٍ يُصرِّفُها ، ومن حُمرٍ ثِقالِ

377

وقال يمدح الوزير أبا محمد المهلبي[2] : [من الكامل]

يَأبَى إذا خطَرَ العقيقُ ببالِه إلا اطِّراحَ العَذلِ من عُذّالِه
قَسَمَ الدّموعَ على المنازلِ عالماً ، أنّ الجوى فيهِنَّ من أنذالِه
وَهُوَ الكَثِيبُ تلاعبَت أيدي النَّوى بكثيبِـهِ وقضيبِـه وهِلالِـه
رَاحُوا به واللّحظُ يقدَحُ جُرأةً ، فيكرُّ بينَ حُجولِه وحِجالِه
والشّوقُ ينثُرُ دمعَه في خَدِّهِ ، فيقَرُّ ، أو يَجري على جِريالِه[3]
يا دارُ ! جادَ بها الفِراقُ جَمالَها ، فغدا وراحَ على ظُهورِ جِمالِه
ما بالُ رِيمِكِ لا يُتاحُ لِقاؤُه ، لمُحبِّه إلا غـداةَ زِيالِـه

1 الصولجان : عصا معقوفة الرأس . تَلْهَبُ ، من لَهَبَتْ النار : اشتعلت خالصةً من الدخان . استعار اللهب للخال : وهو الشامة في الخد أو في غير مكان من الجسم ، والخال كذلك : البرق .

2 أبو محمد المهلبي : هو الحسن بن محمد ، وزر لمعز الدولة بن بويه وللمطيع العباسي . اشتهر بحزمه وكرمه .

3 يَقَرُّ : يثبت ويسكن . الجريال : الخمرة .

فسُقيتِ رَجعَ حُدوجِه ، وسقَى الحيا محتلَّهُ ، وسُقيتُ عَودَ وِصالِه[1]
ورقيقةٍ كالآلِ نادمني بهـا كِسرى فرُحتُ كأنَّني من آلِه[2]
ألقاه إمَّا حَاسِراً لصَبوحِـه فيها ، وإمَّا دارعاً لقِتالِه
وأراه ساقَ لنا أداةَ شَمولِه مجموعـةً بيمينِـه وشِمالِـه
أو نابِـلاً لمّا تَكامَلَ نَزعُـه لم تتَّصل أغراضُه بنِبالِه
أتُراه صانَ عن الرَّمِيَّةِ سَهمَه ، أم رأفةٌ مَنَعته عن إرسالِه
عصرٌ مَزَجتُ شَمائلي بشَمولِه ، وظِلالُـه ممـزوجةٌ بشَماله
حتَّى حَسِبتُ الوَردَ من أشجارِه عَبِقاً ، أو الرَّيحانَ من آصالِه
وكأنني ، لمّا ارتديتُ ظِلالَه ، جارُ الوزيرِ المُرتدي بظِلالِه
الواترِ الأموالِ يومَ عَطائِه ، والنافضِ الأوتارِ يومَ نِزالِه
مَلِكٌ تُحاذرُه الملوكُ ، فمُمسِكٌ بحبالِه ، أو هالكٌ بِصِيالِه
أموالُه في السِّلمِ من أنفالِها ، ونفوسُها في الحربِ من أنفالِه
صُقِلَ الزمانُ ، فعادَ في أيامِه كالبُردِ في تفويفِه وصِقالِه
إن كنتَ تشتاقُ الحِمامَ ، فعادِه ؛ أو كنتَ تختارُ الحياةَ فوالِه
يُعطِيك ما يُعطيه كرُّ جيادِه وشَبا أَسِنَّته وحَدُّ نِصالِه
حملَ القنَا فاهتزَّ في مُهتزِّهِ طرَباً له ، واختالَ في مُختالِه
فأرى العدوَّ نقيصةً في عُمرِهِ ؛ وأرَى الصديقَ زيادةً في حالِه
بوقائعٍ للبأسِ في أعدائـه ووقائـعٍ للجـود في أمواله
عَذَلوه في الجَدوَى ، ومَن يَثنِي الحيا ، أم من يَسُدُّ عليه طُرْقَ سِجالِه
متشابهُ الطَّرَفينِ أصبحَ عمُّه في ذُروةٍ لم تَعْدُ ذُروةَ خالِه

---

1 الحدوج : الأحمال ، ويريد ما تركب فيه النساء على البعير كالهودج .

2 أراد بكسرى : كأساً عليه صورة كسرى .

شرَفٌ أطالَ قَنا المُهلَّبِ سَمْكَه ، حتى أظلَّ وعمَّ في إظلالِه[1]
فإذا بدَت زُهْرُ الكواكبِ حولَه ، كانَت عمائمُهنَّ من أذيالِه
راحَ المُغِيرةُ ، وهو من أجوادِه ، وغَدا قُبَيصةُ وهو من أبطالِه
غارَت صدورُ رِماحِكم بصُدورِه ، والناسُ مشترِكون في أكفالِه[2]
أما السَّماحُ ، فقد تبسَّمَ نَوْرُه ، بعدَ الذّبولِ ، وعادَ نُورُ ذُبالِه[3]
أطلقْتَ من أغلالِه وشَفَيتَ من أعلالِـه وفتحـتَ من أقفالِه
إنَّ الوزيرَ دَعا إلى غَمرِ النَّدى من كان موقوفاً على أوشالِه
أُثني عليه ثناءَ رَوضٍ هَزَّه سَيلُ الحيا فاهتزَّ في إسبالِه
وأقولُ للسَّاعي لِيُدرِكَ شأوَه أنتَ الجـوادُ ولستَ من أشكالِه
كَمَلَتْ مَناقبُه فلو زادَ امرؤٌ بعدَ الكمالِ لزادَ بعدَ كمالِه
وغَدَت خَلائقُه أحَقَّ بمنطِقي ، فمزَجتُ صفوَ زُلالِها بزُلالِه
أُهدي له ما رَقَّ من أفوافِه ، وأُبيحُه ما رَقَّ من سَلسالِه[4]
ويقولُ لي قومٌ : فَضَلْتَ ، وإنّما فَضلُ الثَّناءِ عليهِ من إفضالِه[5]
لا حمدَ لي إن راحَ دُرُّ مدائحي عِقداً ، وقد فصَّلتُه بخِلالِه

378

وقال يصف العربة : [من المتقارب]

وسوداءَ آبِقَةٍ قُيِّدَت ، فَمِنْ كلِّ وَجهٍ لها حَائلُ

---

1 السَّمْك : العلو والارتفاع .
2 لعله أراد بهذا البيت أنهم يغيرون على نواله .
3 الذّبال ، مفردها ذُبالة : فتيلة القنديل .
4 السَّلْسَال : الماء العذب ، الخمر اللينة .
5 فضلت : زدت في مدحك .

توسَّطَتِ البحرَ ، حتَّى نأى على من أقامَ بها السَّاحلُ
وحنَّتْ إلى البَرِّ مشتاقةً إليه ، كما حنَّتِ الثاكِلُ
ودَارٌ لها فلَكٌ خارجٌ يدورُ به فَلَكٌ داخلُ
فسُكَّانُها ، الدهرَ ، من نَفعِها شبابٌ ، وشَيبُهمُ كامِلُ
إذا رامَها فارسٌ نالَها ، ويعجَزُ عن نَيلِها الرَّاجِلُ

379

وقال يرثي غلاماً صُلب وقد تقدم ذكره : [من الوافر]

بمَن تَسطُو الصَّوارِمُ والعَوالي ، وقد غَالَتْكَ أَحداثُ اللَّيالي
وأومضَ ناجِذاك بلا ابتسامٍ ، ومُـدَّت رَاحتـاك بـلا نَوال
أحَدَّ الطيرَ شِلْوُكَ ، وهو بادٍ ، لمُخترِقِ الجنائبِ والشَّمال[1]
تمُرُّ بهِ ، ولا تَعلُو عليه حياءً من كريماتِ المعالي

380

وقال يهجو رجلاً بخيلاً : [من المتقارب]

قَبِلْتُ على الكُرهِ نَيلَ البخيلِ ، وقُلتُ : قليلٌ أَتَى من قليلِ
تعجَّبتُ لمّا ابتدا بالجميلِ ، وما كانَ يَعرِفُ فِعلَ الجَميلِ
وأطلعَ لي كوكباً كالسُّها ، قليلَ الضِّياء سريعَ الأُفولِ[2]
وما كانَ إعطاؤه سُؤدُداً ، ولكنَّهـا غَلطـةٌ من بَخيلِ

---

1 أُحَدّ الطير : كفّها ومنعها . الشِّلْو : العضو ، يريد به هنا الجسم .

2 السُّها : كوكبٌ خفيّ يمتحن الناس به أبصارهم .

381

وقال يمدح سيف الدولة ويعتذر إليه : [من الخفيف]

حُرَقٌ تَمترِي الدُّموعَ سِجالا　　وخَيالٌ يزورُ وَهْناً ، خَيالا[1]

عَذَلوني ، وليس يُرضِي التَّصابي　　عاشقٌ ليسَ يُسخِطُ العُذَّالا

لا عَدِمتُ الهَوى الجديدَ وَإنْ جَدْ　　ـدَدَ في القَلْبِ لَوعةً وخَبالا

شغَلَتني الدموعُ فيه ، فما أُعـ　　ـرفُ إلا بفَيضِهِنَّ اشتِغالا

بقضيبٍ يَهُزُّ قلبي ، اذا اهتزْ　　ـزَ وطَوراً يُميلُه كيفَ مَالا

وهِلالٍ دَعَته داعيةُ البَيـ　　ـن ، فأضحى من البُعادِ هِلالا

أَحْسَنَتْ غُربةُ النَّوى وأساءَت　　منْظَراً يومَ بَينِهم وفِعالا

كِلَلٌ لا تُحَطُّ عن أَظهُرِ العِيـ　　ـس وعيسٌ لا يشتكِينَ الكَلالا[2]

ونَوىً يَترُكُ الغَليلَ مُقيماً　　بِمَهاً تَبعَثُ الدموعَ عِجالا

لستُ أرعَى الهوى المَصونَ ، إذا لم　　يكُ دمعي ، ما عشتُ ، فيه مُذَالا

كلَّ يومٍ نَشيمُ بالشامِ غَيثاً　　مُقبِلاً ، نرتَجي به الإقبالا

فإذا اختالَ للرِّكاب وللرُّكـ　　ـبانِ ساروا إلى نَداه اختيالا

ذكَروا مَعقِلَ السَّماحِ ، فحلُّوا　　عُقُلَ العِيسِ ثُمّ شَدُّوا الرِّحالا

وصَلُوا السَّيرَ بُكرةً وأُصيلاً ،　　رَمَلاً يقطعُون فيه الرِّمالا[3]

عُلَّ ، مِن نائلِ الأميرِ عليٍّ ،　　مَن غَدا منهمُ يَرومُ النَّوالا

مَلِكٌ حازَ قِمّةَ الفَخرِ لمّا　　عُدَّ للفَخرِ مِن عديٍّ رِجالا

---

1 وهناً : ليلاً .

2 الكِلَل ، مفردها كِلّة : الستر الرقيق ؛ الحدقة الحمراء في رأس الهودج ، ويريد هنا الهودج .

3 الرمل : ضرب من السير السريع .

أصبحُوا في النَّدى غُيوثاً ، وفي الرَّو ... عِ لُيوثاً ، وفي الحُلومِ جِبالا

لَحَظَ الشرقَ عادلٌ منه يَهدي ... لقناةِ الإسلامِ فيه اعتِدالا

وهُمامٌ يُرضِـي السيوفَ ، إذا هَمْـ ... ـمَ بأمرٍ ، ويُسخِطُ الأَموَالا

سارَ يُهدي ، مع الشَّمالِ ، إليه ... أَرَجاً طيِّبَ الصَّبا والشَّمالا

مَلِكٌ طاعَه الحُتوفُ فلو شا ... ءَ لَبثَّ الحُتوفَ والآجَالا

وَثَنى خيلَه إلى الغَربِ سَعياً ... لابساتٍ من العَجاجِ جِلاَلا

فأحَلَّ الصُّدورَ منها لصَدرِ الرُّ ... ـرُمحِ بأساً ، وحَرَّرَ الأكفَالا

يا مُجيبَ الإسلامِ حينَ دعَاه ، ... ومُقِيلَ الإسلامِ حينَ استقَالا

وعَدَ الرومَ سيفُ بأسِك وَعْداً ... عَدِموا الخُلفَ بعدَه والمِطالا

نَزَلوا مَنزِلاً من الحَيْنِ ضَنكاً ، ... فجعلتَ الرَّدى لهم أُنزالا[1]

وَتبوَّأتَ بالشّآمِ مَحَلّاً ، ... كلَّ يومٍ يزدادُ منك جَمالا

وطَنٌ مُشرِقُ الفَضاءِ ورَوضٌ ... مُستظِلٌ من الغُصونِ ظِلالا

نِلتَه ، إذ غدَت رماحُك سُوراً ... حولَ سُورٍ له أبَى أن يُنالا

دائرٍ لا يَخافُ دائرةَ السُّو ... ءِ إذا اغتالَه العَدوُّ اغتِيالا

بِبُروجٍ وُصِلنَ بالماءِ في الأر ... ضِ ، وأُلحِقنَ بالسماءِ اتِصالا

فَهْيَ مثلُ السَّحابِ عانَقتِ الأُفْـ ... ـقَ ، وجَرَّت على الثَّرى أذيالا

وقِلاعٍ مثلِ الهوادجِ حُسناً ، ... جاعِـلاتٍ مَطِيَّهـا الأَجيَالا

وإذا اختالتِ السَّحابُ عليها ، ... خِلتَـه كِلَّـةً لهـا وحِجالا

كلُّ ملمومةٍ متى ظنَّ طاغٍ ... أنها مَعقِـلٌ رآهـا عِقالا

مُشرِفاتٌ على البُحورِ تَرَاهُنْـ ... ـنَ يميناً من دُونِها وشَمالا

لامعاتٌ كأنَّـها الشمسُ أجرَت ... ذَهباً ذائباً عليها ، فَسَالا

---

1 الأنزال : ما يُهَيَّأ للضيف .

وكأنَّ العيونَ تَلحَظُ مِنْهُنْـ ـنَ عذارَى تبرَّجَت أَشكَالا
حُرُمٌ لامرئٍ حِمَاه ، وإن كا نَ دمُ الناكِثِينَ فيه حَلالا
قَصَدَتني على البُعادِ يداه ، بأيـادٍ تُفيـدُ جَاهـاً ومَالا
فَبِها عُدتُ أنضَرَ الناسِ عُوداً ؛ وبِها صِرتُ أحسنَ الناسِ حَالا
أطلَقَت بالثَّناءِ فيه لِساني ، فارتَجلتُ الثناءَ فيه ارتِجالا

382

وقال في رجل من شعراء بغداد : [من الكامل]

وُصِفَ ابنُ يُوسفَ لي بكلِّ فَضيلةٍ ، ورأيتُه ، فرأيتُ منه أَثوَلا[1]
ساءَلتُه عَن عِلمِه ، فكأنَّما ساءلتُ عن سُكَّانِه رَبعاً خَلا
وعَجِبتُ من وَسَخٍ على أطرافِه ، لو أُعمِلَت فيه المباردُ ما انجلَى
هذا الأديبُ برُغمِ أهلِ بلادِه ، والشاعرُ الداعي إلى سُنَنِ العُلا
ويقال : إنَّ الشيخَ يأكلُ دائباً عَضَلاً يُداوي منه خَطباً مُعضِلا

383

وقال يمدح أبا إسحاق إبراهيم بن هلال الصابي الكاتب المشهور : [من الكامل]

وَهي الشُموسُ فإنْ رأينَ طَوالِعا يَضحكْنَ في الفَودَين عُدن أوافِلا
وَلَطالَما عَقَلَ الشبابُ شَوارداً منهنَّ لي في ظِلِّه وعَقائِلا
يَمسحْنَ جَعدَ غَدائري ، وكأنَّما يَمسَحْنَ بالمِسكِ الذكيِّ سَلاسِلا
بيني وبينَ الجاهلَينِ ضَغائـنٌ ، خُزرُ النَّواظِرِ يقتضين طوائلا[2]

---

1 الأثول : المصاب بالجنون .
2 يريد بالجاهلَيْنِ : الخالديَّين .

فَلَئِنْ عفوتُ لأُسْدِيَنَّ عَوارفاً ؛ وَلَئِن سَطوتُ لأُسدِينَّ زَلازِلا
صَهَلا بشِعري مُقرفَين فكُذِّبا ، إنَّ المَقارِفَ لا يَكُنَّ صَواهِلا
وتَناهبا منه دمي فرَجَعنَ دا ميةَ النحورِ عواطِلا[1]
في غارةٍ لم تَسقِ ظَمآنَ الثَّرى عَلَقاً ولم تُغشِ السَماءَ قَساطِلا[2]
كانَت لأشرافِ الملوكِ حَلائِلاً ، فغدَت لأَنباطِ العِراقِ حَلائِلا[3]
الدّهرُ يعلَمُ أنني زاحمتُه بأشدَّ منه في الشّدائد كاهلا
وهَزَزْتُ إبراهيمَ فيه ، وإنَّما أعملتُ فيه مُهَنَّداً ، أو عَامِلا
والسيفُ ليسَ تَهُزُّه يدُ فارسٍ ، إلا إذا كان الحُسامَ القَاصِلا
رَدَّ السماحَ أنيقةً أيامُه ، حتَّى اشتبهنَ أَواخِراً وأَوائِلا
وأَحلَّه الشرفُ الرفيعُ هِلالَه ، فغَدا وراحَ به هِلالاً مَاثِلا
بحرٌ لَقِيتُ نَوالَه ، فتلاعَبتْ بيَ غَمرةٌ لم أَلْقَ فيها سَاحِلا
وفتىً ، إذا هَزَّ اليَراعَ حَسِبْتَه لِمَضاءِ عَزمتِه ، يهزُّ مَناصِلا
من كلِّ ضافي البُردِ ينطِقُ راكباً بلسانِ حامِلِه ، ويَصمُتُ رَاجِلا
وأَرى الدروعَ معاقلاً فإذا انتقى آراءَه يوماً ، فلسنَ مَعاقِلا
يرمي الخُطوبَ بصائباتِ عَزائمٍ أضحَت لها جُنَنُ الخطوبِ مَقاتِلا
ولكم شجاعٍ في النوائبِ لم يكن لحمائلِ السيفِ المهنَّدِ حَامِلا
فرَضَت عليه المكرُماتُ فَرائضاً ، للمَجدِ أدَّاها ، وزادَ نَوافِلا
لولاه طالَ على المدائحِ أن تَرى طَولاً تلوذُ بظِلِّه أو طائِلا[4]
فإذا لَقِيتَ أخا المكارمِ قائلاً لم تَلقَ إبراهيمَ إلاّ فاعِلا

---

1 عجز البيت ناقص .
2 العَلَق : الدم .
3 الحلائل ، مفردها حليلة : الزوجة .
4 الطول : القدرة . الطائل : صاحب الطول .

وإذا السحابُ رأَت أناملَ كَفِّهِ تَنهلُّ ، ودَّت أن تكونَ أنامِلا
كَم روضةٍ للمَجدِ زاهرةِ الرُّبا ظَمِئَت إليك فكنتَ غَيثاً هَاطِلا
لمّا تَبَسَّمَ في فَنائِك نَورُها ، أجريْتَ بالمعروفِ فيه جَداوِلا
فاضَت عليَّ سِجالُ كفِّك بالنَّدى ، حتى ظَنَنتُك بالغَمامِ مُساجِلا
فوَقفتُ نفسي عن سِواك ومَنطِقي ؛ إن المَطَالِبَ يَختَلِفنَ مَنازِلا
للهِ أنتَ إذا بَرقْتَ لآملٍ ، وسَقَيتَ أخلافَ السَّحابةِ آمِلا[1]
أخلَفتَ سَحبانَ الفَصاحةِ وعدَه ، وغَدوتَ تُؤثِرُ بالعِنايةِ باقِلا[2]
حلَّيتَ بعضَ الناسِ من ألفاظِه حَلياً يروحُ به المُحلَّى عاطِلا
وَحَرَمْتَهُ الراحَ التي رَوَّقْتَهـا ، وسقيتَه بالكُرهِ سُماً قاتِلا
والخَصمُ يعجَزُ عن جِدالِك هيبةً ، حتى يَنوبَ الشعرُ عنه مُجادِلا
فيكونَ طَوراً في مديحِك صادقاً ، ويكونَ طَوراً في عِتابِك عاذِلا
ومِنَ العَجائِب أن تَراه هَواجِراً ، ولقد بعثتُ به إليك أصائِلا
لا تأنَفنَّ من العِتابِ وَقَرصِه ، فالمِسكُ يُسحَقُ كي يَزيدَ فَضائِلا
ما حُرِّقَ العُودُ الذي أشبهتَه خطأً ، ولا غُمَّ البَنفسجُ باطِلا[3]
حاشاكَ أن يلقَى القريضُ سَمائماً ، ونَداك يَلقـاه صَباً وشَمائِلا
ما كنتَ إلا السَّمهريَّ هَزَزْتَه ، فوجدْتُـه لَـدنَ المهزَّةِ ذَابِلا
بغرائبٍ مثلِ السيوفِ إضاءةً ، وجَدَت من الفِكرِ الدِّقاقِ صياقِلا
فلو استعارَ الشيبُ بعضَ جمالِها أضحَى إلى البيضِ الحِسان وَسائِلا
جَاءَتكَ بين رَصينةٍ ودَقيقةٍ تُهدي إليك مَطارِفاً وغَلائلا

---

1 الأخلاف ، مفردها خِلْف : ما يُنبته الصيفُ من العشب .

2 سحبان وائل : أحد خطباء العرب اشتهر بفصاحته . باقل : رجل عيّ ضرب به المثل .

3 غم : غطى ، ستر .

384

ووجدت في التاجي أبياتاً للسري نسختها : [من الكامل]

نَطَقَت بِفضلِ أبي شُجاعٍ آيةٌ   وَسَمَت مَفاوزَ أرضِه بجَداولِ[1]

وَطِيءَ الصَّفا طيا آن فاغتدَى   ريّانَ يَضْحَكُ عن صَفاءِ مناهِلِ[2]

واستنبطَ الشُّربَ الذي غَنِيَت به   شِيرازُ عن صَوبِ الغَمامِ الهاطِلِ[3]

هيَ آيةٌ لك ذاعَ من إعجازِها   ما ذاعَ مِن مُوسَى الكليمِ الفاضِلِ

ورِدٌ شَفَيْتَ به البلادَ مِن الصَّدَا ،   وشَمِلْتَها منه بريٍّ شامِلِ

وَهُدِيتَ منه لنعمةٍ مَكنونةٍ ،   فأَثَرْتَها مِن تُربةٍ وجَنادِلِ[4]



1 وسمت : عَلَّمَتْه ، ووسم الوسميُّ ، أي أول مطر الربيع ، الأرضَ : أصابها . الجداول ، مفردها جدول : النهر الصغير . المفاوز ، مفردها مفازة : الفلاة لا ماء فيها .

2 صدر هذا البيت فيه تحريف جعله مختلاً وغامضاً .

3 استنبط الماء : استخرجه . الشرب : أراد ماء الشرب . شيراز : مدينة مشهورة .

4 الجنادل : الصخور ، مفردها جندل .

قافية الميم

385

وقال يمدح سيف الدولة ويذكر موافاة أخيه ناصر الدولة بحلب ودخول الديلمي الموصل : [من الطويل]

مَحَلُّكَ مثلُ الغابِ ليسَ يُرامُ ، وجارُك مثلُ النجمِ ليسَ يُضامُ[1]
وغَيمُك ذو بَرقَينِ ينهلُّ عنهُما دمٌ ليسَ يَرقَى صوبُه وغَمامُ[2]
أقمنا نَرى روضَ المحامدِ يُجتلَى عليكَ ، وآفاقُ السماحِ تُغَامُ
فنحنُ حَلالٌ في حَريمِك للغِنى ، ونحنُ على الأيَّامِ فيه حَرامُ
بكَ انتظمَ المجدُ الشَّتِيتُ ، وإنما مَساعيك للمَجد الشتيتِ نِظامُ
رميتَ فأصمَيتَ العدوَّ ولم يَزَل لبأسِك في حَبّ القلوبِ سِهامُ[3]
فأغراضُك اللاتي تُصابُ مَقاتِلٌ ، وأسهُمُك اللاتي تُصيبُ حِمامُ
رأى من أخِيكَ الشامُ أكرمَ شيمةٍ ، وأصدقَ برقٍ في المُحولِ يُشامُ
تلاَ قَسَماً في موقِفٍ ظَنَّ أنَّه تلاقَى عليه يَذبُلٌ وشَمامُ[4]
تَحَيَّتْ بريَّا القُربِ منه جَوانحٌ ، وبُلَّ بماءِ الوَصلِ منه أُوامُ[5]
هي الدَّولةُ الغَرَّاءُ شَمَّرَ منكما لَضيمِ عِداها ناصرٌ وحُسامُ[6]

---

1 أراد بالغاب غاب الأسد .
2 يَرْقَى ، مخففة عن يَرْقَأُ الدم : يجف وينقطع .
3 أصمى العدوَّ : رماه فقتله .
4 يذبل وشمام : جبلان .
5 الأُوَام : العطش .
6 أراد بالناصر ناصر الدولة وبالحسام سيف الدولة .

أرى الخائنَ المغرورَ نامَ بأرضِكُم ، كأنَّ المنايا الحمرَ عنه نِيامُ

تَسنَّمَ أعلامَ الديارِ ، وأنتمُ لِمَن حلَّ فيها غاربٌ وسَنامُ

فَشقٌّ على الماضِينَ من عُظَمائِكم ، وهم رِمَمٌ في تُربِها وعِظامُ

مَنازِلُ مرفوعٌ لحاضِرِكم بها قِبابٌ وللبَادي الأغرِّ خِيامُ

تَحِنُّ إلى القَومِ الذين ترحَّلُوا ، وترجُفُ بالقَومِ الذين أقامُوا[1]

تَهلَّلَ منها الغيثُ ، وهي عَوابِسٌ ، وأسفرَ منها الصبحُ ، وهي ظلامُ

فعُودوا ليَحتلَّ النَّدى في خِلالِها ، ويرحلَ لؤمٌ حلَّها ولِئامُ

ولا تُمْكِنُوه من ذِمامِ سُيوفِكم ، فليسَ له عندَ السيوفِ ذِمامُ

فلا صُلحَ حتى تُستطارَ سواعِدٌ ، وتَسقُطَ أيدٍ في اللِّقاءِ وهَامُ

وحتى تَرودَ الشرقَ ذاتُ هَمَائِمٍ يُصرِّفُها ساري الهُمومِ هُمامُ[2]

وتُذكى على الهِرماسِ نارُ قبيلةٍ ، لحُمرتِها في الخافِقَين ضِرامُ

وتَشرَقَ من شرقيِّ دِجلةَ بالقَنا ضَحاضحُ أنتُم سيلُها وإكامُ[3]

وَتقرُبَ من آجامِها الأُسدُ عَنوةً ، فتَقتَحِمَ الآجامَ وهي كِرامُ

وتَلفَحَه ريحُ الأراقِمِ ، إنَّها سَمومٌ على أعدائِها وسِمامُ

فَتغبرَّ من تلك الفِجاجِ مَواقِفٌ ، وتحمرَّ من تلك المياهِ جِمامُ[4]

كأيامِ سيفِ الدولةِ الغرِّ إنّها سِماتٌ على وَجه الزمانِ وشَامُ

فحينئذٍ يَصفُو السَّماعُ لسَامعٍ ، وَينساغُ للشَّربِ العِطاشِ مُدامُ

وإنْ أُحفِظَت منكم أُسودُ حَفائظٍ ، فردُّوا القنا والبِيضَ وهيَ حُطامُ

فإنَّ سِجالَ الدهرِ في الناس قبلَكم ، ولا عَارَ ، نقصٌ مؤلِمٌ وتمَامُ

---

1 ترجف : تزلزل .

2 الهمائم ، مفردها هَمِيمة : مطر لينٌ دقيق القطر .

3 إكام ، مفردها أكمة : التل أو الموضع الذي يكون أكثر ارتفاعاً ممّا حوله .

4 الجِمام ، مفردها جَمّ : معظم الماء .

فطوراً لكم في العَيش رَحبُ منازلٍ ؛ وطَوراً لكم بينَ السيوفِ زِحامُ
وأنتم على أكبادِ قومٍ حَرارةٌ ، وبَردٌ على أكبادِنا وسَلامُ

386

وقال يصف قدراً : [من مخلّع البسيط]

سوداءُ لم تنتسِب لِحَامٍ ، ولم ترُمْ ساحةَ الكِرامِ
كأنما تحتَها ثَلاثٌ مُقرَّباتٌ من الحِمامِ[1]
يلعبُ في جِسمها لَهيبٌ لِعْبَ سَنا البَرقِ في الظّلامِ
لها كلامٌ إذا تَناهَت ، غيرُ فصيحٍ من الكَلامِ
وهي ، وإن لم تَذُق طَعاماً ، مملوءةُ البَطنِ من طَعامِ
لم يخلُ من رِفدِها نَديمٌ يومَ خُمارٍ ، ولا نِدامِ[2]
وَلي إذا الضيفُ عادَ ، أُخرَى مُصرَّعٌ حولها سوامي[3]
عظيمةٌ إن غلَت أذَابت بِغَلْيِها يابسَ العِظامِ
كأنما الجِنُّ ركَّبَتها على ثَلاثٍ من الإكامِ
لها دُخانٌ تَضِلُّ فيه عَجاجةُ الجحفَلِ اللُّهَامِ[4]
كأنما النارُ ألبَسَتها مُعَصفَراتٍ من الضِّرامِ
ولم يَزل مالُنا مُباحاً من غيرِ ذُلٍّ ولا اهتِضامِ
نأخذُ للقُوتِ منه سَهماً ، وللنَّدَى سائرَ السِّهامِ

---

1 أراد بالثلاث : الأثافي .
2 الخُمار : كثرة الناس وازدحامهم .
3 السوام : الماشية من الغنم وغيرها .
4 اللُّهَام : الجيش العظيم كأنه يلتهم كل شيء .

وقال يمدح أبا الهيجاء حَرب بن سعيد بن حمدان : [من الكامل]

أخلِقْ بغَائبِ رُشدِهِ أن يَقدَما ، وبواصلٍ من غَيِّه أن يَصرِما
وبما تساقطَ من زِنادِ مَشيبِه ، في حالِك الفَوْدَيْنِ أن يَتضرَّما
مثلَت له مِرآتُه ، فبكَى ، وكم مَثلَت له مِرآتُه ، فَتَبَسَّما
لَحَظَ السَّوادَ مُودِّعاً ، فأنابَه نَعَساً ومالَ على البياضِ مُسلِّما[1]
ما كان أوَّلَ مَن رأَى حَرَمَ النُّهى ، فنضَا بهِ بُردَ الحَرامِ وأحرمَا
أمَّا وحَلْيُ العَارضَينِ ثِقافُه ، فلنَحكُمُنَّ عليه أن يتَقوَّما
كانَ الهَوى صُبحاً بليلِ شَبابه ، فدَجَى بإصباحِ المَشيبِ وأظلَما
والمَرءُ ما وجدَ الشبيبةَ واجدٌ ، مُثرٍ ، فإن عَدِمَ الشبيبةَ أعدَما
ما راعَ أفئدةَ الدُمى بصدودِه عنهنَّ ، إلا وهو من أَرَبِ الدُّمى
هذي الخيامُ ، وذا العقيقُ ولن يُرى أبداً بأفنيةِ الخِيامِ مُخيِّما
ولرُبَّ خيلِ بَطَالةٍ خَلَّيتَها تطأُ الملامَةَ في الهوى واللُّوَّما
ومُعَصفَرِ الخدِّ الأسيلِ صَبَحتُه بمُعَصفرِ الناجودِ يَنضَحُ عَندَما[2]
وأغنَّ دَافعتُ الهَوى بوصالِه ، وشَقِيتُ في حُبِّه كيما أنعَما
يُنمَى العَفافُ إليَّ مُغترِباً كما يُنمَى السماحُ إلى الأمير إذا انتمَى
الآنَ جنَّبني الزمانُ أذاتَه ، وأعاد لي بُؤسي الحوادثَ أنعُمَا
بأغرَّ يمنَحُني السَّبيكَ المُقتَنى ، كرَماً ، وأمنحُه الحَبيكَ المُعلَما[3]

1 أنابه : أقام مقامه ، والمعنى غير واضح .
2 الناجود : الإناء الذي يُجعل فيه الشراب .
3 أراد بالسبيك : الذهب . والحبيك : شعر المدح .

وقَريبِ مَجنَى العُرفِ إلاّ أنَّه ... تَرمي به الهِمَّاتُ أَبعدَ مُرتمَى
تَعتَدُّ نَجدتَه عَدِيٌّ عُـدَّةً ، ... وتخالُه صِيدُ الأَراقمِ أرقَما[1]
كالغَيثِ يُحيي إن همَى والسيلُ يُر ... دي إن طمَى والدهرُ يُصمي إنَ رمَى
شَتَّى الخِلالِ يروحُ إما سالباً ... نِعَمَ العِدا قَسراً ، وإما مُنعِما
مثلُ الشِّهابِ أصابَ فجًّا معشِباً ... بحريقِه ، وأضاءَ فجًّا مُظلِماً
أو كالغَمامِ الجَـونِ إن بعثَ الحَيا ... أحيا ، وإن بعثَ الصَّواعِقَ أضرَما
أو كالحُسام ، إذا تبسَّمَ مَتنُه ... عَبَسَ الرَّدى في حَدِّهِ فتجهَّما
كَلِفٌ بِدُرِّ الحَمدِ يَرُمُّ سِلكَه ، ... حتَّى يُرى عِقداً، عليه منظَّما
ويُلِمُّ مِن شَعَثِ العُلى بشَمائلٍ ... أحلَى من اللَّعَسِ المُمنَّعِ واللَّمَى[2]
وفصاحةٍ لو أنَّه ناجَى بها ... سَحبانَ أو قُسَّ الفَصاحةِ أفحَما[3]
لفظٌ يُريك بديعُه حَلْيَ الدُّمَى ... طَلَقاً ، ونُوَّارَ الرُّبَا مُتبسِّما
يُصغَى إليه مع الظَّما ، فكأنَّما ... يُسقَى به صَرفُ المُدامِ على الظَّما
كم مطْلبٍ قَصُرَت يدي عن نَيلِه ، ... فجعلتُـه سببـاً إليه وسُلَّما
لولاه لم أمـدُد بعارفـةٍ يداً ... تَندَى ، ولم أَفْغَرْ بقافيةٍ فَما[4]
لا يَخطُبنَّ إليَّ حَلْيَ مَدائحي ... أَحَدٌ فقد وجَدَ السِّوارُ المِعصمَا
تلكَ المكارِمُ لا أرَى مُتأخِّراً ... أولى بها منه ، ولا مُتقدِّما
عفوٌ أظلَّ ذوي الجرائمِ ظِلُّه ، ... حتَّى لقَد حسدَ المُطيعُ المُجرِما
وندىً إذا استمطرتَ عارضَ مُزنِه ... حنَّ الحَيا الرِّبعيُّ فيه وأَرزَما[5]

---

1 الأراقم : التغلبيون .

2 اللَّعَس : سمرة في الشفة . اللَّمى : حُمرة أو سمرة في باطن الشفة .

3 سحبان : مرّ ذكره في الصفحة 394 . قس : هو قس بن ساعدة أسقف نجران ، اشتهر بفصاحته في الخطابة .

4 العارفة : المعروف ؛ العطية .

5 أرزم : اشتد صوته .

وَلرُبَّ يـومٍ لاتزالُ جيادُه تَطأُ الوَشيجَ مُخضَّباً ومُحطَّما
معقودةٌ غُرَرُ الجيادِ لنَقعِه وحُجولُها مما يخوضُ به الدِّما
يلقاك من وَضَحِ الحديدِ مُوَضَّحاً طَوراً ، ومن رهَجِ السَّنابكِ أدهَما
وتُريك في عَبَثِ الصِّبا آياتُه طَيراً على أمواجِ بحرٍ حُوَّما[1]
أقدمتَ تَفترِسُ الفوارسَ جُرأةً فيه وقد هاب الرَّدَى أن يُقدِما
والنَّدبُ من لَقِيَ الأسنَّةَ سافراً ، وثنَى الأعنَّةَ بالعَجاجِ مُلَثَّما[2]
إسلَم أبا الهيجاءِ للشرفِ الذي نَجمَت عُلاك به فكانَت أنجُما
وَالْقَ الهوَى غضَّاً بفِطرك ، والمُنى مجموعةً لك ، والسُّرورَ مُتمَّما
حتى تُريك أبا العلاء خِلالُه كأبي العَلاء نجابةً وتكرُّما[3]
قد كنتُ ألقَى الدهرَ أعزلَ حاسِراً ، فَلقِيتُه بكَ صائلاً مُستَلئِما[4]
ما عُذرُ من بَسطَتْ يمينُك كفَّه ألاَّ ينالَ بها السُّها والمِرْزَما[5]
أنتَ السماءُ فَمَن جذبتَ بضَبعِه كان الورى أرضاً ، وكان لهم سَما[6]

388

وقال يمدح أبا محمد عبد الله بن محمد بن الفياض الكاتب بحلب ويذكر داراً بناها بحلب : [من الوافر]

ليالينـا بأحيـاءِ الغَميـمِ ، سُقيتِ ذِهابَ مُذهَبةِ الغُيومِ[7]

---

1 حُوَّمٌ : عِطاشٌ .
2 النَّدْب : السريع إلى الفضائل .
3 أبو العلاء الأول : ولد الممدوح . الثاني : المعرّي .
4 المستلئم : اللابس اللأمة أي الدرع .
5 السهى والمرزم : نجمان .
6 الضبع : العضد ، وأراد بجذبت بضبعه : جعلته في كنفك ، وقوَّيْتَه .
7 قوله أحياء الغميم : لعله أراد موضعاً بعينه . ذهاب ، مفردها ذهبة : المطرة الضعيفة أو الغزيرة .

مضتْ بكِ رأفةُ الأيامِ فينا ، وغفلةُ ذلك الزمنِ الحَليمِ
وغُرَّةُ مُخطَفِ الكَشحينِ يرمي فؤادَ مُحبِّه عن طَرْفِ رِيمِ
وكنّا منكِ في جَنَّاتِ عيشٍ ، وَفَت حُسناً بجناتِ النَّعيمِ
رياضُ محَاسنٍ وسنا شموسٍ ، وظِلُّ دساكرٍ وجَنى كُرومِ
وأجفانٌ إذا لحظَت جُسوماً خَلعنَ سَقامَهن على الجُسومِ
وبينَ ملاعبِ الدَّيْرَيْنِ مَغنًى غَنِيتُ به ودارُ أخٍ حَميمِ
يبيتُ البرقُ يُذكِرُني خِياماً ضُرِبنَ بها على كَرَمٍ وخِيمِ[1]
وساجيةَ الظِّلالِ مُقرِّطاتٍ ظُروفَ الراحِ مِن زَنجٍ ورُومِ
وهل يشتاقُ ظِلَّ الكَرْمِ عافٍ ثَنى عِطْفَيه في ظلِّ الكريمِ
مَحَت رسمَ الكَرى عن مُقْلتَيه رَواسمُ لا تَمَلُّ من الرَّسيمِ[2]
تروم ، وقد فَرَعنَ بنا فُروعاً من الفيَّاضِ طيِّبَةَ الأُرومِ[3]
إذا طافَت بعبدِ الله لاقَت سِماتِ الحمدِ في الوَجهِ الوَسيمِ
أغرُّ تَشُقُّ غُرَّتُه الدَّياجي ، وُضوحَ الصبحِ في الليلِ البَهيمِ
تَقيَّلَ أوَّليهِ ، فجاءَ يجري على نَهجِ السماحِ المُستقيمِ
عَطاءٌ قُدَّ من تلك العَطايا ، وحِلمٌ عُدَّ من تلكَ الحُلومِ
لك القلمُ الذي يُضحي ويُمسي به الإقليمُ محَميَّ الحريمِ
هو الصِّلُّ الذي لو عَضَّ صِلّاً لأسلَمه إلى ليلِ السَّليمِ[4]
دَعا الأطرافَ ، فاجتمعَت إليه كما اجتمَع السُّوامُ إلى المُسيمِ[5]

---

1 الخيم : الطبيعة والسجية .

2 الرسيم : ضرب من مشي البعير شديد . الرواسم : الإبل السائرة رسيماً ، ومفردها راسمة .

3 فَرَع الأرضَ : جوَّل فيها .

4 السليم : الذي لسعته الحية ، سمي سليماً تفاؤلاً .

5 السوام : الماشية والإبل الراعية . المسيم : الذي يخرج السائمة إلى المرعى .

أخو حِكَمٍ إذا بدأتْ وعادَت حكَمنَ بعَجز لُقمانِ الحكيمِ
ملَكتَ خِطامَها ، فعلوتَ قَسّاً برَونقِها وقيسَ بنَ الخطيمِ[1]
نُجومٌ لا تَغورُ فَمِنْ دَرارٍ يُسارُ بضَوئِهنَّ ومن رُجُومِ[2]
كحَلْي الخَودِ مُؤتَلِفِ النَّواحي ، ووَشْيِ الرَّوض مُختلِفِ الرُّقُومِ[3]
أراكَ اللهُ ما تهوَى وشِيبَت لكَ النَّعماءُ بالحظٍّ الجسيمِ
غَمامٌ مثلُ جُودِك في انسكابٍ ، وعيدٌ مثلُ وجهِك في قُدومِ
ودارٌ شُيِّدت بعظيمِ قَدرٍ يُهينُ كرائمَ النَّشَبِ العَظيمِ
يَطوفُ المادحون بعَقْوَتَيها طَوَافَهُمُ بزَمزمَ والحَطيمِ[4]
تقاصَرتِ القصورُ لها فأضحَت ، وقد طُلنَ الكواكبَ كالرُّسومِ
فَمِنْ شَرَفٍ على الجوزاءِ تُنبي فَوارعُه عن الشرفِ القَديمِ
وَمِنْ غُرَفٍ تُضيءُ الليلَ حُسناً فتَحسِبُها النُّجومُ من النُّجومِ
جَزَيتُك بالذي تُولي ثناءً يَسرُّك بين سارٍ ، أو مُقيمِ
وما ذمِّي لمحمودِ السَّجايا ، وما حَمدي لذي الخُلقِ الذَّميمِ
ومازالت رياحُ الشِّعر شَتّى ، فمن ريًّا الهُبوبِ ومن سَمومِ
تُحيِّي الصاحبَ الطَّلْقَ المُحيَّا ، وتُعلِنُ شَتْمَ ذي الوَجهِ الشَّتِيمِ
منحتُك من مَحاسِنها ربيعاً مُقِيمَ الزَّهرِ سيَّارَ النَّسيمِ

---

1 قيس بن الخطيم : شاعر إسلامي .
2 الدراري : الكواكب . الرجوم : الشُّهُب .
3 الرُّقُوم : الوشي .
4 الحَطيمِ : جدار حجر الكعبة ، وقيل ما بين الركن وزمزم والمقام ، سمي بذلك لانحطام الناس عليه أي لازدحامهم .

وقال يمدح أبا الفوارس سلامة بن فهد ويتشوقه وكتب بها إلى حلب :
[من الطويل]

قُصاراكَ أن تلقَى الزّمانَ مُسلِّما ، فليسَ يَعافُ الظُّلمُ أن يَتظَلَّمَا
تَغيَّبَ عنّا ، وانتَحَتنا سِهامُه ، ويُعجِزُنا الرامي المُغيَّبُ إن رمَى
ولو أنَّه شَخصٌ تَحطَّمَ بينَنا قنا الخطِّ ، أو شِيمَ الحديدُ مُثلَّما[1]
غَرِيتُ بذَمِّ الحادثاتِ لأنَّني أرى فِعلَها في المكرُماتِ مُذَمَّما[2]
أزَلنَ جِبالَ الأَزدِ عن مُستقرِّها ، وفرَّقْنَها في الأرضِ فَذّاً وتوأَما[3]
وقد زَعْزَعَت منهم ثَبيراً وقلَّعَت شُماماً وهزَّت يَذبُلاً ويَرَمْرَما[4]
بُدورٌ تَجلَّت للعِراقِ ، فأشرَقَت ، وأوحشَ نادي الحُصنِ منها فأظلَما
تَناءَوا ولمَّا ينصرِمْ حبلُ عِزِّهم ، وحاشا لذاكَ الحبلِ أن يَتصرَّما
فشَرَّقَ منهم سيِّدٌ ذو حَفيظةٍ ، وغرَّبَ منهم سيِّدٌ فَتشأَّما[5]
كأنَّ نواحي الجوِّ تَنثُرُ مِنهمُ ، على كلِّ فجٍّ قاتمِ اللونِ ، أنْجُما
فإن يُصبِحُوا شَتَّى المواطنِ للنَّوى ، فقد صَبَّحوا العلياءَ عِقداً مُنظَّما
تولَّى ابنُ فَهدٍ ، والرجاءُ يَؤُمُّه ، وَيسري إلى أوطانِه حيثُ يَمَّما
وصاحبتُ ضَيفَ الهمِّ بعدَ فِراقِه ، وما كنتُ ألقَى الهمَّ إلاّ تَوهُّمَا
أكذِّبُ أنَّ النَّأيَ حَتفُ مُتَيَّمٍ ، فألفيتُه حَتفاً ، ولستُ مُتَيَّمَا

1 شِيمَ الحديدُ : رُؤي الحديدُ .
2 غَرِيتُ : أُولِعْتُ .
3 فَذّاً : فرداً .
4 كل ما ذكره أسماء جبال .
5 تشأم : ذهب إلى بلاد الشام .

وأُكبِرُ أن يُبكى على صاحبٍ دَماً — إلى أن بكَت عيني لِفُرقتِه دَما

ألا يا ابنَ فهدٍ أصبحَ العُرفُ مَجهلاً — ببابِك مجهولاً ، وقد كان مَعلَما

فكُن في جوارِ اللهِ إن سِرتَ آلِفاً — ظُهورَ المَهارى ، أو حَلَلتَ مُخيِّما[1]

فقد نَضَبَت غُدْرُ الكَلامِ ، وأصبحَت — كِعابُ القَوافي الغُرِّ بعدَك أيِّما

وما زلتَ في اللّأْواءِ غَيثاً وفي الدُّجَى — شِهاباً وفي الأحداثِ جيشاً عَرمرَما[2]

نَراكَ ، إذا كان النَّدى في قَليبِهِ — رشاءً فإن يَعلُ اتَّخذناك سُلَّما[3]

شَكيتُ إلى جَورِ الخُطوبِ وظُلمِها، — كأني ، ولم أسفَه ، سفيهٌ تَحلَّما

وقد كنتُ أُدعَى شاعراً بك مُفلِقاً ، — فعُدتُ عَقيمَ الفِكرِ بعدَك مُفحَما

أمرُّ بأفقِ البدرِ ، وهو مُغَيَّبٌ ، — أسائِلُ عنه كاسفَ البالِ أقتَما

كأنّيَ لم أشجُ العدوَّ بقُربِه ، — ولم أغشَه قبلَ الصَّديقِ مُسلِّما[4]

ولم يَكسُني وشيَ الثَّراءِ مُفوَّفاً — ولم أكسُه وَشْيَ القريضِ مُنَمنَما

ولم آخُذِ الكأسَ الرويَّةَ من يدٍ — أناملُها تَنهلُّ بُؤسَى وأنعُمَا

فليسَ ينامُ الدهرُ حتَّى أروعَه — بهبَّةِ ثُعبانٍ إذا هَمَّ صمَّما

دَهتني الليالي بعدَه ، ولربَّما — بَعثتُ عليها مِنه دَهياءَ صَيْلَما[5]

فهل أرَينَّ الدهرَ عنِّي مُنكِّباً — بأوبتِه من بعدِ ما كرَّ مُقدِما

فهل لبني فَهدِ بنِ أحْمَدَ عَوْدَةٌ — يَعُودُ بها شَملُ السماحِ مُلأَّما[6]

---

1 المهارى : إبل منسوبه إلى مَهْرَة بن حَيْدَان من عرب اليمن ، وقيل إنها كانت لا يُعْدَل بها شيء في سرعة جريانها .

2 اللأْواء : الشدة والمحنة .

3 القليب : البئر . الرشاء : الحبل .

4 أشجو العدو : أغيظه .

5 الصيلم : الداهية .

6 ملأَّماً : مُصلحاً ، مجموعاً .

مُلوكُهُمُ حَلْيُ المدائحِ ما اكتسوا حَلاها وثغرُ المجدِ إمّا تبسَّما
تلفتُّ في أوطانِهم فتكلمتْ دموعي وهمٌّ الشَّوقُ أن يتكلَّما
فمِن ناشدٍ للمكرُماتِ ومُنشِدٍ : عسَى وطنٌ يدنو بهم ولَعلَّما
وقد كان يستحبي الزمانُ خِلالها حَياً منهمُ غَمراً ويَفرَقُ ضَيغما
فشَنَّ عليهم ، وهو سَكرانُ خَيلَه ، ولو قد صحَا من سُكره لتندَّما

390

وقال وهو يشرب تحت شجرة قد ظللته ومن كان معه والشمْس على الأرض من خلال ورقها مثل الدراهم المنثورة : [من الطويل]

أَدِرها ففَقدُ اللَّومِ إحدى الغنائِم ، ولا تَخشَ إثماً لستَ فيها بآثمِ
فلا عيشَ إلاّ في اعتصامٍ بقَهوةٍ يروحُ الفتى منها خَضيبَ المعَاصمِ
ولا ظِلَّ إلا ظِلُّ كَرْمٍ مُعرَّشٍ تُغَنِّيكَ في قُطرَيهِ وُرقُ الحمائمِ[1]
سماءُ غصونٍ تَحجُبُ الشمسَ أن تُرى ، على الأرضِ ، إلاّ مثلَ نثرِ الدَّراهمِ

391

وقال وكان له على رجل من أهل الموصل رسم من طعام في وقت الغلة ، فطلبه منه ، فمنعه إياه وذمَّ غلّته ، وشكا نقصان ضيعته في تلك السنة . فقال يدعو على زرعه بالبرَد والجراد والحريق ويصف ذلك كلّه : [من البسيط]

ذَممتَ زَرْعَكَ خَوفاً من مُطالبَتي ، والزَّرْعُ نُحلَةُ عامٍ غَيرِ مَذمومِ[2]
فلا عَدَتْهُ من الجَوْزاءِ سارِيَةٌ ، تَبكي عليهِ بدَمْعٍ غَيرِ مَسجومِ[3]

---

1 وُرْقُ الحمائم : الحمائم التي لونها لون الرماد .
2 النُحْلة : العطيّة والهبة .
3 مسجوم ، من سَجَمَت السحابةُ الماء : أسالته وصبَّته .

كالدُّرِّ يَجتَنِبُ المرزوقَ ما انتثَرتْ عُقودُهُ ، ويُعادي كلَّ مَحرومِ
حتى تراهُ وقد مالَتْ دَعائِمُه ، كأنَّه إلفُ تَكْفيرٍ وتَعْظيمِ
أو جَحْفَلٌ مِنْ جُنودِ اللهِ مُنْتَشِرٌ ، مِثلُ الخَناصِرِ مَنقوشُ الحيازيمِ
يَحُلُّ بَسطَةَ إقليمٍ ، فإنْ عَصَفَتْ به الصَّبا تَرَكَتْهُ جَوَّ إقليمِ[1]
ما شَنَّ ، وهو ضَعيفُ البَطْشِ غارَتَه ، إلا استباحَ حِمى الشُّمِّ اللَّهاميمِ[2]
يُلْقي على الحَبِّ في أَعْلى مَنابِتِه كلاكلاً نُقِشَتْ نَقْشَ الخَواتيمِ[3]
إذا استقَلَّ أعادَ الأَرْضَ مُعْدَمَةً ، واستودَعَ التُّرْبَ نَسْلاً غيرَ مَعدومِ
أو جُذوةٌ كَشِهابِ الجَوِّ مُشعَلَةٌ ، تَطيرُ في مُعتَلٍ منه ومَركومِ[4]
إذا انتحَتْهُ حَدَتْها الرِّيحُ عاصفةً من كلِّ أَوْبٍ ، فأَغْرَتْها بتَضريمِ
تبدو لعَيْنَيْكَ حُمْرٌ من ذَوائِبِها ، كما بَدا الفجرُ مُحمَرَّ المَقاديمِ
حتى تعودَ أخا فَقْرٍ ومَسكَنَةٍ ، صِفرَ السَّريرَةِ من صَبْرٍ وتَسليمِ
منعْتَ حَبّاً ، ولو أَعطيتَ مُبْتَدِئاً ، حَبَّ القلوبِ لَمَا عُرِّيْتَ من لُومِ[5]

392

وقال : [من الطويل]

أُسَلِّمُ للأَيَّامِ أم لا أُسَلِّمُ ، وأَحمِلُ ظُلْمَ الدَّهْرِ أَمْ أَتظَلَّمُ
بَكَيتُ على شِعْرٍ أُصيبَ كما بكى على مالكٍ لـمَّا أُصيبَ مُتَمِّمُ[6]

---

1 هذا البيت غامض المعنى .
2 لهاميم الناس : أسخياؤهم .
3 الكلاكل : الجماعات .
4 مركوم : متراكم بعضه فوق بعض .
5 لوم مخففة عن لؤم .
6 يشير إلى بكاء متمم بن نويرة الشاعر الإسلامي على أخيه مالك لما قُتل .

تَعزَّيْتُ عن نَيْلِ الثَّراءِ بِفَضْلِهِ ، وما مُعْدِمٌ ، أثرى من الفَضْلِ مُعْدِمُ
أُجانِبُ فيه لذَّتي ومَكاسبي ، وأهجُرُ فيه النَّومَ ، والناسُ نُوَّمُ
إذا ما المعاني أومَضَتْ لي بُروقُها ، وساعَدَها وَشْيُ الكَلامِ المُنَمنَمُ
رَأَيْتُ التهابَ الحَلْيِ في جِيدِ غادَةٍ تَرائِبُهـا من تَحتِـهِ تَتَبَسَّمُ
نِظامٌ منَ السِّحْرِ الحلالِ مُخَيِّلٌ لِسامِعِـهِ أنَّ الكَواكِـبَ تُنظَمُ
فَلمَّا اغتَدَى كالسَّيفِ أُخلَصَ صَيْقَلٌ ظُباه ، وكالرُّمْحِ انتحاه مُقَوِّمُ
وعاذَتْ برَيَّاه النُّفوسُ كأنَّه نَسيمٌ على أيدي الصَّبا يُتَنَسَّمُ
تَحلَّى به قَوْمٌ سِوايَ ، فكذَّبوا ، وهل يَلِدُ الشُّهْبَ المَلامِحِ أدهَمُ
وشُنَّتْ عليه للمَجانينِ غارَةٌ ، فأصبحَ نَهباً بينَهم يُتَقَسَّمُ
هي الغارَةُ العُظمى التي بسيوفِها أُبيحَ حِمى الآدابِ ، وهو مُحرَّمُ
أرى الجَوْرَ قد عَمَّ الأنامَ بأَسْرِهِمْ ، فلا عَدْلَ إلا للظُّبا حينَ تَحكُمُ
أَيُدْفَعُ عن حَلْيِ البَلاغَةِ مُعْرِبٌ ، ويَرْفُلُ في وَشْيِ الفَصاحَةِ أَعْجَمُ
هوَ النَّقَدُ المسلوبُ من غارَةِ الوَغَى ولكنَّهُ في غارَةِ الشعرِ ضَيْغَمُ[1]
يَفوتُ الحديدُ النَّابِ والظُّفرِ إن سَطا، فما ضَرَّه إن راحَ ، وهو مُقَلَّمُ
دَعُوا الأَنْجُمَ الزُّهْرَ التي أَعجَزَتْكُمُ لِمَطْلِعِها مادامَ للشعرِ أنجُمُ[2]
ولا تُحفِظُوا رَبَّ الحِفاظِ لأنَّه حَلَتْ لكُمُ أخلاقُه وهو عَلْقَمُ[3]
يَمُجُّ لكم شهدَ الكَلامِ لِسانُه ، وما مَجَّ يوماً قبلَه الشَّهْدَ أَرقَمُ
رَدَدْتُ سِهامَ الذَّمِّ عنكم مُذَمَّماً ، وبعضُ قوافي الشِّعْرِ سَهْمٌ مُسَمَّمُ
رَأَيتكُمُ مَوتَى ، فكَفْكَفْتُ غَرْبَها ، وهل ناظرَ الأمواتَ حينَ تَكَلَّمُ[4]

---

1 النقد : جنس من الغنم صغير الأرجل . الضيغم : الأسد .

2 المَطْلِع : موضع طلوع الكواكب .

3 أُحْفَظَ : أُغْضَبَ .

4 عجز البيت غامض .

وإن تَسْألوني قَطرةً من مَحاسنٍ ، فحَوضيَ من ماءِ المحاسنِ مُفعَمُ

393

وقال يمدح سيف الدولة ويعتذر إليه من انصرافه عن حلب بغير إذنه :

[من البسيط]

أُؤنِّبُ الشَّوقَ فيهِم ، وهو يَضطَرِمُ ، وأستَقِلُّ دموعَ العينِ ، وهي دَمُ

للهِ أيُّ شُموسٍ منهُمُ غَرَبَتْ بغُرَّبٍ ، وبدورٍ ضَمَّها إضَمُ[1]

بيضٌ تُخَبِّرُ عنها البِيضُ ، لامِعَةً ، بأنَّهنَّ نَعيمٌ دونَه نَقَمُ

أَهْدَتْ لهُنَّ على خَوْفٍ إشارَتَنا ، تَحِيَّةً رَدَّها العُنَّابُ والعَنَمُ[2]

هيَ الظِّباءُ ولي من رَبعِها حَرَمٌ ؛ وهيَ الشِّفاءُ ، ولي من لَحْظِها سَقَمُ

سُقْيا المحِبِّينَ من أهلِ الحمى ظَمأٌ بَرْحٌ ، وسُقياهُ من أجفانِها دِيَمُ

وما تَحَكَّمَ في دارِ فِراقُهُمُ إلا غَدَتْ في دموعِ العَيْنِ تحتكِمُ

سَلِمْتَ ما فَعَلَتْ غِزْلانُ ذي سَلَمٍ ، إذا الكِناسُ الذي حلَّتْ به سَلَمُ

يُمْسي به الحُسْنُ والإحْسانُ في قَرَنٍ ، ويُصبحُ الخِيمُ في مَعناه والخِيَمُ

جادَتْكَ مُذهَبَةٌ بالبَرْقِ مُجلِبَةٌ بالرَّعْدِ تَربَدُّ أحياناً وتَبتَسِمُ

كأنَّها ، وجَنوبُ الرِّيحِ تَجنُبُها ، بحرٌ يَسُدُّ فَضاءَ الجوِّ مُلتَطِمُ

منَ اللّواتي تقولُ الأرضُ ، إنْ بسَمَتْ هَذي الحياةُ التي يَحيا بها النَّسَمُ

كأنَّها إذ تولَّتْ ، وهيَ مُقْلِعَةٌ ، جَيْشُ العَدوِّ تولَّى ، وهو مُنهَزِمُ

عادَتْ حُماتُهُمُ سُفْعاً خُدودُهمُ ، كأنَّما سَفَعَتْ أبشارَها الحُمَمُ[3]

وَلَّتْ وبِيضُ ابنِ عبدِ اللهِ تَنشُدُها ، كالطَّيْرِ رَوَّعَها من بارقٍ ضَرَمُ

---

1 غرب وإضم : جبلان .

2 العَنَم : شجر له ثمرة حمراء يُشَبَّه بها البنان المخضوب .

3 سُفْعٌ خدودهم : متغيرة من لفح الشمس .

أطفأْتَ بالكَرِّ والإقدامِ نارَهُمُ ، وقبلُ كانتْ على الإسلامِ تضطَرِمُ
دَفَعْتَهم بِغِرارِ السَّيفِ عن بَلَدٍ رَحْبٍ تَدافَعَ فيه سَيْلُكَ العَرِمُ
فأصبَحَتْ من وراءِ اليَمِّ شَوْكَتُهم ، وهمْ من البِيضِ إن جرَّدْتَها أُمَمُ
غَشِيتَهُم برماحٍ ليسَ بينَهُمُ ، وبينَ أطرافِها ، إلٌّ ولا ذِمَمُ[1]
ونِلْتَ أَمنعَهُم حِصْناً ، وأبعَدَهم ، فليسَ تَعصِمُهُمْ من بأسِكَ العِصَمُ
وباتَ ذو الأمرِ منهُمْ ، قد أَلَمَّ بهِ ، من خَوْفِ إلمامِكَ المُؤذي به لَمَمُ[2]
تَروعُ أحشاءَهُ بالكُتْبِ ، وَهْوَ لَهَا خَوفُ الرَّدى ورجاءُ السِّلمِ مُستَلِمُ
لا يَشرَبُ الماءَ إلا غَصَّ من حَذَرٍ ، ولا يُهَوِّمُ إلا راعَهُ الحُلُمُ[3]
اللهُ جارُكَ ، والأرماحُ جائِرَةٌ والبِيضُ تأخُذُ من ألوانِها اللِّمَمُ
والنَّقْعُ لَيْلٌ يَكُفُّ الطَّرْفَ غَيهَبُه ، والمُرهَفاتُ كقَرْنِ الشَّمْسِ تَزْدَحِمُ[4]
أَضْحى بنَجْدَتِكَ الإسْلامُ مُعْتَصِماً ، وأنتَ باللهِ والهِنديِّ مُعْتَصِمُ
تُزجي القَنا ، والمَنايا فيه كامنةٌ ، فَتَحطِمُ الشِّرْكَ أحياناً ، ويَنحَطِمُ[5]
أَعْجِبْ بهِ ، حينَ يَدعوهُ لمَلْحَمَةٍ ، أَصَمُّ ليسَ به عن دَعْوَةٍ صَمَمُ
كأنَّها ، والعَوالي مِلءُ ساحَتِها ، مَغارِسُ الخَطِّ فيها للقَنا أَجَمُ
فالغَزْوُ مُنْتَظِمٌ ، والفَيءُ مُقْتَسَمٌ ، والدِّينُ مُبْتَسِمٌ ، والشِّرْكُ مُصْطَلَمٌ[6]
يا سائلي عن عليٍّ كَيفَ شِيمَتُهُ ؟ أنظُرْ إلى الشُّكْرِ مَقْروناً به النِّعَمُ
مَدْحٌ يَغُضُّ زُهَيْرٌ عنه ناظِرَه ، ونائلٌ يَتَوارَى عِنْدَهُ هَرِمُ[7]

---

1 الإلّ : العهد .

2 اللَّمَمُ : جنون خفيف يصيب الإنسان .

3 يُهَوِّمُ : ينام قليلاً .

4 قَرْنُ الشمس : أول ما يبدو منها .

5 تَحْطِمُ : تكسر .

6 مُصْطَلَمٌ : مُسْتَأْصَلٌ .

7 زهير بن أبي سُلمى الشاعر الجاهلي وممدوحه هرم بن سنان .

وباسطٌ يَدَه بالعُرْفِ مُطلِقُها   بالحَتْفِ يُنعِمُ أحياناً ويَنتَقِمُ
مُشَهَّرٌ مثلُ بيتِ اللهِ تَعرِفُه ،   بِفَضْلِ ما ذاعَ عنه العُرْبُ والعَجَمُ
إذا بَدا الصبحُ ، فهو الشَّمسُ طالِعةً ؛   وإن دَجَى اللَّيلُ ، فهو النارُ والعَلَمُ
لا يَستعيرُ له المُدَّاحُ مَنقَبَةً   ولا يقولون فيه غيرَ ما عَلِموا
رأى السَّماحَ فطيماً ، فاشرَأَبَّ له ،   وخيرُهُم مَنْ رَآه ، وهو مُحتَلِمُ
رَحبٌ على آمليهِ ظِلُّ رَحْمَتِهِ ،   وليسَ بينَهُمُ قُربَى ، ولا رَحِمُ
عَمَّتْ أياديه ، إذ عَمَّ الحَيا بلداً ؛   إنَّ التي عَمَّتِ الدُّنيا هي الكَرَمُ
فما نبالي ، إذا فُزْنا بِديمَتِهِ ،   أن يُمْسَكَ الغَيْثُ أو أن تَهلِكَ الدِّيَمُ[1]
هو الحَيا والغِنى ما انهَلَّ عارِضُه ،   وهو الرَّدَى ما ارتدى بالسَّيفِ والعَدَمُ
رمى الصَّليبَ وأبناءَ الصَّليبِ ، فلم   تُغْمَدْ صَوارِمُه إلاّ وهُم رِمَمُ
بالبِيضِ تُنْكِرُها الأغمادُ مُغمَدَةً ،   والجُرْدِ تَعرِفُها الغِيطانُ والأَكَمُ
لا تُخلَعُ العُذْرُ عنها عندَ أَوْبَتِها ،   ولا تُنَفَّسُ عن أوساطِها الحُزُمُ
كأنَّما نُتِجَتْ للحَربِ مُسرَجَةً ،   مُرَكَّباتٍ على أفواهِها اللُّجُمُ
يا صارِمَ الدينِ ! إنَّ الدِّينَ قد عَلِقَتْ   كَفَّاهُ منك بِحَبْلٍ ليسَ يَنصَرِمُ
أَشِيمُ عَفْوَكَ عِلْماً أنْ ستَنْشُرُه   عَلَيَّ تلك السَّجايا الغُرُّ والشِّيَمُ
كَانَ انصرافِيَ جُرْماً لا كِفاءَ له   عندي ، وأيُّ لَبيبٍ ليسَ يَجتَرِمُ
رَأْيٌ هَفَا هَفْوَةً زَلَّتْ لها قَدَمي ،   وما هَفا الرأيُ ، إلاّ زَلَّتِ القَدَمُ
هو اضطِرارٌ أزالَ الاختيارَ ، وهَل   يَختارُ ذو اللُّبِّ ما يُرْدي وما يَصِمُ
وكيفَ يَجتَنِبُ الظَّمآنُ مَورِدَهُ ،   عَمْداً ، إذا راحَ ، وهو البارِدُ الشَّبِمُ[2]
صَفْحاً فلو شُقَّ قلبي عن صَحيفَتِهِ ،   لَظَلَّ يُقْرَأُ منه الخوفُ والنَّدَمُ

---

1 أَمْسَكَ اللهُ الغيثَ : منع نزوله .

2 الشَّبِمُ : البارد .

جاءَتكَ كالعِقْدِ لا تُزْري بِنَاظِمِها ، حُسناً ، وتُزْري بما قالوا وما نَظَمُوا
والشِّعْرُ كالرَّوْضِ ذا ظامٍ وذا خَضِلٌ ، وكالصَّوارمِ ذا نابٍ وذا خَذِمُ[1]
أو كالعَرانينِ هذا حَظُّهُ خَنَسٌ مُزْرٍ عليه ، وهذا حظُّه شَمَمُ

394

وقال يذكر قوماً من قضاة بغداد فيهم ظرف وأدب ومجون ، حضر يوماً معهم على الشرب : [من المنسرح]

كيفَ خَلاصي من العِراقِ ، وقد آثرتُ فيها مَعادِنَ الكَرَمِ
رَأَيْتُ فيها خَلاعَةً وُصِلَتْ أطرافُها بالعلومِ والحِكَمِ
مَجالِسٌ يَرقُصُ القُضاةُ بها ، إذا انتشَوا ، في مَخانقِ البَرَمِ[2]
كأنَّهُمْ من ملوكِ حِمْيَرَ ما أُوفَتْ أكاليلُهُم على اللِّمَمِ
وصاحِبٍ يَخلِطُ المُجونَ لنا بشيمَةٍ حُلوَةٍ منَ الشِّيَمِ
تَخْضِبُ بالرَّاحِ شَيبَه ، عَبَثاً ، أناملٌ مثلُ حُمرَةِ العَنَمِ
حتى تَخالَ العيونُ شَيبَتَه شَيبةَ فَعلانَ خُضِّبَتْ بِدَمِ[3]
إذا سَقى اللهُ مَنْزِلاً فسقَى بغدادَ ما حاولَتْ منَ الدِّيَمِ
يا حَبَّذا صَحبةُ العلومِ بها ، والعيشُ بين اليَسارِ والعَدَمِ

395

وقال يصف السحاب والزهر والشقائق : [من الكامل]

غَرَّاءُ تَنشُرُ للحَيا أعلامَا ، عَمَّ البلادَ صَنيعُها إنعاما

---

1 الخَذِم : القاطع .

2 مخانق البرم : نوع من الثياب .

3 قوله فعلان : إشارة إلى شخص معروف عندهم .

مَرَّتْ بِظَمآنِ الثَّرى ، وبُروقُها تَشرى ، وأدمُعُها تَفيضُ سِجاما[1]
مثلَ المُحِبِّ تَرَقرَقَتْ عَبَراتُه ، والشَّوقُ يُذكي في حَشاه ضِراما
فغدَتْ عُيونُ النَّورِ فيه كأنَّها مُقَلٌ تَرى طِيبَ الغُموضِ حَراما
أهْدى الحَيا للوَرْدِ في شَجَراتِه خَجَلاً ، وزادَ الياسَمينَ غَراما
وتَشَقَّقَتْ قُمْصُ الشَّقيقِ ، فَخِلْتُهُ ، في الرَّوْضِ ، كاساتٍ مُلِئْنَ مُداما

396

وقال يصف مزيّناً كان يخدمه : [من المتقارب]

هَلِ الحِذْقُ إلا لِعَبْدِ الكَريمِ حَوى فضلَه حادثاً عن قديمِ
إذا لمعَ البرقُ في كَفِّهِ أفاضَ على الوجهِ ماءَ النَّعيمِ[2]
جَهولُ الحُسامِ ، ولكنَّه يَروحُ ويغدو بِكَفَّيْ حَليمِ
له راحَةٌ سَيرُها راحةٌ تَـمُرُّ على الوَجْهِ مَرَّ النَّسيمِ
فلو كانَ ، من قُبْحِهِ أربداً ، لعادَ من الحُسنِ صافي الأَديمِ
نَعِمْنا بخِدمَتِه مُذْ نَشا ، فنحنُ به في نَعيمٍ مُقيمِ
وكم قد سكَنَّا إلى غيرِه ، فكنَّا بِهِ في عَذابٍ أليمِ

397

وقال يتظلَّم إلى أبي إسحاق إبراهيم بن هلال الصابىء ، من الخالديين وقد ادَّعيا كثيراً من شعره ببغداد ومدحا به المهلَّبي وجماعة من الكتّاب : [من الطويل]

هُمُ صرَموا حبلَ الهَوى ، فتَصَرَّما ؛ وهُمْ أَمَرُوا الأَحشاءَ أن تتضرَّما

---

1 تشرى : تلمع .
2 أراد بالبرق : الموسى .

تَنادَوا لتفريقِ الفريقِ ، فأَصبَحَتْ ... مَدامِعُنا تَنْدَى لفُرْقَتِهِم دَما

سلامٌ على مَنْ سارَ قَلبُ مُحبِّه ... إليه ، فلم يَرْجعْ صَحيحاً مُسلَّما

حَبيبٌ حَمانا الكاشحونَ عِناقَه ، ... عَشِيَّةَ راحَ الحَيُّ من أَبرُقِ الحِمى

يَحُلُّ عُقودَ الدُّرِّ دمعاً ومَنْطِقاً ، ... ويَنظِمُها حَلْياً عليه ومَبْسِما

أماطَ عَنِ العَذْبِ اللِّثامِ لِثامَه ، ... فعادَ بديباجِ الحَياء مُلَثَّما[1]

وكلَّمني جَفْناهُ بالدَّمعِ خِفْيَةً ، ... فَهَمَّ غَليلُ الشَّوقِ أن يتكلَّما

فِراقٌ شَرِبْنا الموتَ صِرْفاً بِكأسِهِ ، ... فيا طِيبَهُ لو كانَ صاباً وعَلْقَما[2]

وناعِمَةٍ تُثْني على حُسْنِ قَدِّها ، ... إذا ما تَثَنَّى نَعْمَةً أو تَقَوَّما

دَعَتْني لِشُرْبِ الجاشريَّةِ بعدَما ... تَوَسَّدْتُ وَرْدَ الزَّنْدِ رَوْداً مُهَوِّما[3]

فقلتُ أَدِيري حِلَّها ، أو حَرامَها ، ... فليسَ الحَرامُ من يديكِ مُحرَّما

شَرِبْنا على الإحْسانِ والحُسنِ ليلةً ... رَأَيْنا بها الإِحسانَ والحُسْنَ تَوأَما

ورَطْبَ لآلي الحَلْيِ لمَّا تَبَسَّمَتْ ... إليه مَصابيحُ البُروقِ تبسَّما

تَضَوَّعَ تَحتَ القَطْرِ ، حتى كأَنَّما ... غَدا القَطْرُ يَسقيهِ الرَّحيقَ المُقَدَّما

وَدَيَّمَ صَوبُ المُزْنِ فيه ، كأَنَّه ... نَوالُ أبي إِسْحَاقَ صَابَ فدَيَّما[4]

أَغَرُّ يَراهُ النَّاسُ غُرَّةَ دَهْرِهِمْ ، ... إذا كان دَهْماءُ البَرِيَّةِ أَدْهَما

جَوادٌ لو استسقَيْتَ ماءَ شَبابِه ... لَحَنَّ به نَوْءٌ عليك وأَرْزَما

إذا ما سَقَتْ يُمْنَاهُ رَيّاً ، وقُبِّلَتْ ... تَوَهَّمْتَ يُمناه الحطيمَ وزَمزَما

يَصولُ به فردٌ ، إذا ما تنكَّرَت ... صروفُ اللَّيالي كان جيشاً عَرَمْرَما

---

1 أراد بالعذب اللثام : الثغر لأنه يعذب لثمه .

2 الصاب : شجر مرٌّ ، ويريد عصارته .

3 الرّود : اللين ، وهو في الأصل وصف للريح استعاره للزند . المهوّم : الذي يهزّ رأسه من النعاس .

4 ديَّمَت السماء : مطرت ديمة أي مطراً غزيراً .

إذا غَمَزَتْ آراؤه البَغْيَ غَمْزَةً ، تقوَّمَ فيهـا مَيْلُهُ وتحطَّما
أَيَدْري الغَبيَّانِ اللّذانِ تناهبا مَحاسِنَ شِعْري أيَّ نَهْبٍ تَقَسَّما
وأيَّ عُقودٍ خُضْتُ سبعةَ أبْحُرٍ لجَوْهَرِها المَنْثورِ حتى تَنَظَّما
أَبيتُ له سِلْمَ السُّهادِ ، إذا عَرا ، وحربَ الكَرى حتى يَصِحَّ ويَسلَما[1]
فيَصدُرُ عن رَاووقِ فِكْرٍ ، كأنَّه يُرَوِّقُ جِريالاً من الخَمْرِ عَنْدَما[2]
فلـمَّا غَدا عَضباً صقيلاً وذابِلاً خَطيراً ، وملمومَ السَّراةِ مُسوَّما[3]
وثَقَّبَ للأَعناقِ دُرّاً مُفَصَّلاً ، ونَشَّرَ للأعطافِ وَشْياً مُسَهَّما
تَهَضَّـمَهُ ذِئْبانِ لم يَرَيـا لـه أخا ثِقَةٍ يَحميهِ أن يُتَهَضَّما
مُغيرانِ ، لو طافَا على حينِ غفلَةٍ من الناسِ ، بالبيتِ الحرامِ لأَحرَما
لقد قَصُرَتْ أيديهما عن مَنالِه زَماناً ، ولكن صيَّرا البُهْتَ سُلَّما[4]
فلو ضَمَّهُ بينَ السِّماكَيْنِ مَعْقِلٌ ودافعَ عنه الحَينُ لم يَنْجُ مِنهُما
ولو مَنَعَتْه أن يُضامَ جَهَنَّمٌ لَخاضا إليه مُقْدِمَيْنِ جهنَّما
لقد ظَلَما من كلِّ غَيداءَ حُرَّةٍ كَلاماً لو اسطاعَ الكلامَ تَظَلَّما[5]
عَذارَى فمِن مشغوفَةٍ بحَليلِها ، مُتَيَّمَةٍ تَشتـاقُ منـه ومِعْصَمَا
ومعصومَةٍ إن عاينَتْ عَيْنَ رِيبَةٍ تُلاحِظُها غَطَّتْ بَناناً ومَعصِما
إذا احتازَها البَعلُ الجديدُ مُعَرِّساً ، أقامت على البَعلِ المُفارِقِ مأتَما
سُبينَ ، فباشَرْنَ المَحارِمَ عَنوةً ، وعَـزَّ عليها أن تُبـاشِرَ مَحرَما

1 عَرَا : أصابته الحمى .
2 الراووق : المصفاة . الجِرْيال : الخمر ؛ لون الخمر . العَنْدَم : خشب نبات يُصَبَّغ به لاحمرار لونه .
3 السَّراة : الظهر .
4 البهت : الكذب والافتراء .
5 الغيداء الحرة : أراد بها قصيدة .

وما لَمَسَ المغرورُ شَوكَةَ عَقْرَبٍ ولكنه من غِرَّةٍ مَسَّ أرقما
وأخلِقْ بِكَفٍّ لا تكُفُّ بنانُها عن الرَّقْشِ أن تَرفَضَّ لحماً وأعظُما[1]
يَمينُ الفَتى عُضوٌ عليه مُكَرَّمٌ فلا تَمتَهِنْ عُضواً عليك مُكَرَّما
لعلَّ وَزيرَ المَلْكِ يَحكُمُ بَيْننا ، فيُصبحَ فينا مَجهلَ الأمرِ مَعلَما
وإنّي لأرجو منه صُبحَ قَضيَّةٍ يُمَزِّقُ جلباباً من الشَّكِّ مُظْلِما
إذا ما بَلَوْتُ الصَّابئِينَ وجدتُهُم فَريقَيْنِ : صبّاً بالسَّماحِ ومُرغِما
سَحائبُ مَعْروفٍ إذا المَحْلُ أقبلَت سُنُوهُ وأقمارٌ إذا الخَطْبُ أظلَما
وكُتّابُ مَلْكٍ لا تَطيشُ سِهامُهُم ، إذا فوَّقُوا للحادثِ النُّكْرِ أسهُما
دَعَوْتُ أبا إسْحاقَ للعَدْلِ مُنْصِفاً ، ورُبَّ فتىً يَدعوه للبَذلِ مُنعِما
وشيمَتُه أن يَستَهِينَ بِظالمٍ ، إذا لاذَ مَظلومٌ به مُتَظَلِّما

398

وقال يستهدي منه نبيذاً : [من مجزوء الوافر]

أبا إسْحَاقَ ! يا جبلي ، ألوذُ به ومُعتَصَمي
ويا سَيفي أصولُ بهِ ، ويا حِلِّي ويا حَرَمي
أرَقْتُ دمي ، وأعوزَني سَليلُ الكَرْمِ والكَرَمِ
وما عَدَمي لِفَقْدِ الما لِ ، لَكِنْ فَقْدُهُ عَدَمي
وبينَ يَدَيَّ مُخْجِلَةٌ سَوادَ القارِ والظُّلَمِ[2]
ترى اللَّهَواتِ تَحجُبُها إذا وَقَفَتْ حيالَ فَمي
فلَستُ أُسيغُها إلاّ كَلَوْنِ الوَرْدِ والعَنَمِ[3]
فشَيْءٌ من دَمِ العُنقو دِ أجعلُه مكانَ دَمي

---

1 الرَّقش : النقش والتزيين . تَرْفَضُّ : تتكسَّر وتتبدّد .

2 إشارة إلى الكأس .

3 العنم : شجر له ثمرة حمراء ، وأراد الخمر .

وقال يذكر الصيد في الليل بالطست والسراج والكلب : [من الرجز]

لمّا مَضَى اليومُ حَميداً ، فانصرَمْ   ومَدَّ سِجْفَيْهِ الظَّلامُ المُدْلَهِمّ

مِلْنا إلى فِلْقَةِ مأثورٍ خَذِمْ ،   يَلْقى بها فِلقةَ صَيْخودٍ أَصَمّ[1]

فَيَبسِمانِ في اللقاءِ عن ضَرَمْ ،   يَطيرُ كالبرقِ خَفا ثم اكتَتَمْ[2]

وتارةً يَسقُطُ في بالٍ أحمّ ،   فيَجتَبيهِ بقَضيبٍ كالقَلَمْ[3]

تأخُذُهُ أزرَقَ كالخَدِّ لُطِمْ ،   حتى إذا وَلَّدَ ناراً تَضْطَرِمْ

قُمْنا بها نَهْتِكُ أستارَ الظُّلَمْ ،   وبينَنا ذاتُ ضَجيجٍ تَختَصِمْ[4]

إنْ نامَ غِزلانُ الصَّريمِ لم تَنَمْ ؛   نَقرَعُها بينَ الوِهادِ والأَكَمْ[5]

قَرْعَ النَّواقيسِ إذا الصُّبحُ ابتَسَم   تؤمُّ مخلوعَ العِذارِ حيثُ أَمّ[6]

أبيضَ مُسوَدَّ الخِلالِ والشِّيَم   له على الصَّحْبِ أَيادٍ وكَرَمْ

ونِعَمٌ هُنَّ على الوَحْشِ نِقَمْ ،   أسرعُ قبلَ الشَّدِّ من سَيْلِ العَرِمْ

يَقدُمُنا إلى الكِناسِ المُكْتَتَمْ ،   مُسائِلاً عنه الصَّبا ، وهي تَنُمّ

حتى إذا الشَّرْبُ تراءى من أَمَمْ ،   حَيرانَ قد أَلبسَه الذُّعْرُ لَمَمْ[7]

---

1 فلقة : قطعة . المأثور : السيف . الخذم : القاطع . الصَّيخود : الصخرة .

2 خفا البرق : لمع .

3 يجتبيه : يصطفيه ، ولعله يشير بهذا البيت إلى السراج وإلى رفع فتيلته إذا سقطت في الزيت بقضيب كالقلم .

4 ذات ضجيج : أراد بها الطسوت التي كانوا يقرعونها لإثارة الصيد .

5 الصَّريم : مكان مشهور بغزلانه .

6 مخلوع العذار : يريد الكلب ، فإنهم يقصدون حيث قصد لعلمهم أنه يثير لهم الصيد الكامن .

7 الشَّرب : لعلها محرفة عن كلمة يُراد بها الصيد . اللَّمَم : الجنون .

صَدَّ فَوافَى ثم أَلقَى للسَّلَمْ ، وظَلَّ نَهباً بالأَكُفِّ مُقتَسَم
لم يَشكُ من نابٍ ولا ظِفرٍ أَلَمْ فما اعتلى في الشَّرقِ للصُّبحِ عَلَمْ
حتى لَخَضَّبْنَا المِدَى منه بِدَمْ ، وأصبحَتْ أطرافُنا مثلَ العَنَم
وارتفعَتْ قُدورُنا على اللَّقَم ، قائلةً للرَّكْبِ بالغَلْيِ هَلُمّ[1]
فنحنُ في خَفْضٍ ، وفي ظِلٍّ نِعَمْ ، لنا من البِيضِ حُصُونٌ وعِصَمْ[2]
لا خوفَ ما عُذْنا بها ولا عَدَمْ

400

وقال يمدح سيف الدولة وقد عزم على المسير من الشام إلى ديار بكر : [من الكامل]

اللهُ جارُكَ ظاعِناً ومُقيما ، وضمينُ نَصرِكَ حادثاً وقَديما
إنْ تَسْرِ كان لك النَّجاحُ مُصاحباً ، أو تَبْقَ كان لك السُّرورُ نَديما
تَغشاكَ بارِقَةُ السَّحابِ ، إذا سرَتْ غيثاً ، وتلقاكَ الرِّياحُ نَسيما
أنتَ الربيعُ الطَّلْقُ إن شاءَ الثَّرى وتَزَحَّلُ الأنواءِ ، سَرَّ قُدوما
للهِ هِمَّتُكَ التي رَجَعَتْ بها هِمَمُ الملوكِ الصَّاعِداتُ هُموما
ورياحُكَ اللاتي تَهُبُّ جَنائباً ، ولربَّما أجريتَهُنَّ سَمُوما
وخلالُكَ الزُّهْرُ التي أَنِفَتْ لها تِمَمُ المَراتبِ أن تكونَ نُجوما
كم من عظيمِ القَدْرِ قد لَقَّيْتَه خَطْباً بأطرافِ الرِّماحِ عَظيما
ومُشهَّرٍ يُدعى الكَريمَ تَركتَه يُدْعَى ، وقد هَطَلَتْ يَداكَ ، لَئيما
أفنَتْ ظُباكَ الرُّومَ حتّى أنها لم تُبْقِ إلا ظَبيةً أو رِيما

---

1 اللقم : وسط الطريق .

2 خفض العيش : لينه وسعته .

ومَحَوْتَ آثارَ الصَّليبِ ، فلم تَدَعْ ... للعينِ منها مَعلَماً مَعلوما
خَيْلٌ تُثابُ على تَتابُعِ كَرِّها ... نَدْباً على لَبَّاتِها وكُلوما[1]
وظُباً مُحرَّمَةٌ على أغْمادِها ، ... حتى تُبيحَ من الضَّلالِ حَريما
ومكارِمٌ أنصَفتَ فيهِنَّ العُلى ، ... وتركتَ مالَك بينها مَظْلوما
مَنَحَتْكَ طاعتَها القبائلُ رَهبةً ، ... فمنحتَ جَمرَةَ عِزِّها تَضريما
أعطاكَ أصعَبُها الخِطامَ ، ولم يَكُنْ ... ليقودَ غَيرُكَ صعبَها مَخطوما
فغدَتْ سَوامُكَ لا تُحاوِلُ نَبوَةً ... أبداً ، ولا تَبْغي سِواكَ مُسيما
يَستَمطِروهُ مَواهِباً ومَواعِداً ، ... لم تَعْدُ منك سَحائباً وغُيوما[2]
أسَمِيَّ مُرهَفَةِ السُّيوفِ فَضَلْتَها ... شِيَماً إذا جَدَّ القِراعُ وَخيما
وأرى الأراقِمَ قَلَّدَتْكَ أمورَها ، ... فدَعَتْكَ مُذْ فَقَدَتْ أباكَ زَعيما
ألبَسْتَني نِعَماً رَأيتُ بها الدُّجى ... صُبْحاً وكنتُ أرى الصَّباحَ بَهيما[3]
فغَدَوْتُ يَحسُدُني الصَّديقُ ، وقبلَها ... قد كانَ يَلقاني العَدُوُّ رَحيما
فملأتُ آفاقَ البِلادِ بمَنْطِقٍ ، ... لولا الثَّناءُ عليكَ عادَ وُجُوما
فسَلِمْتَ من نُوَبِ الزَّمانِ ، ولا غَدَا ... شانيك من معنى السَّليمِ سَليما
طلبَ الملوكُ غُبارَ شأوِكَ ، فانثَنَوا ... صِفْرَ اليَدَيْنِ وخائماً وذَميما[4]
إنْ يَسمَحُوا في الحِينِ ، أو يَتكَلَّفوا ... كَرَمَ النُّفوسِ فقد خُلِقْتَ كَريما

1 النّدب ، مفردها ندبة : أثر الجرح . الكلوم : الجراح ، مفردها كلم .
2 يستمطروه : هكذا في الأصل والوجه يستمطرونه .
3 البهيم : الأسود .
4 الخائم : اسم فاعل من خام : جبن ونكص ، أو من خام القوم في القتال : لم يظفروا بخير ، وكلا المعنيين موافق .

وقال يمدحه ويذكر بعض غزواته إلى موضع في بلد الروم يقال له بطره[1] :
[من الطويل]

وراءَ العِدا مَجْرٌ على الهَوْلِ مُقْدِمٌ ، وصِلٌّ تَحاماه الأراقِمُ أرقَمُ[2]
وسَيفانِ ما هَزَّتْ يدُ اللهِ منهُما فكاسٍ وما هَزَّ القَيونُ فَمَحْرَمُ[3]
وطاوٍ رِداءَ النَّقْعِ بالكَرِّ نـاشرٌ ، وحانٍ بـه صَدْرُ القَناةِ مُقوَّمُ
ومَجْرٌ بأعلامِ البسيطةِ مُهتَدٍ ، ويَومٌ بفتيانِ الكَريهَةِ مُعلِمُ[4]
إذا ابنُ أبي الهَيْجاءِ هِيجَ تَجَهَّمَتْ وُجوهُ المَنايا ، في ظُبًى تَتَبَسَّمُ
هو السيفُ يَمضي في اللِّقاءِ سَمِيُّهُ ، ولكنَّهُ أمضَى غِـراراً وأصرَمُ
قَطوعٌ ، إذا لم تَقْطَعِ البِيضُ نَبوةً ، وَصولٌ ، ففي حَدَّيْهِ بُؤسَى وأنعُمُ
تحامَتْ أعاديـه الشآمَ كأنّما أحاطَتْ بها للطَّعْنِ نارٌ تَضَرَّمُ
وقد أعظَمَتْهُ الرُّومُ ، فاستصغَرَتْ به أكابرَها ، إنَّ الشُّجاعَ مُعظَّمُ
فَحَلَّتْ عُرى تيجانِها لمُؤيِّدٍ ، يَخُرُّ له ذو التَّاجِ ، وهو مُعَمَّمُ
غَنِيٌّ عَنِ الجَيْشِ اللُّهامِ بنفسِه ؛ فقيرٌ إليه الجيشُ ، وهو عَرَمرَمُ
إذا جَدَّ في تَعريسِهِ وبُكورِه ، رَأيتَ بِقاعَ الأرضِ تُثْري وتُعْدِمُ
سَرَى والثَّرى حَرَّانُ يَرقُبُ مُزنَه ، فراحَ على حَرَّانَ يَهْمي ويَسجُمُ[5]

---

1 قوله بطره : هكذا في الأصل ، ولعلها زِبَطرة ، وهي بلد مشهورة في حروب العرب والروم .

2 المجر : الجيش العظيم . وأراد بالصل : سيف الدولة .

3 المحرم : الحرام ، ولعله أراد العريان قابل به الكاسي . القيون : الحداد .

4 المعلم : الواسم نفسه بسمة الحرب .

5 حرّان الأولى : عطشان ، والثانية : مدينة مشهورة .

وقد سفَرَتْ أخلاقُهُ وتوضَّحَتْ شَمائِلُهُ والصُّبحُ لا يَتَلَثَّمُ
وأطلَعَ من زُرْقِ الأَسِنَّةِ أنجُماً ، على الثَّغْرِ تَرعاها من السَّعْدِ أنجُمُ
وأبرقَ ما بينَ الدُّروبِ سَحابُه ، فصابَ ولكنْ صَوبُ بارقِه الدَّمُ
وإن ضُرِبَتْ دونَ الخليجِ خِيامُه ، فَمِنْ خَلفِهِ للرُّعْبِ جَيْشٌ مُخَيِّمُ
ومُعتَصِمٍ بالمَشرفيَّةِ لم يكنْ ليسلَمَ منه في ذُرى الطَّوْدِ أعصَمُ
وملمومَةِ الأقطارِ ، حَشْوُ عَجاجِها عِتاقُ المذاكي والوشيجُ المقوَّمُ[1]
ترقرَقُ في جِنْحِ الظَّلامِ ، فينجَلي وَتُرْهِجُ في صَدْرِ النَّهارِ ، فيُظلِمُ
سَنابِكُها من تَحتِها تَقرَعُ الصَّفا ، ورايَاتُها من فَوقِها تَترَنَّمُ
وخَيْلٍ تَحامَى السَّهلَ حتّى كأنَّها أجادِلُ تَحميها الشَّواهِقُ حُوَّمُ[2]
تُغيرُ على الأَعداءِ ، والنَّجمُ غائِرٌ ، وتَسْري به ، واللَّيلُ أسودُ مُظْلِمُ
أَلَمَّتْ بِشَطَّي أَرسناسَ وللقَنا شَظَاظٌ ، فَآبَتْ عنه ، وهو مُحَطَّمُ[3]
فلازالَ للأُسْدِ الخَوادِرِ مَصرَعٌ لَدَيْكَ وللغِيدِ الكَواعِبِ مَوسِمُ
وللوَفْدِ أعطانٌ ، وللرَّكْبِ مَنزِلٌ ، وللزَّوْرِ أَوطانٌ ، وللحَمْدِ مَبْسِمُ[4]
غَشَمْتَ العِدا واللَّيثُ لو قَلَّ غَشمُهُ لأَعدائِهِ ، ما قيلَ ليثٌ غَشَمْشَمُ[5]
وقارَعْتَ ، حتَّى ليسَ في الأرضِ خالعٌ ، وأَعطَيْتَ ، حتَّى ليسَ في الأَرْضِ مُعْدِمُ
إذا ما مضى يَومٌ منَ البِشْرِ مُسْفِرٌ ، أتى بعدَه يَومٌ من النَّقْعِ أَقْتَمُ
وَقائِعُ تُزْري بالوقائعِ قبلَها ، فتسبِقُها مَعدودَةً ، وتَقَدَّمُ
مَلَكْتَ بها حَيَّيْ نِزارٍ ويَعْرُبٍ ، فأَعطَوا بأيديهِمْ إليكَ وسَلَّموا

1 المذاكي : الخيول . وأراد بملمومة الأقطار : الكتيبة .
2 الأجادل : الصقور ، مفردها أجدل .
3 أرسناس : نهر ببلاد الروم . الشظاظ ، من شَظَّ القومَ : فرّقهم وطردهم .
4 أعطان ، مفردها عَطَن : مبرك الإبل ومربض الغنم حول الماء .
5 الغَشَمْشَم : الشجاع الذي يركب رأسه فلا يثنيه شيء عمّا يريد .

جَوانِحَ ، إلاّ عن قَناكَ ، كأنَّما حَريمُهُمُ ، إلاّ عليكَ ، مُحَرَّمُ
فمِنْ أسَدٍ تأوي الفريسةَ غِيلُهُ ، وتَرتَعُ في عِرِّيسِهِ ، وهو ضَيْغَمُ[1]
ودامٍ شبا أظفارِهِ من عَدُوِّهِ ، ولكنَّـه عمّا حَمَيْـتَ مُقَلَّمُ
شَهِدْتُ ، لقد سادَتْ عَدِيٌّ بسَيِّدٍ ، يَجودُ ، إذا ضَنَّ الغَمامُ ويَحلُمُ
وكيفَ ينالُ الناسُ مَجْدَ قَبيلَةٍ عليُّ بنُ عبدِ اللهِ ، والمجدُ مِنهُمُ
فَهِمْتَ ، فأعطَيْتَ الجَزيلَ ، ولم يكنْ ليُعْطى ، وإنْ أعطَى الذي ليسَ يَفهَمُ
مَدائِحُنا ، وَقْفٌ عليكَ ، فما تَني تُدَبِّجُهـا أفكارُنـا وتُنَمْنِمُ
وآمالُنا تَنأَى إذا كنتَ نائياً ، وتَقْدَمُ بالنُّعْمى لنا حينَ تَقدَمُ

402

وقال يمدحه ويذكر بعض غزواته : [من الوافر]

سَحائِبُكَ في السَّماحِ لها انسجامُ ، ونارُكَ في العَدُوِّ لها ضِرامُ
وصَوبُ يَدَيكَ ما جَرَتا حياةٌ ، تَعُمُّ بها البَرِيَّةَ ، أو حِمامُ
فمِن يُسراكَ تَنْهَلُّ المَنايا ، ومن يُمناكَ تَنْهَلُّ الغَمامُ
عَهِدْنا مِنْكَ ذا نِقَمٍ ولكنْ كَرُمْتَ ، ففيكَ نُعمى وانتقامُ
إذا ما اشتدَّ بأسُ اللهِ يوماً على قومٍ ، فأنتَ له حُسامُ
رَمى بكَ شامخاتِ الرّومِ عَزمٌ ، هو الإصباحُ ما عَنَّ الظَّلامُ
فجُستَ خِلالَها بمسوَّماتٍ ، يَشُقُّ على الجنائبِ ما تُسامُ[2]
وقد كانَتْ لهم عِصَماً ، فأَضحَتْ ، وليسَ بهنّ للعُصمِ اعتصامُ[3]

---

1 الغِيل : موضع الأسد ، وكذلك العِرِّيس .

2 جاس خلالها : دار فيها بالعيث والفساد وطلب ما فيها . المسوَّمات : المرعية ، المرسلة مطلقة . ما تُسام : ما تكلّف .

3 العصم الأولى ، مفردها عصمة : الملجأ ، والمكان الممتنع . والثانية ، مفردها أعصم : الظبي الذي في ذراعيه أو في إحداهما بياض وسائره أسود أو أحمر .

نَظَرْتَ إلى الحُصونِ بها ، فخرَّتْ ، كما خَرَّتْ لتقويضٍ خِيامُ
ولمّا أسهَلَتْ بكَ ، طالعاتٍ أعِنَّتُها ، كما انقَضَّ الحِمامُ
وقد كانَتْ موَضَّحةً ، فغطّى على أوضاحِها الدَّمُ والقَتامُ[1]
نَثرْتَ على الخليجِ الهامَ ، حتّى كأنَّ حَصى الخليجِ طُلًى وهامُ[2]
عُلًى بَعُدَتْ مسافَتُها ، ومَجْدٌ تَعالَى أن يَهُمَّ بهِ هُمامُ
وآثارٌ تَمُرُّ بها اللَّيالي ، وهُنَّ على جِباهِ الدَّهْرِ شامُ
لِأَغلبَ ، عامُه في السِّلْمِ يَومٌ ، ولكنْ يَومُه في الحَربِ عامُ
يُضِيعُ الحَزمَ مَنْ ناواهُ ، حتّى يَبيتَ ، وما يُشَدُّ له حِزامُ
وأرَّقَه ، وبَادَرَ في سُراه إليه ، فما يُنيمُ ، ولا يَنامُ
حلَفْتَ بما بَنَتْهُ لكَ العَوالي منَ الشَّرَفِ الذي لا يُستَضامُ
وبارِقَتَيْنِ في يُمناكَ : هذي تُشامُ حَياً ، وهذي لا تُشامُ
لتَخترِمَنَّ سائمةَ الأعادي بأَرْوَعَ لا يُراعُ له سَوامُ
يُهَجِّرُ ، والرِّماحُ عليه ظِلٌّ ، ويُسفِرُ والعَجاجُ لهُ لِثامُ
وذي لَجَبٍ تَضِلُّ البيدُ فيه ، وتُفتَقَدُ الضَّحاضحُ ، والإكامُ
نأَتْ أقطارُه ، فالأرضُ تُخْفي جُموعاً ، والسَّماءُ له نَعامُ[3]
كتائبُ للقَنا ، فيها اشتجارٌ ، وللرّاياتِ والرِّيحِ اختصامُ
أسَيفَ اللهِ أنتَ الناسُ طُرّاً لِراجي العُرْفِ ، والدّنيا شآمُ
أقَمْنا لا نَريمُ ، وسالَمَتْنا بساحَتِكَ الخطوبُ ، فما نُرامُ[4]
فكلُّ زَمانِنا أبداً ربيعٌ ؛ وكلُّ شُهورِنا الشَّهرُ الحَرامُ

---

1 الموضَّحة : أراد أنها بيضاء الغرّة والقوائم . القتام : الغبار .

2 الطُّلى : الأعناق ، مفردها طُلْيَة وطلاة . الهام : الرؤوس ، مفردها هامة .

3 النعام : المفازة ، المحجة والطريق .

4 لا نريم : لا نفارق .

فِـــداؤُكَ مَنْ مَناقِبُـهُ نُجومٌ   تَلوحُ ، ومَنْ مَواهِبُهُ جِسامُ
إذا ما كنتَ أكرمَ مَنْ علَيْها ،   فكيفَ أقولُ تَفديكَ اللِّئامُ
وقد طلبَ الملوكُ مَداكَ شأواً ،   فَخَامَوا عن مَداكَ ، وهم كِرامُ[1]
عَلامَ حرَمْتَني إنشادَ شِعْري ،   لديكَ وقد تَناشَدَه الأنامُ
ولي فيكَ التي تُلغي القَوافي ،   إذا ذُكِرَتْ ، ويُمتَهَنُ الكَلامُ
تُقَصِّرُ عن مَداها الرِّيحُ جَرْياً ،   وتَعْجَزُ عن مواقِعِها السِّهامُ
تَناهَبَ حُسنَها شادٍ وحادٍ   تُحَثُّ بهـا المَطايا والمُدامُ
لكَ النِّعَمُ التي جَلَّتْ ، ولكن   دُنُوّي منك والقُربُ التَّمامُ
وتَشريفي القيامُ إزاءَ مَلْكٍ ،   ملوكُ العالَمِينَ له قِـيامُ
وإحضاري ، إذا حَبَّرْتُ شِعْراً ،   لتسمعَ ما أُحَـبِّرُ ، والسَّلامُ

403

وقال يمدح أبا الفوارس سلامة بن فهد ويهنئه بالفطر : [من الرجز]

إلمامُها أهدَى إلى الصَّبِّ لَـمَمْ ؛   إذ طَرَقَتْ وهْناً ، فَحَيَّتْ من أَمَمْ[2]
لاعِبَةٌ زارَتْ مُجِدّاً لَعِبَتْ   به السُّرى والأرحبيَّاتُ الرُّسُمْ[3]
باتَتْ تُريه البانَ ، وهو مُغْرِبٌ   في حَمْلِه الوردَ الجنيَّ والعَنَمْ
وطَلعةً ، سالَم ضوءُ صُبحِها   ظلامَها ، والصُّبحُ حَربٌ للظُّلَمْ

---

1 خاموا : نكصوا ، وجبنوا .

2 إلمامها : من ألَـمَّ به : أتاه . اللمم : الجنون . الأمم : القرب . الوَهْن : نحو منتصف الليل أو بعد ساعة منه .

3 الأرحبيّـات : النياق منسوبة إلى قبيلة أو إلى فحل . الرسم : الشديدة السير ، مفردها رسوم .

وقد عفا مَنزِلُها بقلبِه ، كما عفا منزلُها بذي سَلَمْ
أحَلَّها منه مَحَلّاً صَدَداً ، لا الرِّيحُ تَعفوهُ ولا صَوبُ الدِّيَمْ[1]
يا كَذِبَ القُربِ المُفيدِ نِعمةً منها ، ويا صِدْقَ البُعادِ المُنتَقِمْ
لا تُنْكِرا فَرطَ سَقامي ، إنما حَمَلْتُ عن أجفانِها بَعضَ السَّقَمْ
آنستُ منها بخَيالٍ آنسٍ ، يُسابِقُ الغُمْضَ ، إذا الغُمْضُ أَلَمّ
وعارضٍ أكلأُ منه بارِقاً ، كالنارِ شَبَّتْ في ذُرى طَوْدٍ أشَمّ
إذا ادلهَمَّ ابتسمَتْ لشائمٍ أقطارُه ، فاختلفَتْ منه الشِّيَمْ
كأنه نَشوانُ جَرَّ ذَيلَه ، فكلَّما رِيعَ انتضَى عَضْباً خَذِمْ
حتى إذا الرَّعدُ انبرَتْ ألسُنُه ، كأنما يَخلِطُ لَحْناً بِكَلِمْ
فاطَّرَدَ الماءُ على أرجائِه ، ونارُه من كلِّ أفقٍ تَضطَرِمْ
وحلَّت الرِّيحُ نِطاقَ مُزْنِه ، فعادَ منه البَرُّ بحراً مُلتَطِمْ
قُلْنا ، وقد أخجلَ فيضَ جُودِه جُودُ ابنِ فَهْدٍ : كَرَمٌ بعدَ كَرَمْ
العارِضُ المُختالُ من إنعامِه وبأسِه ما بينَ نُعْمى ونِقَمْ
مُسَلَّطُ البأسِ على أعدائِه ، ومُؤثِرُ الجُودِ على الأمرِ المُهِمّ
بَنَتْ أياديــه بِهَـدْمِ مالِــه سُورَ عُلًى للأزدِ غيرَ مُنهدِمْ
ثناؤُنا زَهْرُ الرَّبيعِ المُجتلى ، وجُودُه صَوبُ الرَّبيعِ المُنسجِمِ
كَم قالَ مَنْ يسمعُ مَدحي ويرى إحسانَه : عاش زهيرٌ وَهَرِمْ
لا أعدَمَ اللهُ الأَنامَ ظِلَّه ، فقد أزالَ الخَوفَ عنه والعَدَمْ
هذا ، ويَومٍ تكتسي البِيضُ به لَوْناً ، وتكسُو لونَها سُودَ اللِّمَمِ
كأنــه لَيــلٌ بَهيمٌ خَطَرَتْ فيه منَ الشُّمِّ البَهاليلِ بُهَمُ[2]

---

1 الصّدد : القريب .

2 البهاليل ، مفردها بهلول : السيد الجامع لكل خير . البُهم ، مفردها بُهمة : الشجاع الذي يستبهم مأتاه على أقرانه .

أُسْدٌ لَها ، من بِيضِها وسُمرِها ، جَـداوِلٌ مُطَّـرَداتٌ وأَجَـمْ

يَنثُرُ بالطَّعْنِ أنابيبَ القَنا ، كما وَهى سِلكُ الفِرِنْدِ المُنتَظِم

أقـامَ ، إذ عَـرَّدَ فيه قِرنُه ، بالسَّيفِ في قلبِ العَجاجِ مُعتَصِم[1]

حتى تَجلَّى النَّقعُ عن أسيافِه ، كما انجلَى عن وَضَحِ الشَّيْبِ الكَتَم[2]

يا أقربَ الناسِ مَنالاً في النَّدى ؛ وأبعدَ الناسِ مَراماً في الهِمَم

صُمْتَ ، فأعطَيْتَ الصِّيامَ حقَّه ؛ ورُبَّ ذي صَوْمٍ خِداجٍ لم يَصُم[3]

فانعَمْ بفِطْرٍ حَسُنَتْ أيامُه ، حتى لَخِلْناها من الحُسْنِ نِعَمْ

وافاكَ ، والغَيْثُ عَميمٌ والرُّبى ضاحكةٌ بالزَّهْرِ ، والنَّبْتُ عَمَم[4]

فاغتَنِمِ العَيشَ الذي من حَقِّه ، إذا صَفَتْ أيامُه أن يُغتَنَمْ

وحَمِّلِ الكأسَ الهُمومَ ، إنَّها مَطِيَّةٌ للـهَمِّ يحدوها النِّعَمْ

مُذْهَبَةٌ تَبسِمُ عن حَبابِها ، مثلَ جَنى النَّرجِسِ جادَ ، فابتَسَم[5]

واجتَلِها عَذراءَ لم تأْتِ بها غادَةُ نَهَّابٍ تَعَدَّى ، وظَلَم[6]

كأنها زَهْرَةُ رَوْضٍ أشرَقَتْ أجفانَها المُزنُ بِدَمْعٍ مُنسَجِمْ

وخَيرُ هذا الشِّعرِ ما تَلبَسُه من ثِقَةٍ في الشعرِ غيرِ متَّهَمْ

404

وقال في طبيب يذكر براعته : [من السريع]

بَرَّزَ إبراهيمُ في عِلمِه ، فراحَ يُدعى وارِثَ العِلمِ

1 عرد : ترك الطريق وانحرف عنها .

2 الكتم : نبت يخضَّب به الشَّعر .

3 الخداج : الناقص من كل شيء .

4 العَمَم : الكثير .

5 جاد : طال وحَسُنَ جيدُه .

6 اجتلى الشيء : نظر إليه .

أوضحَ نَهْجَ الطُّبِّ في مَعْشَرٍ ، مازالَ فيهم دارِسَ الرَّسمِ
كأنه من لُطفِ أفكارِه يَجولُ بين الدَّمِ واللَّحمِ
لو غَضِبَتْ روحٌ على جِسمِها ، أصلحَ بينَ الروحِ والجِسمِ

405

وقال يمدح أبا أحمد عبد الله بن إبراهيم بن فهد ويهنئه بالفطر : [من البسيط]

ما وَدَّعَ اللَّهوَ لمَّا بانَ مُنصَرِما ، حتى تَلَفَّتَ في أعقابِه نَدَما
بكى على الجَهْلِ ، إذ وَلَّى ، فأعقبَه حِلْماً أَراهُ الصِّبا لمَّا مضَى حُلُما
رُدًّا عليه رِداءَ اللَّومِ فيه ، وإنْ رَدَّ الحنينَ أنيناً ، والدموعَ دَما
صبابــةٌ تَلبَسُ الكِتمانَ كامنــةً بين الضُّلوعِ ، وشَيبٌ يَلبَسُ الكَتَما
لا أُظلِمُ الحُبَّ في رَيًّا ، وإنْ ظلَمتْ ، ولا أُكَفكِفُ فيه الدَّمعَ ما انسجَما
هي القَضيبُ ثَنى أعطافَه هَيَفٌ ، فكادَ يَنثُرُ منه الوردَ والعَنَما
مظلومَةُ الحُسنِ ، إن شبَّهتُ طَلْعَتَها صُبحاً ، يسالمُ في إشراقِه الظُّلَما
جُهْدُ المتيَّمِ أن يَرعى العهودَ لها ، حِفْظاً ، ويَحْمِلَ عن أجفانِها السَّقَما
إن يَظْمَ مِنْها إلى طِيبِ العِناقِ ، فكَم رَوَّتْ جوانِحَــه ضَمّــاً ومُلتَثَما
وصاحبٍ لا أَمَلُّ الدَّهْرَ صُحبَتَه ، يُعَبِّسُ الموتُ فيه كـلَّما ابتسَما
تُنبي الطَّلاقَةُ ، في مَتْنَيْهِ ظاهِرَةً عَنِ القُطوبِ الذي مازالَ مُكتَتِما
إذا اعتَصَمْتُ به في يَومِ مَلحمَةٍ حسبتُني بِسَليلِ الأَزْدِ مُعْتَصِما
وعارضٍ ما حَداه البَرقُ مُبتَسِماً ، إلاّ أرانا ابنَ إبراهيمَ مُبتَسِما
يبكي ، فينثُرُ من أجفانِ مُقْلَتِهِ دُرّاً غَدا في جُفونِ النَّورِ مُنتَظِما
كأنَّما الرَّوْضُ ، لمّا شامَ بارِقَه ، أفادَ أخلاقَ عبدِ اللهِ والشِّيَما[1]

1 أفاد : أراد استفاد .

أغَرُّ يَغمرُ شُكْري فَيْضَ أنْعُمِه ، فكلَّما ازدَدْتُ شُكْراً زادَني نِعَما
دَعا الخطوبَ إلى سِلمي وحرَّمَني ، على النوائبِ لمّا راحَ لي حَرَما
مُمهِّـدٌ لي في أكنافِـه أبـدًا ظِلّاً عَدِمْتُ لديه الخوفَ والعَدَمَا
وتارِكٌ ماءَ وَجْهي في قَرارَتِه ، بماء كَفَّيْهِ لمّا فاضَ مُنْسَجِما
رَضِيتُ حُكْمَ زَمانٍ كان يُسخِطُني ، مُذْ صارَ جَدواه فيما بيننا حَكَما
وإن غدوتُ زُهَيراً في مدائِحِه ، فقَد غدا بتوالي جُودِه هَرِما
هُوَ الغَمامُ الذي ما فاضَ مُحتَفِلاً ، إلا أصابَ نَداه العُربَ والعَجَمَا
يا ابنَ الذَّوائبِ دُمْ في مُنتَهى شَرَفٍ شابَتْ ذَوائِبُه ، والدَّهْرُ ما احتلَما
فكم يَدٍ لكَ لم تُخلِقْ صَنائِعُها عندَ العُفاةِ وأخرى جَدَّدَتْ نِعَما
ومَشهَدٍ ما جرَى ماءُ الحديدِ به ، إلاّ غَدَا البَرُّ بَحراً ثَمَّ مُلتَطِما
ضاقَتْ جوانبُه بالبِيضِ ، فازدَحَمَتْ كالماء ضاقَ به اليَنبوعُ ، فازدَحَما
أضرَمْتَ نارَ المَنايا في النُّفوسِ بِه ، ضَرماً ، وأَخْمَدْتَ من نيرانِهِ ضَرَما
أما الصِّيامُ ، فقد لَبَّيْتَ داعِيَه ، إلى العَفافِ ، ولم تُظْهِرْ له صَمَما
تركْتَ فيه سَماءَ الجُودِ هاطِلَةً ، فإنْ مَضَتْ دِيَمٌ أتبعْتَها دِيَما
أناملٌ ، ما هَجَرْتَ الكأسَ دائرةً ، إلا وَصَلْنَ النَّدى والسَّيفَ والقَلَما
فاسلَمْ لرَعْيِ زِمامِ المَجدِ مُجتَنِباً مَنْ ليسَ يَرعَى له إلّاً ولا ذِمَما[1]
واسعَدْ بقادِمَةٍ كالحَلْيِ حامِلَةٍ شُكْراً تُهنِّيكَ بالعيدِ الذي قَدِما
مُقلَّدٌ بزِمامِ القَولِ قائِلُها ، فما تَكلَّمَ إلا دَبَّجَ الكَلِما

406

وقال يصف السحاب : [من الرجز]

سارِيَـةٌ في غَسَقِ الظَّلامِ دانيةٌ من قُلَـلِ الآكـامِ

---

1 الإلّ : العهد .

جاءَتْ مَجِيءَ الجَحْفَلِ اللُّهَامِ ، وافترَقَتْ كالإبِلِ السَّوامِ
كأنَّها ، والبرقُ في ابتسامِ ، كَتيبَةٌ مُذْهَبَةُ الأَعْلامِ
دَنَتْ من الأرضِ بلا احتشامِ ، ثم بَكَتْ بُكاءَ مُستهامِ
فاستبشرَتْ بسابغِ الإنعامِ ، وثَرْوَةٍ تَحكُمُ في الإعدامِ
كأنَّها ، في خِلَعِ الغَمامِ ، مُحِلَّةٌ مَلَّتْ منَ الإحْرامِ

407

وقال يدعو صديقين له ويداعبهما : [من مجزوء الوافر]

غَدَتْ لذَّاتُنا أُمَمَا ، فلم تَحسُنْ لبُعْدِكُما
وقد حَثَّ ابتسامُ البرقِ دَمْعَ المُزْنِ ، فانسجَما
وحَنَّ الرَّعْدُ ، حتى خِلْتُه يَستَعْطِفُ الدِّيَما
وعندي قَيْنَةٌ نَظَمَتْ شَتيتَ العَيشِ فانتظَما
كشَمْسٍ سالَمَتْ ظُلَماً ، وغُصْنٍ حاملٍ عَنَما
وصافِيَةٌ ، إذا ابتسمَتْ أَرَتْنا العيشَ مُبْتَسِما
ورَيحانٌ يَروقُكُما ، ونَدمانٌ يَسُرُّكما
وعِلْقٌ مُعْلَمٌ بالحُسْنِ أَضحى يَحْمِلُ العَلَما
كأنَّ جَبينَه صُبْحٌ حَوى من طُرَّةٍ ظُلَما
وشَيءٌ لستُ أذكُرُهُ ، حِذاراً أن أُطيرَكُما
إذا داوى به شَبَقُ السَّريرَةِ داءَه انحسَما
ولو كُحِلَتْ به عَيْنا معاويةٍ لَمَا حَلُما
فسِيرا تَلْقَيا بَحراً منَ اللَّذَّاتِ مُلتَطِما

وقال يصف الصيد بالكلب : [من الرجز]

قد أغتدي ، والصُّبحُ في إقدامِه ،	واللَّيلُ قد أعرَضَ لانهِزامِه
كأنَّما الجَوْزاءُ في انصِرامِه ،	راعي سَوامٍ بَثَّ من سَوامِه[1]
أو مُتَمَطٌّ هَبَّ من منامِه ،	بمُلجَمٍ قد باتَ في لِجامِه
مُصْغٍ إلى الفارسِ في قِيامِه ،	حتى خَبا المصباحُ من مُدامِه
وقَلَّ سَيرُ كأسِه وجامِه ،	قد أُلهِمَ الطَّاعةَ في إلهامِه[2]
ومُخطَفٍ شَمَّرَ عن أكمامِه ،	مُحتَلِمٍ قد سادَ بابنِ عامِه
يَكتَنُّ بَدْرُ الأُفْقِ في لِثامِه ،	يُجنَبُ مَغبوطاً على إكرامِه[3]
مُبَجَّلاً دونَ بني أعمامِه ،	أُهرَتَ كالمُغرقِ في ابتسامِه[4]
ضَمَّرَه في مُبتَدى أعوامِه ،	وصانَه عن عابِه وذامِه
فجاء كالمُفرِقِ من سَقامِه ،	يَطرِفُ عَنْكَ الجَمْرَ في ضِرامِه[5]
ألحاظُه تُخْبِرُ عن عُرامِه ،	يَشُبُّ ما حُرِّكَ من زِمامِه[6]
كأنَّما رُوِّعَ في أحلامِه ،	حتى إذا ما افترَّ عن حُسامِه
واحتدَمَ المِقدارُ في احتدامِه	واستنزلَ السِّربَ على أحكامِه
أحرزَ ما رُمناه من آرامِه ،	فما رُزِقْناه ، فَمِنْ إنعامِه[7]

---

1 بَثّ : تفرّق .

2 سَيْرُ كأسِه : يريد أن يده تُبطىء في حمل الكأس إلى فمه . الجام : الكأس .

3 يكتنّ : يستتر .

4 الأهرت : الواسع الفم .

5 المفرق من سقامه : الذي أفاق منه وبرىء .

6 العُرَام : الشراسة والأذى .

7 الآرام ، مفردها ريم : ظبي .

وما حُرِمْناه ففي ذِمامِه ، حتى يذوقَ المُرَّ من حِمامِه

409

وقال يمدح أبا الفوارس سلامة بن فهد ويذكر برءه من علة كانت نالته ويعتبه في أخراها على إلحاقه الخالديين في الشِّعر به ويذمهما : [من الكامل]

ما تَمَّ وَشْكُ البَيْنِ حتّى تَيَّما ، وأعادَ عِرفانَ السُّلُوِّ تَوَهُّما
فعَلامَ يَعْصِي الشَّوقَ مُشتاقٌ غَدا طَوْعَ الصَّبابَةِ ، أو يُطيعَ اللُّوَّما
يا دارُ لو تَرَكوا الفؤادَ مُسَلَّماً من حُبِّهِم ما عُجْتُ فيكِ مُسلِّما
بل لو أطاعَ اللَّومَ فيكِ مُتَيَّمٌ ، ما كانَ فيكِ على الهَوى مُتَلَوِّما[1]
لم يَبْكِ من حَذَرِ الوُشاةِ ، وطالما وَشَّى بأَدْمُعِه رُباكِ ونَمنَما
أيامَ يَنأى القلبُ من حُرَقِ الهَوى ، فإذا دَنَتْ منه خِيامُكِ خَيَّما
ما شيَّعَتْهُ بدَمْعِها مُقَلُ الدُّمَى إلا وقد أبكَيْنَ مُقلَته دَما
قُضْبٌ تَميلُ فتستَميلُ متيَّماً ، ونواظِرٌ تَسجُو ، فتَشجُو مُغرَما[2]
ومَهاً تُريكَ اللَّيلَ صُبْحاً مُشْرِقاً بجمالِها ، والصُّبحَ ليلاً مُظْلِما
لمّا بَدا وجدي ، وكان مُكتَّماً ، أَبْدَيْنَ وَجْداً كان فيَّ مُكَتَّما
ونَشَرْنَ مَطْوِيَّ المحاسنِ للنَّوى فأَرَيْننا عُرْساً بذاك ومَأْتَما
شرفاً بني فَهْدِ بنِ أحْمَدَ ، إنَّكم أوفى الملوكِ سَماحةً وتكرُّما
حَكَّمْتُمُ المعروفَ في أموالِكُمْ ، والخوفَ في أعدائِكُم ، فَتَحَكَّما
وعَلِمْتُمُ أنَّ المَكارِمَ رُتبَةٌ مَنْ نالَها كانَ الكريمَ المُعلَما
فحذَتْ بها صِيدُ المُلوكِ ، وفاخرَتْ بأبي الفوارسِ ، فانتَمَتْ حيثُ انتَمَى
بِمُشَهَّرٍ في الجُودِ يَظْلِمُ مالَه بنَوالِه ، فلو استطاعَ تَظَلَّما
ومُقَدَّمٍ جارَى الملوكَ إلى العُلى ، فتأخَّروا عن شأوِهِ وتقدَّما

1 المُتَلَوِّم : المتعرِّض للآئمة .

2 تسجو : تسكن وتفتر .

بأسٌ كَصَرْفِ الدَّهرِ أشرفَ فاعتدَى ، ونَدىً كَصَوْبِ المُزْنِ صُوِّبَ فانهمَى
وإذا ارتدى بالسَّيفِ خَفَّ مَضاؤه ؛ وإذا ارتدى بالحِلمِ كان يَرَمْرَما[1]
وإذا وَعى مدحاً تَبسَّمَ ضاحِكاً ، واهتزَّ كالرّمحِ انثَنى وتَقَوَّما
أعدى الزَّمانَ صَنيعةً ، فأعادَه جَذلانَ بعدَ عُبوسِهِ مُتَبَسِّما
وغدا أحقَّ بلُبْسِ أثوابِ العُلَى ، والمَجدُ قد تركَ المُهنَّدَ مُحْرِما[2]
فَلْيَهْنَه البُرْءُ الذي أبرى النَّدى من دائِه ، وأراه سَعْداً مُنْجِما[3]
وقَصائدٍ يُهْدى إليكَ بِقَصْدِها فَرَحاً ، يَكونُ إلى السَّلامَةِ سُلَّما
يا أيها الملكُ الذي حازَ العُلَى ، لمّا تَقَسَّمَها الملوكُ تَقَسُّما
ألحقْتَ بي في الشِّعْرِ خِدْنَيْ لُكْنَةٍ بَكَرا وراحا في البَلادَةِ تَوأَما[4]
وأنا الذي دَبَّجْتُ لمّا ثَبَّجَا ، وعُرِفْتُ بالإفْصاحِ لمّا استعجَما[5]
أثريتُ في الشّرفِ القديمِ ، وأعدَما ، ونَطَقْتُ بالمَدْحِ الرَّصينِ ، وأُفْحِما
هذا ، ومَنْ أخَّرْتَ كان مُؤَخَّراً منا ، ومَنْ قدَّمْتَ كان مُقَدَّما
ما الناسُ إلا شاكراً لكَ نِعْمَةً جادَتْ يداك بها ، فجادَ وأنعَما
أو مادحاً ، وجدَ المديحَ مُسَيَّراً ، ورأى الكلامَ مُصَدَّقاً ، فتكلَّما

410

وقال : [من البسيط]

غالَت بني مَطَرَ الأيامُ واكتأبَت ، كأنما استعبرَت من بعدهِم ندَما
أمّا وقَد غَدَرَتْ بِيضُ السيوفِ بهم ، فليسَ تَرعَى لخَلْقٍ بعدَهم ذِمَما

---

1 يرمرم : اسم جبل .
2 مُحْرِم : يريد أن السيف مسلول .
3 المُنْجِم : الطالع والظاهر .
4 اللكنة : عجمة في اللسان .
5 ثَبَّج الكلامَ : لم يأتِ به على وجهه ، ولم يفصح في القول والنظم .

فنازحٌ حكَمَ الأعداءَ في دمِه ، وكان في مُهَجِ الأعداءِ مُحتكِما
وباسطُ الباعِ يَسقِي الغيثُ رِمَّته قبلَ الأنامِ إذا ما فاضَ فانسجَما
مُغضي الجُفونِ على هيفاءَ ساميةٍ ، قد وشَّحَته ظُباةُ المشرَفيِّ دَما
كأنّمـا بشَّروه بالرجـوعِ إلى ما كانَ منه فغضَّ الطَّرْفَ وابتسَما

411

وقال : [من مجزوء الرجز]

إشرَب فقَد شَرَّدَ ضَو ءُ الصُّبحِ عنا الظُّلَما
وَانْبَسَطَ النُّورُ على وجهِ الثّرى ، فابتسَما
كأنّما أطلعَ ما ءُ المُزْنِ فيه أنجُمَا
وصَوَّبَ الإبريقُ في الـ ـكاسِ مُداماً عَنْدَما
كأنَها إذ مَجَّها مُقَهقِهاً ، تَبكِي دَما

412

وقال في غلام كان يهواه : [من الوافر]

بنفسي من أجودُ له بنفسي ، ويَبخَلُ بالتحيَّةِ والسَّلامِ
ويلقاني بِعِزَّةِ مُستطيلٍ ، وألقاه بذِلَّـةِ مُستهـامِ[1]
وَحَتْفِـيَ كامنٌ في مُقْلتَيه ، كُمونَ الموتِ في حَدِّ الحُسامِ

413

وقال في رجل من شيبان صُلب بالموصل وكان بينهما مودة وقد مضى ذكره ، يرثيه : [من الهزج]

أبا الصابِ سقاكَ اللّـ ـهُ صَوبَ المُزنِ سَجّاما

1 المستطيل : القادر وذو الفضل .

دعاكَ القِرنُ ، والبيضُ تَعُدُّ البَيْضَ والهامَا
فأقدمتَ وليسَ العا رُ أن تُقتلَ إقدامَا
لقد فلَّ شَبا الصَّمصا مِ من بأسِك صَمصَامَا
وقد عانَقَ منكَ الجذْ عُ رَحبَ الباعِ بسَّاما
فما تَعلو عليكَ الطيـ ـرُ إجلالاً وإعظَاما

414

وقال يمدح ناصر الدولة وسيفها : [من المنسرح]

أَفي دُمىً أَبكَتِ العيونَ دَما ، أعَدْتَ لَوماً يُعيدُ لي لَـمَما[1]
حَكَمْنَ باللَّحْظِ في القُلوبِ ، وقد حُكِّمَ فيها الفِراقُ ، فاحتكَما
غَداةَ ضَنَّتْ بها السُّجوفُ ، فلم نَـروَ عِناقـاً منهـا ومُلتَـثما
فمن شموسٍ قد تُوِّجَتْ ظُلَماً ، ومن غصونٍ ، قد أثمرَتْ عَنَما
ما يَـمَّمَتْ عيسُها العقيقَ ضُحىً ، حتَّى لَقِينا بها الرَّدَى أَمَما
ورُبَّ رامٍ أصابَ قَلْبـيَ بالْـ ـلَحْظِ غَداةَ الفِراقِ حينَ رَمَى
وطالمـا دامَ وَصْلُـه ، فغَدا ، يُمْطِـرُني من مُدامِــه دِيَمـا
إذا دَجَى اللَّيلُ كان لي قمراً ، وإن بدا الصُّبحُ كان لي صَنَما
قد قلتُ ، واللَّيلُ خافِضٌ علَماً للرَّكْبِ ، والصُّبحُ رافعٌ عَلَما :
عمَّا قَليــلٍ يَعــودُ مَورِدُنـا عَذْباً ، وتَغدو هُمومُنا هِـمَما
لا نَعْدَمَنْ غُرَّةَ الأميرِ ، فقد أعدَمَ مِنْ جُودِ كَفِّهِ العَدَما
سَيفُ الإمامِ الذي نَصولُ على الدْ ـدَهْرِ ، إذا الدَّهْرُ صالَ أو عَرَما[2]

---

1 اللَّمَم : جنون خفيف .
2 عَرَم : اشتد وخرج عن الحد .

وناصرُ الدولةِ التي شَمَلَتْ ، بالعَدْلِ ، عُرْبَ الأَنامِ والعَجَما
تَكامَلَ العِلْمُ فيه ، واكتهلَتْ آراؤُه قَبْلَ أن يَبْلُغَ الحُلُما
يَستنجدُ السَّيفَ في الخطوبِ ، إذا راحَ سواه يَستنجدُ القَلَما
صُبْحٌ منَ العَدلِ ما انتحى بلداً ، إلا جَلا الظُّلْمَ عنه والظُّلَما
كم من مَخُوفٍ سَما له حَسَنٌ بالسَّيفِ ، حتى أعادَه حَرَما
في جَحْفَلٍ غَصَّتِ الفِجاجُ بهِ ، وأَنَّ من وَطْئِهِ الثَّرى أَلَما
إذا غدا خافِقَ البُنودِ غَدَتْ جُنْدُ المَنايا لجُنْدِه خَدَما
كأنَّ في البَرِّ من سَوابِغِهِ بحرُ حديدٍ يموجُ مُلتَطِما
كأنَّ للرَّعْدِ تحتَه صَخَباً يَعْلو ، وللبَرقِ فوقَه ضَرَما[1]
فسَرَّنا بِشْرُ غارَةٍ ملأَتْ بالخيلِ غَورَ البلادِ والأَكَما
وسَدَّ أفْقَ السَّماءِ قَسطَلُهُ ، فَخِيلَ دونَ السَّماءِ منه سَما
طلعتَ فيه على العِراقِ ، فكَم وَفَّرْتَ وَفْراً ، وكم حَقَنْتَ دَما
قد قلتُ ، إذ أشرقَ الهُدى فَعَلاَ ، وانهَدَّ رُكْنُ الضَّلالِ ، فانهَدَما :
لا يَغرِسُ الشَّرَّ غارسٌ أبداً ، إلا اجتنَى من غُصونِه نَدَما
إليك حَثَّتْ رِكابَها عُصَبٌ تَخوضُ بَحْرَ الظَّلامِ حينَ طَمى
لمّا خطَوا عَافِيَ الرُّسومِ من الـ ـبيدِ أناخُوا الرَّكائبَ الرُّسُما[2]
رَأَوا رياضَ النَّدى مُدَبَّجةً ، فدبَّجُوا في فَنائِها الكَلِما

415

وقال يمدح سيف الدولة : [من الكامل]

إنْ عادَه بعدَ السُّلُوِّ غَرامُه ، فَلَه من الدَّمْعِ المَصونِ سِجامُه

---

1 الضَّرَم : الاشتعال .
2 الرُّسَّم : الإبل السائرة رسيماً ، أي سيراً شديداً .

لا غَرْوَ إنْ غَرِيَ العَذولُ بِلَوْمِه ، طالَتْ صَبابَتُهُ ، فطالَ مَلامُه
ما هاجَ عَهْدَ الشَّوقِ إلا مَعْهَدٌ ، رامَتْ بقلبي في الهَوى آرامُه[1]
وأنا الفِداءُ لمَنْ أصابَ مَقاتِلي باللَّحظِ مِنْ خِلَلِ السُّجوفِ سِهامُه
أبدَى لنا البدرَ المُبينَ جَمالُه ، وشَمائِلَ الغُصْنِ الرَّطيبِ قَوامُه
أَشْيَانُ يَكسِرُ للسَّلامِ جُفونَه ، ولو استطاعَ شَفَى الغَليلَ سَلامُه[2]
إنِّي وإن عَرَمَ الزَّمانُ لَعائِذٌ بالصَّبْرِ ما استولَى عليَّ عُرامُه
مُستَصْحِباً عَزْماً مُضيئاً في الدُّجى ، تجري بفَاجِعَةِ النَّوى أحكامُه
أَجْني بِهِ ثَمَرَ القَريضِ ، فأصْطَفي منه الذي يُعيي سِوايَ مَرامُه
فزِمامُ أبكارِ القَصائدِ في يَدي ، والمجدُ في كَفِّ الأميرِ زِمامُه
بدرُ العَلاءِ إذا بَدا ، فعَلَيهِ مِنْ بَدرِ السَّماءِ ضِياؤُه وتَمامُه
وإذا تبَسَّمَ واستَهَلَّ ، فَعارِضٌ لاحَتْ بَوارِقُه وفاضَ غَمامُه
نَفسي فداءُ عَليٍّ الباني العُلى ، فلقَد عَلَتْ بِعُلُوِّهِ أيَّامُه
مَلِكٌ يَليقُ به الثَّناءُ ، فيغتدي كالرَّوْضِ يُشرِقُ نَثرُه ونِظامُه
رَدَّ السَّماحَ ، وقد تقادَمَ عَهدُهُ ، مُخضَرَّةً عَرَصاتُه وإكامُه
وبَنَتْ يَداه لِتَغْلِبِ شَرَفاً عَلَتْ فَوقَ النُّجومِ قِبابُه وخيامُه
أيُّ الفَضائلِ يُرتَجَى إدراكُها من مُغْرَمٍ بالمجدِ طالَ غَرامُه
أَنَوَالُهُ يومَ النَّدى أَمْ بِشْرُه ، وسَطاهُ يومَ الرَّوْعِ أَمْ إقدامُه
وَسَمَ الزَّمانَ بِوَقْعَةٍ عَدَوِيَّةٍ ، سِيَّانِ فيها عَزمُهُ وحُسامُه
أَوضَحْتَ نَهجَ المَكرُماتِ ، فَنَهْجُها بادٍ سَناهُ ، مُنيفَةٌ أعلامُه
ووَصَلْتَ لِلإسْلامِ بأسَكَ مُقْدِماً ، بِضياءِ عَزمِكَ ، فاستنارَ ظَلامُه

---

1 الآرام : الظباء .

2 أَشْيَان : حزين .

في مَوْقِفٍ صَبَغَتْ سُيوفُكَ أرضَه ، بِدَمِ العِداةِ ، فما يَثورُ قَتامُه
لو لَم يَعُذْ فيه الدُّمُسْتُقُ هارِباً عندَ الكَريهَةِ ما عَداهُ حِمامُه
وَدَّ البَرِيَّةَ أنَّ عُمرَكَ دائمٌ ، وكذا الربيعُ يُحَبُّ منه دَوامُه
لو أنَّ جُودَ يَدَيْكَ غَيْثٌ وابِلٌ عَمَّ البِلادَ رَذاذُهُ ورِهامُه[1]
فالحمدُ مَضروبٌ عليك رِواقُه ؛ والمجدُ مَقْضِيٌّ لديكَ ذِمامُه
وإذا أناطَ بكَ الرَّجاءَ مُؤَمِّلٌ صَدَقَتْ مُناه ، وحُقِّقَتْ أحلامُه
إنَّ الأميرَ أعادَ لي نَهْجَ الغِنَى ، وأعادَ في عُودي النَّدى إنعامُه
وبنَيْلِه أُلْبِسْتُ ثَوْبَ صِيانَةٍ عَمَّن يَذُمُّ نَوالَه مُعتامُه[2]
فكسوتُه دِيباجَ مَدْحٍ مُشْرِقٍ ، حَسُنَتْ مَعانيهِ ، وقَلَّ كلامُه

416

وقال يمدحه : [من الوافر]

أأزْجُرُ هِمَّةً لَقِيَتْ هُماما وأظلِمُ عَزْمَةً جلَتِ الظَّلاما
صَدَدْتُ عن العراقِ صُدودَ قالٍ ، وشِمتُ الغَيْثَ ، إذ حَلَّ الشَّآما[3]
فألفَيْتُ الأميرَ أليفَ مَجْدٍ ، مُعَنًّى بالمَكارِمِ مُستَهاما
تَقَلَّدْتُ الحُسامَ العَضْبَ منه ، ولم أتَقَلَّدِ السَّيفَ الكَهاما[4]
يُلامُ على اعتقالِ المالِ قَوْمٌ ، ويُسْرِفُ في النَّدى حتَّى يُلاما
حُسامُ العَزمِ ليسَ يَنوبُ خَطْبٌ ، فنحمَدَ عندَه إلا الحُساما
فليسَ عدوُّهُ منه بِناجٍ ، ولو وافَى علَى النَّجْمِ اعتِصَاما

---

1 الرذاذ : المطر الخفيف . الرهام : المطر الدائم .

2 معتامه : المتعطش إليه .

3 القالي : الباغض الكاره للشيء .

4 الكَهام : السيف الكليل .

سَلِمْتَ ، فكم سَقَيْتَ رياضَ مدحي   رَذاذاً من نَوالِكَ ، أو رِهاما
وكم لك من أيادٍ سائراتٍ   إلى أوطانِنا عاماً ، فعاما
سَحائبُ من بلادِ الشامِ أضحَتْ   بأرضِ الحِصنِ تَنسَجِمُ انسِجاما
مُؤَرِّقَةُ العيونِ تَبيتُ تَسْري ،   فتَطرُقُ فتيةً كانوا نِياما[1]
تحاربُ عنهمُ الأعْداءَ حَرباً ،   وكيفَ يُسالِمُ الصُبحُ الظَّلاما
أقمتُ ، وكيفَ يرحلُ عنك راجٍ ،   رآكَ البحرَ والمَلِكَ الهُماما
ولولا أنتَ لم أُزْجِ المَطايا ،   ولم أَصِلِ السُّرى شَهراً تَماما
وأقربُ ما أكونُ من الأَماني ،   إذا استمطرْتُ من يَدِكَ الغَماما
وأرضَى ما أكونُ من اللّيالي ،   إذا ما عادَ بِشْرُكَ لي فَدَاما
وإنْ أُلبِسْكَ أفوافَ القَوافي ،   فقد أَلبَسْتَني النِّعَمَ الجِساما

417

وقال يذكر بني فهد ويرثي أبا بكر المراغي : [من الكامل]

أَسَمِعْتُما أنَّ الجِبالَ تُضامُ ،   وعَلِمْتُما مَنْ غالَتِ الأَيّامُ
فَجْعٌ تَطيرُ له على أحشائِنا   شُعَلٌ ، وتَسقُطُ في القلوبِ سِهامُ
وَرَزِيَّةٌ أَخَذَ الرَّدَى ما يبتَغي   منّا ، ونالَ بها الذي يَستامُ[2]
شَهِدَتْ بتحليلِ الدموعِ وخَبَّرَتْ   أنَّ العَزاءَ على اللَّبيبِ حَرامُ
كنّا نَعُدُّ الحِصنَ دارَ إقامةٍ   فاليومَ وقفتُنا بهِ إلمامُ
يَبكي الغَمامُ المستسِرُ بأرضِها ،   ونقولُ جادَ بذي الغَميمِ غَمامُ[3]
إنْ يفترِقْ أحبابُنا أيدي سَبا   عنها ، فقد يَتفرَّقُ الأَقْوامُ

1 تَطْرُق : تأتي ليلاً .
2 يستام : من المساومة .
3 المستسير : المستتر .

عَطَنٌ أُخلَّ به الوفودُ ، وأوحَشَتْ منه الرِّحابُ الفِيحُ والآطامُ[1]
أقوى ، وفيه من العديدِ تَدافُعٌ ، وخَلا ، وفيه من الأنيسِ زِحَامُ[2]
والتُّربُ ظَمآنُ الجَوانحِ ما سَرى رَكْبُ السَّحابِ عليه ، وهي جَهَامُ[3]
أينَ الفَتى الأزدِيُّ بل أينَ النَّدى الرْ ـرِبْعيُّ ، أينَ البُؤسُ والإنعامُ
أين الأُلى شَرِبَ الحِمامُ نُفوسَهم ، وَهُمُ حياةٌ غَضَّةٌ وحِمامُ
أينَ السَّمِيُّ مِنَ المَكارِمِ هذهِ ، تَنْهَلُّ داجنةً ، وتلك تُغامُ[4]
والسُّمرُ تُنظَمُ في عوامِلِها العِدَى ، والبِيضُ تُنثَرُ عن ظُباها الهامُ
نَزَلُوا على حكمِ الزَّمانِ وأمرِه ، وهُمُ الخُصومُ اللُّدُّ والحُكَّامُ
يمضي بمُرِّ الفَجْعِ عامٌ فيهِمُ ، ويَجيءُ بالرُّزْءِ المبرِّحِ عامُ
نِعَمٌ كأنَّ الدَّهْرَ أقسَمَ جاهداً ألاَّ تَدومَ ، فبرَّتِ الأقسامُ
كانت مَوارِدَ للعُفاةِ ، فأصبَحَتْ مَحمِيَّةَ الجَنَباتِ لَيسَ تُرامُ
ولقد شَجاني أن يُقَوَّضَ مَجْلِسٌ ، فيه الحِجَى والعِلْمُ والأَحلامُ
طُوِيَتْ حَدائِقُهُ ، وهنَّ نَواضِرٌ ، وخبَتْ بَوارِقُه ، وهنَّ ضِرامُ
أَدَبٌ ، غَدَتْ أيدي الحِمامِ تَضيمُه ، ما كانَ إلا بالحِمامِ يُضامُ
وشهابُ رَجْمٍ غَيَّبَتْهُ صَفائحٌ طُوِيَتْ على إشراقِه ، ورِجامُ[5]
للهِ أيُّ مُوَدَّعٍ حَفَّتْ بهِ عُصَبٌ على جَمْرِ الوَداعِ قِيامُ
صاروا به مَرضَى القلوبِ ، كأنَّما قُدْسٌ على أيديهِمُ ، وشَمامُ[6]

---

1 العطن : مبرك الإبل . أخلَّ به : تركه . الآطام : الحصون ، مفردها أطم .
2 أقوى : خلا .
3 الجهام : السحاب لا ماء فيه .
4 الداجنة : السحابة الكثيرة المطر .
5 الرجام : القبور ، مفردها رَجَم . الرَّجْم : ما يظهر في السماء كأنه نجوم تتساقط .
6 قدس وشمام : جبلان .

عَبِقُ البُرودِ يَزينُ مَشهَدَهُ التُّقَى ، وتَحيدُ عن خَلَواتِـــهِ الآثامُ
أضحَى ضَجيعَ مُسنَّدِينَ ، كأنَّما صَرَعَتْـهُمُ نُخَبُ الكُؤوسِ فناموا[1]
كُرَماءَ لا يرجُوهُمُ في قُربِهِم راجٍ ، ولا يَعتامُهُـــم مُعتامُ[2]
حُجِبُوا عَنِ الأحبابِ ، إلاّ زَورَةً تجري بزُورِ لِقائِها الأحلامُ
نَطَأُ الصَّفيحَ عليهِمُ ، ووراءَه مثلُ الصَّفائحِ مُنجبونَ كِرامُ
رَقَدُوا عنِ الصَّلَواتِ فيه ، وطالما قاموا إلى الصلوات وهي تُقامُ
أمحمدُ بنُ عليٍّ احتفلَ الحَيَـــا ودمُوعُنا ، فَهُما عليكَ سِجامُ
هَضَباتُ حِلْمٍ سِحْنَ ، وهيَ شَواهِقٌ، ومياهُ علمٍ غُصْنَ ، وهي جُمامُ[3]
تبكي العلومُ عليه في أوطانِها ، ورياضُ تلكَ الصُّحْفِ والأقلامُ
وأرى ذوي الآدابِ بعدَكَ أُمَّةً ضَلَّتْ ، وليسَ لها سِواكَ إمامُ
ما بالُ أرضِكَ أُحْرِمَتْ ، فرَواؤُها بعدَ ابتِسامِ رُوائِها الإحْرامُ[4]
قالُوا : خَبَتْ نارٌ على أعلامِها ، قُلْنا : أجَل ، وتَهاوَتِ الأعلامُ
قد كانَتِ الأَفْهامُ صافيةً بها ، فالآنَ ، إذ صَدِئَتْ بها الأفهامُ
وكأنَّما ارتَحلَ الغِنَى عن أَهلِها ، لمّا ثَوَيْتَ ، وخَيَّمَ الإعدامُ[5]
قد كنتَ أحسنَ نِعْمَةٍ فُزْنا بها ، لو كانَ للنِّعَمِ الحِسانِ دَوامُ
لازِلْتَ عُرْضَةَ عارضٍ مُتَهَلِّلٍ ، تَخْضَرُّ منه ضَحاضِحٌ وإِكامُ
تَغْدو الرِّياحُ عليكَ ، وهي لَطائِمٌ ، ويَروحُ صَوبُ المُزْنِ ، وهو مُدامُ[6]

---

1 قوله مسنَّدين : هكذا في الأصل ، ولعله أراد مسنّدين في القبور أي أنه اضَّجع معهم .

2 يريد أنه لا يَتَعَطَّش لديهم متعطش إلى الزاد .

3 جُمَام : ماء كثير متجمِّع .

4 أحرمت : أراد صارت حراماً .

5 الإعدام : الفقر .

6 اللطائم : نوافج المسك ، مفردها لطيمة .

وَلَئِنْ غَدَتْ أَرضٌ حَـوَتْكَ كريمةً ، فلقد أُتيحَ لها بكَ الإكرامُ
فعليكَ تَضعيفُ السَّلامِ تَحِيَّـةً ، ما اعتمَّ بالوَرَقِ النَّضيرِ سِلامُ[1]

418

وقال يمدح أبا الفوارس سلامة بن فهد ويسأله كتاب شفاعة : [من الخفيف]

يا ابنَ فَهْدٍ ، وأنتَ بدرُ تَمامٍ ، وَحَيًا صوبُـه حيـاةُ الأنامِ
لَحَظَتْ عَزْمَتِي العِراقَ ، فَسلَّتْ هِمَّتي للرَّحيلِ سيفَ اعتِزامِ
فسَلامٌ على جَنابِكَ والمَنْـ ـهَلِ والظِّلِّ والأيادي الجِسامِ
غيرَ أني أريدُ منك كِتاباً مُفْـرَداً يحتوي فريدَ الكَلامِ
ونِظامٌ فيه الحَلالُ من السِّحْـ ـرِ تَعالَى عن كلِّ سِحْرٍ حَرامِ
يَغْتَدي منه سَمْعُ كلِّ لبيبٍ ، في استماعٍ ، وقلبُه في ابتِسامِ
فيه من ظاهرِ العِنايَةِ ما يُو جِبُ حَقِّي على الأميرِ الـهُمامِ
فاقضِ حَقِّي فيه بساعدِ فِكْرٍ ، تُحْيِ شُكْري بها مَدَى الأيَّامِ

419

وقال يرثي أبا عبدالله محمد بن سليمان ويعزي به أبا الفوارس سلامة بن فهد وأبا الحسن أحمد بن إبراهيم : [من البسيط]

ها إنَّها خُطَطُ العَلياءِ والكَرَمِ ، وأينَ سَافِرَةُ الأَخلاقِ والشِّيَمِ
رِباعُ مَجدٍ بها من أهلِها عَبَقٌ ، مُخَبِّرٌ عن فِـراقٍ منهمُ أَمَمِ
آثارُ واضِحَةِ الآثـارِ تُذْكِرُنا عَوائِدَ الدَّهرِ . في عادٍ وفي إرَمِ
إذا تأمَّلَها الزَّورُ المُلِمُّ ثَوى يَحُطُّ بالدَّمْعِ أثقالاً منَ الألَمِ
عَهْدي بها ، والليالي الغِيدُ تابعةٌ أيامَها البيضَ بينَ الخَفضِ والنِّعَمِ
إذِ الزَّمانُ بها جَذلانُ مُبتَسِمٌ ، مُتَوَّجٌ بِعُلًى ، جَذلانَ مُبتَسِمِ

---

1 السلام : شجر مرّ ، مفردها : سلامة .

أيامَ تَلحظُها الأيامُ خاشِعَةً ، لَحْظَ الحَجيجِ حَرامَ الصَّيدِ في الحَرَمِ

والوِرْدُ نوعانِ من عَفْوٍ ومن نِعَمٍ ، والوَفدُ ضَربانِ من عُرْبٍ ومن عَجَمِ

أينَ الشَّمائِلُ يرتاحُ الثَّناءُ لها ، والسُّوقُ تَنفُقُ فيها حِليَةُ الكَلِمِ[1]

للهِ ! أيُّ حُسامٍ فَلَّ مَضرِبَه مَضارِبَ المُرهَفَيْنِ : السَّيفِ والقَلَمِ

خَطْبٌ ، وَهَى عَرْشُ غسَّانٍ به ، وغدَتْ تيجانُ حِمْيَرَ من واهٍ ومُنْصَرِمِ

أظَلَّ دِجلةَ ، فانحَطَّتْ غَوارِبُها ، واصفرَّ من جانِبَيْها مُورِقُ السَّلَمِ[2]

أبْناءَ فَهْدٍ تولَّى العِزُّ بعدَكُمُ ، فما أرى خائفاً يأوي إلى عِصَمِ

أعْزِزْ عليَّ بأن راحَت ديارُكُمُ مَثوَى الـهُمومِ ، وكانَتْ مَسرَحَ الهِمَمِ

كم في قبورِكُمُ من عارِضٍ هَطِلٍ ، وصارمٍ فَلَّ حَدَّ الصَّارِمِ الخَذِمِ

ومن غَطارِفَةٍ شُمٍّ أنوفُهُمُ ، يَلقَوْنَ قبلَ الشِّفاهِ الماءَ بالشَّمَمِ

أكُلَّ يَوْمٍ لكم ثاوٍ يُقالُ له ، وقد تباعَدَ : لا تَبعَدْ ولا تَرِمِ[3]

ومُلحَدٌ ساخَ في أحشائِهِ عَلَمٌ من المَكارمِ ، بل نارٌ على عَلَمِ[4]

قبرٌ له من عيونِ المُزْنِ صَوبُ حياً ، ومن عُيونِ بني الآمالِ صَوبُ دَمِ

يجري النَّسيمُ على أرجاءِ تُربتِهِ ، تَحيَّةً لَطُفَتْ من بارىءِ النَّسَمِ

ذَمَمْتُ عَهْدَ اللَّيالي في تَحَيُّفِكُمْ ، ولم تَزَلْ في العُلى مذمومةَ الذِّمَمِ

وقلتُ للدَّهرِ ، إذ غالَتْ غَوائِلُه محمداً : سَوفَ تَثوي غابرَ النَّدَمِ

فتىً أباحَ ذوي الإعْدامِ تالِدَه ، وراحَ ، لولا ازديادُ الحَمْدِ بالعَدَمِ

مَنْ هَزَّةُ الرُّمحِ أحلى في نواظِرِه من هَزَّةِ الغُصْنِ بين الوَرْدِ والعَنَمِ

ما كانَ جُودُكَ ، إذ وَلَّتْ سَحائِبُه ، وفضلُ حِلْمِكَ إلا بُرهَتَيْ حُلُمِ

قُلْ للشَّوامتِ : مهلاً ليسَ بينكُمُ وبينَ عاديةِ الأيامِ مِنْ رَحِمِ

---

1 يَنفُقُ الشيء : راج ورُغِبَ فيه .

2 السَّلَم ، مفردها سَلَمَة : نوع من الشجر .

3 يَريمُ من المكان : يزول عنه ويفارقه .

4 المُلَحَد : القبر .

هي الرَّزِيَّةُ مَنْ يَصبِرْ لفادِحِها يُؤجَرْ ، ومَنْ يَتَحامَ الصَّبرَ لم يُلَمِ
أبا الفوارسِ تسليماً ، وأيُّ فَتىً لاقَى الحوادِثَ إلا مُلْقِيَ السَّلَمِ[1]
ويا أبا الحسَنِ اسْتُنَّ العَزاءَ فقد رأَيتَ ما سَنَّتِ الأيامُ في الأُمَمِ
ليس الثناءُ له رُكنانِ مثلُكُما ، وإن تباعَدَ قُطراهُ ، بمُنهَدِمِ
سأجعلُ المَدْحَ فيكم جُلَّ مأربتي ، وهل يَعافُ زهيرُ المَدْحَ في هَرِمِ
مُصَدَّقُ القَولِ مَصدوقُ الظُّنونِ بكم ، فالجُودُ مِلءُ يدي والصِّدْقُ مِلْءُ فَمي
إذا رأيتَ القَوافِي الغُرَّ سائرةً ، فإنَّهُنَّ رِيــاحُ الطَّـوْلِ والكَرَمِ[2]
كَذا النَّسيمُ إذا فاحَتْ روائِحُه ، فإنما هو شُكْرُ الرَّوْضِ للدِّيَمِ

420

وذكر التنوخي أن السريّ الرفّاء الموصلي دخل على أبي الحسن باروخ بن عبد الله صاحب ناصر الدولة الحمداني[3] وبين يديه ستارة تستر من يجلس برسم الغناء ، فأمره أن يصنع ما يكتب عليها فصنع بديهاً : [من الطويل]

تَبيَّنَ لي سَبْقُ الأميرِ إلى العُلى ومازالَ سبّاقاً إلى الفضلِ مُنْعِما
فصيَّرَني بين القِيانِ إذا شَدَتْ ، وبين نِداماه ، حِجاباً مُكرَّما[4]
لأُظْهِرَ ، من حُسنِ الغِناء ، مُحَلَّلاً ، وأستُرَ من حُسنِ الوجوهِ مُحرَّما

421

وقال : [من المتقارب]

أَمَا لِلْمُحِبِّينَ مِنْ حَاكِمٍ فَيُنْصِفُنِي اليومَ مِنْ ظَالِمِي
حِمَامِيَ في طَرْفِهِ كَامِنٌ كُمُونَ المَنِيَّةِ في الصَّارِمِ

---

1 السلم : السلام .
2 الطَّوْل : الفضل والعطاء .
3 أبو محمد الحسن بن عبد الله الحمدلني ، شقيق الأمير سيف الدولة الحمداني .
4 القيان ، مفردها قينة : المغنية . شدت : غنَّت .

قافية النون

422

وقال يعاتب صديقاً له أسرَّ إليه حديثاً فأذاعه : [من الطويل]

رَأَيتُكَ تَبْرِي للصَّديقِ نَوافِذاً ، عَدُوُّكَ من أوصابِها ، الدهرَ ، آمنُ[1]
وتَكْشِفُ أَسرارَ الأَخِلاَّءِ مازِحاً ، ويا رُبَّ مَزْحٍ عادَ وهو ضَغائِنُ
سأحفَظُ ما بيني وبينَك صائناً عهودَكَ ؛ إنَّ الحُرَّ للعَهْدِ صائِنُ
وألقاكَ بالبِشْرِ الجميلِ مُداهِناً ، فَلي منكَ خُلٌّ ما عَلِمْتُ مُداهِنُ
أنَـمُّ بما آسْتَوْدَعْتُهُ من زُجاجَةٍ تَرَى الشيءَ فيها ظاهِراً ، وهو باطِنُ

423

وقال يصف صيد السمك بالشبكة : [من الرجز]

وجَـدْوَلٍ بينَ حَديقَتَيْنِ ، مُطَّرِدٍ مثـلِ حُسامِ القَيْنِ[2]
كَسَوْتُـهُ واسعةَ القُطرَيْنِ ، تَنظُرُ في الماءِ بغيرِ عَينِ[3]
راصِـدَةً كلَّ قَريبِ الحَيْنِ ، تُبْـرِزُهُ مُجنَّـحَ الجَنبَيْـنِ[4]
كَـمِدْيَةٍ مَصقولَةِ الحَدَّيْنِ ، كأنَّما صيغَتْ من اللُّجَيْنِ

---

1 الأوصاب ، مفردها وَصَب : الوجع والألم .

2 مطّرد : جارٍ . شبَّه الجدول بالحسام في انسلاله ، وخصّ بالذكر حسام الحداد صانع السيوف لأنه يعتني به فيبقى في رونقه وصفائه .

3 أراد الشبكة وكثرة حلقاتها التي شبَّهها بالعيون .

4 الحين : الهلاك . مجنّح الجنبين : السمك .

رِزقاً هنيئاً يمـــلأُ الـيَدَيْنِ ، بغيرِ كَدٍّ ، وبغيرِ أَينِ[1]

424

وقال يصف حملاً مشويّاً : [من الرجز]

أَنعتُه مُعَصْفَرَ البُـرْدَيْـــنِ ، أبيضَ قاني حُمْرَةِ الجَنبينِ
خُلِّفَ شَهْرَيْنِ على الخِلْفَيْنِ ، ثم رَعَى بعدَهُما شَهرَيْنِ[2]
فجسمُه شِبرانِ في شِبْرَيْنِ ، يا حُسْنَهُ ، وهو صَريعُ الحَيْنِ
تَعرُقُه مُرْهَفَةُ الحدَّيْـــــنِ ، بكَفٍّ شاوٍ عَطِرِ الكَفَّيْنِ[3]
واقعةٌ فيه سِهـــامُ العَيْــنِ ، بينَ ذِراعَيْــنِ مُفَصَّلَيْـــنِ
كَسارِقٍ حُدَّ من الـيَدَيْـــنِ ، وطَرَفٍ مُستوقِفِ الطَّرْفَيْنِ
يُريكَ مِرآةً من اللُّجَيْنِ مُذْهَبَةَ المَقبِضِ والوَجْـهَيْنِ
شَقٌّ حشاه عن شَقيقَتَيْــنِ ، أُخْـتَيْنِ في القَدِّ شَبيهَـتَيْنِ
كما قَرَنْتَ بينَ كَمْأَتَيْــنِ ، أو كُرَتَيْ مِسْكٍ لَطيفَتَيْنِ
إن شِينَ ذُو رَوْقَيْنِ نَاجِمَيْنِ فإنَّه زَيْنٌ بِغَيْرِ شَيْنِ[4]

425

وقال يمدح أبا الهيجاء حرب بن سعيد بن حمدان ويعاتبه على جفوة لحقته منه ، وقد نالته علة وجراحات في بعض أسفاره : [من الوافر]

بَلاني الحبُّ فيكَ بما بَلاني ، فشاني أن تَفيضَ غُروبُ شاني[5]

---

1 الأين : التعب .
2 الخِلْف : حلمة ضرع الناقة ، أي أنه رضع شهرين ورعى شهرين .
3 تعرقه : تفصل لحمه عن عظمه .
4 الرَّوْق : القَرْن .
5 الشأن الأولى : الأمر . الثانية : العرق الذي تجري منه الدموع .

أَبيتُ اللَّيلَ مُرتَفِقاً ، أُناجي بصِدقِ الوَجْدِ كاذبَةَ الأماني[1]
فَتَشهَدُ لي على الأَرَقِ الثُّرَيَّا ، ويَعْلَمُ ما أُجِـنُّ الفَرقدانِ
إذا دَنَتِ الخِيامُ بهِمْ ، فأهلاً بذاكَ الخِيمِ والخِيَمِ الدَّواني[2]
فبينَ سُجوفِها أقمارُ تَمٍّ ، وبينَ عِمادِها أغصانُ بانِ
ومُذهَبَـةِ الخُـدودِ بجُلَّنارٍ ، مُفَضَّضَـةِ الثُّغـورِ بأُقحـوانِ
سَقانا اللهُ من رَيَّاكِ رَيّاً ، وحَيَّانـا بأوجُهِـكِ الحِسانِ
ستُصرِفُ طاعتي عمَّنْ نَهاني ، دموعٌ فيكَ تَلْحِي من لَحاني[3]
ولم أجهَلْ نصيحتَه ، ولكنْ جنونُ الحُبِّ أحلى في جِناني
فيا وَلَعَ العواذِلِ ! خَلِّ عنّي ؛ ويا كَفَّ الغَرامِ خُذي عِناني
وصائِنَةٍ ببُرقُعِها جَمالاً ، يروحُ له الهَوى ربَّ الصِّيانِ
إذا أَفْنَتْ سَجايا الخَصْرِ منها ، ذَمَمتُ لها سَجايا الخَيزُرانِ
تُراوِحُني بأرواحِ الأغاني ، وتصحَبُنـي بـأرواحِ الدِّنانِ[4]
على رَوْضٍ كأنَّ صَباه بُلَّتْ غَلائِلُهـا بمـاءِ الزَّعْفَرانِ[5]
تُعَنُّ رياحُهُ حَسرَى ، ويَجري جَموحُ المُزْنِ فيه بلا عِنانِ[6]
كأنَّ يدَ الأميرِ دَنَتْ إليه ، بأوطَفَ من سجالِ العُرْفِ دَانِي[7]
فَتىً حُلوُ النَّوالِ ، إذا استُمِيحَتْ أنامِـلُ كَفِّـه ، مُـرُّ الطِّعانِ

1 مرتفقاً : متكئاً على مِرْفَقِه أو على مخدّة .
2 الخِيم : الطبيعة والسجية .
3 تَلْحِي : تلوم وتعيب .
4 تراوح : ترفّه .
5 الصَّبا : ريح تهب من الشرق .
6 تعنّ : تحبس .
7 أوطف المطرُ : انهمر .

نَزورُ فِناءَهُ عُصَباً ، فنأوي | إلى الجُنَنِ السَّوابغِ والجنانِ
تَخرَّقَ في ابتذالِ الوَفْرِ ، حتَّى | توهَّمْناهُ مخروقَ البَنانِ[1]
وراحَ ، وكَنزُهُ جُرْدُ المَذَاكي ، | وأطرافُ المُثقَّفةِ اللّدانِ[2]
مُنادَمَةُ القَنا أحلى لدَيْهِ ، | وأعظمُ من مُنادَمَةِ القِيانِ
فَقُلْ لعَدُوِّهِ : يَكفيكَ منه | سَماعُكَ بالرَّدى دونَ العِيانِ
فُزْتَ الأُفعُوانَ الصِّلَّ جَهْلاً ، | فكيفَ وجدْتَ نابَ الأُفْعُوانِ[3]
بسطْتَ على الزَّمانِ يدي ، فأضحى، | وليسَ له بما فَعَلَتْ يَدانِ
وكنتُ أروضُ مِنْ دَهْري أماناً ، | فعادَ الدَّهرُ يسألُني أماني
بسَيْفٍ حينَ يُنْدَبُ من سيوفٍ ، | ورَعْنٍ حينَ يُنْسَبُ من رِعانِ[4]
وإذ هو كاليَماني العَضْبِ يَسطُو ، | فيَنقَعُ غُلَّةَ العَضْبِ اليَماني[5]
يُجَرِّدُهُ كبرقِ الثَّغْرِ صافٍ ، | ويُغْمِدُه كوَرْدِ الخَدِّ قَاني
كأنَّ الضَّرْبَ عَوَّضَ شَفْرَتَيْه ، | بماءِ الطَّبعِ ، ماءَ الأُرجُوانِ
أتغلِبُ ! قد حَلَلْتِ به مكاناً | يُريكِ النَّجمَ مُنْخَفِضَ المَكانِ
فَضُلْتِ بفَضْلِهِ يومَ العَطايا ، | وفُزْتِ بسَبْقِه يَوْمَ الرِّهانِ
وقَصَّرَ شأْوَ مَنْ يَرْجو مَداه | عِقالُ العَجْزِ ، أو قَيْدُ الحِرانِ
هِجانُ المَدْحِ يَطلُبُهُ هَجينٌ ، | وهل بلغَ الهَجينُ مَدى الهِجانِ[6]
أبا الهَيْجاءِ ! عِشْتَ قريرَ عَيْنٍ ، | سَليمَ العَيْشِ من نُوَبِ الزَّمانِ

---

1 تخرَّق في الكرم : توسَّع فيه .
2 جُرْدُ المذاكي : الأفراس التي تَمَّتْ سنُّها وكَمُلَتْ قوَّتُها .
3 رزت : جرَّبت وخبرت .
4 الرعن : أنف الجبل ، والجمع رعان .
5 يَنْقَعُ : يروي .
6 الهجان من كل شي : خياره . الهجين : اللئيم .

ولازالَتْ رِباعُـــكَ مُخْصِباتٍ قَرِيباتِ الجَنى من كلِّ جانِـي
يُغَنِّي الغَيْثُ كالنَّشوانِ فيها ، ويَعْثُرُ بينَ هَاتيكَ المَغاني
وإنْ أعرَضْتَ عن تَعْريضِ شُكْرٍ أُثَــوِّبُ فيه تَثويــبَ الأَذانِ[1]
بناسٍ منك يُخْبِرُ عنه أني ظَمِئتُ ، وفي يَدَيْكَ المِرزَمانِ[2]
أوانَ تَحامَتِ الأيامُ سِلْمي ، وعُدْنَ عليَّ بالحَرْبِ العَوانِ[3]
وعَضَّ السَّيفُ منّي كُلَّ عُضْوٍ جَديـرٍ بالكَرامَـةِ لا الهَوانِ
وأَلبَسَني القَنا حُـلَلاً تَلاقَتْ ، عليَّ تَهُــزُّ أهدابــاً قَواني
لقد عَلِمَتْ صُروفُ الدَّهْرِ ما اسمي ، بعَتْبِكَ ، واطَّلَعْنَ على مَكاني
فلستُ لغيرِ حادثَةٍ نَـآدٍ ، وهَلْ كُرَةٌ لغَيْرِ الصَّوْلَجانِ[4]
لعَلَّ الدَّهْرَ يُسْعِفُني بعَطْفٍ ، يُعيدُ عليَّ عَطْفاً في لَيَانِ[5]
ويُصبحُ بِشْرُكَ المحجوبُ عَنّي يُبَشِّــرُني بِسَعْــدِ إضحِيانِ[6]
وكَفٌّ منك شَاعِرَةُ العَطايا ، تُعَلِّمُنــي دَقيقــاتِ المَعاني
رِضاكَ العيشُ يَعذُبُ مُجتَناه ، وسُخْطُكَ عاجلُ الحَيْنِ المُداني
إذا تُرِكَ الشُّجاعُ بِغَيْرِ قَلْبٍ ، فكَيفَ يَكُونُ في قلبِ الجَبانِ
يُشَرِّدُ نَومُـه عن مُقْلَتَيْـهِ ، ولو حَرَصَتْ عليه المُقلَتانِ
تَهَذَّبَ في الثَّناءِ عليك فِكْري ، ورَقَّــتْ فيه حَاشِيَتا لِساني
ولو نَطَقَ الحَديدُ لَنابَ عنّي ذُبابُ السَّيفِ أو حَدُّ السِّنانِ

---

1 ثوّب المصلّي : صلّى النوافل بعد الفريضة .

2 المرزمان : نجمان مع الشعريين ، ومنه نوء المرزم : أي مطره .

3 الحرب العَوَان : الشديدة .

4 النآد : الداهية .

5 اللّيَان : رخاء العيش ونعيمه .

6 الإضحيان : الذي لا غيم فيه .

426

وقال يهجو ابن العصب الشاعر : [من الرجز]

أقْرَرْتَ ، يا ابنَ العَصَبِ ، العُيُونا ، ورُحْتَ حبلاً للخَنا مَتِينا
عَلَّمتَ قَوماً كيفَ يَقْصُفُونَا ، فاطَّرَحُوا الحِشْمَةَ ، مُسرِعينا[1]
ودَخلوا القُبَّةَ آمنينا ، فأَكَلُوا ، يومَهمُ ، سَمينا
ولم يَكُنْ سرورُهم مَمنونا ، يا مَنْ يَرى زُقَّ الدِّنانِ دِينا[2]
ومَنْ يُداري العيشَ كي يَلينا ، لا أسمعُ اللَّومَ ، ولا التَّهجينا[3]
ما العيشُ ، إلاّ للمُنى ، هُدينا مَؤونةً فُضَّتْ على عِشرينا[4]
ولو تَفَرَّدْتَ بها خَرِينا

427

وقال : [من الطويل]

تَأَمَّلْ جَديدَ الكُتْبِ وابدأْ بِرَثِّها ، وكُنْ ضامناً أرواحَ ما تتضَمَّنُ[5]
فكَمْ مُخلِقٍ منها أَفادَ بَديعةً ؛ وللذَّهَبِ الإبريزِ في التُّرْبِ مَعْدِنُ

428

وقال يدعو صديقاً له إلى ناحية العروب في الربض الأعلى بالموصل : [من المتقارب]

هَلُمَّ ، فقَدْ بَرَدَتْ راحُنا ، وأَشفَتْ على الشُّرْبِ أقداحُنا

---

1 يقصفون : يقيمون في أكل وشرب ولهو وأكثر من ذلك .
2 الزِّقّ : الخمر . الدنان ، مفردها دن : راقود الخمر الكبير .
3 التهجين : التقبيح .
4 فضَّت : فرقت .
5 أراد برثّها : القديم البالي منها .

وعُلِّلَ من مائِــه وَرْدُنا ، وغُيِّــرَ بالمِسـكِ تُفّاحُنا

وقد رَدَّ غِلمانُنا شُقرَنا ، وقادَ لنا الدُّهْمَ مَلاَّحُنا[1]

فنحنُ بمُلتَطِمٍ زَاخِـرٍ ، مُغَـرَّرَةٍ فيــه أشباحُـنـا

نَدامَــى تَراجَــعَ عُذّالُنـا عَنِ العَذْلِ ، وارتَـدَّ نُصّاحُنا

ثِقالٌ لدَى الوَزْنِ أحلامُنا ، خِفافٌ لَدى القَصْفِ أرواحُنا

تُخَضَّبُ بالكأسِ أيمانُنا ، وتُصبَــغُ بالـدَّمِ أرماحُنا

كأنّا بنو هاشمٍ صَولَـةً ، إذا نَفَتِ الهَـمَّ أفراحُنا

فيُعطي الرَّغائبَ منصورُنا ، ويُدمي التَّرائبَ سَفّاحُنا[2]

ووَجهُكَ يا حَمْدُ إن أظلَمَتْ صُروفُ الحَوادثِ مِصباحُنا

فإنْ تَنْأَ ساءَكَ هَجّاؤنا ؛ وإنْ تَـدْنُ سَرَّكَ مَدّاحُنا

429

وقال يمدح سيف الدولة وقد أنفذ غلامه نجا غازياً في وجه ، وغلامه قَرغُوَية التركي في وجه ، ويذكر شغَب العجم على أخيه ناصر الدولة بالموصل ، وظفرَه بهم ، وقتلَه إياهم : [من الكامل] .

سَدَّتْ سيوفُــكَ خَلَّــةَ الثَّغـرَيْنِ ، وَفَتَحْتَ مــن آرائِـكَ السُّدَّيْنِ[3]

سَيَّرْتَ من عَبْدَيْكَ ، في غابِ القَنا ، أسَدَيْــن للأعــداءِ مُفتَرِسَيْنِ

رُمْحَيْنِ مُطَّرِدَيْنِ ، بل سَيفَيْنِ منـ ـصَلِتَيْنِ ، بل نَجْمَيْنِ مُنكَدِرَيْنِ[4]

صُعِقَ العِدا بلَظاهُما ، فكأنّما كانَا على الأعداءِ صَاعِقَتَيْنِ

---

1 أراد بالشقر : الخيل ، وبالدهم : السفن المطلية بالقار .

2 إشارة إلى الخليفتين العباسيين المنصور والسفاح .

3 الخلَّة : الثقبة .

4 مطَّردين : ممدودين . انكدَرَت النجوم : تناثرت .

سارا ، فسارَ الرُّعْبُ يَقْدُمُ مِنهُما جَيْشَيْنِ ما اتَّكَلا على الجَيْشَيْنِ[1]
خرَقا الدُّروبَ بجَحفلَيْنِ ، كأنَّما طَلَعَتْ نجومُهما على لَيلَيْنِ[2]
إنِي لآمُلُ أن يُشرِّكَ القَنا ، والبِيضُ من وَجْهَيْنِ مُختَلِفَيْنِ
فتَظَلَّ فَضفاضَ المَواهبِ ، سَاحباً بُرْدَيْنِ للنَّعمـاءِ فَضفاضَيْـنِ
أنتَ الحَيا ، ولربَّما قَبَضَ الحَيا كَفّاً ، وكفُّكَ نُجعَةُ الثَّقَلَيْنِ[3]
وإذا الحُسامُ نَبَتْ مَضارِبُ حَدِّهِ ، كنتَ الحُسامَ العَضْبَ ذا الحدَّيْنِ
عفوٌ ومَكرُمَةٌ تروحُ وتَغتَدي بجَناهُمـا مُستَعـذَبَ الوِرْدَيْنِ
لو أنَّ عبدَ اللهِ عايَنَ ما بَنَتْ يُمنـاكَ راحَ بـه قَريرَ العَيْنِ
اللهُ سَرَّكَ في أخيكَ ، ولم يَكُنْ لِيَميلَ عَرشُ العزِّ ذي الرُّكنَيْنِ
ظَفَرٌ أَذَلَّ لآلِ فارسَ ، منكمُ ، بسيوفِ مَشرَفَ أو رِماحِ رُدَيْنِ[4]
ما حاولوا الحِصْنَ المُنيفَ بغَدْرِهِم، حتَّى انثَنَوا جُثَثاً على الحِصنَيْنِ
ماجَتْ صَوارِمُه عليهم ، فانثَنَتْ ولُجَيْنُ دِجلةَ مُذْهَبُ المَوْجَيْنِ
فَتْحٌ تَبلَّجَ صُبْحُه ، فأَراكُما بـابَيْـنِ للسَّـرَّاءِ مُنفَتِحَيْنِ
قَوْلِي ، إذا فُجِعَ الملوكُ بنَكبَةٍ ، أو رِيعَ شَمْلُهُمُ بوَشْكِ البَيْنِ :
حُلاّ مَحَـلَّ الفَرْقَدَيْـنِ ، فأنتُما أَولى بمَوْضِعِ ذينِكَ النَّجمَيْنِ

430

وقال : [من الوافر]

أَلم تَرَني سَطَوْتُ على الزّمانِ ، ولم أُعطِ الخُطوبَ به عِناني

---

1 يَقْدُم : يسبق .

2 الدروب : ما بين بلاد الشام وبلاد الروم .

3 النُّجْعَة : الأمل . الثَّقَلان : الإنس والجن .

4 مَشْرَف : قيل هو رجل تُنسب إليه السيوف المَشْرَفيه . رُدَيْنة : امرأة اشتُهرت بتقويم الرماح .

تَرَكْنا الدِّينَ يَحفَظُهُ أُناسٌ أَضاعُوا فيه صالحَةَ الأماني
وعُذنا من مَساجِدِهم بدَيْرٍ ، وبالناقوسِ من صَوْتِ الأذانِ
هي الخمْرُ ، التي كَرُمَتْ وطابَتْ ، وأنتَ مِنَ الحوادثِ في أمانِ
وهذا العيشُ مُخْتَصَرٌ ، وقالوا لنا : عَيْشٌ نصيرُ إليه ثانِي[1]
فخُذْ من صَفْوِ عَيْشِكَ ما تَراه ، فما الخَبَرُ المُغَيَّبُ كالعِيانِ
دَعَاني أَنفِ بالكاساتِ هَمِّي وأستعِدِي بهنَّ على الزَّمانِ[2]
وأُعطِ النَّفسَ في الدُّنيا مُناها ، فإني قد عرفتُ غداً مَكاني

431

وقال يذكر ليلة لعب فيها بقطربل ويصف الشمع : [من المتقارب]

كَسَتْكَ الشَّبيبةُ رَيعانَها ، وأهدَتْ لكَ الرَّاحُ رَيحانَها
فَدُمْ للنَّديمِ على عَهْدِهِ ، وغادِ المُدامَ ونَدمانَها[3]
فقَد خلَعَ الأُفقُ ثَوْبَ الدُّجى ، كما نَضَتِ البِيضُ أجفانَها[4]
وساقٍ يُواجِهُني وجهُهُ ، فتَجْعَلُه العَينُ بستانَها
يُتوِّجُ بالكأسِ كفَّ النَّديمِ ، إذا نَظَمَ الماءُ تِيجانَها
فطَوْراً يُوشِّحُ ياقوتَها ، وطَوْراً يُرصِّعُ عِقيانَها[5]
رَمَيْتُ بأفراسِها حَلبَةً مِنَ اللَّهْوِ تُرْهِجُ مَيدانَها[6]

---

1 مُختصَر : قصير .
2 اضطر الشاعر إلى إثبات الياء في الفعل (أستعدي) ليقيم الوزن ، والوجه أن تُحذف .
3 غَادِ : باكِرْ .
4 البِيض : السيوف . الأجفان ، مفردها جَفْن : غمد السيف .
5 العقيان : الذهب الخالص .
6 ترهج : تثير الغبار .

وديـرٍ شُغِفْتُ بغِزلانِـــه ، فكِـدْتُ أُقَبِّـلُ صُلبانَها
فلما دَجَى اللَّيلُ فرَّجْتُه بـرُوحٍ تُحيِّـفُ جُثمانَها[1]
بشَمْعٍ أُعِيرَ قُدودَ الرِّماحِ ، وسُرْجٍ ذُراهـــا وألوانَها[2]
غُصونٌ من التِّبْرِ قد أَزْهَرَتْ لهيبـاً يُزَيِّـــنُ أفنـــانَها
فيا حُسنَ أرواحِها في الدُّجى ، وقــد أكلَتْ فيـه أبدانَها
سَكِرتُ بِقُطرُبُّلٍ ليلـــةً ، صبَوْتُ فغازلْتُ غِزلانَها
وأيُّ ليالي الهَوى أحسنَتْ إليَّ ، فأَنكرْتُ إحسانَها

432

وقال يمدح آل الرسول عليهم السلام : [من البسيط]

نَطوي اللّياليَ عِلْماً أَن ستَطوِينا ، فشَعشِعِيها بماءِ المُزنِ واسقِينا
وَتَـوِّجي بكؤوسِ الراحِ أَيدينَا ، فإنما خُلِقَـت للـرَّاحِ أَيدينا
قامت تَهُزُّ قَواماً ناعماً سَرَقَت شَمائلَ البـانِ من أَعطافِه لِينا
تَحُثُّ حمراءَ يَلقاها المِزاجُ كما أُلقيتَ فَوقَ جَنِيٍّ الوَردِ نِسرينا[3]
فلستُ أدري أَتَسقِينَا وقد نَفَحَت روائحُ المِسكِ منها ، أو تُحيِّينا
قد ملَّكَتنا زِمامَ العَيشِ صافيةً ، لو فاتَنا المُلكُ راحَت عنه تُسْلِينا
ومُخطَفِ القَدِّ يُرضِينا ويُسخِطُنا حُسناً ، ويَقتُلُنا دَلّاً ويُحْيِينَا[4]
تَفتَّحَت وَردَتا خَدَّيهِ مِن خَجَلٍ وزِيـدَتَـــا بعِذارَيـــهِ تَزايِينَا
مازالَ يَنقُرُ أحشاءَ الدِّنانِ لنا ، حتَّى نَفاهنَّ مَجروحاً ومطعونا

---

1 تُحَيِّفُ : يريد أن الشمع يَتَنقَّص من حافاته .

2 السُّرج ، مفردها سِراج : إناء يُستضاء به .

3 وردٌ جَنِيٌّ : قُطِفَ من ساعته .

4 الدَّل : الغنج .

لمّا رأيتُ عُيونَ الدهرِ تَلحَظُنا شَزْراً ، تيقّنتُ أنَّ الدَّهر يُردِينا

نمضي ونترُكُ من ألفاظِنا تُحَفاً ، تَسبي رَياحِينُها الشَّرْبَ الرَّياحِينا

وما نُبالي بذَمٍّ الأغبياء ، إذا كانَ اللّبيبُ من الأقوام يُطرِينا

ورُبَّ غَرّاءَ لم تُنظَم قَلائِدُها إلاّ لِيُحمَدَ فيها الفَاطميُّونا

الوارِثُون كِتابَ اللهِ يَمنَحُهم إرثَ النَّبيِّ على رُغمِ المُعادينا

والسابِقُون إلى الخَيراتِ يَنجُدُهم عِتقُ النِّجار ، إذا كلُّ المُجارُونا[1]

قومٌ نُصلّي عليهِم حينَ نَذكُرُهم ، حُبّاً ، ونَلعَنُ أقواماً مَلاعِينا

إذا عَدَدنا قُرَيشاً في أباطحِها ، كانُوا الذَّوائِبَ منها والعَرانِينا

أغنَتهُمُ ، عَن صِفاتِ المادحِين لهم ، مدائـحُ اللهِ في طَـه ويَاسِينا

فلستُ أمدحُهم إلا لأُرغِمَ في مَدْحِيهِمُ أنفَ شانِيهم وشَانِينا[2]

أقامَ رَوحٌ ورَيحانٌ على جَدَثٍ ثَـوَى الحُسينُ به ظمآنَ ، آمينا

كأنَّ أحشاءَنا من ذِكرِه أبداً تُطوَى على الجَمرِ أو تُحشَى السَّكاكِينا

مهلاً ، فما نَقضُوا أوتارَ والدِه ، وإنما نقَضُوا في قَتلِهِ الدِّينا

آلَ النبيِّ ! وجَدْنا حُبَّكم سَبَباً ، يَرضَى الإلـهُ بـه عنَّا ويُرضِينا

فمَا نُخاطِبُكم إلاّ بسادتِنا ؛ ولا نُنادِيكُـمُ إلا مَـوالِينا

وكم لنَا من فَخارٍ في مَودَّتِكم يَزيدُها في سَوادِ القَلبِ تَمكِينا

ومن عدوٍ لكم مُخفٍ عداوتَه واللهُ يرميـه عنا وهو يرمينا

إن أجرِ في حُبِّكم جَرْيَ الجوادِ فقد أضحَت رِحابُ مَساعيكم مَيادِينا

وكيفَ يَعدوكُمُ شِعري وذكرُكُمُ يَزيدُ مُستَحسَنَ الأشعارِ تَحسِينا

---

1 عتق النجار : كرم الاصل .

2 الشاني : المبغض .

433

وقال يصف مجلس شراب بدَيْر الشياطين مع أصدقائه وندمائه : [من البسيط]

عَصَى الرَّشَادَ فَقَدْ نَادَاهُ مِنْ حِينِ ... وَرَاكَضَ الغَيَّ في تِلْكَ المَيَادِينِ
مَا حَنَّ شَيْطَانُهُ العَاتِي إِلَى بَلَدٍ ... إِلاَّ لِيَقْرُبَ مِنْ دَيْرِ الشَّيَاطِينِ[1]
وَفِتْيَةٍ زَهَرُ الآدَابِ بَيْنَهُمُ ... أَبْهَى وَأَنْضَرُ مِنْ زَهْرِ الرَّيَاحِينِ
مَشَوا إِلَى الرَّاحِ مَشْيَ الرُّخِّ وَانصَرَفُوا ... وَالرَّاحُ تَمْشي بِهِمْ مَشْيَ الفَرَازِينِ[2]
حَتَّى إِذَا أَنْطَقَ النَّاقُوسَ بَيْنَهُمُ ... مُزَيَّنُ الخَصْرِ رُومِيُّ القَرَابِينِ
يَرَى المُدَامَةَ دِيناً حَبَّذَا رَجُلٌ ... يَعُدُّ لَذَّةَ دُنْيَاهُ مِنَ الدِّينِ
تَفَرَّقُوا بَيْنَ أَعْطَانِ الهَيَاكِلِ في ... تِلْكَ الجِنَانِ وَأَقْمَارِ الدَّوَاوِينِ[3]
تَحُثُّ أَقْدَاحَهُمْ بِيضُ السَّوَالِفِ في ... حُمْرِ الغَلاَئِلِ في خُضْرِ البَسَاتِينِ
كَأَنَّ كَاسَاتِهَا ، والمَاءُ يَقْرَعُها ، ... وَرْدٌ تُصَافِحُهُ أَطْرَافُ نِسْرِينِ

434

وقال يصف ساقياً : [من الطويل]

وَسَاقٍ بِحُبِّ الكَأْسِ أَصْبَحَ مُغْرَماً ... فَلأْلاَؤُهَا أَضْحَى كَضَوْءِ جَبِينِهِ
سَقَانِي بِهَا صِرْفَ الحُمَيَّا عَشِيَّةً ... وَثَنَّى بِأُخْرَى مِنْ رَحِيقِ جُفُونِهِ[4]
هَضِيمُ الحَشَا ذُو وَجْنَةٍ عَنْدَمِيَّةٍ ... يُرِيكَ آحْمِرَارَ الوَرْدِ فِي غَيْرِ حِينِهِ[5]

---

1 العاتي : المستكبرُ الذي يجاوز الحد .

2 الرُّخ والفرازين : من قطع الشطرنج .

3 الأعطان : أماكن المياه .

4 الحميا : الخمر .

5 العَنْدم : خشب نبات أحمر يُصبغ به .

فَـأَشْرَبُ مِن يُمْنَاهُ مَا فَوْقَ خَدِّهِ   وَأَلْثِمُ مِنْ خَدَّيْهِ مَا في يَمِينِهِ

435

وقال يهجو علي بن العصب الملحي وينسبه إلى القيادة : [من الهزج]

وَقَالَ ٱغْتَنِمُوا وَصْلَ   فَتَاةٍ بَرَعَتْ حُسْنَا

فَجَاءَتْ تُخْجِلُ البَدْرَ   وَغُصْنَ البَانَةِ اللَّدْنَا

وَتَصْطَادُ قُلُوبَ الشَّرْ   بِ أَجْفَانٌ لَهَا وَسْنَى[1]

وَقُلْنَا يَا لَحَاكَ اللَّـ   ـهُ نَزِّنِي بَعْدَمَا شِبْنَا[2] ؟



---

1 الشَّرْب ، مفردها شارب : الذي يشرب . وسنى : ناعسة .

2 لحاك الله : قبَّحك ولعنك .

قافية الهاء

436

وقال يمدح المرجّى ابن ناصر الدولة : [من البسيط]

إنَّ الأميرَ المُعلّى في مَعاليهِ ، أَدَقَّ حَظّي وقد جلَّت أياديهِ
فَرُحْتُ كالطائرِ استُلَّت قَوادِمُه ، وليسَ تعلو به ، ضُعفاً ، خَوافِيه
لقد عفا شَطرُ رسمي من مَكارمِهِ ، وليسَ يُعجِزُه إصلاحُ عَافيهِ
إن البِناءَ ، إذا ما انهدَّ جانبُه ، لم يأمَنِ الناسُ أن يَنهدَّ باقِيه

437

وقال يمدح الغضنفر ابن ناصر الدولة : [من المنسرح]

هَوِيتُها ، والفِراقُ يَهواها ، فحالَ بيني وبينَ لُقيَاها
ولَم يكُن للحِمامِ بي -قِبَلٌ ، لو لم تُعِنْهُ عليَّ عَيناها
مقسومةٌ للنَّوَى مَحاسنُها ، وللفُؤادِ المَشوقِ ذِكرَاها
حيِّيتُهـا ، والجَنـوبُ رافعـةٌ جَوانِبَ السِّجفِ عن مُحيَّاها[1]
فشِمتُ مِن ثَغرِها ، على ظَمَإٍ ، بارقـةً لا أنـالُ سُقياها
لو أفرَطَتْ بالعقيقِ خَجْلَتَها ، أسلمَ ماءَ العَقيقِ خدَّاها
وكيفَ تَغنَى بوَصلِ غانيةٍ مَـراحُهـا للنَّوى ومَغداها
رقيبُها في الظلامِ مِبسِمُها ، وفي سَنا الصُّبحِ طِيبُ ريَّاها[2]

---

1 الجَنُوب : يريد ريح الجنوب .
2 المَبْسِم : الثغر .

لعلَّ أيامَنا ، التي سَلفَت ، تعودُ بيضاً كما عَهِدناها
أيـامَ لا أستميـحُ غانيـةً إلاّ شَرَت دينَها بِدُنياها[1]
تَرتعُ حولَ الظِّباء آنسةً ، نظائراً في الجمالِ أشباها
رَقَّت عن الوَشْيِ نَعمةً ، فإذا صَافحَ منها الجُسومَ وشَّاها
أسلَفَني الدهرُ عندَهنَّ يداً ، حتّى إذا استُحْسِنَت تَقضَّاها
فاليومَ لا أحسَبُ الوِصالَ غِنىً ! ولا إخالُ الشبابَ لي جاها
قد خُلِقَت راحةُ الأمير حَيَاً تَغلِبُ صَوبَ الحيا بجَدواها
كانَت رياحُ السَّماحِ راكدةً ، حتّى جرَى سابقاً ، فأجرَاها
أغرُّ طَلْقُ اليَدَينِ لو طُلِبَت منه ليالي الشَّبابِ أعطَاها
إذا القَوافي بذِكرِه اشتملَت ، عطَّرَهـا ذِكـرُه وحَلاَّها
إنْ لَحَظَ المُشكِلاتِ أوضحَها ، وإنْ سقَى المُرهَفاتِ أرواها
كم نِعمةٍ للرَّبيعِ جادَ بها ، ونَقمةٍ كالحريـقِ أطفَاها
تنَالُ أقصَى البلادِ لحظَتُه ، كأنَّ أقصَى البلادِ أدنَاها
لا تَعجَبوا من عُلُوِّ هِمَّتِه ، وسِنُّه في أوانِ مَنشاها
إنَّ النُّجومَ التي تُضيءُ لنا ، أصغرُها في العُيونِ أعلاها
مُسَدَّدٌ تاهتِ الإمارةُ مُذ نِيطَ به عِبئُها وما تَاها
جَاءَته قبلَ الفِطامِ سافِرةً يَهتزُّ شَوقاً إليه عِطفَاها
آمنَ في ظِلِّـه رَعيَّتَه خَوفَ أعاديه حينَ عادَاها
أهملَها في نَوالِـه ، وغَدا مُشتَمِلاً بالحُسامِ يَرعاها
إذا غدا المُستمِيحُ أعدَمَها أعـادَه بالنَّـوالِ أثْراها
من دَوحةٍ طالَ فَرعُها ، ورسَت أصولُها ، واستُلِذَّ مَجنَاها

---

1 شرت : باعت .

سُرُجٌ أضاءت على الزمانِ فما أخمدَها الدهرُ مُنذ أذكَاها
يَنسبُها للعُيونِ رَونَقُها تَخلُبُ بالحُسنِ من تَردَّاها
كأنَّ سِحرَ العُيونِ ساعدَها ، فدَبَّ في لَفظِها ومَعناها
عَذراءُ جَلَّت عن الخُدورِ فقَد أصبحَ رُكنُ الصُّدورِ مَأْواها

438

وقال لصديق له وقد أهدى إليه قِباب شمع في يوم الميلاد : [من السريع]

بَعَثتَ في المِيلادِ لي بِدعةً تَحارُ فيها عينُ رائِيها
هَدِيَّةً لم أدْرِ مِن ظَرفِها أَعجَبُ أم مِن ظَرفِ مُهدِيها
قِبابَ شَمعٍ يَتَحَامى الدُّجَى مَجلِسَنا عندَ تَلالِيها
كأنَّها أغصانُ تِبرٍ بدَت زَهرةُ نارٍ في أعاليها
أرواحُها تأكلُ أجسامَها ، عَمداً ، وتَفنَى حينَ تُفنِيها
سَيَّافُها يَضرِبُ أعناقَها ، وَهْوَ بذاكَ الفِعلِ يُحيِيها

439

وقال يعاتب صديقاً له وقد أسر إليه حديثاً فأذاعه : [من البسيط]

أرومُ مِنك ثِماراً لستُ أَجنِيها ، وأَرتجِي الحالَ قد حُلَّتْ أَواخِيها[1]
أستودِعُ اللهَ خُلّاً مِنك أُوسِعُه وُدّاً ، ويُوسِعُني غِشّاً وتَمويها
كأنَّ سِرِّيَ في أحشائِه لَهَبٌ ، فما تُطيقُ له طَيّاً حَواشِيها
قد كانَ صدرُك للأسرارِ جَندَلَةً ، ضَنينةً بالذي تُخفِي نَواحِيها[2]

---

1 الأواخي ، مفردها أَخِيَّة وآخِيَّة : حبل يُدفن في الأرض مثنيّاً فيبرز منه شبه حلقة تُشَدّ فيها الدابة .

2 الجندلة : الصخرة .

فصارَ مِن بَثٍّ ما استُودِعْتَ جَوهرةً   رقيقةً تَسْتَشِفُّ العَينُ ما فِيها

440

وقال يستهدي نبيذاً : [من البسيط]

أَبا الحُسينِ دَعَتْ نفسي أمانِيها ، إلى يدٍ مِنكَ مَشهورٍ أياديها

فَصَرِّمِ الصَّومَ عنَّا بعدَما ظَمِئت له النفوسُ وفَقْدُ الرَّاحِ يُظميها

فجُدْ بعَذراءَ مثلِ الشمسِ نَعذِرُها إن أظهرَت صَلَفاً للحُسنِ أو تِيها

واعلمْ بأنَّ ظُروفَ الراحِ إن كَبُرَت ، عندَ الهدِيَّةِ أبدَت ظَرفَ مُهدِيها

441

وقال يدعو صديقاً له في يوم شك ويداعبه : [من الهزج]

غداةَ الشَّكِّ نَدعوكَ إلى الـراحِ تُغادِيها[1]

فـلاَ تَنـأَ وَلـذَّاتُـ ـلكَ دانٍ منك نَائيها

فقَد أضحَت سِجالُ الغَيـ ـثِ مُنْهَلّاً عَزالِيها[2]

وبُسْطُ الرَّوضِ تُغنيك عن البُسْطِ نَواحِيها

رُبًى طَيِّبَـةُ النَّشرِ ، تُحيِّي مَن يُحَيِّيها

إذا ضاحكَها البَرقُ غَدا الغيثُ يُباكِيها

وعندي قَينةٌ تَنثُـ ـرُ دُرَّ القَولِ مِن فِيها

إذا دَغْدَغَتِ العُودَ رأينـاه يُناغِيهـا

---

1 الشك : الارتياب في رؤية هلال عيد الفطر وعدم رؤيته . تُغَاديها : تباكرها .

2 السجال ، مفردها سجل : الدلو العظيمة إذا كان فيها ماء . العزالي ، مفردها عزلاء : مصب الماء من القِرْبَة ونحوها ، وأراد هنا شدة سقوط المطر .

وراحٌ خُلِقَت للطِّيـ ـبِ مِن أنفاسِ سَاقيها
وَوَرْدٌ كخُدودِ الغِيـ ـدِ تَحكيهِ ويَحكِيها
وآدابٌ جَلِيَّـــاتٌ دَقِيقـــاتٌ مَعانيهـــا
وعِلْقٌ يَحمِلُ الرَّايَـ ـةَ لا غِشّاً وتَمويها
دواءٌ يَحسِمُ الأدوا ءَ ، إن عَزَّ مُداوِيها
فزُرني تلقَ دُنيا ، كُلْـ ـلَ مَا حَاوَلْتَهُ فيها

442

وقال يهجو ابن العصب ويذكر مناهدة أهل الريب في منزله وستره عليهم :

[من الكامل]

لا تُصغِيَنَّ إلى مَقالِ سَفِيهِ غادٍ عليكَ بزُخْرُفِ التَّمويهِ[1]
وَشَّيتُ فيكَ القَولَ كَي تَحظَى بهِ ، فغَدا يُحرِّفُ لَفظَه ، ويَشِيه[2]
ما قلتُ قَوَّاداً يَرُبُّ مَعِيشَه ، لكنْ مساعدُ خِلِّهِ وأخيهِ[3]
بطَلٌ ، إذا لَقِـيَ الكمِيَّ أماتَه ، قبلَ الطِّعانِ بطَعنةٍ مِن فيهِ
ومُطارِدٌ لا الدَّرزُ يَعصِمُ صَيدَه ، ما غابَ فيهِ ، ولا الفِرارُ يَقيهِ[4]
قد قلتُ إذ خلعَ القميصَ ، وحُوِّلَت لحَظَاتُـــه : ويـــلٌ لِمَـن يُـؤْذِيهِ
دَمُ صَيْدِهِ دَمُ جِسْمِهِ وحِرابُهُ أظفـــارُه ، وطِـــرادُه يَعزيهِ[5]

---

1 التمويه : التزوير .
2 يشيه : يكذب فيه .
3 يرب : يسوس ، يجمع . معيشه : لعله أراد من يعيش معه .
4 الدرز ، من درز الثوب : خاطه خياطة مُتَلَزِّزة في الغاية ، ولا ندري ماذا أراد به هنا . يعصم : يحفظ .
5 يعزيه : يعزوه ، ينسبه .

وَلَه ، إذا الأَقفاصُ رُحن عَوارياً قفصا نِصابِ بَليدِهِ مِن فيهِ[1]

لو جازَ أن يَخفَى على اللهِ امرؤٌ من خَلقِه خَفِيَ الذي يُخفيهِ

كَم خارجٍ مِن دارِه ومُخلِّفٍ فيهـا قُبـورَ بَناتِـهِ وبَنيهِ

خُلِطَت بها نُطَفُ السُّقاةُ ، فمَا يُطا إلا على ابـنِ سَفِيهـةٍ وسفيـهِ[2]

قَبُحْتَ مِنْ ظُلْمِ القصائدِ عامداً ، فَنشَرْنَ عنكَ قبيحَ ما تَطويهِ

فبِحُرمةِ العَصْبِ الذي أُلبستَه ، ونَباهةُ الأفعال تـاجُ نَبيهِ[3]

لا تَظلِمَنْ شِعري ولاَ تَتَكَرَّهَنْ أَلفاظَه ، فالمِسكُ غيرُ كَريهِ

443

وقال يمدح أبا الفوارس ابن فهد : [من البسيط]

صَبابةٌ مِنك لَجَّتْ في تَماديها ، ولوعةٌ خَطَراتُ الشَّوقِ تُبدِيها

فالوجدُ يُظهِرُها إن رُحتُ أُكْمِنُها ، والدمعُ يَنْشُرُها إن بِتُّ أَطوِيها

كَم في الظَّعائنِ من رِيمٍ لواحظُه تُميتُ أنفاسَها ، طَوراً وتُحيِيها

وعَبرةٌ في احمرارِ الخدِّ حائرةٌ ، كأنما مَرَحُ الصَّهباءِ جَارِيها

هي الظِّباءُ فإن رِيعَت بِوَشْكِ نَوَىً ، رعَى القلوبَ بألحاظٍ تَوالِيها

أَغرَى بيَ الوجدَ منهنَّ القُدودُ ، فإنْ رُمتُ السُّلوَّ ثَنَى قلبي تَثَنِّيها

لا أزجُرُ الدَّمعَ إن هَمَّت سَواكبُه ، والنفسُ قد بَعُدَت منها أمانِيها

سقاكَ بالمَوْصِلِ الزَّهراءِ مِن بلَدٍ جَوْدٌ مِن الغَيثِ يحكي جُودَ أَهلِيها[4]

أَأَندُبُ العَيشَ فيها أم أنوحُ على أيامِها أم أُعزَّى عن لَيالِيها

---

1 النصاب : الأصل . البليد : غير الذكي . ومعنى عجز البيت غامض .

2 النطف ، مفردها نطفة : الماء القليل . يُطا مخففة عن يُطأ : يداس ، يعثر .

3 العصب : ضرب من الثياب .

4 الجَوْد : المطر الغزير .

أرضٌ يَحِنُّ إليها مَن يُفارقُها ، ويَحمَدُ العيشَ فيها من يُدانِيها
مَيْثاءُ طَيِّبَةُ الأنفاسِ ضاحكةٌ تكادُ تهتزُّ عُجْباً من نَواحِيها[1]
تَشُقُّ دِجلةُ أَنوارَ الرِّياضِ بها ، مثلَ الصَّفيحةِ مَصقولاً حَواشِيها
لا أَملِكُ الصَّبرَ عنها إن نَـأَيتُ ولَو عُوِّضتُ من ظِلِّها الدُنيا بِما فِيها
مَحَلُّ قَومٍ ينوبُ ، الدَّهرَ ، جُودُهُمُ عَنِ السَّحائبِ إن ضَنَّت هَوامِيها[2]
ودَوحةٌ بفروعِ الأزدِ باسقةٌ ، يَفنَى الزمانُ ، ولا تَفنَى مَساعِيها
ما نابتِ المجدَ والعلياءَ نائبةٌ ، إلاّ وَجُودُ بني فَهدٍ تُحلِّيها
إنَّ المكارمَ أخلاقٌ تَسَرْبُلَها أبو الفوارسِ فاختَالَتْ به تِيها
مَواهبٌ كُلَّما راحَت رَوائحُها من راحَتَيه غَدَت تَهمي غَوادِيها
وهِمَّةٌ لاتزالُ الدَّهرَ ، جاريةً معَ الكواكبِ في أَعلى مَجارِيها
وعَزمةٌ يَنطوِي الَّليلُ البَهيمُ بها ، كأنَّما الصُّبح جُزْءٌ من تَلالِيها
عَمَّت فَواضلُه الدُنيا ، فَهِمَّتُه إسعافُ طالبِها ، أو فَكُّ عَانِيها[3]
يَحوِي المُنى قبلَ بَذْلِ الوجهِ آمِلُه ، إذا الملوكُ انثَنى باليأسِ رَاجِيها
أبا الفوارسِ ! كم أوليتَ من نِعَمٍ ، سِيَّانِ في الجُودِ دَانيها وقَاصيها
وكم تَسَربلتَ مِن سِربالِ مَكرُمةٍ جَلَّت ، ولكنَّها دَقَّت مَعانِيها
شمائلٌ مِنك يُخجِلْنَ الرِّياضَ ، إذا تَبسَّمَ النَّوْرُ غَضّاً في مَغانِيها
كأنما الغَيثُ خُلقٌ مِن خَلائِقها ، أو المـَنيَّةُ إسمٌ مِن أساميها
لأَصفحَنَّ عن الأَيّامِ إذ صفَحَتْ عنّي بأفعالِك الحُسنى مَساوِيها
يا آلَ فهدٍ أقامَت في دِيارِكُمُ نُعمى يُواصِلُ صَفوَ العَيشِ صَافِيها
فإنَّ بأسَكُمُ أمنٌ لِخائِفها ، كما نَوالُكُمُ رَيٌّ لِصَادِيها

1 الميثاء : الأرض اللينة السهلة من غير رمل .
2 هوَاميها : انصبابها .
3 العاني : الأسير .

إنَّ المكارِمَ أعطَتكم أَزِمَّتَها ، فليسَ غيرُكُمُ في الناسِ يَحوِيها

444

وقال يصف الموصل : [من الوافر]

مَنازِلُنا التي لَبِسَت بِلاَها ، وحالَت ، بَعدَ نُضرَتِها ، حِلاَها
خَطَتكِ رِكابُنا لحُلولِ خَطبٍ أناخَ على رُباكِ فما خَطَاها
مَنحنَاها القِلَى كُرهاً ، ولَولا صُروفُ الدَّهرِ لم نَختَر قِلاها
يَميلُ بنا الهَوى طَرَباً إليها فنَبكِيها ونَسعَدُ مِن بُكاها
تَلقَّاها الزَّمانُ بخَفْضِ عَيشٍ ، وعاوَدَها السُّرورُ كما بَدَاها
نَقولُ لها : سَقاها الغيثُ رَيَّاً ، وقلَّ لها مَقالَتُنا : سَقَاها
قُصورٌ حَلَّقَت في الجوِّ حتّى لقَصَّرَتِ الكَواكِبُ عن مَداها
مُشَرَّفةٌ ، كأنَّ بَناتِ نَعشٍ ، تُناجيها ، إذا خَفقَت شِفاها[1]
يُتَوِّجُها اصفرارُ الشمسِ تِبراً ، فَتُمْسِي وَهيَ مُذْهَبَةٌ ذُراها
وجَنَّاتٌ يُحيِّي الشَّربَ ، وَهْناً ، جَنَى وَهَدَاتِها ، وجَنَى رُباها
مُصَنْدَلَةُ الثَّرى ، والريحُ تَأْبَى غرائبَ حُسنِها إلا اشتبَاها
إذا رَكَدَ الهواءُ علَت نسيماً ، وإن فُقِدَ الغَمَامُ طَغَتْ مِياها[2]
تَفرَّجَ وَشيُها عَن ماءِ وَردٍ ، يَفيضُ على لآلٍ من حَصاها
إذا صلَّتْ بها أوقاتُ فَرضٍ جِباهُ الشَّربِ عَطَّرتِ الجِباها
وذائدةٍ دموعَ العَينِ صَفواً ، إذا باتَت تُرَقرِقُ في صَفاها
تُعانِقُ رِيحُها لِمَمَ الخُزامى وأعناقَ القَرَنْفُلِ في سُراها

1 بناتُ نعش : مجموعة كواكب .
2 طَغَتِ الماءُ : ارتفعت .

ويأبى زَهرُها ، إلاّ هُجوعاً ؛ ويأبَى عَرفُها إلا انتباها[1]
قَرَاها الدَّهرُ بُؤسَى واقشعَرَّتْ مَغانِيها الحِسانُ ، كما قَراهَا
ذَوَتْ أشجارُها الغِيدُ اللَّواتي ، إذا عَبثَ النَّسِيمُ بها ثَناها
وقد مَرِيَ الحَمامُ بها وكانت على الأفنانِ لا يُغني مَراها[2]
كأَنْ لم تَغْنَ عَرصَتُها بخُضرٍ يُقَيِّدُ لَحْظَ مُبصِرِها غِناها
ترَقْرَقُ في نَواظِرِها دُموعٌ أحَبُّ إلى النَّواظِرِ من كَراها
وساقيةٍ كأَنَّ الريحُ ساقَت إليها الخوفَ فارتعَدَت حشَاها
إذا نَظمَ الشَّقائقُ جانِبَيها أَرَتكَ صفائحاً دُمِيَت ظُباها
عفَت منَّا السُّوَيقةُ فالمُصلَّى ، فمُشرِقــةُ المِيــاه فمُلتقاها
ملاعبُ لو جُلِينَ غَداةَ دَجْنٍ على النُّعمانِ آثر مُجتلاها
يُجلِّلُ رِيحُها الرَّيحانَ حسرَى مُعَنبرةَ الهُبوبِ وهَتْ قُواها[3]
وتَقصِدُ أو تَجُورُ بها سواقٍ كحيَّاتِ الرِّمالِ عَصَت رُقَاها
وتَبتسمُ القِبابُ البِيضُ منها على خَضراءَ مُحمرٍّ جَناها
على جرعاءَ مَيثاءَ النَّواحي يُلبِّدُ نَقْعَ تُربتِها نَداها
تُساقُ إلى أُصائِلها النَّدامَى فتُنسِيهم أصائلُهــا ضُحَاها
تراءَت من كِفاحِ الدَّهرِ غُبراً كأنَّ عِجاجَ حَومتِها عَلاها
فما لِنَعيمِها انفصمَت عُراها ؛ وما لرِياضِها حَسَرت كُساها
وما لرياحِها العَطِراتِ ردَّت رِداءَ الحِلمِ وآدَّرَعت سَفاها

---

1 العَرْفُ : الرائحة .

2 قوله : مري الحمام : لعله أراد أُرسل ، من قولهم مري الدم ونحوه : أرسله ؛ أو لعله مخفف مجهول عن مرأه الطعام : طاب وساغ له . مراها : لعلها مخففة عن مرآها . وفي كل الحالات فالبيت غامض المعنى .

3 أراد نفحات من الريح حسرى .

أحِينَ أظلَّها سِلمُ اللّيالي ، وقُلنا : قد تجنَّبَها أذاها
رمَاها بالتي عَظُمت ، ولكِن أصابَ قلوبَنا لمّا رَماها
فمالَ بمَعشَرٍ غِرَرٍ إليها ، ومالَ بِنا إلى أُخرى سِواها[1]
أراذلُ ليسَ تَحمي الأُسدُ غِيلاً ، كما تَحمِي رَوائحُها حِماها[2]
عُراةٌ في الجنائبِ لا تُبالي أصُدَّ العارُ عنها أم عَراها
لَهتنا ، أنْ نُلِمَّ بساحَتَيها ، رياحٌ ، إن سطَت أردَت سَطاها
وأمواهٌ لو آنَّ التُربَ يَشكو مجَاورةَ الأذى يوماً شَكاها
فلو غُسِلَت بماءِ المُزنِ مِنهم ، وماءِ البَحرِ لم يَطْهُرْ ثَراها
يَحِنُّ الطائرُ المُوفِي علَيها ، وتُوسِعُ كلُّ ماشيةٍ خُطاها
سلامُ اللهِ منكَ على رِباعٍ ، نَأَتْ أحبابُها ، ودنَت عِداها
وطيِّبَةِ النَسيمِ عدَتْ علَينا جنائبُها ، وعَادَتْنا صَباها
وكافوريَّةِ البُنيانِ تُثني على من خَطَّها ، أو مَن بنَاها
مُحلِّقةٍ يكِلُّ الطَّرفُ عَنها ، إذا ما الطَّرفُ حاولَ مُنتهَاها
تُضيءُ إذا الدُّجَى اشتملَت علَيها ، فتَحسبُها مُؤلَّقَةً دُجاها
بَعثْتُ الطَّرفَ مُشتاقاً إليها ، فكادَ يَرُدُّه عَنها سَناها
وَحبَّبها إليَّ ، وإن تَولَّت مآربُ بَلَّغتْ نفسي مُناها
لقد كانَت جِلاءَ العَينِ حُسناً ، فعادَت وهي من قُبحٍ قَذاها[3]
عِقابُ الدَّهرِ بُقياه علَيها ، وعَفوُ الدهرِ عَنها لو عَفَاها
فيا نُوَبَ الخُطوبِ إليكِ عَنها ، كفَاها ما أَلَمَّ بها ، كفَاها

---

1 الغرر : الذين لا خبرة لهم .
2 الغِيل : موضع الأسد .
3 الجِلاء : الكُحْل .

قافية الواو

445

وقال يهجو فارس بن اليمج ويذكر أنه كان في حداثته زفافاً فتاب وتأدب :

[من الوافر]

سألتَ اللهَ مِمَّا كانَ عَفواً ، وعُدْتَ بتوبةٍ تَرَكَتْك نِضْوَا[1]

محوتَ صَحائِفَ اللَّذّاتِ لمَّا محَوتَ بها سطورَ الزَّفْنِ مَحوا[2]

فأضمرَ نايُكَ الحنَّانُ همَّاً ، وأعلنَ صَنجُك الصَّيَّاحُ شَكوى[3]

وكم للقَصفِ من طَلَلٍ مُحيلٍ ، تأبَّدَ مِنك مَنزِلُه ، فأقْوَى[4]

تَحِنُّ إليك حانةُ باطر تحى ويبكى الزَّنْدِرُودُ عليك شجوى[5]

أَحَقّاً عادَ طَعمُ العَيشِ مُرّاً ، وكانَ بزَفْنِك المَرْمُوقِ حُلوا[6]

وجَفَّ قضيبُه المَيَّاسُ رَقصاً ، وطارَ هَزارُه الغِرِّيدُ شأوا[7]

أفارسُ ! أنتَ أحسنُ مَن تَثَنَّى ، على صَنجٍ وأملحُ من تلوَّى

أُصِيبَ العَيْشُ مِنك بِخَيْرِ حادٍ يَحُثُّ ركائبَ الصَّهباءِ حَدْوَا

---

1 نِضْوَاً : مهزولاً .

2 الزفن : الرقص .

3 الناي والصنج : من معازف الطرب .

4 تأبَّد المكانُ : أقفر وألفته الوحوش . أقوى : خلا .

5 هذا البيت فيه تحريف جعله غامضاً . الزندرود : نهر بأصبهان .

6 المرموق : المشهور .

7 الهَزَار : العندليب .

إذا اختلَجَت مَناكِبُه لرَقصٍ ، نَزَت طَيرُ القلوبِ إليه نَزْوَا[1]
أعادَ حِكايةَ الشَّيخينِ جِدّاً ، وكانَ حَكاهُما لَعِباً ولَهوا
فأصبحَ زَفْنُه لُغَةً وشِعراً ، وأمسى عَزْفُه جَدَلاً ونَحوا
يَخِفُّ به رُواةٌ عنه عِلماً زُلالاً إن سَقانا منه أُروى
فمُقتَبِسٌ مِنَ المِصباحِ نُوراً ، ومُغتَرِفٌ من التَّيَّارِ صَفوا
فلا يَبْعُدُ زمانٌ منك عادَت مَواهبُـــه على الفِتيانِ بَلوىَ
ليالٍ بالمعازفِ منك تُنضَى ، وأيامٌ ، بِحَثٌ الرَّاحِ ، تُطوَى
قَعدتَ وكم نهضتَ إلى التَّصابي ، بنَقرِ الدُّفِّ تُوسِعُ ، فيه خَطْوا
فأظهرتَ الزَّمانةَ في زَمانٍ حَزَزتَ به من اللّذّاتِ عُضوا[2]



1 نَزَا : وثَبَ .

2 الزَّمَانَةُ : العاهة ، وفقدان بعض أعضاء الجسد .

قافية الياء

446

وقال يدعو صديقاً له ويداعب أبا المظفر ابن ناصر الدولة ويهنئه بمولود سماه تغلب وكناه أبا السرايا : [من الوافر]

غداً تُبدي مَدامِعُنا الخفَايا ، إذا زُمَّت لطَيْبَتِها المَطايا[1]
وقفنَا نَحمَدُ العَبرَاتِ لمَّا رأينا البَينَ مَذمومَ السَّجَايا
كأنَّ خُدُودَهنَّ ، إذا استقلَّتْ ، شَقِيقٌ فيه من طَلٍّ بَقايا
وقَد فوَّقنَ بالألحاظِ نَبلاً ، قلوبُ العاشِقِين لها رَمايا
تَمنَّينا اللِّقاءَ ، فكان حَتفاً ، وكم أُمنيَّةٍ جَلَبت مَنايا
أرَى الآفاقَ قد مُلِئَت سُروراً ، بتَغليبِ الأميرِ أبي السَّرايا
بمَولودٍ يَراه اللهُ لَيثاً ، وغَيثاً يَستَهِلُّ علَى البَرايا
نَجيبٌ أنتجَتْه كِرامُ قَومٍ ، فجاءَ شَبِيهَهم حَزماً ورَايا
ثَناي عَليهِمُ مادُمتُ حَيّاً ، ثَناءَ المُستهامِ علَى الثَّنايا
كأنِّي بالأميرِ وقَد بَلاهُ يُكشِّفُ زَائداً عنه البَلايا
وقَطَّعَ أنفُسَ الحُسَّادِ غَيظاً ، بسُؤدُدِه ، فَطيَّرَها شَظايا
وأَصبَحَتِ الدُّروعُ له شُفوفاً ، خِفافاً ، والسُّروجُ له حَشايا[2]
إذا ما سَابقَ الأكفاءَ يَوماً إلى الغاياتِ خَلَّفَهم رَزايا

---

1 طيبة : من أسماء المدينة المنورة .

2 الشُّفُوف ، مفردها شَفّ : الثوب .

يَجورُ على التَّليدِ إذا استُميحَت ، أنامله ويَعدِلُ في القَضايا
حيَاةُ المَجدِ أن يَحيَا ، وتُفْنِي أعادِيَــه الحــوادثُ والرَّزايا
فقُل ، لأبي المُظفَّرِ قد ظَفِرنا بما نَرجو لديك من العَطايا
فَضُلتَ فكنتَ بَحراً حينَ كانوا ثِماداً يُسْتَمَدُّ مِنَ الرَّكايا[1]
ولولا الفَضلُ لم نَشعُر بنَقصٍ ، ولولا النُّسكُ لم تَبرَ الخطايا
ومن يُهدِ الحيَا لرياضِ حَمدٍ ، يَفُزْ مِنها بألطافِ الهَدَايا
كما جادَ السَّحابُ الجَودُ أرضاً ، فأبرَزَ مِن مَحاسِنِها الخَبايا
وقَد جاءتْ مدائحُنا نُقوداً ، فلا تَجعَل جوائزَها نَسايا[2]

447

وقال يتشوق أهل الموصل وهو بحلب : [من المتقارب]

تَذَكَّرَ أيامَه الخـالِيه ، فما رَقَأَت عَبرةٌ جَاريه
أقولُ لمُعتكِرِ الطُّرَّتَين ، مِنَ الغَيثِ مُلتَهِبِ الحـاشِيه
على الرَّبَضِ المُرتَدِي بالرِّياضِ سِجالُك والبِيعةِ الدَّانيه[3]
على طَلعةِ الجَدِّ نَغنَى بِها ، عن الصُّبحِ في اللَّيلةِ الدَّاجيه
وحَسناءَ لمَّا يَشِن حُسنَها تَقادمُ أعوامِها الماضيه
ومأهولةٍ من تَماثِيلِها ، إذا هي يوماً غدَت خَاليه
وما منحَ الشمسَ شَمَّاسُها ، وما خَبَأَ القَسُّ في الخـابيه
فسَقياً لملعبِ غِزلانِها ، وأعظُمِ رُهبانِها البـاليه

---

1 الثِّماد ، مفردها ثَمَد : الماء القليل . الرَّكايا ، مفردها رَكِيَّة : البئر ذات الماء .

2 نسايا ، من النسيئة : الدَّين المؤخَّر .

3 البيعة : الكنيسة . السِّجال ، مفردها سَجْل : الماء الكثير .

وساحرةِ الطَّرفِ مَطبوعةٍ على الظَّرفِ مُقسِمةٍ شَافيه
ونقش عَبيرٍ على وَجنةٍ ، كما نُقِشَ الوَردُ بالغاليه[1]
رِباعٌ تَقَنَّصتُ غِزلانَها ، وقَارَعتُ آسادَها الضَّاريه
إذا غنَّتِ الطَيرُ فيها ضُحًى حَسِبْتُ القِيانَ بها شَاديه
وإن راحَ رُعيانُها أَطْرَبَتْكَ فَواقِدُ أولادِهـا الثَّاغيه
لَقِيتُ سروري بها كاملاً ، وصافحْتُ كأسي بها وافِيه
فإن أرَها سَالِماً أستَلِم فَوارِعَ أركانِها العالِيه
وَإنْ أَغْشَ حَانَةَ أُترُجَّةٍ أُمُت ثالثَ الدَّنِّ والباطيه[2]
ويَغمِزُ كفِّيَ كَفَّ النَّديمِ ، ويُومِضُ طَرفي إلى السَّاقِيه
وأسبُقُ بالشُّكرِ أُولَى الصَّلاَةِ وَأَثْنِي العِنانَ إلى الثانيه
وأَضرِبُ بالفَصِّ وجهَ الثَّرى، فإمَّا عليَّ وإمَّا لِيه
فإن كُنتَ للخُلدِ رَيحانةً ، فدَعني أكُنْ حَطَبَ الهاويه
وإن كنتَ تَدعو إلى مَذهبٍ ، فإني إلى تَركِهِ دَاعيه

448

وقال يهجو رجلاً بخيلاً : [من الوافر]

قَصَدْتُك لم أُرِد رِفداً وأنَّى يَرومُ من الصَّفا العطشانُ رَيَّا
وكم من مانعٍ جَدواه بُخلاً ، يكونُ بِجاهِهِ بَرّاً حَفِيًّا[3]
فكانَ لَحَاظُكَ المكرورُ شَزْراً ، وكانَ جوابُك المفهومُ عِيًّا

1 الغالية : أخلاطٌ من الطِّيب .
2 أترجة : اسم صاحبة حانة . الباطية : إناء من الزجاج يُملأُ شراباً .
3 الحَفِيّ : المبالغ في الإكرام والبرِّ وإظهار السرور .

فلو أني امتدحتُك مُستميحاً   سَلَلْتَ عليَّ عَضباً مَشرِفيَّا

449

وقال يمازح عبد الحميد المزيّن الموصلي : [من الوافر]

أَمَا وأبيكَ لا أنساهُ تُدمي   مضاربُ سيفِه البطلَ الكَميَّا
وبَرقاً في أَنامِله ، إذا ما   تَـأَلَّقَ فتَّحَ الوَردَ الجَنيَّا
إذا ظَمِئَت فِراخُ أبيكَ يوماً ،   سقَاها من رِقابِ القَوم رَيَّا
وان جَرَحَ الأخادعَ مُطْمَئِنّاً   كسا الأوداجَ دِيباجاً بَهِيّا[1]
ولم أرَ مثلَه يُدْعى عَقُوقاً ،   فيدعوه الوَرى بَرّاً حَفِيّا

وقد وقع الفراغ من نسخ ديوان السري بن أحمد بن السري الرفّاء الموصلي رحمه الله تعالى يوم الأحد غرة شهر جمادى الأولى سنة 1319 هجرية ، على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التحية .

وفي خاتمة نسخة أخرى : وقد وقع الفراغ من تبييض ديوان السري بن أحمد ابن السري الرفّاء الموصلي رحمه الله تعالى يوم الخميس الخامس والعشرين من شهر شوال سنة سبع وتسعين ومائتين وألف من هجرة من له العز والشرف .

---

1 الأخادع ، مفردها أخدع والمثنى أُخْدَعان : عرقان في صفحتي العنق قد خَفِيا وبَطَنا .

فهرس القوافي

DĪWĀN

AL-SARRIYĪ AL-RAFFĀ᾿

EDITED BY

KARAM BUSTANI

REVISED BY

NĀHID JAAFAR

DAR SADER PUBLISHERS

Beirut

